

قصة اتفلة أو سله

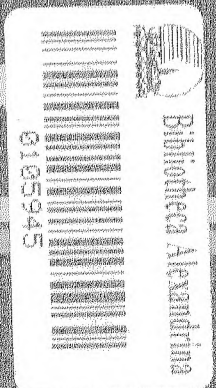
الرواية الحقيقية الكاملة

« بلغة أو سله »



▶ ممدوح نوفل

الطبعة الأولى
الطبعة الثانية



قصة اتفاق أوصلو

الرواية الحقيقية الكاملة
« طبخة أوصلو »

ممدوح نوفل

قصة اتفاق أو سلو

الرواية الحقيقية الكاملة
« طبخة أو سلو »

جميع الحقوق محفوظة للناسر

الطبعة الأولى

١٤١٦هـ. - ١٩٩٥م



المملكة الأردنية الهاشمية - عمان / وسط البلد
خلف مطعم القدس / ص.ب ٧٧٧٢ - هاتف ٣٨٦٨٨
فاكس ٦٥٧٤٤٥ ♦ منشورات كافيه العام ١٩٩٥م

إهداء

الى كل الشهداء ، وكل من تألم وتعذب من أجل تمكين
الشعب الفلسطيني من استعادة حقوقه الوطنية المغتصبة وبناء
دولته الوطنية المستقلة والمزدهرة .

توطئة

عندما قررت تدوين وقائع ومجريات مفاوضات أوصلو أولاً بأول ، لم يكن يخطر على بالي ولم أفكر في حينها بأنني سأكتب عن تلك المفاوضات هذا الكتاب . ما قمت به هو استمرار لعادة قديمة عمرها ٢٨ عاماً ، وهي تدوين بعض المذكرات الشخصية لأغراض تاريخية . وأعترف بأنني بدأت تدوين المذكرات من بداية انخراطي في العمل الفدائي الفلسطيني عام ١٩٦٧ ، تيمناً بما فعله بعض الجنرالات الذين قرأت مذكراتهم واستمتعت بها ، واستفدت منها في عملي العسكري في اطار قوات الثورة الفلسطينية ، وجيش التحرير الوطني الفلسطيني .

فهذا الكتاب لا ادعي شرف تأليفه . فهو في جوهره من تأليف أبطال قصة أوصلو ، أفراداً وهيئات . لقد شاءت الظروف الفلسطينية الداخلية ان اكون احد المطلعين على مفاوضات أوصلو من بداياتها ، بحكم عضويتي في اللجنة العليا لمتابعة المفاوضات ، وما كان يسر به الي ياسر عبد ربه الذي كان ضمن الحلقة الضيقة التي اشرفت على تلك المفاوضات . الا ان الظروف ذاتها فرضت علي ان احافظ على السر ، وان اتصرف كأبي عضو من اعضاء القيادة الفلسطينية الذين اخفيت عنهم تلك المفاوضات . وبمقدار ما كان هذا الدور الخاص مزعجاً كنت اجد فيه بعض المتعة ، خاصة عندما كان ابو عمار واطباء خلية أوصلو يقومون بالتمثيل ، وبالمناورات السياسية والتنظيمية بهدف تمويه واخفاء مسار أوصلو عن الوفد الفلسطيني المفاوض في واشنطن ، وعن الهيئات القيادية في منظمة التحرير الفلسطينية ، عندما كانت تجتمع في مقر ابو عمار في شارع ياغورتا في العاصمة التونسية . كل ما قمت به في (الفصل الثاني) هو تدوين لمواقفهم ، ووصف لأعمالهم ، ولانفعالاتهم وخاصة أولئك الذين عايشتهم عن قرب . وأضفت له فصلين : الأول لأوضح فيه الظروف والأوضاع الدولية والإقليمية والفلسطينية والإسرائيلية ، التي مهدت الطريق الى أوصلو ، وجعلت

وقوع قصة أوسلومسألة حتمية . والثالث ، حاولت فيه ان اجتهد وسط العاصفة القوية التي تجتاح منطقتنا ، وأن أدلي برأيي في مصير ومستقبل اتفاق اوسلو ، وفي مصير السفينة الفلسطينية المبحرة الآن في بحور منطقتنا الهائجة المائجة . وكللي أمل ان يعاملني القارئ الكريم في هذا الفصل - الثالث - كما يعامل المجتهد في الإسلام ، الذي إذا اجتهد وأصاب نال أجرين ، وإذا أخطأ نال أجرا واحدا فقط . والافكار الواردة في هذا الفصل تعبر عن رأيي ووجهة نظري الشخصية ، ولا علاقة إطلاقاً لأي من الهيئات القيادة الفلسطينية التي أنتمي إليها بهذه الافكار ، وليست مسؤولة عنها .

والكتاب مليء بأسماء أفراد وأماكن وتواريخ كلها حقيقية ، حاولت تقريبها للقارئ قدر المستطاع ، من خلال النص تارة ، ومن خلال الهوامش تارة أخرى . ويحتوي الكتاب أيضاً على عدد من الوثائق التي ورد ذكرها ، بعضها سبق نشره وبعضها ينشر لأول مرة .

حاولت في البداية اعتماد نشر الحقيقة الكاملة في رواية الفصل الثاني (القصة) ، والآن أجد لزماً علي الاعتراف بأن محاولتي لم تنجح . فقد كتبت الحقيقة بأمانة إلا أنني وجدت نفسي عاجزاً عن نشرها كاملة . فهذا الكتاب تنقصه بعض التفاصيل وبعض التعليقات ، أما مسودته الأصلية فهي كاملة . مارست الرقابة الصحفية على نفسي ، واستعرت مقص الرقيب ، فحذفت بعض الصفحات التي يؤثر نشرها على المصلحة الوطنية الفلسطينية ، وعلى بعض جوانب العلاقات الفلسطينية الداخلية والخارجية . وحرصت في الوقت ذاته على إبقاء الحقيقة المتعلقة بمواقف وراء الافراد كما هي ، رغم معرفتي بانها جارحة في بعض المواقع لأعز الأصدقاء من أبطال القصة ، ومن وردت أسماءهم في هذا الكتاب . وفي هذا السياق ألتمس العذر سلفاً من كل صديق أو رفيق ، أو أخ ورد اسمه الحقيقي أو الحركي يجد نفسه قد مس بهذا القدر او ذاك جراء نشر هذه القصة . أو لم يعطه الراوي كامل حقه . وألتمس

العذر ايضا من كل الذين قد يجدون أن رواية أدوارهم وسرد مواقفهم جاءت ناقصة ، وأظنهم جميعاً يعرفون ، بدءاً من أبو عمار مروراً بأبو مازن وأبو علاء وياسر عبدربه وحتى آخر مناضل ورد اسمه في هذا الكتاب بأني لم أقصد الإساءة لأحد ، ولا الانتقاص من دور أحد .

وهدفني من نشر هذا الكتاب الآن هو : (١) تعريف القارئ الفلسطيني والعربي بحقيقة ما جرى في أوسلو ، وبالتفاعلات الداخلية لما كان يجري صنعه هناك ، لا سيما وأن ما كتب حول هذا الموضوع - حتى الآن - من قبل الإسرائيليين أو الفلسطينيين ، أو بعض الصحفيين الأجانب لا يعكس الصورة الكاملة ، وأعتقد أنه ناقص أيضاً . (٢) تعريف القارئ بميكانيزم العلاقات الداخلية الفلسطينية ، وبآلية اتخاذ القرار في القيادة الفلسطينية ، على أمل مساعدة صناع القرار الفلسطيني على قراءة رأي الآخرين في قيادتهم لمهامهم الوطنية ، وفي إدارتهم للعلاقات الفلسطينية الداخلية ، وليروا أنفسهم في مرآة أخرى ، غير تلك التي ينظرون لأنفسهم فيها وهم يصنعون القرار . وكذلك على أمل مساعدة القارئ في فهم ما جرى في أوسلو ، وكيف تم طبخ الموضوع . والأهم من ذلك هو فهم بعض المسائل الهامة التي تعيشها الساحة الفلسطينية الآن . (٣) أعتقد أن إتفاق أوسلو حدث من الأحداث التاريخية الكبرى ، وأنه له ما بعده ، وسيترك أثارا ونتائج كبيرة على شعوب ودول المنطقة ، وعلى علاقاتها ببعضها البعض ومع العالم . وأنه وبغض النظر عن رأي المعارضين أو المؤيدين له بات أمراً واقعاً . وكان نتاجاً لموازين قوى ، ولتطورات دولية وإقليمية . ومنذ توقيعها لم يعد ملكاً لمن صاغوه أو وقعوه وإنما ملكاً للشعوب التي تأثرت به ، وملكاً للقوى الكبرى المؤثرة الآن في رسم السياسة الدولية وفي تقرير مصير الشعوب . ولأنه هكذا ومن هذا المستوى فإن تعريف القارئ به كما هو ، وتعريفه بصنّاعه ، وتبصيره باحتمالات المستقبل ، واجب وحق . فهو من جهة واجب على من يعرف الحقيقة أن يدلي بشهادته . وحق لكل من لا يعرف ، أن يقرأ

هذه الشهادة وأن يطلع عليها . وبخاصة الجيل اللاحق من أطفال وشبيبة فلسطين ، لتمكينهم من إصدار حكم عادل على هذا الحدث الذي قرر لهم سلفاً كيف سيعيشون ، وايضاً على صنّاع هذا الحدث وكل من شايعهم ودافع عن اتفاق وسلو ، وإعطاء ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله .

بين عامي ١٩٤٧ و ١٩٤٨ رفض الآباء والأجداد تقسيم فلسطين ، وحكم عليهم جيلنا بأنهم اجتهدوا فأخطأوا ، والآن قبل جيلنا (بدويلة) بحكم ذاتي انتقالي في غزة وأريحا كخطوة أولى ، وكمرحلة على أمل ان تتلوها مراحل أخرى . وأن تتحول دويلة غزة اريحا الى دولة كل الفلسطينيين ، وان تكون مستقلة وديمقراطية ومزدهرة . وأمل هذا الجيل مبني على قناعة بأنه لا يضع وراءه مطالب ذو إرادته بالعمل من أجل استرداد الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني المغتصبة منذ ما يقارب نصف قرن ، وفي مقدمتها حقه في الحرية والاستقلال وتقرير المصير . فهل سيتحقق ذلك؟ وهل مهد اتفاق أوسلو الطريق لهذا الهدف ، أم أنه أغلقها الى الأبد؟ .

.. أمل أن تكون هذه الشهادة وهذا الرأي ، المدونين في هذا الكتاب ، بمثابة مساهمة متواضعة ، في تمكين القارئ من الجيل الحالي والأجيال القادمة من الإجابة على هذه الأسئلة وسواها من الأسئلة التاريخية الأخرى بصورة علمية وموضوعية .

وقبل أن أختتم هذه المقدمة علي أن أعترف للقارئ بأن هذا الكتاب فيه استغلال من قبلي لموقعي في اطار القيادة الفلسطينية ، ولعضويتي في اطار اللجنة العليا لمتابعة المفاوضات ، ولعضويتي في المجلسين الوطني والمركزي ، وعضويتي في لجنة العمل اليومي لمتابعة الانتفاضة ، واللجنة الفلسطينية لعليا لشؤون الوطن المحتل . وفي المكتب التنفيذي للاتحاد الديمقراطي الفلسطيني (فدا) . فهذا الموقع وتلك العضوية أتاحا لي فرصة لا تتاح لآخرين للاطلاع على معلومات وتدوينها .

وعلي أن أعترف ايضاً بأن علاقتي النضالية والشخصية مع كل من ورد اسمه في هذا الكتاب أتاحت لي فرصة الحديث عن بعض الجوانب الشخصية والتكوين النفسي لهذا القائد الفلسطيني أو ذاك .

وأرى لزاماً علي أن أشكر كل من شجعني على نشر هذا الكتاب ، وكل من ساهم في تنقيحه وتصحيحه ، وكل من نقده وأبدى ملاحظاته القيمة قبل نشره . كما سأكون شاكراً لكل نقد محتمل حتى ولو كان قاسياً وجارحاً . فالنقد مفتاح التطور والتطوير والتعلم .

مدوح نوفل

القسم الأول

تمهيد الطريق الى أوصلو

مقدمة

بعد صراع مع الذات ومع الآخرين ، وبعد مناورات كثيرة متنوعة وافق رابين على الدخول في مفاوضات سرية مباشرة مع قيادة م . ت . ف . برعاية بعض أركان الحكومة النرويجية ، وتشجيع بعض أركان الإدارة الأمريكية . وبعد ثمانية شهور كاملة من المفاوضات الصعبة ، ومن المد والجزر ، تمكن ممثلو الحكومة الإسرائيلية ومثلوم . ت . ف . من التوصل الى اتفاق ، عرف لاحقاً باسم اتفاق أوصلو ، أو اتفاق إعلان المبادئ . D.O.P . وإذا جاز تحديد الفواصل بالأيام والشهور بين المراحل التاريخية التي تمر بها الشعوب ، فالسابع عشر من آب ١٩٩٣ هو التاريخ الفاصل بين مرحلتين من مراحل القضية الفلسطينية . ومنذ الإعلان عن وجوده ، أثار هذا الاتفاق عاصفة قوية من ردود الأفعال على كل المستويات الدولية والعربية والفلسطينية والإسرائيلية لم تهدأ حتى الآن ، واضن انها لن تهدأ في المستقبل القريب . وبغض النظر عن رأي المؤيدين أو المعارضين له أو المتحفظين عليه ، فالإتفاق يوازي من حيث آثاره ونتائجه على الصراع العربي الصهيوني ، تلك التي تركها وعد بلفور عام ١٩١٧ ، وحرب ٤٧-٤٨ والإعلان عن قيام دولة إسرائيل أو حرب ٦٧ . والاتفاق كحدث ، أكبر من حرب أكتوبر ٧٣ ، ومن اتفاقات كامب ديفيد عام ٧٨ ومن حرب ٨٢ . ويتشابه من حيث الأهمية والمفعول مع انهيار سور برلين اواخر عام ١٩٨٩ . لقد قلب انهيار سور برلين أوضاع شعوب أوروبية وآسيوية عديدة ، وغير بتسارع مذهل أسس ونمط علاقات هذه الشعوب بعضها ببعض . بعضها غرق في بحور من الصراعات الداخلية الدموية ، قومية ، وطائفية وحزبية ولا زال يتخبط فيها حتى الآن ، والبعض الآخر ركز أوضاعه الداخلية وراح يسعى لتوسيع نفوذه السياسي

والإقتصادي خارج حدوده الإقليمية . أما اتفاق أوسلو فلا أظن انه من السهل الآن استقراء كل النتائج البعيدة التي سيتركها هو وما تلاه أو سيتلوه من اتفاقات على شعوب المنطقة . وإذا كانت قراءة المستقبل البعيد للاتفاق صعبة ، فليس عسيراً على المحللين والمراقبين السياسيين استشفاف افاق المستقبل ، ورؤية التفاعلات السياسية والفكرية والإقتصادية والاجتماعية التي بدأت تتحرك داخل المجتمعين الفلسطيني والإسرائيلي . وبإمكانهم أيضاً ملاحظة بداية الإرتفاع في درجات حرارة الصراع داخل الساحة الفلسطينية ودخل إسرائيل ، وفي عدد من دول المنطقة .

فهل سيدخل اتفاق أوسلو وما تلاه من خطوات واتفاقات شعوب منطقة الشرق الأوسط بحراً من الصراعات الداخلية الدموية كالتي دخلتها شعوب ما كان يسمى بالإتحاد السوفياتي؟ أم أنها سوف تستفيد من تجاربها السابقة ومن تجارب الشعوب الأخرى؟ . هل سيكون اتفاق أوسلو والاتفاقات العربية الإسرائيلية الأخرى خطوات نحو المجهول؟ أم بداية مرحلة جديدة من الإعمار والتطوير الإقتصادي والثقافي والاجتماعي لدول وشعوب المنطقة؟ هل ستكون بداية للديمقراطية؟ أم أنها وما قد ينجم عنها من صراعات ستغذي الديكتاتورية ، وتقويها وتوسع رقعة انتشارها ، وتقتل بعض بذور الديمقراطية التي نمت في الآونة الأخيرة في بعض أرجاء الوطن العربي؟؟

ان هذه الأسئلة وسواها ستبقى مثار جدل ونقاش لفترة طويلة لاحقة . وسيعود الناس لاستذكار اتفاق أوسلو عند كل منعطف نوعي وكل تطور جديد يطرأ على أوضاع وعلاقات شعوب الشرق الأوسط . قبل أوسلو وعلى مدى ما يزيد عن أربعين عاماً حاول العالم بهيئاته ومؤسساته الدولية : (مجلس الامن ، الجمعية العامة للأمم المتحدة ، ودوله العظمى) . مرات عديدة معالجة القضية الفلسطينية وحل الصراع العربي الصهيوني . واطلقت في العقود الاربعه الماضية مبادرات متنوعة ومتعددة ، واعدت مشاريع واتخذت قرارات دولية كثيرة إلا أن

كل تلك القرارات والمبادرات والمحاولات باءت بالفشل ، وبعد كل محاولة كانت
العداوة تنمو وكان الصراع يشتد . وشهدت المنطقة خمس حروب كبيرة « ٤٨ ،
٥٦ ، ٦٧ ، ٧٣ ، ٨٢ » اكدت كلها ، بالاضافة الى الفشل الدولي أن أوضاع
الفلسطينيين والإسرائيليين لم تكن ناضجة طيلة تلك الفترة لاستقبال اية
حلول ، وأن العوامل الدولية والإقليمية لم تكن مواتية لإنجاح أي من المحاولات
والمبادرات السابقة . عام ٩٣ توصل الفلسطينيون والإسرائيليون في أوسلو الى
اول اتفاق بينهما خلال اقل من ٩ شهور من المفاوضات السرية . لا شك ان
توصلهما لهذا الاتفاق يؤكد حدوث متغيرات نوعية دولية واقليمية وظهور
عوامل جديدة مهدت طريق أوسلو أمام الطرفين ، ودفعتهما نحو الاتفاق . فما
هي هذه العوامل ؟ وما هي تلك المتغيرات النوعية المحلية والإقليمية والدولية التي
سبقت ومهدت طريق أوسلو وأنتجت هذا الإتفاق ؟

إذا كان لا بد للراوي من تعريف جمهوره على أبطال قصته ، وزمانها ،
ومكانها ، وظروفها ، فرواية قصة الإتفاق السري الذي فاجأت به م . ت . ف .
والحكومة الإسرائيلية شعوبهما والعالم ، تفرض هي الأخرى العودة قليلاً الى
الوراء ، والمرور سريعاً على الأحداث والتطورات الكبرى التي سبقت وقوع هذه
القصة ومهدت لها .

الانتفاضة والوفاق الدولي مهدا طريق أو سلو:

بعد عقدين من احتلال اسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة ، بلغ التناقض بين جيش الاحتلال والشعب الفلسطيني ذروته . وشهدت سنوات ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ انواعا متطورة من المصادمات . وخلال فترة الحروب على المخيمات الفلسطينية في لبنان ساد صفوف الشعب هناك شعور عام بأن انتظار التحرير من الخارج على يد العرب أو المقاتلين الفلسطينيين يعني البقاء الى الأبد تحت نير الاحتلال . فالجميع عاش المأساة التي تعرضت لها المخيمات في لبنان ، وسمع عن الصمود الأسطوري لأبنائها . وكان أبناء الضفة والقطاع في حينها يلاحظون التدهور والتآكل في الأوضاع الداخلية ل م . ت . ف . وفي علاقاتها العربية والدولية . وكانوا يرون ويقرؤون يومياً التطاول العربي على منظمة التحرير ، وبجانب ذلك كله كانت الاجراءات الإرهابية والقمعية الاسرائيلية تتزايد بمختلف الصنوف والأشكال . وكان الفقر يتسع أكثر فأكثر ، في صفوف الناس داخل كل الأراضي المحتلة ، وبخاصة داخل القرى والمخيمات والأحياء الفقيرة في المدن . وكان الاحتقان ضد الاحتلال قد وصل درجة الانفجار .

صباح يوم ٩ كانون الأول ١٩٨٧ ، وكما هو معروف ، وبعد حادثة تكاد تكون عادية ، تفجر اليأس والاحباط الفلسطيني من العرب والعالم وضد الفقر والاضطهاد ، في انتفاضة شعبية حددت أهدافها منذ البداية بالحرية والاستقلال . في حينها لم تكن القيادة الإسرائيلية^(١) وحدها التي فوجئت بهذا الانفجار ، فالقيادة الفلسطينية ، وكل اجهزة المخابرات العربية والعالمية تساوت معها في المفاجأة . الأولى راحت تتوعد الشعب الفلسطيني بالقمع والإرهاب ، وسارعت لعمل الممكن لإخماد الانتفاضة . أما القيادة الفلسطينية فتوجهت الى الله داعية إياه أن يديم الانتفاضة أسابيع وشهورا قليلة . وراحت تبحث عما يمكن أن تفعله من أجل ذلك . اما الدول الكبرى والمهتمة بقضايا المنطقة فراحت تراقب الاوضاع عن كثب . وبدون انتظار اذن او تعليمات من

أحد نظمت الإنتفاضة ذاتها وشكلت لنفسها قيادة وطنية موحدة ، ولجانا شعبية غطت كل مجالات الحياة ، وانتشرت في كل المدن والقرى والمخيمات . ومنذ البداية وفي بيانها رقم واحد ، أعلنت القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة أنها ليست سوى هيئة قيادية ميدانية من هيئات م . ت . ف . وأنها تأتمر بأوامر قيادة المنظمة ، وتتمسك بها كممثل شرعي ووحيد لكل الشعب الفلسطيني داخل وخارج الوطن المحتل . ورغم تكرار هذا الاعلان الواضح والصريح مرات ومرات جرت محاولات عربية ودولية للفصل بين المنظمة والانتفاضة ، إلا أن كل تلك المحاولات سرعان ما تلاشت أمام تتابع بيانات «قاوم» وتواصل تأكيدها على علاقتها مع قيادة م . ت . ف . وعلى تبعيتها لها .

ولا مبالغة في القول أن تفجر الانتفاضة وتمسك قيادتها بالمنظمة كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني أعاداً للمنظمة روحها وحيويتها . وأعاداً لها مواقعها السياسية على المستويين العربي والدولي . ووجهها ضربة قاصمة لكل المحاولات العربية والدولية للقفز عن م . ت . ف . التي ازدادت بعد حرب ٨٢ والحروب التي شنت على المخيمات في لبنان . وفرضا على كل القوى الاقليمية والدولية إعادة النظر في سياساتها إزاء القضية الفلسطينية ، وافسحا المجال لظهور مبادرات دولية جديدة لتسوية النزاع في الشرق الأوسط .

ومع تواصل الانتفاضة وتصاعد نضالاتها ضد الاحتلال تشكلت قناعة عند الادارة الأمريكية بان انتفاضة الشعب الفلسطيني في الضفة والقطاع تحمل في طياتها مقومات التواصل والاستمرار لفترة زمنية طويلة ، وأنها في حال تواصلها قد تشكل خطراً جدياً على مصالحها في المنطقة . ولهذا بادرت للتحرك من جديد باتجاه معالجة النزاع العربي - الاسرائيلي ، ومنع تدهور الاوضاع في المنطقة ، ومحاولة إيجاد حل للقضية الفلسطينية ، وتأمين مصالحها الحيوية في المنطقة لسنوات طويلة قادمة .

بعد أقل من ثلاثة شهور من عمر الإنتفاضة ٤/ اذار/ ١٩٨٨ أرسل وزير الخارجية

الأمريكية شولتس^(٢) رسالة الى شامير وأرسل نسخة منها للحكومة الأردنية . دعا فيها الطرفين الاسرائيلي والاردني الى الشروع في مفاوضات ثنائية لحل القضية الفلسطينية وتسوية النزاع الفلسطيني والاردني مع اسرائيل . واقترح أن تبدأ المفاوضات يوم ١ أيار ١٩٨٨ ، وأن يكون القرار ٢٤٢ بكل جوانبه أساساً لهذه المفاوضات . كما اقترح أن يعقد مؤتمر دولي يدعوله الأمين العام للأمم المتحدة تحضره الدول الخمس دائمة العضوية بالإضافة للأطراف الأخرى المعنية مباشرة بالصراع . وبالنسبة للتمثيل الفلسطيني اقترحت رسالة شولتس تشكيل وفد أردني - فلسطيني مشترك يتفاوض مع وفد اسرائيلي في مسار مستقل عن المفاوضات الأخرى . ولعل أبرز ما تضمنته الرسالة هو تحديد مفاوضات المرحلة الانتقالية بستة أشهر فقط ، وأن تبدأ مفاوضات المرحلة النهائية بعد سبعة أشهر من بدء المرحلة الانتقالية . وفي حينها كان واضحاً أن صياغة رسالة شولتس والمقترحات التي تضمنتها كانت متأثرة بالأجواء التي خلقتها الانتفاضة على أراضي الضفة والقطاع وفي عموم المنطقة العربية .

وإذا كانت الردود الاسرائيلية والاردنية على رسالة شولتس لم تعرف ولم تنشر ، فالواضح أنها لم تكن متجاوبة مع ما ورد فيها . فلم تخرج مقترحاته الى الحياة العملية . ولربما كان إعلان الملك حسين في تموز ١٩٨٨ عن فك الارتباط بين الضفة الغربية والاردن هو الرد الواضح والصريح على ما ورد في رسالة شولتس . ولعل الملك حسين أراد القول للادارة الأمريكية ولاسرائيل من خلال فك الارتباط أن انفجار الانتفاضة الفلسطينية في الضفة والقطاع يفرض التعامل مع التمثيل الفلسطيني بصيغة جديدة . وأن الاردن لم يعد راعياً ولا قادراً على تمثيل الشعب الفلسطيني ، لاسيما عند البحث عن حلول لقضاياها الوطنية الكبرى . فالانتفاضة حددت عنوان الشعب الفلسطيني وفرضت على جميع العرب تجديد البيعة لمنظمة التحرير التي اعطيت لها عام ٧٤ في تمثيل شعب فلسطين .

ورغم نوم وجمود المبادرات والتحركات الأمريكية والدولية الأخرى على امتداد الشهور التي تلت رسالة شولتس ، بقيت الانتفاضة داخل الضفة والقطاع متأججة وفي تصاعد متزايد ، وكانت تضغط يوميا على الرأي العام العالمي ليجد حلاً لمطالبها . وكانت أجهزة الاعلام الدولية تتغذى منها وتغذيها بمزيد من التضامن الدولي .

ومع تواصلها كانت الانتفاضة تنفض الغبار عن ملفات القضية الفلسطينية في كل غرف أراشيف الدول المهتمة بالشرق الأوسط وفي مقدماتها الولايات المتحدة الأمريكية . وكانت تزيل التشويشات الكثيرة التي لحقت بالقضية الفلسطينية على يد الحركة الصهيونية وعلى يد بعض الاشقاء العرب وبعض أبنائها . وخلال مسارها راحت تؤكد استحالة بقاء النزاع العربي - الاسرائيلي معلقاً في الهواء تحت رحمة حالة الاحرب واللاسلم . ووضعت الانتفاضة القيادة الاسرائيلية أمام الحقيقة الفلسطينية من جديد بعدما هربت منها أربعين عاماً . لقد أنكرت القيادات الإسرائيلية وجود شعب اسمه الشعب الفلسطيني ، ورفضت الاعتراف بحق هذا الشعب في تقرير مصيره ، ورفضت الدخول في مفاوضات مع مثليه . إلا أن انفجار الإنتفاضة طرح على كل بيت إسرائيلي أسئلة كبرى : من أين جاء كل هذا العدد من العرب؟ ولماذا هم موجودون في إسرائيل؟ وماذا يطلبون؟ وعلى الصعيد الدولي نجحت الانتفاضة في كسب تعاطف الرأي العام الأوروبي والأمريكي . وفي دفع دول المجموعة الأوروبية لاتخاذ مواقف تضامنية مع أهدافها العادلة والمشروعة . أما الاتحاد السوفياتي فقد رأى فيها قوة ضاغطة على الادارة الأمريكية فساندها بكل ما تبقى لديه من قوة معنوية وسياسية . وراح يسعى لتوظيفها في علاقاته مع الادارة الأمريكية ومع الغرب ، ويدفع باتجاه ايجاد الحلول العادلة لقضايا وأزمات المنطقة . وعمل على مراعاة مصالح كل الأطراف المعنية بالشرق الأوسط وبقضاياها الراهنة والمستقبلية .

وعلى الجانب الفلسطيني كانت الانتفاضة خلال مسارها اليومي تعمق ثقة الفلسطينيين بانفسهم وبقدرتهم على الصمود في مواجهة جيش الاحتلال ومقاومته وارهاقه . وكانت تبث فكرها الواقعي في صفوف الشعب داخل الأراضي المحتلة ، وتبعث منه شحنات قوية الى قيادة م . ت . ف والى كل جسم الحركة الوطنية الفلسطينية في الخارج . وراحت تؤثر بشكل تدريجي في الفكر السياسي الفلسطيني عامة وعند قيادة م . ت . ف على وجه الخصوص . لقد طرحت الانتفاضة وقيادتها بوضوح ضرورة توفير الحماية السياسية للانتفاضة ، وإحداث تعديل جوهري على البرنامج السياسي لمنظمة التحرير . وضغطت باتجاه إطلاق مبادرة فلسطينية تتضمن الاعتراف بالقرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ ، والاقرار بدولتين لشعبين وبحق اسرائيل في الوجود . باعتبار ذلك مدخلاً رئيسياً لتوفير الحماية السياسية للانتفاضة ، وأقصر الطرق لاستثمار التضامن الدولي والغربي المتعاضم مع الانتفاضة ومع أهدافها العادلة . وتحويله من تضامن معنوي وسياسي مجرد الى خطوات سياسية عملية وملموسة تدفع بالقضية الفلسطينية نحو مواقع أفضل .

بعد نقاش طويل في صفوف الفصائل والقيادة الفلسطينية وبعد صراع مرير مع الذات بين الفكر القومي والديني المثالي المتأصل ، والتفكير الواقعي الناشئ دام ثلاثة شهور ،^(٣) نجحت الانتفاضة في طبع بصماتها الواقعية على قرارات المجلس الوطني في دورته التاسعة عشرة التي انعقدت في الجزائر . حيث تم الاعلان في ١٥ نوفمبر ١٩٨٨ عن ميلاد الدولة الفلسطينية على أساس القرار ١٨١ وهو القرار الذي أكسب اسرائيل شرعية وجودها الدولي . ومع إعلان الاستقلال الوطني وافق المجلس على الاعتراف بالقرار ٢٤٢ والقرار ٣٣٨ ودعا الى دولتين لشعبين على أرض فلسطين . وأقر بحق كل دول المنطقة بما فيها اسرائيل والدولة الفلسطينية في الوجود الآمن وضمن حدود معترف بها . وبعد أقل من شهرين تمت إعادة تجميع وصياغة تلك القرارات على هيئة مبادرة سلام

(٤) فلسطينية طرحها رئيس اللجنة التنفيذية على دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة التي انعقدت في جنيف أواخر عام ١٩٨٨ .

ومراجعة التاريخ السياسي الفلسطيني وتاريخ الصراع الفلسطيني - الاسرائيلي يظهر أن مبادرة السلام الفلسطينية تلك لم تكن المبادرة الأولى ، لكنها كانت أول مبادرة فلسطينية واقعية تطرح وهي خالية من الرفض ومن «اللعن» - التي اشتهرت بها مواقف القيادة الفلسطينية - ولا تتضمن أية شروط تعجيزية .

في عامي ٤٧ و ٤٨ رفض الفلسطينيون والعرب قرار تقسيم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية ، ورفعوا شعار تحرير كل فلسطين وتدمير دولة اسرائيل . وعلى امتداد الخمسينات رفضوا كل المشاريع وكل المبادرات الدولية التي كانت تدعوهم للاعتراف باسرائيل وبحقها في الوجود . وبعد حرب ٦٧ رفض الفلسطينيون القرار ٢٤٢ ، ورفضوا التعامل معه كاساس لمعالجة نتائج تلك الحرب وحل القضية الفلسطينية . وعلى امتداد السبعينات والثمانينات استمر الفلسطينيون على ذات الموقف من القرار ٢٤٢ . وبجانب هذه المواقف الجامدة حاولت القيادة الفلسطينية التفاعل مع بعض التحركات الدولية ، وطرحت عدة مبادرات وتجاوبت مع بعض المواقف الدولية التي استهدفت معالجة القضية وحل النزاع الفلسطيني الاسرائيلي والعربي - الاسرائيلي بالطرق السلمية .

- في عام ١٩٦٨ طرحت فكرة الدولة الديمقراطية التي يتعايش فيها اليهود والمسيحيون والمسلمون على قدم المساواة ، وفي حينها تبنى المجلس الوطني هذه المبادرة ، لكن اسرائيل رفضتها ، ولم يأخذ العالم بها .

- وفي عام ١٩٧٤ أعلنت عن قبولها إقامة سلطة وطنية فلسطينية على الأراضي التي ينسحب عنها الاحتلال .

- وفي عام ١٩٧٧ أعلنت موافقتها الفورية على البيان الأمريكي - السوفياتي

الذي وقعه كل من فانس وغروميكو حول حل المسألة الفلسطينية .

- وفي ١٩٨٢/٩/٩ أكدت موافقتها على مشروع الملك فهد الذي اعتمدته القمة العربية في فاس والذي نص على : « يضع مجلس الأمن ضمانات سلام بين جميع دول المنطقة بما فيها الدولة الفلسطينية المستقلة » .

- وفي عام ١٩٨٩ أعلنت موافقتها المبدئية على مشروع شامير للانتخابات في الأراضي المحتلة ، وعرض هذا المشروع على القمة العربية في الدار البيضاء المنعقدة بين ٢٣-٢٥/٥/١٩٨٩ .

إلا أن كل تلك المبادرات لم تستطع في حينها التحول الى سياسة عملية . فمن جهة كانت الحرب الباردة تقف لها بالمرصاد ، ومن جهة أخرى لم تكن قيادة اسرائيل في وارد السلام مع الفلسطينيين ، من جهة ثالثة كانت المبادرات نفسها إما ناقصة أو غامضة .

أما مبادرة الدورة التاسعة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني (مبادرة السلام) فقد حظيت بترحيب قطبي الحرب الباردة : الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وكل دول العالم ما عدا اسرائيل . والقبطان ذاتهما لم يرتاحا بدرجات متفاوتة لاعلان الاستقلال وللإعلان عن ميلاد الدولة الفلسطينية المستقلة ، وعارضا بشدة تشكيل حكومة فلسطينية مؤقتة في المنفى . وصار واضحاً في تلك الفترة أن حرارة الحرب الباردة اخذت تتراجع بتسارع شديد . فأوضاع الاتحاد السوفياتي ازدادت تدهوراً ، وأوضاع حلف وارسو بدأت في التفكك ، ومفاوضات العملاقين حول تخفيض الاسلحة النووية حققت تقدماً ملحوظاً بعدما قدم السوفيات بعض التنازلات المهمة للامريكان على أمل الخلاص من سباق التسلح ، والحصول على مساعدات اقتصادية . ولم تخف أطروحات القيادة السوفياتية بزعامة غورباتشوف رغبتها في تحسين علاقاتها مع الغرب عموماً ومع الأمريكان بشكل خاص . وكانت تقرن تلك الرغبة بمزيد من المرونة في المواقف حول كل قضايا النزاع بما في ذلك الصراعات الاقليمية في

أفغانستان ومسألة هجرة اليهود من الاتحاد السوفياتي الى إسرائيل ، ونزاعات الشرق الأوسط وأفريقيا وأمريكا اللاتينية .

وبالرغم من تحفظ العملاقين على إعلان الاستقلال ، شقت المبادرة الفلسطينية بقرارتها السياسية طريقها الى الرأي العام العالمي . وتعززت المكانة السياسية والتمثيلية لمنظمة التحرير ، وتحسنت صورتها الدولية . وحققت نجاحات مهمة على صعيد تطوير مستوى علاقاتها مع دول العالم بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية . وعندما تراجعت حدة الحرب الباردة وتوجه السوفيات والأمريكان نحو الوفاق ، ووجدا أمامهما إنتفاضة فلسطينية وتوجهات سياسية واقعية . فقبل مغادرته مبنى الخارجية الأمريكية تقدم شولتس بخطوة نوعية جديدة باتجاه منظمة التحرير . وطرح من خلال أندرسون وزير خارجية^(٥) السويد مبادرة جديدة ، كان هدفها الدخول في حوار أمريكي مباشر مع المنظمة . ورغم فجاجة الخطوة الأمريكية بمقياس الحرب الباردة ، الا أنها مرت وحققت أهدافها . وعقدت الجلسة الأولى من الحوار الفلسطيني-الأمريكي في تونس يوم ٨٨/١٢/١٦ دون أي اعتراض سوفياتي أو احتجاج علني على التفرد الأمريكي .

صحيح أن الاتحاد السوفياتي لم يرتح في حينها لتلك الخطوة الأمريكية ولا للتجاوب الفلسطيني السريع معها ، إلا أنه كان أعجز من أن يترجم عدم ارتياحه الى صيغة خطوات سياسية أو عملية مباشرة مضادة للأمريكان ، وجل ما قام به هو تحريض مستر لبعض القوى اليسارية الفلسطينية ، وتشجيع مبطن لكل من سوريا وليبيا على مناهضة الحوار ، ودفعهما الى الاصرار على فكرة المؤتمر الدولي ، على أمل أن يكون له دور ما في معالجة قضايا الشرق الأوسط . وفي حينها استجابت تلك القوى^(٦) الفلسطينية والعربية وشنت حملات إعلامية عنيفة ضد الحوار الفلسطيني - الأمريكي .

بعد رحيل إدارة ريغان - شولتس ، وتولي الثنائي بوش - بيكر دفة الادارة في

البيت الأبيض ، ومع تضعف حجارة سور برلين ، تابعت الولايات المتحدة بمفردها خطواتها الرامية الى ايجاد حل للقضية الفلسطينية وللنزاع العربي - الاسرائيلي . ورغم تجمد وتعثر الحوار الفلسطيني - الأمريكي المباشر بسبب الاصرار الأمريكي على تجاوز مشاركة م . ت . ف . في المفاوضات المقترحة ، ورفض م . ت . ف . تنفيذ الشروط الأمريكية لاستعادة الحوار ، واصل الوزير بيكر تحركاته عبر القناة المصرية . وطرح مبادرة أمريكية جديدة عرفت بمبادرة بيكر - النقاط الخمس ^(٧) . وبالرغم من سيطرة الوفاق الدولي كبديل للحرب الباردة إلا أن مقترحات بيكر لم تتمكن من شق طريقها للحياة . وخضعت لتعديلات واشترطات اسرائيلية قابلتها تعديلات فلسطينية . ومع اقتراب البحث في نقاط بيكر من مسألة القدس ومسألة إشراك ممثلين عنها في المفاوضات ، تفجرت حكومة الوحدة الوطنية في اسرائيل ، وخرج حزب العمل من الحكومة ، وأصاب شظاياها مبادرة بيكر ذاتها مما اضطرها الى الانزواء جانباً والاختفاء عن الأنظار .

وبغض النظر عن حقيقة الموقف السوفياتي من العملية الفاشلة التي نفذتها جبهة التحرير الفلسطينية (جماعة أبو العباس) في صيف ١٩٨٩ على شواطئ تل أبيب ، والتي أدت الى تعليق الحوار الفلسطيني - الأمريكي بصورة رسمية ، فقد كان واضحاً أن حلفي الاتحاد السوفياتي (لبيبا^(٨) ، العراق) كان لهما دور مباشر في الترتيب والتخطيط لتلك العملية . أما سوريا فقد فرحت لحصولها ولتوقف الحوار . فالحوار الفلسطيني الأمريكي المباشر يعني فقدان سوريا امكانية استخدام الورقة الفلسطينية في المفاوضات ، وفي علاقتها مع الامريكان . ورغم العملية وردود الفعل الاسرائيلية عليها ، ورغم توقف الحوار الفلسطيني - الأمريكي إلا أن بيكر لم ييأس ولم يتردد في التحرك من جديد باتجاه ايجاد تسوية للنزاع العربي - الاسرائيلي والقضية الفلسطينية . فبعد أن هدأت العاصفة داخل اسرائيل ، وشكل شامير حكومة ليكودية صافية مئة في المئة .

شجع بيكر السلطات المصرية على التقدم بخطوة جديدة باتجاه البحث عن السلام ، وفي حينها نشطت الدبلوماسية المصرية ، وتكثفت اللقاءات الفلسطينية المصرية ، والفلسطينية الاردنية ، والمصرية الاردنية الفلسطينية ، وتقدمت مصر في أيلول ١٩٨٩ بمقترحات للحوار الفلسطيني - الاسرائيلي اصطلاح على تسميتها بالنقاط المصرية العشر^(١) . وفي حينها تحفظت أغلبية القيادة الفلسطينية وأغلبية اللجنة التنفيذية على المقترحات المصرية . الا أن أبو عمار أعطى موافقته عليها . ولاحقاً دافع عن موقفه بإنفعال شديد وبكى حزناً في أحد اجتماعات القيادة الفلسطينية عندما اتهمه بعض إخوانه بالتفريط بالقضية الفلسطينية ، والتفريط بالمنظمة كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني .

أن تواصل الإنتفاضة وصدور قرارات سياسية واقعية عن المجلس الوطني الفلسطيني شجعاً بيكر على التحرك من جديد ، ودفعاً لتشجيع المصريين على تقديم مبادرة النقاط العشر . فقد رأى بيكر في فشل شامير في اخماد الانتفاضة ، وانتهاء الحرب الباردة ، وغياب التجاذب الدولي حول النزاع العربي - الاسرائيلي وحول القضية الفلسطينية ، فرصة ثمينة لا تعوض يمكن استثمارها في السعي من أجل صنع السلام في الشرق الأوسط ، وتأمين الاستقرار فيه وضمان المصالح الأمريكية لسنوات طويلة .

وفي الوقت الذي مهد فيه انهيار الاتحاد السوفياتي وحلف وارسو الطريق أمام البحث عن حلول لقضايا الشرق الأوسط ، فإنه أشغل العالم وأذهله وخاصة الولايات المتحدة ، حيث وجدت نفسها وجهاً لوجه مع وضع دولي جديد فرض عليها الدخول في إعادة النظر بكل سياساتها الكونية . وانشغلت إدارة الرئيس بوش لشهور ليست قليلة في مراقبة الأوضاع والتطورات المذهلة والمتسارعة في أوضاع الاتحاد السوفياتي عامة ، وحول مصير الاسلحة النووية والصواريخ عابرة القارات خاصة . ولم يسجل عام ١٩٩٠ أية تحركات أمريكية جديدة باتجاه البحث

عن السلام في الشرق الأوسط .

صحيح أن طبيعة العلاقة بين القوتين العظميين كانت ولعشرات السنين عاملاً حاسماً ومقرراً في مصير النزاعات الاقليمية ، لكن من الضروري عدم إغفال طبيعة العلاقة الاسرائيلية - الأمريكية . وخاصة قدرة اسرائيل على التأثير في السياسة الأمريكية الشرق أوسطية من خلال نفوذها في الكونغرس وفي الشارع والرأي العام الأمريكي . وكل الادارات الأمريكية التي تعاقبت على البيت الأبيض ، جمهورية كانت أم ديمقراطية ، كانت حريصة في كل تحركاتها ونشاطاتها تجاه قضايا الشرق الأوسط أن تكون منسجمة مع المصالح الاسرائيلية ، ومتماشية مع السياسة الاسرائيلية و تقبل ماتقبله القيادة الاسرائيلية . ولم يسجل تاريخ النزاع العربي الاسرائيلي وتاريخ العلاقة الاسرائيلية - الامريكية منذ عام ١٩٥٦ وحتى الآن أي موقف أمريكي أو مبادرة أمريكية ، لا تتماشى مع مصالح اسرائيل ، أو تتعارض مع رغبات وقناعات القيادة الاسرائيلية ، باستثناء الموقف الأمريكي من حرب السويس عام ٥٦ ، وبعض القرارات المحدودة في مجلس الأمن ، وموقف إدارة بوش-بيكر من مسألة تقديم ضمانات القروض لاسرائيل .

ان إحجام الادارة الأمريكية عن التحرك ، وعن القيام بأية مبادرات جديدة تجاه قضايا الشرق الأوسط ، كان متأثراً في تلك الفترة بشعور الوزير بيكر وإدراكه بأن شامير ليس في وارد الدخول في مفاوضات من أجل صنع السلام ، لا مع الفلسطينيين ولا مع أي من الأطراف العربية الأخرى . وكان واضحاً انه أقنع نفسه ، وحاول إقناع الجمهور الإسرائيلي بإمكانية التعايش مع الإنتفاضة إذا تعذر القضاء عليها . و مع بداية انهيار المنظومة الاشتراكية وتصدع الاتحاد السوفياتي دبت النشوة العنصرية والانتقامية في عروقه ، وبات يتصرف على اساس ان ما جرى عند السوفيات انتصاراً له على السوفيات ، وعلى الشيوعية وعلى العرب حلفاء موسكو . واعتبرها فرصة مناسبة لاذلال العرب

والفلسطينيين أكثر فأكثر . وراى فيها لحظة تاريخية لفرض شروط الاستسلام عليهم . وراح يتحرك باتجاه تهجير واستيعاب مئات الألوف من المهاجرين اليهود ، من الاتحاد السوفياتي ومن أثيوبيا ، ليخلق حقائق ووقائع جديدة على أرض الشرق الأوسط ، تقود العرب والفلسطينيين الى الاستسلام والرضوخ لشروطه بشأن السلام . ويسجل له أنه نجح خلال تلك الفترة في نقل ما يقارب النصف مليون يهودي من الاتحاد السوفياتي وأثيوبيا الى اسرائيل .

في منتصف عام ١٩٩٠ بدأت سُحب أزمة الخليج تظهر بكثافة في سماء الشرق الأوسط . ومع تكاثرها وتلبدها تجمدت كل المبادرات والتحركات الدولية تجاه معالجة الصراع العربي الاسرائيلي ، وصنع السلام في الشرق الاوسط بانتظار انتهاء تلك الأزمة . فلم يعد الصراع العربي الصهيوني السبب الوحيد في عدم استقرار الوضع في المنطقة ، أو المعيق الوحيد للولايات المتحدة امام توسيع استثماراتها فيها . ومع دخول القوات العراقية أراضي الكويت في اب ١٩٩٠ دخلت المنطقة طوراً جديداً من الصراع . ودخلت العلاقات الدولية مرحلة نوعية تختلف عن السابق ، حيث سارعت الإدارة الأمريكية الى فرض نمط جديد من العلاقات مع دول العالم ، بما في ذلك السوفيات وكذلك منع حلفائها الأوروبيين . وأعطت لنفسها حق تقرير وتنفيذ ما يجب فعله في معالجة الازمة التي خلقها الرئيس العراقي صدام حسين . وفرضت واقعياً نظام القطب الواحد . وأنهت عملياً سمة ثنائية القطبية التي تحكمتم في العلاقات الدولية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية . وفي حينها أيد الاتحاد السوفياتي كل الخطوات السياسية والعسكرية التي قررتها الولايات المتحدة بما في ذلك حشد القوات العسكرية ، واستخدام القوة العسكرية ضد العراق ، المجاور له والمرتبطة معه بمعاهدات^(١) رسمية . وظهر جلياً لكل دول العالم انتهاء السوفيات كقوة دولية عظمى منافسة للولايات المتحدة ، ظلت ٤٥ عاماً تقف لها بالرصاد في كل بقاع الأرض ومن ضمنها الشرق الأوسط . وظهر على أنه حريص على صنع

وفاق دولي حقيقي . وعلى إنهاء الحرب الباردة بصورة جديدة وشاملة . وعلى تأمين الممكن من مصالحة بالتوافق مع الأمريكان .

خلال أزمة الخليج دخلت العلاقات العربية - العربية مرحلة نوعية من الضعف والإنقسام . حيث قاتل العرب بعضهم بعضاً وخرجوا منها مهشمين . ودفنوا معاً على أرض الكويت فكرة الوحدة العربية والتضامن العربي . ونمت في صفوفهم شتى أنواع النعرات الإقليمية . وتراجعت وضعية القضية الفلسطينية كقضية قومية ، كانت توحد العرب وتشدهم باتجاه الصراع ضد الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية المقدسة . وفي حينها أخطأت قيادة^(١١) م . ت . ف . في تقدير الموقف ، وأخطأت في اتخاذ القرار الصحيح الذي يحمي شعبها ويبقي القضية الفلسطينية موضع إجماع عربي . وظهرت على أنها منحازة للعراق ولاحتلاله للأراضي الكويتية ، وكان ثمن ذلك باهظاً . فقد شرد ما يزيد عن ثلاثمائة ألف فلسطيني من الكويت ، وتوقفت المساعدات العربية للمنظمة . وحرّم أبناء الضفة وقطاع غزة من الدعم والإسناد الذي كان يقدمه الفلسطينيون لدويهم . وحرمت الإنتفاضة من الدعم والإسناد المادي والمعنوي الذي كان يقدم لها من دول الخليج . وفقدت قيادة م . ت . ف . الإحترام والتقدير الذين توفروا لها بفضل الإنتفاضة والمبادرة السياسية على الصعيدين العربي والدولي . وأصبحت محاصرة ومطاردة دولياً وعربياً بتهمة الإنحياز للنظام العراقي في احتلال الكويت . وسط كل تلك الظروف والأوضاع الإقليمية والدولية أطلق الرئيس بوش يوم^(١٢) ٦ آذار ٩١ مبادرة لصنع السلام في الشرق الأوسط ، حدد فيها أمام الكونغرس رؤية ومفهوم الولايات المتحدة لأسس تسوية الصراع . وقد جاء اختيار الإدارة الأمريكية لذلك التوقيت نتيجة خبرتها ومعرفتها بأن احتلال الأوضاع واضطرابها ، بما في ذلك تبدل الانظمة ، وتبدل العلاقات يشكل مناسبات قيمة ، لاطلاق المبادرات السياسية والقيام بتحركات دبلوماسية ناجحة . وعلى هدي تلك المبادرة ، تحرك الوزير بيكر لإعداد وتهيئة المسرح ، دولياً

وإقليمياً لانطلاق مفاوضات عربية اسرائيلية . ومنذ اللحظات الأولى لتحركه ، وعلى امتداد فترة الإعداد والتحضير التي امتدت من آذار ٩١ ولغاية ٣٠ تشرين الاول ، كان الهم الأساسي والهدف الرئيسي للوزير بيكر هو ايجاد كل أطراف النزاع الى غرف وطاولات . مراهناً على Process العملية ذاتها في تطوير وتقريب المواقف المتنافرة والمتناقضة للأطراف . وخلال جولاته الثماني على دول المنطقة لم تواجه مبادرة الرئيس بوش أية منافسة دولية تذكر ، كما لم تواجه جهود وتحركات الوزير بيكر أية عرقلة أو مشاغبة . فالإتحاد السوفياتي انضم لها ودعمها ، والدول الأوروبية أيدتها وساندتها . أما الأطراف العربية^(١٣) فكلها رحبت بالمبادرة وثمرنت للوزير بيكر جهوده ، وكل لاعتبارات خاصة به . ومنذ البداية حرص الوزير بيكر على افهام كافة الأطراف بأنه ليس مسموحاً لأحد سواه بالتحكم في مسار العملية . والحق يقال أن الوزير بيكر أبدع في هندسة وتصميم مؤتمر السلام الذي عقد في مدريد يوم ٣١/١٠/٩٣ ، وأجاد في تثبيت العملية على قواعد وأسس متينة . ورغم تقديمه نفسه كوسيط أمين ، إلا أنه لم يتورع عن اللجوء الى كل الأساليب والمناورات الدبلوماسية ، ومارس الضغط على البعض ، ونجح في جر كل أطراف النزاع في ٣١ تشرين الاول ٩١ الى مدريد^(١٤) ومنها الى واشنطن . وزجها لاحقاً في مفاوضات مباشرة رعاها بنفسه رعاية كاملة طيلة عام كامل ، كان الأصعب في كل مسيرة المفاوضات . صحيح أن المفاوضات الفلسطينية - الإسرائيلية ، والعربية الإسرائيلية لم تتوصل في عهد بوش - بيكر الى أية اتفاقات ، لكن الصحيح أيضاً أنهما نجحا في ضرب طوق دولي منيع حول أطراف النزاع ، لم يستطع أي منهم اختراقه منذ انطلاق عملية السلام وحتى الآن . وفي حفل التوقيع على اتفاق اوسلو لم ينكر الرئيس كلينتون ووزير خارجيته كريستوفر ، جهود بوش وبيكر . واعترفا لهما بأنهما أرسيا في عهدهما القواعد والأسس التي أوصلت الجميع الى اوسلو . وعلى كل حال لم تسجل وثائق المفاوضات الفلسطينية الاسرائيلية بعد بوش - بيكر أي تعديل أمريكي نوعي على الأسس والقواعد التي وضعها بوش وبيكر .

أعتقد أن رحيل بوش وبيكر من البيت الأبيض آخر التوصل الى اتفاقات بين الأطراف المتفاوضة ، وخاصة بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي ، وأنهما لو نجحا في الانتخابات الأمريكية التي تمت في عام ١٩٩٢ لاقنعا او فرضا على الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي التوصل الى اتفاق آخر ، قبل وغير الذي توصلوا له في أوسلو ، وفرضا عليهما مكاناً آخر ، هو واشنطن ذاتها . فقد رمى بوش - بيكر بكل ثقلهما للإطاحة بشامير واستبداله براين الذي قال عنه بيكر يوماً ما ، انه رجلنا (he is our man) بعدما ظهر لهما إستحالة تحقيق تقدم جدي في المفاوضات في عهد شامير . وخلال مفاوضات واشنطن التي تمت في عهد بوش - بيكر لم يكن شامير وحده المعطل للتقدم في المفاوضات . فقد كان أبو عمار يقف على الطرف الآخر من الجسر وعنده ذات الموقف^(١٥) ، وكل له حساباته ومنطقاته الخاصة به . كان شامير واضحاً في موقفه التعطيلي ، اما ابو عمار فكان حريصاً على تمويه موقفه .

كان شامير يخشى من دور منظمة التحرير المخفي قي ثياب الوفد . وأبو عمار كان خائفاً على المنظمة من الوفد ، ويخشى أن يتحول الوفد الى قيادة بديلة ، علماً بأن الوفد المفاوض برئاسة فيصل الحسيني والدكتور حيدر عبد الشافي حدد موقفه منذ اليوم الاول لتشكيله بأنه وفد م . ت . ف . ويأتمر بأوامر قيادتها . وترجم هذا الموقف طيلة فترة المفاوضات . فلم يقدم قصاصة ورق واحدة للطرف الإسرائيلي إلا بعد الحصول على موافقة قيادة م . ت . ف . وبعد الحصول على موافقة اللجنة العليا لمتابعة المفاوضات ، وبعد الحصول على عبارة «على بركة الله» من أبو عمار بالذات .

في عهد الليكود تفاوض الفلسطينيون والاسرائيليون تسعة شهور ، عقدوا خلالها خمس جولات من المفاوضات ، تبادلوا فيها عشرات الوثائق الاساسية والهامة ، تبارى الطرفان فيها في طرح مواقفهم المبدئية ، ولم يحاول اي منهما التقدم باتجاه الآخر على الاطلاق . وفي نهاية الجولة الخامسة كان واضحاً

للجميع ولا سيما للراعي الأمريكي ان المفاوضات اصبحت اقرب الى حوار طرشان لا يسمع احدهم الاخر، وانها تسير في طريق مظلم ومسدود، وان استمرارها على ما هي عليه، يعرض كل عملية السلام للخراب والدمار. خلال تلك الفترة حاول أبو عمار جاهداً فتح قنوات سرية للتفاوض مع الاسرائيليين، إلا أن شامير صد كل تلك المحاولات، وأصر على حصر التفاوض مع وفد فلسطيني من الداخل محظور عليه رسمياً الإتصال بالمنظمة. ولاحقاً اعترف شامير بأنه كان يعطل تقدم المفاوضات عن قصد وعن سابق إصرار، وأنه لو عاد لرئاسة الحكومة لمطمط المفاوضات ولعطل تقدمها عشر سنوات، ليوطن خلالها مليون مهاجر يهودي في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وليبني المزيد من المستوطنات. وكان يعتقد أن ذلك كاف لإنهاء ما يسمى بالقضية الفلسطينية الى الأبد.

بعد سقوط شامير، وعند توليه السلطة وجد رابين نفسه أمام انتفاضة مستمرة، وإدارة أمريكية راغبة في تواصل المفاوضات وفي ايصالها الى نتائج ملموسة. ووجد أيضاً مفاوضات إسرائيلية - فلسطينية، وإسرائيلية عربية متعثرة وتدور في حلقة مفرغة. إسرائيل ترفض التفاوض مع المنظمة، والوفد الفلسطيني المفاوض يصر على دور المنظمة ويقول بأعلى صوته: على كل من يرغب في التوصل الى اتفاق مع الفلسطينيين، أن يتوجه مباشرة نحو م. ت. ف. ويجلس مع قيادتها. أمام هذا الموقف وتحت تأثير الناخب الإسرائيلي الذي انتخبه على أساس الوصول الى سلام مع العرب حاول رابين كسر الجمود في مفاوضات واشنطن، وراح يقدم الإغراءات للوفد الفلسطيني عليه يقبل بتجاوز المنظمة ويعفيه من الجلوس معها وجهاً لوجه. إلا أن الوفد المفاوض رفض كل تلك العروض والإغراءات وكان أبو عمار واقفاً للوفد ولرابين بالمرصاد. بعدها حاول رابين المراوغة، فتقدم شمعون بيريز وطاقم الخارجية بقيادة يوسي بيلين باتجاه جس نبض المنظمة واستطلاع مواقفها. وعندما التقطت السنارة

طرف الخيط حاول راين الهروب من شر التفاوض مع المنظمة ومع ياسر عرفات ، لكنة لم يفلح ، ولاحقاً لم يصمد طويلاً عند موقفه . ولم يستطع الهروب فترة أطول من مواجهة الحقيقة المرة والتعاطي المباشر مع قيادة م . ت . ف . ولاحقاً وبعد عدة شهور وعدة لقاءات ، تمت في لندن وأوسلو بين مبعوثين رسميين من م . ت . ف . ومبعوثين من قبل بيريز وبيلين ، وافق راين على الاخذ بوجهة نظر بيريز وبيلين وسائرهما في محاولتهما ، وفي النهاية أصبح احد أبطال قصة الإتفاق السري الذي تم التوصل له في أوسلو ، ومن ابرز المرشحين لنيل جائزة نوبل للسلام .

وقبل الإنتقال لرواية تفاصيل هذه القصة ، وكيف (طبخ) الموضوع فلسطينياً لا بد من القول ، لو لم تنته الحرب الباردة لما كانت هناك قصة اسمها قصة المفاوضات الفلسطينية والعربية - الإسرائيلية ، ولولا الإنتفاضة لتأخرت الواقعية في السياسة الفلسطينية . ولتأخرت الجهود الدولية باتجاه البحث عن السلام في الشرق الأوسط . ولا بد من القول أيضاً أن تمسك الوفد الفلسطيني بالمفاوض برئاسة فيصل الحسيني وحيدر عبد الشافي بقيادة م . ت . ف . وحرصه الشديد على تنفيذ كل تعليماتها بصورة حرفية ، كان له دور حاسم في تكريس وحدة الشعب الفلسطيني في الداخل والخارج ، وتثبيت القيادة الفلسطينية بعد حرب الخليج ، وتعزيز مكانتها عربياً ودولياً وخلق القناعة عند بيريز أولاً وراين ثانياً بأن لا مناص من التفاوض المباشر معها . ولهذا فالوفد المفاوض هو بطل من أبطال قصة أوسلو رغم أنه لم يشارك في المفاوضات السرية التي تمت هناك ، ومفاوضات أوسلو جرت خلف ظهره ، وظهر كل القيادة الفلسطينية ، باستثناء مجموعة صغيرة لم يتجاوز عددها عدد أصابع اليد الواحدة . في واشنطن تصلب الوفد الفلسطيني برئاسة فيصل الحسيني وحيدر عبد الشافي عن قناعة ، وأعطى للمنظمة فرصة اظهار مرونتها واعتدالها . وعلى مدى تسع جولات كاملة من المفاوضات رفض وفد الداخل تجاوز منظمة التحرير ، الامر الذي دفع راين نحو التفاوض معها و الوصول الى اتفاق أوسلو .

القسم الثاني

قصة الاتفاق السري في اوسلو

مقدمات الاتفاق

منذ بداية المفاوضات الفلسطينية - الاسرائيلية وقبل أن تبدأ جولاتها الرسمية في مدريد ٣١ تشرين الاول ١٩٩١ ، كان الهم الطاغى على تفكير أبو عمار وعدد كبير من القيادة الفلسطينية واللجنة التنفيذية هو موقع ودور م. ت. ف. في المفاوضات ، والخوف من تحول الوفد الفلسطيني الى قيادة بديلة حتى لو لم يكن أي من أعضاء الوفد مستعداً للتفكير في هذا الموضوع فالأمر ليس بالنوايا وإنما بالنتائج . فإذا كان الوفد لا يفكر في الموضوع ، فاصرار شامير على تشكيل الوفد الفلسطيني المفاوض من الداخل ، وان يكون جزءاً من وفد مشترك مع الاردن ، كان بمثابة انذار مبكر لآبو عمار حول النوايا الاسرائيلية والامريكية . ولاحقاً جاء استبعاد منظمة التحرير عن كل المفاوضات ، وإصرار شامير على حرمان الوفد حتى من الافصاح عن علاقته مع المنظمة ، ليجعل من الانذار قلقاً يومياً حقيقياً طغى على تفكير أبو عمار ، وتفكير معظم قيادة المنظمة وقيادة حركة «فتح» . أما الموقف الأمريكي الداعم لموقف شامير من هذه المسائل فكثيراً ما كان يحول القلق الى خوف ورعب حقيقيين . وكان الخوف والقلق ينعكسان مباشرة بشيء من الانفعال على اقوال أبو عمار : "يا اخوان ، الامريكان لن يغفروا لنا مواقفنا السابقة وخاصة موقفنا في حرب الخليج . أنتم منظمة اراهابية في نظر الامريكان . وبعد انهيار السوفيات سيركز الامريكان على محاربة ما يسمى بالارهاب . هم يريدون من ياسر عرفات أن يكون ذكر النحل الذي يلحق مرة واحدة ثم يموت" . وفي عملية دفاع واعية عن الذات وعن المنظمة عمل أبو عمار على احكام سيطرته على مسار المفاوضات ، بدءاً من تشكيل الوفد وحتى ادنى وأصغر الخطوات . ورغم وجود لجنة لمتابعة

المفاوضات ، فقد كان حريصا على تجاوزها واعطاء التعليمات مباشرة للوفد في واشنطن . وكان يعتمد ان تكون على الهاتف بقصد اسماع الامريكان ، واقتناعهم ان م . ت . ف . وابو عمار شخصيا هما مرجعية الوفد في كل صغيرة وكبيرة . كانت شروط لعبة مدريد فصل الوفد عن المنظمة ولو شكليا ، وكان ابو عمار يعتمد كسر هذا الشرط . كسره قبل مدريد عندما اظهر دور المنظمة في تشكيل الوفد ، وفي الموافقة على رسالة الدعوة وكتاب التطمينات . وكسره ايضا خلال مؤتمر مدريد عندما ارسل طائفة خاصة نقلت الوفد مرتين الى تونس والجزائر للقاء معه بحضور عدد من اركان القيادة الفلسطينية . أما التوجيهات التي كانت تعطى للوفد في واشنطن ، قبل وبعد كل جولة من جولات المفاوضات ، فكلها كانت تدفع باتجاه التشدد والتصلب في وجه المفاوضات الاسرائيلي ، وباتجاه طرح مسألة اعادة العلاقة بين المنظمة والادارة الامريكية . فمنذ البداية كان رأي ابو عمار ومعظم القيادة الفلسطينية ، ان الموافقة على الشروط المجحفة التي فرضها بيكر وشامير على المنظمة لا تعني الاستسلام لها . فالمنظمة قبلت بالشروط على مضض ، وصممت بذات الوقت على تعديلها خلال مسار العملية . وفي الوقت الذي كان فيه ابو عمار يحاول كسر شروط مدريد ، ودفع الوفد للتصلب والتشدد في المفاوضات ، كان يكثر من الحديث في مجالسه الخاصة عن اهمية المفاوضات السرية . كان يقول ان المفاوضات الرسمية بين عشرين إنساناً لا يمكنها التوصل الى حلول ، ولاغنى عن القنوات الخلفية السرية اذا أريد لعملية السلام أن تتقدم وأن تنجح . وكان يذكر فيتنام والجزائر وكامب ديفيد كأثلة ، وطبعاً كان يقصد مفاوضات سرية مع المنظمة وتحت اشرافه بالذات . كان يعتمد تكرار هذه المقولة أمام الفلسطينيين القادمين من اسرائيل ، وأمام كل الجهات الدبلوماسية والرسمية العربية والأجنبية ، وبخاصة تلك التي لها صلات وعلاقات جيدة مع اسرائيل ومع الادارة الامريكية . ومع هذا النمط من الحديث الداخلي كان ابو عمار يطلق التصريحات العلنية عن سلام الشجعان ، وزاد من وتيرتها في عهد رابين ،

واضاف اليها مقولة ان اسرائيل تفتقد الى ديغول . لم تكن مقولة أبو عمار حول القنوات السرية ، وتصريحاته حول سلام الشجعان تصدر عبثاً أو بصورة عفوية ، بل كان يقصدها ، وكانت بمثابة رسائل غير مباشرة يوجهها للقيادة الاسرائيلية تتضمن إبداء الاستعداد لفتح مثل هذا المسار من المفاوضات ، وإظهار رغبته بالدخول في مفاوضات سرية . وفي هذا السياق شجع أبو عمار ورعى كل اللقاءات والاتصالات التي كانت تتم مباشرة أو بواسطة آخرين ، بين رجالات وكوادر م. ت. ف. من الخارج مع بحاثة أو مفكرين إسرائيليين ، بغض النظر عن قربهم أو بعدهم من مركز القرار في إسرائيل . وكانت اللقاءات التي نظمتها الأكاديمية العلمية الأمريكية برئاسة مندلسون للبحث في المسائل الامنية هي الأبرز ، واعطاها أبو عمار اهتماما خاصا بسبب طبيعة القضايا التي كانت تتناولها (الامن) ، ونوعية المشاركين فيها من الجانب الإسرائيلي ، من أمثال شلومو غازيت ، والفر ، وزئيف شيف ، حيث كان يعتبرهم مقربين من صنع القرار . وكان يدرك ان الامن هو الهاجس المسيطر على فكر الجنرال رابين ، وكان ينظر لمشاركة هؤلاء الجنرالات على انها عملية استطلاعية وجس نبض لمواقف المنظمة من المسائل الامنية . كان أبو عمار يعطي الوقت الكافي للإستماع الى التقارير عن هذه اللقاءات ، ويكثر من الإستفسارات حول اطروحات الإسرائيليين والأمريكان ، ويعطي التوجيهات اللازمة للقاءات الجديدة . وفي وقت مبكر رحب أبو عمار باقتراح الأكاديمية تنظيم زيارة لبعض الإستراتيجيين الإسرائيليين الى تونس ، وكان جاهزاً للقاء معهم . إلا أن تردد زئيف شيف وشلومو غازيت عطل ذلك اللقاء . وبعد صعود العمل الى السلطة أرسل ابو عمار الى رابين رسائل شفوية عديدة ، مباشرة وغير مباشرة ، عبر سعيد كنعان احد الشخصيات النابلسية ، وعبد الوهاب الدراوشة عضو الكنيست الاسرائيلي ، وأحمد الطيبي وهو شاب من عرب اسرائيل لأمع سياسيا ، برز من خلال دوره الانساني اولا ، والسياسي ثانيا الذي لعبه بين المنظمة وحكومة اسرائيل ، وآخرين فلسطينيين وعرب وأجانب ، خلاصتها انه

جاهز للدخول في مفاوضات سرية .

أما لجنة متابعة^(١٦) المفاوضات التي كان يرأسها أبو مازن فكان همها منصباً على كيفية تحقيق تقدم جدي في مفاوضات واشنطن . ولم يكن أبو مازن وأعضاء اللجنة يولون مسألة الدور المباشر لقيادة المنظمة في المفاوضات أي اهتمام حقيقي . فالوفد المشكل من الداخل هو من وجهة نظرهم ، وفد المنظمة ، ويمثل الشعب الفلسطيني خير تمثيل . المهم تحقيق شيء للشعب ولل قضية ، بغض النظر عن الجهة الفلسطينية والأشخاص الذين يحققون ذلك . إذا جاءت المكاسب عن طريق الوفد فهذا جيد ، وإذا جاءت عن طريق المنظمة فالأمر جيد أيضاً . هكذا كانت قناعة أبو مازن وقناعة اللجنة قبل بدء المفاوضات في ٣٠ تشرين الأول ٩١ ، وهكذا كانت المفاوضات في عهد الليكود ، وهكذا بقيت في بدايات عهد حزب العمل .

كان أبو عمار يضغط على الوفد في عهد الليكود والعمل باتجاه التشدد ، ويعمل على تعطيل التقدم ، ويسعى بكل السبل الى إطالة أمد المفاوضات . كان يتفاعل مع كل الأطروحات الفلسطينية التي تصب في هذا الاتجاه بغض النظر عن صاحبها . سواء أكان عضواً في الوفد المفاوض ، أو عضواً في اللجنة التنفيذية أو عضواً في القيادة الفلسطينية ، دون الافصاح عن نواياه الحقيقية . إلا أن تفاعله مع الآراء المتشددة كان له حدود . فهو مع التشدد ولكن ليس مع الانسحاب من المفاوضات . مع التعليق أو تأخير الجولات في الحدود التي يتحملها الأمريكيان ولا تغضبهم . ولهذا شجع منذ البداية تعطيل الجولتين الأولى ، واعتبر مفاوضات^(١٧) «الرواق» التي تمت في ردهات وزارة الخارجية ، ابتكاراً فلسطينياً وتعبيراً عن براعة عالية في إدارة المفاوضات . لم ينزعج أبو عمار إطلاقاً من تشدد شامير في المفاوضات ، ولا من المشاريع غير القابلة للبحث والنقاش التي كان يتقدم بها رئيس الوفد الاسرائيلي روبنشتاين . لم يكن أبو عمار يفصح عن موقفه هذا ، إلا أن القريبين منه والفاهمين مواقفه

المبطنة وغير المعلنة ، كانوا يعرفون الأهداف الحقيقية التي يريد الوصول إليها .

أما أبو مازن ومعه غالبية لجنة متابعة المفاوضات فكان لهم رأي آخر ورؤية أخرى . كانوا يرون في مفاوضات الرواق مضیعة للوقت ، وتشويه للموقف الفلسطيني مع كل الأطراف المشاركة في المفاوضات ، بما في ذلك الراعي الأمريكي ، ومع الطرف الأردني الشريك في الوفد المشترك . فرسالة الدعوة لمؤتمر مدريد تنص على مسار فلسطيني مستقل ضمن الوفد المشترك ، ولا وجود لوفد فلسطيني مستقل . أما بشأن فتح قناة أو قنوات خلفية في المفاوضات فلم يكن في الظاهر خلاف بين أبو عمار وبين أبو مازن واللجنة ، فكلاهما مع الفكرة ، لكن الخلاف كان بين من يريد أن تكون القناة مع المنظمة مباشرة أي مع أبو عمار بالذات ، وبين من يريد قناة خلفية بين أعضاء من الوفد الفلسطيني وآخرين من المقررین والمقررین من سلطة القرار في اسرائيل . فكثيراً ما اختلى أبو مازن مع هذا العضو أو ذاك من أعضاء الوفد المفاوض طارحاً عليه الفكرة ، وكثيراً ما جرى الحديث في اجتماعات لجنة متابعة المفاوضات وبخاصة تلك التي كانت تتم بحضور الوفد ، حول ضرورة التفاعل مع أعضاء الوفد الاسرائيلي بعيداً عن الأضواء وخارج قاعات الاجتماعات . فجميع أعضاء اللجنة ومن ضمنهم ياسر عبد ربه وأبو علاء كانوا مقتنعين بالفكرة وبعضهم كان شديد الحماسة لها .

أما الوفد الفلسطيني ، فلم يكن أي من أفرادہ ضد الفكرة من حيث المبدأ . لكنهم جميعاً كانوا متخوفين من التطبيق . ولم يبادر أي منهم الى السعي الجدي لاخراجها الى حيز الوجود . وكان هذا العضو أو ذاك يعبر عن تخوفه بالقول : هذه مسألة هامة وضرورية لكنها حساسة وخطيرة ، ومن يضمن لنا أن لا يتهم فاعلها في النهاية بالتنازل وبيع القضية الفلسطينية ، أو بما هو أخطر من ذلك؟ . وعندما كان بعض أعضاء اللجنة يقول افعلوها ، ونحن نوفر لكم الحماية السياسية والشخصية ، كانوا يقولون ومن يضمن لنا ذلك ؟

بالنتيجة ، ظلت كل الرسائل غير المباشرة من أبو عمار بعيدة عن أذان شامير ، ومن بعده اذان رابين ، وظلت كل عمليات الحث والتشجيع للوفد من أبو مازن ولجنة متابعة المفاوضات افكارا نظرية ، ولم تبرز لحيز التنفيذ والتطبيق طيلة فترة المفاوضات التي تمت في عهد الليكود .

ولم تقتصر محاولات أبو عمار على فتح قنوات خلفية مع الاسرائيليين ، بل حاول فتحها مع الادارة الأمريكية ايضا . حاول عن طريق الوفد الرسمي ولا سيما حنان عشراوي وفيصل الحسيني المكلفين بالعلاقة مع الأمريكان . وحاول عن طريق المصريين ، والمغرب ، وتونس ، وعن طريق كل الشخصيات الفلسطينية والعربية والأمريكية التي لها علاقة أو صلة ما ، مع الادارة الأمريكية أو مع الوزير بيكر . إلا أن كل محاولاته لم ينتج عنها سوى مزيد من الرسائل التطمينية التي كانت تقول : دور المنظمة غير المباشر في المفاوضات قائم ومعروف ومسلم به من الجميع . ومع التطمينات كانت تصل نصائح أمريكية تقول : لا تتسرعوا ولا تحرقوا المراحل ، دوركم قادم ، وكلما تقدمتم في المفاوضات اختزلتم الزمن . وكانت الادارة الأمريكية تعيد التذكير بالأسباب التي أدت الى تعليق الاتصالات الامريكية الفلسطينية ، وبالشروط المطلوب تنفيذها لاعادة الحوار بين الادارة ومنظمة التحرير . وبعد كل تذكير بشروط استعادة الحوار كان ابو عمار يقول انا نفذت المطلوب مني . وكان يتساءل عن الشروط وكأنه لا يتذكرها ، ويختتم حديثه حول هذه النقطة بالقول : شروطهم واضحة ، يريدون اذلال ياسر عرفات وشطبه ، وشطبه يعني شطب المنظمة وشطبكم جميعا . أما لجنة متابعة المفاوضات برئاسة أبو مازن فلم تكن تشغل ذهنها في مسألة الحوار بين المنظمة والادارة ، فقد كانت تنظر الى العلاقة القائمة والحوار الدائم والاتصالات المباشرة وشبه اليومية بين الوفد والادارة باعتبارها صلات غير مباشرة مع منظمة التحرير ، تلبي الغرض العملي المطلوب من الحوار . وفي حينها كان واضحاً للقيادة^(١٨) الفلسطينية بعامة ولجنة متابعة المفاوضات بخاصة أن الادارة

يوم الانتخابات في اسرائيل كان يوماً فلسطينياً بمقدار ما كان يوماً حاسماً في الحياة السياسية في اسرائيل . على امتداد النهار كله انشغلت القيادة الفلسطينية والوفد في متابعة الانتخابات بإجراء الاتصالات المباشرة مع مفاتيح أصوات الفلسطينيين في اسرائيل ، ومتابعة الأخبار التي تتناقلها الوكالات أولاً بأول ، وخاصة استفتاءات الرأي العام ، ونتائج فرز الاصوات .

كانت خلاصة الموقف الفلسطيني : أن فوز الليكود مصيبة ، وإن فوز رابين يفتح الآفاق . في المساء سهر الفلسطينيون مع عملية فرز الأصوات التي كان ينقلها التلفزيون الاسرائيلي . وعند الاعلان عن النتائج الأولية ارتاحت القيادة والوفد المفاوض ، وأطلق العديد منهم تصريحات تعبر عن الفرح والارتياح . وزادت آمال الفلسطينيين في تحقيق تقدم سريع في المفاوضات . وزادت آمال أبو عمار في إمكانية إعادة النظر في صيغة مدريد وفي موقع المنظمة في المفاوضات . ولم يخف الفلسطينيون - وفداً وقيادة - من فرحتهم وتفاؤلهم إلا بعد انعقاد الجولة الاولى من المفاوضات في عهد حزب العمل ، (السادسة واشنطن) وبعد صدور تعليقات صحافية من دمشق ولبنان والأردن تنبه الفلسطينيين الى مخاطر التفاؤل الزائد .

وبعد ايام قليلة من تشكيل الحكومة العمالية في إسرائيل تحول التفاؤل الفلسطيني الزائد الى ما يشبه خيبة الأمل^(٢٢) . فبرنامج الحكومة جاء متخلفاً عن كل التصريحات السياسية التي صدرت عن القيادة العمالية خلال حملة الانتخابات . إذ أكد البرنامج على التمسك بصيغة مدريد ، ورفض المفاوضات مع المنظمة ، ورفض الدولة المستقلة ، ورفض العودة الى حدود عام ١٩٦٧ . والتمسك ببقاء المستوطنات ، وبقاء القدس عاصمة أبدية لإسرائيل . وبشأن الاستيطان أكدت الحكومة العمالية الجديدة اعتبار الاستيطان في القدس مسألة اسرائيلية داخلية وأنها ستواصل الاستيطان هناك . أما في باقي مناطق الضفة والقطاع فقد أصرت على استكمال العمل في ما يزيد على عشرة آلاف

مسكن ، واصلت عن وقف العقود الجديدة ووقف تنفيذ المخططات التي وضعت في عهد الليكود ولم يباشر بتنفيذها . وكرر رابين أحاديثه عن المستوطنات السياسية الأمنية . وفي حينها انقلب التفاؤل الى دعوات فلسطينية لمقاطعة المفاوضات وتعليق الجولة السابعة الى ما بعد الانتخابات الأمريكية التي أصبحت على الأبواب . إلا أن ضغط الادارة الأمريكية أمن انعقاد تلك الجولة . وتعهد بيكر ترتيب الجولة بحيث تعقد على وجبتين الأولى قبل الانتخابات الأمريكية والثانية بعدها بأيام قليلة .

لاحقاً ، جاءت الانتخابات الأمريكية ١٩٢/١١/٢ مخيبة للآمال الفلسطينية . وإذا كان رحيل الليكود قد ولد انتعاشاً وأملًا عند الفلسطينيين فإن رحيل بيكر - بوش ولد امتعاضاً وقلقاً . لا سيما وأن الحملة الانتخابية الأمريكية أظهرت موقفاً للحزب الديمقراطي ومرشحه كلينتون داعماً لإسرائيل بدون حدود ، ولأن بيكر أظهر على مدى عام ونصف من الاتصالات والمفاوضات تفهماً^(٢٣) واسعاً لأوضاع الفلسطينيين ومواقفهم ، وكان تفهمه يحمل في طياته شيئاً من التضامن في مواجهة مواقف شامير المتعنتة .

بعد رحيل الحزب الجمهوري ورحيل بيكر من الخارجية الأمريكية ظهر ميل إسرائيلي نحو الإبطاء في المفاوضات . وبعد فترة وجيزة أقدم رابين يوم ١٧/٩٢ على إبعاد أكثر من أربعمئة كادر وعنصر من منظمتي 'احماس' والجهاد الإسلامي ، مستغلاً عملية عسكرية خطف فيها رقيب إسرائيلي (توليدانو) وتم إعدامه . فكانت خطوة الإبعاد هزة قوية لبقايا القناعات الفلسطينية بأن تغييراً ما قد يطرأ على السياسة الإسرائيلية من القضايا الأساسية التي كانت تعيق تقدم المفاوضات . فور سماع خبر الإبعاد وقبل وصول المبعدين الى الأراضي اللبنانية تبنت قياده م . ت . ف . قضية المبعدين وأعلنت عن تعليق المفاوضات وأوعزت للوفد المفاوض ، دون التشاور مع أي من الأطراف العربية ، الى مقاطعة اليوم الأخير من مفاوضات الجولة الثامنة . وسارع أبو عمار الى دعوة القيادة

الفلسطينية الى دورة اجتماعات مفتوحة لتقييم الحدث ولم ينتظر رأي حماس . وفي تلك الاجتماعات شن أبو عمار حملة ضد عملية قتل توليدانو . قال : إسلامياً لا يجوز قتل الأسير حتى ولو كان إسرائيلياً ، والعملية لا تعطي وجهاً حضارياً للمقاتل الفلسطيني ، الاخوان في حماس ارتكبوا حماقة والعملية سخيفة ، وأطال في الحديث عن مضار العملية حتى أن بعض الحاضرين تهامسوا فيما بينهم وتبادلوا قصاصات أوراق تقول : من المتوقع أن يدعونا أبو عمار بعد قليل الى قراءة الفاتحة على روح الشهيد توليدانو ، ورقه أخرى قالت من الآن فصاعد يمكن إطلاق اسم الشهيد توليدانو على هذه القاعة وطالبت باستدعاء أفضل خطاط فلسطيني لتخطيط الياقطة المطلوبة . وراحت القيادة الفلسطينية تكثر من التصريحات التي تتهم العمل بأنه لا يختلف عن الليكود في الموضوع الفلسطيني ، والتي تصف راين بأنه شامير يرتدي قفاز حرير . فعدد المبعدين كبير وكان أقرب الى الترانسفير ، ولم يجرؤ حتى شامير على الإقدام على خطوة كهذه خلال المفاوضات . وخلال ذات الاجتماع أسهب أبو عمار في الحديث عن الوحدة الوطنية ، وطرح عدة تساؤلات حول هدف راين من الإقدام على هكذا خطوة في هذا الوقت بالذات ، لا سيما وأنها تمت قبل انتهاء مفاوضات الجولة الثامنة بيوم واحد ، وعلى أبواب لقاء الرئيس بوش مع رئيس الوفد الفلسطيني وفيصل الحسيني . في حينها أجمعت الآراء في القيادة الفلسطينية على أن راين بحاجة الى بضعة شهور لترتيب أوراقه ، وأنه لا يريد الدخول في مفاوضات جديدة في المرحلة الانتقالية التي يمر بها البيت الأبيض والإدارة الأمريكية ، وأنه يريد ايقاف المفاوضات لحين تسلم الرئيس ك्लينتون مهامه الرئاسية بصورة رسمية . في نهاية إجتماع القيادة الفلسطينية لخص أبو عمار الموقف الفلسطيني وقال : رب ضارة نافعة ، توقف المفاوضات شهرين أو ثلاثة لا يضرنا ، إدارة بوش راحلة ولن تستطيع ان تفعل شيئاً ، المهم أننا لن نجحنا حتى الآن في تأخير شطب المنظمة . نحن متفقون على دعوة مجلس الأمن للإنعقاد ، ودعوة وزراء خارجية الدول العربية الخمس الى إجتماع طارئ

وإرسال رسالة الى القمة الخليجية ، وبحث إمكانيه الدعوة لإجتماع عربي شامل ، وإرسال مبعوثين الى دول السوق الاوروبية المشتركة ، ودعوة رئاسة المؤتمر الإسلامي لعقد جلسة عاجلة ، واستمرار الإتصال مع بطرس غالي والطلب منه إرسال ممثل للمنطقة . أما على صعيد وضع المبعدين فقال نحن متفقون على أن لا نترك لأحمد جبريل قائد منظمة القيادة العامة المرتبطة بدمشق ، وفتحي الشقاقي قائد الجهاد الإسلامي المحسوب على ايران ، وحزب الله في لبنان معالجة القضايا الإنسانية والحياتية للمبعدين ، سنرسل لهم ما يلزم من تموين وتجهيزات تساعدكم على الصمود في جنوب لبنان أطول فترة زمنية ممكنة . وأضاف لعلمكم أمرت بشراء (شلية) غنم وبعض الملابس والمدافىء لآخوانكم . وفي نهاية الإجتماع وجه أبو عمار دعوة لحركة حماس للمشاركة في اجتماعات القيادة الفلسطينية ، واتفق على استنفار أجهزة المنظمة وبقاء القيادة في حالة إجتماعات مفتوحة ، وتصعيد وتيرة ونبرة الحملة الإعلامية ضد الإبعاد وضد الموقف الأمريكي منه .

في حينها اعتقدت حركة حماس وبعض القوى العشر المعارضة لعملية السلام أن الفرصة سانحة لتطوير موقف منظمة التحرير من تعليق المفاوضات لحين عودة المبعدين ، الى الإنسحاب من كل عملية السلام وبالحل الأدنى تجميدها الى إشعار آخر . وظنوا أن رحيل بيكر مهندس العملية ، وعدم تحقيق شيء يذكر خلال عام من المفاوضات يدفع بالعملية التفاوضية نحو الهاوية . وأصدرت حركة حماس والجبهة الديمقراطية بياناً مشتركاً ، دعتا فيه الى حوار وطني بين فصائل م . ت . ف والقوى المعارضة لعملية السلام . وبهذا تمهدت الطريق أمام عقد اجتماع موسع للقيادة الفلسطينية يوم ٩٢/١٢/٢٣ . حضره اركان حركة حماس (أبو مرزوق رئيس المكتب السياسي ، إبراهيم غوشة ، محمد نزال ، عماد العلمي ، وماجد إبراهيم) وكان ذاك اللقاء هو أول اجتماع رسمي في إطار المنظمة تحضره حركة حماس .

في بداية الجلسة الأولى رحب أبو عمار بحرارة بمشاركة حماس ، وتحدث بإسهاب عن صداقته الشخصية مع إبراهيم غوشة ، وعن زمالته معه في كلية الهندسة في جامعة القاهرة . واعترف أبو عمار أن إبراهيم غوشة كان متقدماً عليه في دراسة الهندسة ، وعزا ذلك لإنشغاله في حينها بقضايا النضال الوطني . كما تحدث مطولاً عن علاقاته السابقة هو والعديد من قادة حركة فتح مع حركة الإخوان المسلمين في مصر . ثم راح يستعرض الخطوات والتحركات التي قامت بها قيادة المنظمة على المستويين العربي والدولي في مواجهة عمليه الإبعاد . ولخص إجتماعات القيادة الفلسطينية التي عقدت قبل وصول وفد حماس ، واستعرض ردود الأفعال الدولية والعربية . وبالمقابل ردت قيادة حماس على تحية أبو عمار بأحسن منها . قالوا جئنا بقلوب مفتوحة مستجيبن لدعوة الرئيس ياسر عرفات . وقدموا شكرهم على ما قامت به قيادة المنظمة وخصوصاً الرئيس أبو عمار بالتقدير . بعدها فتح النقاش وتتابع إجتماعات القيادة بحضور حماس على مدى أربعة أيام متتالية ، تخللها إجتماع خاص بين قيادة فتح وقيادة حماس . في الإجتماعات طرحت حركة حماس وجهة نظرها في المفاوضات وفي موضوع الوحدة الوطنية وموضوع العمل العسكري ، واقترحت :

(١) الانسحاب من المفاوضات ، ومن كل عملية السلام .

(٢) موقف موحد من المبعدين ومن مبدأ الإبعاد .

(٣) إعادة بناء م . ت . ف . على أسس ديمقراطية ، تراعي المستجدات وبروز وصعود قوى أساسية على الساحة الفلسطينية وتراجع قوى قديمة .

(٤) تنسيق ميداني في الوطن المحتل لمواجهة العدو عسكرياً .

(٥) الدعوة الى مؤتمر وطني تحضره كل القوى والفعاليات .

وفي حينها تم الرد على موقف حماس ، وتعهد أبو عمار في اليومين الأولين أن لا يكون طرفاً في الإشتباك معها ، تاركاً الأمر لأعضاء القيادة من المؤيدين

لعملية السلام ، وغير المتحمسين للتحالف مع حماس وبقية الفصائل العشرة . مع بدء الإجتماعات وخلال تواصلها توالى ردود الأفعال الدولية ومن داخل إسرائيل . وتكثفت وتنوعت الاتصالات الدولية والعربية مع أبو عمار ، كانت محصلتها لصالح أبو عمار والمنظمة ، فكلها أدانت الإبعاد ، وحملت رابين مسؤولية دفع المنظمة نحو التطرف ونحو التعاون مع حماس . والكثير منها طالب أبو عمار بالتريث وعدم الاندفاع في بناء تحالف وعلاقة مع حماس . وكعادته حاول أبو عمار التجاوب مع تلك الدعوات مطالباً بثمن ذلك ، وتلقى وعوداً كثيرة ومتنوعة . وفي تلك الفترة أصدر رابين عدة تصريحات قال فيها أنه أراد إضعاف حماس وتقوية أنصار السلام ، واستصدر قراراً من الكنيست في ١٩ كانون الثاني ٩٣ برفع حظر الإتصال مع منظمة التحرير الفلسطينية . في اليومين الأخيرين من إجتماعات القيادة الفلسطينية شعرت حركة حماس أن أبو عمار والقيادة الفلسطينية ليسوا في وارد الإنسحاب من المفاوضات وأن التعليق هدفه إنتظار كلينتون . وأحسوا بأن أبو عمار يحاول إستثمار مشاركتهم في الإجتماعات لصالح تعزيز مواقعه على الصعيد الدولي . يوم ٩٢/١٢/٢٥ صدر تصريح عن ناطق رسمي باسم حماس اتهم فيه ياسر عرفات بأنه يعمل على ترحيل المبعدين من جنوب لبنان الى هولندا . إستغل أبو عمار ذلك التصريح وشن هجوماً قوياً على حركة حماس وكل الفصائل العشرة وإتهمهم بالرضوخ للمخابرات الإيرانية والسورية والأردنية . وإتهمهم بالتقصير في القيام بالواجبات الوطنية وفي مقدمتها الكفاح المسلح . وبهذا إنتهت الإجتماعات دون التوصل الى نتائج تذكر وبلغ الأمر حد رفض حركة حماس صدور بيان عن الإجتماع . واكتفى أبو عمار بإصدار تصريح عام . ولاحقاً تابعت المنظمة تعليق المفاوضات ، وواصلت ربط العودة الى واشنطن بعودة المبعدين الى ديارهم ، وتنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٧٩٩ الخاص بهم

خلال فترة توقف المفاوضات (كانون الاول ٩٢- نيسان ٩٣) ، اكثر الجانب

الفلسطيني من اتصالاته العربية والدولية لتوضيح موقفه من مسألة تعليق المفاوضات ، وإيجاد مخرج مشرف لقضية المبعدين التي خلقها رابين . وفي الوقت ذاته لم توقف القيادة الفلسطينية بحثها عن قنوات خاصة لإجراء اتصالات مباشرة مع الامريكان ، وفتح مفاوضات سرية مع الاسرائيليين . ولعل بعض الاتصالات المباشرة التي تمت في تلك الفترة بين فيصل الحسيني وبييرز وبين فيصل وزيد أبو زياد من جهة وأفرام سنية من جهة أخرى شجعت مثل هذا التفكير . اما قرار الكنيست بالغاء قرار حظر الاتصال مع المنظمة فقد اعطى امالا حقيقية في قيام اتصالات سرية بين المنظمة واسرائيل ، وفتح قنوات موازية لمفاوضات واشنطن ، وفي امكانية التقاط السنارة الفلسطينية خيطاً يقود المفاوضات الفلسطينية-الاسرائيلية باتجاه مسار جديد تكون فيه م . ت . ف . مفاوضا مباشرا . وكان ابو عمار يطرح افكاره في صيغة تساؤلات من نوع : لماذا يبعد رابين حماس من جهة ، ويجيز الاتصال مع المنظمة من جهة اخرى؟ وهل توقيت الخطوتين صدفة؟

على كل حال بقي أبو عمار حريصاً على إضفاء طابع السرية المطلقة على كل اتصالات جانبية كان يجريها مباشرة مع هذا الطرف الاسرائيلي أو ذاك ، عبر هذه القناة العربية أو الفلسطينية أو تلك الأجنبية . وكان حريصاً على إخفائها عن الجميع حتى أن الاتصالات التي تمت مع فيصل لم يطلع عليها أبو مازن ولا لجنة متابعة المفاوضات . وفي حينها فهم الحسيني وحنان عشراوي وأكرم هنية (مستشار الرئيس عرفات لشؤون الأرض المحتلة) موقف أبي عمار فجاروه الى أبعد الحدود ولم يطلعوا أبو مازن عليها إلا في أوقات متأخرة . وهذا السلوك من الحسيني وأكرم هنية وعشراوي ترك أثراً سيئاً عند أبو مازن و عدد كبير من أعضاء لجنة متابعة المفاوضات ، فاقت الآثار السلبية التي سبق وتركتها الاتصالات التي كان يجريها أكرم وحنان مع أبو عمار سواء لتلقي التعليمات منه أو لنقل نتائج الاتصالات مع الأمريكان له ، متجاوزين ابو مازن ولجنة

متابعة المفاوضات ، والتي وصلت خلال بعض الجولات درجة حجب بعض الوثائق ، وخاصة محاضر الاجتماعات والاتصالات التي كانت تجريها حنان مع أركان الادارة الأمريكية .

بالإجمال لم يتفاعل أبو عمار مع أي لقاء جانبي أجراه فيصل مع أي من الوزراء أو الرسميين الاسرائيليين ، وكان فيصل يفاجأ من موقف أبو عمار الرفض لمتابعة العمل عبر هذه القنوات ، ولم يكن يستوعب ما كان يقال له أحياناً ، كان أبو عمار ينظر لهذا الشكل من الاتصالات بإعتباره استمراراً لتجاوزه ، وسعياً لخلق القيادة البديلة . وعدم استيعاب فيصل الحسيني للموضوع نابع من كون كل اللقاءات والاتصالات كانت تتم بعلم أبو عمار ، وكان الحديث فيها يتركز حول دور المنظمة ودور أبو عمار شخصياً في المفاوضات . لم يستوعب فيصل أن أبو عمار يرى في التركيز الأمريكي والاسرائيلي على دوره مقدمات لشطب أبو عمار وتكريس البديل الناشيء .

السنارة الفلسطينية تلتقط طرف خيط

منذ البداية كان ابو علاء يبدي في اطار لجنة متابعة المفاوضات اهتماما خاصا بالمفاوضات المتعددة الاطراف . ولم يخف رغبته في تولي المسؤولية المباشرة عنها . الا ان رغبته اصطدمت لفترة وجيزة مع اب عمار . لاحقا رفعت لجنة متابعة المفاوضات توصية رسمية وبالاجماع ، بتشكيل لجنة فرعية متخصصة بمتابعة المفاوضات المتعددة الاطراف ، واوصت ان يكون ابو علاء سكرتيرا لها . فابو علاء رجل الاقتصاد الوحيد في لجنة المتابعة ، وتجاربه في هذا المجال غنية وطويلة . فهو المشرف منذ سنوات على مشاريع صامد ، وهو معني بصيغة او باخرى عن عدد من المشاريع الاقتصادية الخاصة بحركة فتح . وافق ابو عمار على التوصية وشكلت اللجنة الفرعية وسمي الدكتور جميل هلال مندوبا عن حزب (فدا) ، وحسن عصفور مندوبا عن حزب الشعب واخرون اعضاء فيها . وشرح ابو علاء في متابعة اعمال لجان - التنمية الاقتصادية ، المياه ، البيئة ، اللاجئين . وحرص ابو علاء على ان يكون قريبا من الوفود الفلسطينية حيثما اجتمعت . ولهذا سافر الى طوكيو لحضور اجتماع لجنة البيئة ، وسافر الى كندا وهولندا وباريس لحضور اجتماعات باقي اللجان . في مطلع كانون الاول ٩٢ ٩٩ سافر ابو علاء الى لندن لحضور اجتماع لجنة توجيه المؤتمر المتعدد الاطراف . قبل سفره جرت دردشات بين المتواجدين من لجنة متابعة المفاوضات حول سفر ابو علاء ويومها قيل له : انت متحمس للقاء مع الاسرائيليين ولفتح قنوات خلفية ، يوسي بيلين نائب بيريز سيكون موجودا هناك ، وهو من المتحمسين للحوار مع المنظمة ، جرب ان تدعوة على فنجان قهوة . كان الحديث في هذا الموضوع يختلط فيه الجد مع الهزل . سافر ابو علاء ، وفي لندن التقى مع حنان عشاوي الناطقة باسم الوفد الفلسطيني وفيصل الحسيني وبقية اعضاء لجنة التوجيه ، وهناك عرضت عليه حنان تعريفه على باحث اسرائيلي اسمه هيرتشفيلد . حضر مع يوسي بيلين ، وهو استاذ في

جامعة حيفا ، عضوفي حزب العمل ومن المقربين من بيريز ،ومن المهتمين بالقضايا الاقتصادية ومن الحمائم ومن المؤمنين بأهمية الحوار بين اسرائيل ومنظمة التحرير ، ومن الداعمين لقضايا حقوق الانسان الفلسطيني . وافق أبو علاء على اللقاء دون تردد ، واستفسر عن طبيعة الحوار الذي يمكن إجراؤه مع هذا الرجل ، وعن الموقع والصفة الرسمية له . ويومها قالت حنان ، لقاء تعارفي . لاحقاً عقد اللقاء بحضور ممثل منظمة التحرير في لندن السيد عفيف صافية . وحسب رواية أبو علاء كان يمكن أن يكون اللقاء عادياً كأي لقاء يتم مع الشخصيات الاسرائيلية ، لولا اقتراح هيرتشفيلد بأن يكون هناك لقاء آخر وأن يكون هذه المرة في النرويج ، فمواضيع البحث والنقاش لم تخرج عن العموميات التي يجري تبادلها في لقاءات كهذه ، إذ يعرض كل طرف موقفه بأزهى وأجمل صورته ، ويدافع بحدة عن الأخطاء . ومثل هذه اللقاءات توصف في العلم الديبلوماسي بأنها 'حفلة من التكاذب المتبادل' ومناسبة لا يصلح الرسائل الضرورية .

بعد العودة من لندن أطلع أبو علاء كلا من أبو مازن وأبو عمار على اللقاء وما تم فيه . وفي حينها بسط أبو علاء الأمر وقلل من شأنه لدرجة أن أبو عمار لم يعر الموضوع أي اهتمام بعدما وصفه أبو علاء بأنه غير رسمي . واكتفى بالسؤال متى السفر الى النرويج؟ وتعامل مع الموضوع باعتباره واحداً من اللقاءات العادية التي تتم عادة على هامش اجتماعات كهذه لاغراض 'البزنس' او رغبة في التعارف والاستطلاع . أما أبو مازن فقد استمع جيداً لما دار في الاجتماع ، واستفسر عن تاريخ هيرتشفيلد ، وعن مواقفه وولاءاته ضمن الخارطة السياسية في إسرائيل . وشدد على سرية الموضوع وعدم إطلاع أي إنسان آخر بمن في ذلك أعضاء لجنة متابعة المفاوضات . واقترح على أبو علاء أن يأخذ معه في اللقاء القادم حسن عصفور ليساعده في تسجيل المحاضر ولعله يفيد في إضفاء الطابع الرسمي على اللقاء الجديد . وحسن عضو في الحزب الشيوعي

الفلسطيني ، مثل الحزب في اتحاد طلاب فلسطين ، وعمل في لجنة متابعة المفاوضات . كان أهم ما فكر به أبو مازن في تلك اللحظة هو إشعار الاسرائيليين بأنه مهتم بالموضوع ويدعم اللقاء . فحسن عصفور معروف بأنه يعمل في مكتب أبو مازن ولا بد أن تكون هذه المعلومة معروفة للاسرائيليين ، وخلال التعريف على حسن سيتم التنويه بعمله مع أبو مازن ، وفكر ايضا في الحصول على محاضر رسمية ، يضيفها للوثائق التاريخية التي يولي تجميعها وتنظيمها وأرشفتها أهمية كبيرة ، منذ بضع سنوات واعطاها جهداً استثنائياً بعد انطلاق عملية السلام من مدريد .

قبل سفر أبو علاء^(٢٤) الى النرويج حضر الى تونس اواسط شهر كانون الاول ١٩٩٢ أكاديمي نرويجي يدعى لارسن ، وهو مدير مركز دراسات استراتيجية نرويجية FAFO مختص في شؤون اللاجئين الفلسطينيين . ومعروف أنه وزوجته منى مديرة مكتب وزير الخارجية النرويجية متعاطفين مع الفلسطينيين . في تونس عقدت مع لارسن عدة اجتماعات ثنائية شارك فيها الدكتور ماهر الكرد أحد الأخصائيين المساعدين لأبو علاء في الشؤون الاقتصادية ، ومن العاملين في مؤسسة صامد . وقبل مغادرته تونس رتب أبو علاء لقاء جمع لارسن مع رئيس اللجنة التنفيذية . وخلال ذلك اللقاء دار نقاش مطول حول القضية الفلسطينية ، وحول موضوع المفاوضات ، وفي حينها شدد أبو عمار على دور القنوات الخلفية في المفاوضات ، وأكد أن لا أفق لمفاوضات واشنطن إذا لم تتوافر لها قناة خلفية بين أصحاب القرار من الطرفين . واستعرض أبو عمار تاريخ كل المفاوضات الدولية . وأبرز دور الدول الاسكندنافية في ترتيب مثل هذه القنوات . وتحدث مطولاً عن الدور الذي قام به أندرسون عام ١٩٨٨ بين المنظمة ووزير الخارجية الأمريكية شولتز . وتساءل أبو عمار لماذا لا تحاول النرويج متابعة ما قامت به السويد سابقا ؟

خرج لارسن من عند أبو عمار مرتاحاً بعدما حصل على ضوء اخضر للقيام

بدور الوسيط والمنظم للقاءات السرية بين المنظمة واسرائيل . وكما أحيط لقاء لندن بالسرية وأخفي عن لجنة متابعة المفاوضات وعن الوفد أحيط اللقاء مع لارسن بذات الاجراءات . بعد اللقاء مع لارسن تشكل عند أبو عمار وأبو علاء إنطباعاً بأن الموضوع جدي . وأغلب الظن أنه لا يتم بناء على مبادرة نرويجية وإنما بناء على طلب وتكليف أمريكي واسرائيلي . وجرى الربط بين سرعة زيارة لارسن الى تونس والاقتراح الذي تقدم به هيرتشفيلد بأن يكون اللقاء القادم في النرويج . الفلسطينيون عامة شكاكون ، شعورهم الداخلي بانهم مظلومون زرع فيهم الشك بأقوال الآخرين . اما القيادة ، وفي مقدمتها ابو عمار فكثيرا ما دفعتهم شكوكهم الى اعطاء تفسيرات أمنية للامور . فبعد وصول لارسن الى تونس تحول هيرتشفيلد في نظر ابو عمار الى رجل مخبرات يعمل في حقل رسم الاستراتيجية الاسرائيلية .

أواخر شهر كانون الثاني سافر أبو علاء وماهر الكرد وحسن عصفور الى أوسلو . وقبل السفر عقد لقاء في مكتب أبو مازن اقتصر على الثلاثة ، نوقش خلاله ما يمكن أن يطرح في اللقاء وكيفية تناول المواضيع . وفي حينها تم الاتفاق على أن يتم الدفع باتجاه القفز عن التاريخ والدخول مباشرة في بحث المستقبل ، وبحث المواضيع المطروحة في إطار مفاوضات واشنطن . وأن يتم استطلاع موقف هيرتشفيلد ومن معه ، ومعرفة موقف الرسميين الاسرائيليين من هذه اللقاءات ومدى علاقتهم بها . واتفق على إبقاء الموضوع سريا وأن يسافر ماهر الكرد كمترجم . وأن يتم اخراج سفر حسن عصفور وغيابه عن مكتب أبو مازن بالقول أنه سافر الى قبرص ولأغراض عائلية صرفة ، وأن يتم ترتيب سفره عبر خط تونس - قبرص - أوسلو . وأن يلتقي مع أبو علاء في محطة أوروبية . لقد اضطّر أبو مازن وأبو علاء الى الدخول في مناقشة تفاصيل كهذه لتأكيد سرية الموضوع . فسفر أبو علاء وغيابه عن مؤسسة صامد لا يثير أية شكوك . فالكل يعرف أن أبو علاء بحكم موقعه وطبيعة مهامه كثير السفر من وإلى الدول

الاوروبية . أما سفر حسن عصفور فهو ملفت للنظر ، بخاصة للعاملين معه في دائرة العلاقات القومية التي يعمل فيها حسن . لا سيما وأن عددهم قليل وأن كلا منهم يعرف الآخر جيداً ، وجميعهم يعملون في المهمة ذاتها ، أي متابعة المفاوضات ، ولا أسرار بينهم إطلاقاً . . فهم يلتقون يوميا ويتبادلون آخر الأخبار عن المفاوضات وسواها من الأمور .

كانت خطة ابو مازن وابو علاء تقوم على ان لقاء اوسلو ليس بديلا ولا موازيا لمفاوضات واشنطن ، وان يتم التركيز على القضايا التي توقفت عندها مفاوضات واشنطن . في اوسلو كان لارسن وزوجته بانتظار الوفد الفلسطيني في المطار . وفور وصول أبو علاء وحسن وماهر الكرد تم نقلهم الى منطقة خارج العاصمة تبعد عنها ٨٠ كيلومتراً . وتم إنزالهم في أحد القصور الملكية القديمة ، كما انزلت المجموعة الاسرائيلية في قصر آخر في المنطقة ذاتها . بعد استراحة قصيرة جمع لارسن الطرفين في مقر إقامة المجموعة الفلسطينية . مثل الجانب الاسرائيلي هيرتشفيلد ورون بنداك ، والآخر عرف عنه أنه صديق شخصي لنائب وزير الخارجية الاسرائيلية يوسي بيلين ، ومن المقربين لهارون ياريف مدير معهد جافي للدراسات الاستراتيجية في تل أبيب ، ومن المتخصصين بالابحاث الاستراتيجية في القضايا الأمنية والاقتصادية . أمضى الجانبان يومين في بحث منهاج العمل . وقدم أبو علاء اقتراحاً بعدم التوقف أمام التاريخ مطولاً لأن ذلك سيقود الى مناقشات بيزنطية لن تسفر عن شيء ، وأن يتم الدخول مباشرة في مناقشة مسائل القرار ٢٤٢ ، السلطة الانتقالية ، المرحلة الانتقالية ، المرحلة النهائية ، القدس ، الاستيطان . وان يكون الهدف هو الوصول الى اعلان مبادئ . وافق الجانب الاسرائيلي على الاقتراح الفلسطيني ، وفوجيء ابو علاء ومن معه بسرعة التجاوب الاسرائيلي ، فمناقشات واشنطن حول جدول الأعمال وترتيب مواضيعه استغرقت ست جولات دون التوصل الى اتفاق حوله . بعد يومين من النقاش تم الاتفاق أولاً على قضايا البحث

وهدفها وان لقاءاتهم ليست رسمية وليست بديلة لمفاوضات واشنطن ، وان يعودوا للقاء ثانية اذا وافقت قياداتهم على ذلك . وشدد الطرفان على سرية اللقاءات . بعدها عاد أبو علاء ومن معه الى تونس محافظين على سرية العودة كما حافظوا عليها عند الذهاب .

صباح يوم من أيام شباط الأولى اتصل بي ياسر عبد ربه تلفونيا وسأل ماذا تعمل؟ ما رأيك بالمرور لطرفي لشرب القهوة؟ . قلت : جيد ، بعد قليل سأكون بطرفكم . رد قائلا : لا تتأخر لدي أخبار سارة وهامة . حاولت الاستفسار على الهاتف عن السار والهام ، لكنه رفض الحديث على التلفون وقال الموضوع سري وخاص ولا يجوز قوله لأحد أو على التلفونات . أغلقت السماعة وقلت لنفسى ما هذا الهام والسري الذي لا يقوله ياسر على التلفون؟! فالمعروف عن ياسر في اوساط القيادة الفلسطينية أنه لا يستطيع إخفاء الاسرار ولا كتمان المعلومات التي لديه . وهذه الصفة كثيراً ما سببت له متاعب صغيرة وإخراجات بسيطة في إطار علاقاته ووضعته في إطار القيادة الفلسطينية . فبسبب التسرع في إعطاء التصريحات الصحافية نسبت له مواقف رسمية ، وصدرت عنه تصريحات غير دقيقة ، اضطر أبو عمار أكثر من مرة الى إصدار نفي لها بلسان ناطق رسمي فلسطيني ، أو التعليق عليها بأنها تعبر عن وجهة نظر صاحبها فقط . قبل مغادرتي المكتب اتصل ياسر من جديد وقال : أخشى أن اضطر الى مغادرة المكتب أو أن يداهمنا أحد ، أسرع . اسرعت الى دائرة الاعلام وأنا أقول : الموضوع جدي وياسر غير صابر كعادته .

بدأ ياسر الحديث وقال ، سأبدأ من الآخر ثم نعود للتفاصيل والمقدمات . قلت : خيرا إن شاء الله . قال : بدأت المفاوضات السرية بين المنظمة واسرائيل ، شبكت السنارة ، وفتحت قناة سرية مع بيريز ويوسي بيلين . بعد الاستفسار فهمت أنها قناة رسمية ، وأن أبو علاء هو الذي فتح القناة وشق الطريق ، وأن الاتصالات تمت مع أشخاص قالوا أنهم مكلفون من بيلين وبيريز ، وأن أبو

علاء عاد 'أمس' من النرويج ، حيث عقد اللقاء الثاني وبرعاية رسمية من الحكومة النرويجية . سألت عن اللقاء الاول وعن موقف رابين من الموضوع ، وقلت ألا تعتقد أن هذا التصرف من بيريز يدخل في إطار الصراع بين الرجلين الرأسين . فالصراع بينهما على أشده وكلاهما لا يخفيه . ثم ألا تعتقد أن فتح قناة اتصال مع بيريز سوف يؤثر على عمل الوفد في واشنطن؟ لا سيما وأن رابين أبعد بيريز عن المفاوضات الثنائية وأمسك بها بيده مباشرة مع أنها من اختصاص وزارة الخارجية ، وهذا ما كان معمولاً به في عهد شامير . رد ياسر : فهمت أن رابين على علم بالموضوع ، وإن اللقاء الاول عقد في لندن خلال المؤتمر متعدد الاطراف وهذه المسألة تقودنا الى النقطة الثانية التي أريد التحدث عنها . الاخوان أبو عمار وأبو مازن وأبو علاء وحسن عصفور فقط على علم بالموضوع ، والأخوان تحت حجة السرية أخفوا الموضوع عني ، وعن لجنة متابعة المفاوضات ، وعن اللجنة التنفيذية طبعاً وعن مركزية فتح . ولم يطلعوا حزب الشعب . أنا أتحدث عن اللقاء الثاني أما الأول والذي تم منذ شهرين تقريباً فلم يتم اطلاعي عليه . واضاف ياسر عبد ربه فهمت أن أبو علاء وأبو مازن كانا ضد اطلاعي على الموضوع خوفاً من التسريب للحزب والاعلام . أبو عمار هو الذي اطلعني وهو الذي أصر على حضوري اجتماعات اللجنة المصغرة التي تتابع الموضوع . أبو مازن وأبو علاء طلبا رسمياً عدم إطلاع أي من الرفاق على الموضوع ، اقله من الآن وحتى ظهور نتائج عملية . ولهذا أرجو إبقاء الأمر طي الكتمان وأن لا نتحدث فيه مع أحد إطلاقاً ، لا من التنظيم ولا من غير التنظيم . وبصراحة فإن أبو مازن وأبو علاء لن يطلعا أحداً من اللجنة المركزية لحركة فتح ، وحسن عصفور يمثل أبو مازن ولا يمثل حزب الشعب ، وماهر الكرد يمثل أبو علاء وهو موظف عنده ويخاف من المسؤولية . الاخوان شددوا على أن لا يعرف فيصل وحنان ولا أكرم هنية إطلاقاً ، لأن التقدير أنهم إذا علموا بالموضوع فسيخربونه بكل السبل ، لأن فتح قناة سرية يعني إنهاء دورهم ، وإنهاء دور الوفد المفاوض في واشنطن . وتشديد الاخوان ابو عمار وابو مازن وابو علاء له علاقة بموقف بيريز وصراعه مع

رابين . المفاوضات اللذان تم اللقاء معهما قبل اسبوع في النرويج ، وفي لندن محسوبان على بيريز . وبيريز قال لهما اذهبا وقولا للمفاوضين من منظمة التحرير ، لا ثقة لنا بأنكم قادرون على كتم الأسرار . قولا لهم ان انكشاف الموضوع سوف يقود الى أزمة حكومية ، قولا لهم ان رابين على علم بهذه القناة ، لكنه لا يثق بالمنظمة وقدرتها على كتم الأسرار . وأن رابين قال لبيريز إذا كشف الموضوع فسيخرج رابين ويقول هذا لعب من بيريز ، وينكر علاقته وعلمه به .

قلت إذن الموضوع جدي والمفاوضات شبه رسمية بين الحكومة الاسرائيلية ومنظمة التحرير ، ويستحق الحفاظ على السرية . أنا مع عدم إبلاغ أحد من رفاقنا في قيادة التنظيم ومع عدم إبلاغ اللجنة المركزية ل 'فتح' . لا سيما وأن الاتصالات في بداياتها ولم تظهر لها أية نتائج . والمهم ان لا يسرب ابو عمار او حسن عصفور هذه المعلومات . أضاف ياسر : ولهذا مطلوب منك أن تتصرف أمام أبو عمار وأبو مازن وأبو علاء وكأنك لا تعرف شيئا . ويومها أبدت بعض الملاحظات حول تشكيلة وفدنا إلى اوسلو ، واقترحت إضافة أحد المستشارين الموثوقين والقادرين على كتم الأسرار ، وآخر يجيد اللغة الانجليزية ، ويلم بقضايا المفاوضات . وقلت انت تعرف ان ابو علاء غارق في قضايا المؤتمر متعدد الاطراف وغير متابع لتفاصيل مفاوضات واشنطن ، وحسن عصفور لا يجيد اللغة الانكليزية ، وماهر الكرد لا علاقة له بالمفاوضات . وذكرت أسماء خليل الهندي ، ويزيد صايغ وسليم تماري من المشاركين في المفاوضات متعددة الاطراف ، وقلت ان ثلاثتهم مشاركون في المفاوضات ، ويمكن الاعتماد عليهم ، وعبر أي منهم نستطيع معرفة حقيقة ما يدور في اوسلو . وافق ياسر على الملاحظة وقال سأطرح الموضوع . والحاجة لتعزيز الوفد سنضطر لها لاحقا ، خاصة عندما تتقدم المفاوضات ، وأضاف ان المفاوضات لا زالت في بدايتها ، والمهم الحفاظ على سرية القناة ، هذا اختبار لمدى جدية المنظمة ومدى قدرتها على كتم الأسرار . الاخوان اتفقوا أولياً مع الاسرائيليين في اوسلو وبحضور

لارسن ، على :

(١) الهدف من المفاوضات هو الوصول الى اعلان مباديء أو اتفاقية إطار وليس جدول أعمال .

(٢) البدء بتجميع النقاط المتفق حولها وفرزها عن نقاط الخلاف .

(٣) مفاوضات اوسلويست بديلة عن مفاوضات واشنطن ، بل موجهة لها بحيث يتم نقل كل ما يتفق عليه في القناة السرية الى مفاوضات واشنطن من خلال الراعي الأمريكي . وأن يقدم للوفدين الرسميين باعتباره اقتراحاً أمريكياً مع الاتفاق مسبقاً على سيناريو الاخراج .

(٤) يتولى الجانب النرويجي وضع الراعي الأمريكي أولاً بأول في صورة المفاوضات وأجوائها ونتائجها .

وأكد ياسر أن كريستوفر على علم بالموضوع ، وأنه يتابعه شخصياً ويبدو أن الموضوع محصور بين كريستوفر وكلينتون . ويظهر أن كريستوفر يعمل على طريقتنا ، ولا يريد إطلاع أحد من طاقم الخارجية لأن طاقم الخارجية يريد أن يسجل لنفسه النجاح في قيادة المفاوضات الرسمية والوصول بها الى نتائج . لكن كريستوفر غير متفائل بما يمكن التوصل اليه في هذه القناة . وختم ياسر حديثه بالقول : سنتابع . وسنرى ، ونبحث الأمور فيما بيننا أولاً بأول . وانطباع الأخوين أبو علاء وحسن عصفور أن الاسرائيليين جادون في المفاوضات من خلال هذه القناة ، ويبدو أنهم اقتنعوا بأن لا مناص من الجلسات مع المنظمة ، وأن د . عبد الشافي وفيصل والاخوان الآخرين غير قادرين على التوصل الى اتفاقات . منذ ذلك التاريخ قررت أن أسجل كل ما يدور أولاً بأول . وقبلت لنفسى على مضض أن أمثل الدور المطلوب مني ، وأن أعاتب يوماً ما أبو مازن وأبو علاء على استبعادى من الخلية . فقد كنت اعتقد ان لدي ما اقدمه في الاجتماعات الخاصه بمناقشة قضايا المفاوضات .

بعد هذا الاجتماع الناجح لفريق أوصلو عقدت لجنة متابعة المفاوضات اجتماعاً عادياً . وتعهد أبو عمار ترؤسه ليؤكد على دور اللجنة وعلى بقائها تتابع شؤون المفاوضات في واشنطن . إلا أن الاهتمام بقناة أوصلو دفع كلاً من أبو عمار وأبو مازن الى البدء في التعامل مع اللجنة من قبيل رفع العتب . وكثر حديث أبو مازن عن تردد وفدنا في فتح قنوات سرية ، وعدم اتقانه فن المفاوضات ، وعدم ثقة اعضائه بأنفسهم . وفي حينها كان بعض أعضاء اللجنة يناقش ويدافع عن الوفد ، ويعزو عدم اقدم الوفد الى عدم ثقته بأن القيادة ستحميه ، إذا ما أقدم على فتح قنوات سرية ، أو إذا حصل تقدم في المفاوضات وتجاوب مع بعض المطالب الاسرائيلية . أو إذا اضطر للقفز عن بعض مسائل جوهرية وتأجيلها الى مرحلة لاحقة . ولم يتوقف الأمر عند حدود إضعاف دور لجنة متابعة المفاوضات بل عكس نفسه أيضاً على الموقف من استئناف المفاوضات في واشنطن في جولتها التاسعة بعدما توقفت في كانون الأول ٩٢ ، بسبب إقدام راين على إبعاد ما يزيد عن ٤٠٠ كادر من كوادر حماس والجهاد الاسلامي . وكان واضحاً لكل أعضاء اللجنة أن أبو عمار ليس متحمساً لاستئناف المفاوضات في واشنطن . وكان يتناغم مع كل المواقف الفلسطينية التي كانت تدعو الى تأجيل الذهاب الى واشنطن ، وربط العودة الى طاولة المفاوضات بعودة المبعدين أجمعين ودفعة واحدة وتنفيذ القرار ٧٩٩ . ولعل هذا الموقف شجع حزب الشعب على رفع درجة تشدده ومقاطعته للجولة التاسعة .

العالون بمسار أوصلو من أعضاء اللجنة هم الذين كانوا يعرفون حقيقة دوافع أبو عمار لتأجيل الجولة التاسعة ، والتي لم تكن تمت بصلة لا من قريب ولا من بعيد لموضوع عودة المبعدين ، خاصة بعد الاجتماع الفاشل الذي عقدته حركة فتح مع حركة حماس في السودان ، وبعد التصريحات التي أطلقها الرنتيسي ممثل المبعدين . وبعد التصريحات التي صدرت عن حماس والتي رفضت تدخل المنظمة في شؤون المبعدين ، ورفضت الالتزام بكل اتفاق تتوصل له المنظمة مع

اسرائيل أو مع الأمريكان بشأن المبعدين . كانت عين أبو عمار وذهنه مركزين على قناة أوسلو ومسار المفاوضات التي تواصلت خلال فترة توقف مفاوضات واشنطن .

في منتصف شباط ٩٣ عقد اللقاء الثاني لقناة أوسلو بذات الحضور ، وعاد ابو علاء اكثر تفاؤلا بعدما اتفق مع هيرتشفيلد على دمج مواقف الطرفين في ورقة واحدة سميت نقاط مسودة اعلان مبادئ مطروحة للنقاش . ونقل ابو علاء ان الاسرائيليين مستعدون للدخول مباشرة في بحث موضوع الانسحاب من غزة ، لكنه اصر على ان يكون في اطار اتفاق اوسع ، من نوع اعلان مبادئ مثلاً او اتفاقية اطار . أما أبو مازن ومعظم أعضاء اللجنة فكانوا يدفعون باتجاه التجاوب مع الموقف الأمريكي ، الداعي الى استئناف مفاوضات واشنطن وعدم تعطيلها . كان أبو مازن والعارفون بقناة أوسلو من اللجنة يرون أن أوسلو ليست بديلة عن واشنطن . هكذا كان الاتفاق هناك ، وهكذا يجب أن تسير الأمور . ثم إن عدم الذهاب الى واشنطن يزعج الأمريكان بمن فيهم كريستوفر العارف بقناة وسلو ، والمفاوضات هناك غير مضمونة النتائج ولم تحقق حتى أواسط نيسان أية خطوات جدية ومضمونة . أما بقية أعضاء لجنة متابعة المفاوضات فكانت مناقشاتهم تنطلق من قناعة بأن تعطيل المفاوضات وتوقفها يلحقان الضرر بالجانب الفلسطيني على المستوى الوطني العام ، ويلحقان الأذى بموقف الاتجاه الواقعي الذي دفع منذ البداية باتجاه المشاركة في المفاوضات وخاض صراعاً داخلياً من أجل تأمين المشاركة . ولما لم يستطع أبو عمار تأجيل الجولة التاسعة فترة أطول ، راح يدفع باتجاه رفع سقف المطالب الفلسطينية على أمل أن يضرب عصفورين بحجر واحد . الأول إظهار الوفد الفلسطيني أمام رابين والأمريكان بأنه متصلب ومتطرف أكثر من القيادة الفلسطينية في الخارج . أما الثاني فهو تعطيل أي تقدم على مسار واشنطن بانتظار نتائج ما يجري على مسار أوسلو . على أبواب الجولة التاسعة اقترح أبو عمار في إطار لجنة متابعة المفاوضات

وبحضور عدد من أعضاء الوفد أن يتمترس وفدنا في واشنطن عند موضوع ضرورة أن يتضمن جدول الأعمال المقترح نصاً واضحاً وصريحاً ، على الالتزام بتنفيذ القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ . وافتعل مشكلة حول فترة السنوات الخمس المحددة في كتاب الدعوة ورسالة التطمينات للفترة الانتقالية ، وأصر على أن لا يقدم الوفد الفلسطيني في الجولة التاسعة أية أوراق ، وأن يعود الوفد ليتمسك بالتصور الفلسطيني للسلطة الفلسطينية الانتقالية (PISGA) الذي قدم في ١٤/١/١٩٩٢ وعدم التزحزح عنه إطلاقاً . وشدد على ضرورة أن يطرح الوفد الفلسطيني موضوع الحمة الفلسطينية والجولان الفلسطيني ، بمسألة ضمهما لمناطق السلطة الفلسطينية . وفي ذلك الاجتماع تفاعل أبو عمار مع موقف بشير البرغوثي الأمين العام لحزب الشعب ، الذي دعا للتصلب والتشدد والتمسك بالقرار ٢٤٢ ، وضرورة النص في الأجندة على أنه أساس المفاوضات . وأن هدف المفاوضات في كل مراحلها تنفيذ القرار ٢٤٢ . وأن مفاوضات المرحلة الانتقالية يجب أن تنطلق من القرار ٢٤٢ وأن تقود الى تنفيذه لا الى تعطيله ، وعدم إبقاء الأمر يكتنفه الغموض . ويومها تجاوب ابو عمار أيضاً مع موقف الدكتور حيدر عبد الشافي الذي دعا للعودة الى إثارة موضوع وقف الاستيطان والتمسك به كشرط لتقدم المفاوضات . ووضع الانسحاب من الضفة والقطاع كنقطة أساسية على جدول الأعمال .

لم يكن أبو عمار وحده الذي تفاعل مع هذه المواقف ، بل كان هناك من أيده ودعمه . بعض المؤيدين كانوا يتناغمون مع الموقف الحقيقي لأبو عمار والذي يسعى الى تعطيل مفاوضات واشنطن لحساب اوسلو ، ودفع الوفد الفلسطيني للتطرف لظهار اعتدال القيادة في تونس . أما أمين عام حزب الشعب وبعض من أيده فقد كان منطلقهم مبدئياً ولا علاقة له بمنطلقات أبو عمار . أما أبو مازن فقد كان واضحاً أنه في الوقت الذي كان يحرص فيه على قناة اوسلو ويعطيها الأولوية ، بقي حريصاً على الاستمرار في اللعبة التي وضعت في

مديره . ومن هذا المنطلق أعطى ليفصل وحنان ورقة النقاط العشر التي حملها أبو علاء الى اوسلو . وقال لهم هذه النقاط تمثل موقف الحد الأدنى ، خذوها ولا تعطوها للأمريكان . بل استعينوا بها وتصرفوا على أساسها . لاحقاً فهم أن الورقة أعطيت للأمريكان ولم يعترف أحد حتى الآن بأنه هو الذي قدمها لهم .

مع تواصل مفاوضات اوسلو أخذ دور لجنة المفاوضات يضعف أكثر فأكثر . وبات عمل الوفد يتعقد أكثر فأكثر ، لدرجة أنه أربك المفاوضين في واشنطن . فخلال الجولة التاسعة لم تعقد لجنة متابعة المفاوضات اجتماعاتها كالمعتاد . ولمس بعض أعضاء اللجنة أن هناك شيئاً ما يدور في الخفاء . وأن هناك اجتماعات مصغرة تضم عدداً محدوداً من اللجنة وتعقد اجتماعات خاصة من خلف اللجنة . وفي حينها لم يتحمل بعض أعضاء اللجنة تلك الاوضاع فاختاروا لأنفسهم الانسحاب من اللجنة بكل هدوء واتزان . هذا ما فعله أحمد عبد الرحمن عضواً لمجلس الثوري لحركة فتح ومسؤول الاعلام الموحد في المنظمة ، وحكم بلعاوي عضو اللجنة المركزية لفتح وسفير فلسطين في تونس ، وعبد اللطيف ابو حجلة مدير عام الدائرة السياسية ، أما الآخرون فتابعوا العمل بامتناع شديد ، لا سيما وأنهم بدأوا يتلمسون اهمال ابو مازن وابو عمار لدور اللجنة وأنها تسير نحو نهايتها . ومن ذلك التاريخ بدأت موقف أبو مازن وياسر عبد ربه وأبو علاء من بعض الأمور تتبدل واصبحت غير مفهومة للكثيرين . فخلال شهر نيسان بدأ أبو مازن يتحدث عن دور المنظمة في المفاوضات ، متناغماً مع المفهوم الذي كان يطرحه أبو عمار منذ اللحظة الأولى للمفاوضات . واختفى الحديث السابق عن الوفد باعتباره مثلاً للمنظمة وأنه من صلبها . كما اختفت أيضاً الكثير من أشكال التوتر والتشنج التي كانت تظهر على أبواب وخلال كل جولة من جولات المفاوضات . وأصبحت مسائل تحضير الوفد للجولة الجديدة وإعداد خطط التفاوض قضايا لا تنال الاهتمام الذي كانت تناله في السابق من قبل أبو مازن وياسر وأبو علاء .

في آذار ونيسان وقبل بدء الجولة التاسعة من مفاوضات واشنطن تواصلت لقاءات أوسلو بشكل مكثف ، ودخل الطرفان في مناقشات جدية . ونشأت علاقة ثقة متبادلة بين الوفدين الفلسطيني والإسرائيلي . وراح كل طرف يكشف الآخر بهمومه ومشكلاته التي يواجهها في تحمل المسؤولية عن المفاوضات . كان أبو علاء يدقق في مواقف بيريز ورابين من قناة أوسلو وكان يشدد مع هيرتشفيلد على حضور رسميين إسرائيليين لاسيما وأن المفاوضات حول اعلان المبادئ قطعت شوطاً لا بأس به . وبالمقابل كان هيرتشفيلد يدقق في مواقف أبو عمار من القناة ، وفي مدى تأثير أبو علاء على مواقف أبو عمار ، ومدى التزام أبو عمار بما يمكن أن يتفق عليه في أوسلو . ورغم هذه الشكوك المتبادلة صمم الطرفان على عمل كل شيء لانجاح المفاوضات والوصول بها الى نتائج ملموسة . ولتحقيق هذا الهدف الكبير اتفق الطرفان على أن يعمل كل مع قيادته لتوليد القناة بأن قناة أوسلو هي الموصلة الى الاتفاق ، ولذا لا بد من ترسيمها ورفع مستوى المشاركة في اللقاءات ، كما اتفقا على تمديد فترات اللقاءات ، وصارت تمتد أحياناً فترات تزيد عن الاسبوع ، خلالها كان حسن عصفور ينتقل بين تونس وأوسلو حاملاً المقترحات الاسرائيلية وعائداً بالردود الفلسطينية أو التعديلات عليها . وعند الضرورة القصوى كان حسن يتحدث تلفوياً مع أبو مازن فقط مستخدماً رموزاً متفقا عليها .

على أبواب الجولة التاسعة احتدم صراع خفي بين المتحمسين لمفاوضات واشنطن وبين المتحمسين لمفاوضات أوسلو . بين من يريد أن يؤكد أن لا أفق لأي حل مع الوفد الفلسطيني الرسمي ، وبين من يحاول تمرير الحلول من خلال الوفد الرسمي . فقد حاول رابين فتح قناة مباشرة مع فيصل الحسيني ومع الدكتور حيدر عبد الشافي . وأبدى بصورة شبه علنية رغبته في اللقاء معهما ، أو مع أي منهما . إلا أن كليهما رفض اللقاء علماً بأن رابين وعد بأن تتم معالجة الكثير من قضايا حقوق الانسان الفلسطيني . وبغض النظر عن القناة

الشخصية لكل من الحسيني والدكتور عبدالشافى حول اللقاء مع رابين ،
فالتعليمات التي أصدرها لهما أبو عمار مباشرة كانت واضحة وصريحة : لا
لللقاء مع رابين من قبل اي من اعضاء الوفد .وحرص أبو عمار في حينها على أن
يتحدث بنفسه مع كل من الحسيني وعبدالشافى ليحسم الأمر ويفشل اللقاء .
ولم يتردد رابين عن تكرار المحاولة ، فقد كلف أفرام سنيه باللقاء مع فيصل
وحنان . وعرض عليهما فتح قناة خلفية لمفاوضات واشنطن . إلا أن مصير
محاولته هذه لم يكن أحسن من مصير سابقتها . فقد لحج أبو عمار في إحباطها
بالطريقة التي أحبط بها المحاولة الأولى . وفي حينها تبرع أبو عمار وكشف هذه
اللقاءات وفضحها علناً في وسائل الاعلام وفي الاجتماعات الفلسطينية
الموسعة ، وراح يوجه الرسائل في أكثر من اتجاه . منها ما كان موجهاً لرابين
وخلصتها أن قرار الوفد ، كهيئة وافراد ، في المسائل الوطنية موجود في تونس .
ومنها ما هو موجه لفيصل . وأكثر أبو عمار من الحديث أمام القيادة الفلسطينية
حول محاولات رابين توريط فيصل في شق الداخل عن الخارج ، وكان ينهي
كلامه بالقول : فيصل ابن فتح وابن عبد القادر الحسيني ، ورابين لا يعرف أن
ابن فتح وابن عبد القادر لا يمكنه أن يخون شعبه أو منظمة التحرير . وكان يدعو
في الوقت نفسه الى سلام الشجعان وكان يقول اسرائيل ينقصها رجل مثل
ديغول ، ويعلن عن استعدادة للقاء فوراً مع رابين .

لم ييأس رابين من تكرار المحاولة بطريقة أخرى ساهم الأمريكان في
إخراجها ، فعلى أبواب الجولة التاسعة وفي اطار التحضير لها قام كريستوفر
بجولة في المنطقة التقى خلالها في القدس مع عدد محدود من اعضاء الوفد
الفلسطيني ، وتعهد كريستوفر أن يكون اللقاء الرئيسي لقاء ثنائياً بينه وبين
فيصل ، وحتى حنان تم استثناءها من حضور ذلك اللقاء . لقد تعهد كريستوفر
أن يعطي لفيصل وضعاً اعتبارياً عله يتقدم باتجاه تحمل المسؤولية وعدم الارتهان
للخارج . في الجلسة الثنائية سأل كريستوفر عن المطالب الفلسطينية المحددة التي

إذا ما لبّيت يمكن للمنظمة أن تعود الى المفاوضات . وبسبب من عدم التحضير المسبق خرج فيصل وطلب من بقية الوفد الفلسطيني اعداد المطالب في نقاط محددة . وبسرعة ، تم وضع ست نقاط قدمت فوراً الى كريستوفر . وبعد نقاش قصير وافق كريستوفر على النقاط بعدما أجرى تعديلات طفيفة عليها وذهب الى فندقه لينام . فلديه فجر اليوم التالي سفر الى واشنطن عبر ألمانيا . وفي ذلك اللقاء ابلغ فيصل كريستوفر موافقته المبدئية ووعده بالجواب النهائي بعد الإتصال مع تونس . في العاشرة مساء حسب توقيت تونس أرسلت حنان ورقة النقاط الست . وتعهد أبو عمار أن يطلب من حنان قراءتها كاملة قبل إرسالها على الفاكس وفتح جهاز التسجيل ، وأسمع الحاضرين من لجنة متابعة المفاوضات ومن القيادة الفلسطينية كل ما قرأته وما قالت حنان عشراوي . بعد سماع صوت عشراوي ، وبعد قراءة الورقة تبانت تعليقات الحضور . غير العارفين بقناة أوصلو قالوا هذه نقاط جيدة والمهم الإلتزام بها وهي تكفي للعودة الى طاولة المفاوضات . أما أبو عمار والعارفون بقناة أوصلو فلم تعجبهم النقاط . وراحوا يشككون في نوايا كريستوفر ونوايا راين ، وكان أبو عمار هو الأكثر توتراً . وكان ياسر عبد ربه يجاريه في الكلام ويزوده ببعض النواقص في الورقة . قال أبو عمار : دخلنا يا اخوان في المرحلة العملية لشطب المنظمة وشطب هذه القيادة وشق الداخل عن الخارج ، فيصل والوفد حصان طروادة ، وفدنا ضعيف أمام الأمريكان . وأكثر ما يزعجني هي ثقته المطلق بكل ما يقوله الأمريكان تجربة فيصل والوفد ضعيفة جداً . . وراح يعدد المرات التي خدعت فيها الإدارة الأمريكية م . ت . ف . وأبرز الإتفاق مع فيليب حبيب^(٢٥) عام ٨٢ بشأن حماية المخيمات في بيروت والجنوب اللبناني وكذلك الإتفاق مع شولتس الذي تم التوصل اليه عام ٨٨ بعد إطلاق مبادرة السلام الفلسطينية . وفي حينها راح أبو عمار يشن حملة على فيصل وحنان لأنهما قدما النقاط دون العودة الى تونس . ولأنهما أعطيا الموافقة المبدئية دون العودة الى تونس . وتساءل : ألا يعني هذا أن فيصل حسم أمره ليكون البديل . وأضاف أنا مستعد لقلب الطاولة في وجه

الأمريكان ووجه رابين ، ولن أسمح للعيال الصغار بأن يقرروا مصير الشعب . ومستعد لدعوة المجلس الوطني للإجتماع . وتعهد أبو عمار تأخير إرسال الرد الى القدس ، رغم الإلحاح المتكرر من فيصل وحنان . قرابة منتصف الليل نظر أبو عمار الى ساعة الحائط المعلقة في واجهة مكتبه وقال : على كل حال الآن الساعة الثانية صباحا حسب توقيت القدس ، ولا داعي لإرسال الجواب ، لأن كريستوفر رجل كبير في السن ، وليس لديه أية هموم مثل ياسر عرفات حتى يسهر للصباح . وبهذا انفض الاجتماع ولم يتلق كريستوفر الجواب النهائي . صباح اليوم التالي بكر ياسر عبد ربه في الذهاب الى مكتبه وأعطى تصريحاً كشف فيه النقاط الست ، وسماها إقتراحاً من كريستوفر ، مما دفع الوفد الأمريكي للرد على التصريح ونفي الموضوع ، وعندها إرتاح أبو عمار . أما الوفد فقد توتر الى أبعد الحدود . وفي ذات اللقاء كان كريستوفر قد أبلغ فيصل بضرورة التواجد في واشنطن على أبواب الجولة التاسعة لأن رابين وافق على دخوله قاعة المفاوضات وترؤس الوفد الفلسطيني بصورة رسمية . لاحقاً وافق أبو عمار على مضيض وذهب فيصل الى واشنطن واستقبله كريستوفر على انفراد وكان الاستقبال والمؤتمر الصحافي المشترك الذي عقده كريستوفر مع الحسيني أشبه بالاستقبالات الرسمية وبالمؤتمرات الصحافية التي تنظم عادة لمستوى وزراء ورؤساء حكومات .

وبغض النظر عن حقيقة نوايا وأهداف كريستوفر بشأن هذا الترفيع لوضعية فيصل ، فردة فعل أبو عمار كانت سلبية الى أبعد الحدود ، وزادت من شكوكه في سلوك فيصل ونواياه . كما زادت تخوفاته من الموقف الأمريكي . وراح يكثر من الحديث والتصريحات - حول المحاولات الأمريكية - الإسرائيلية الجديدة لافشال المفاوضات ، وشق وحدة الموقف الفلسطيني وفصل الداخل عن الخارج . ورغم المواقف العلنية التي كان يطلقها فيصل حول تونس ومرجعيتها للقرار الفلسطيني ، إلا أنها لم تقنع أبو عمار ولم تزل شكوكه . ولتبرئة الذمة والذات

لم يكتف فيصّل بالتصريحات العلنية ، فأضاف في أحاديثه المطولة مع كريستوفر ومع رسل رابين ، بأنه لا يمكنه في أي حال من الأحوال تجاوز قيادة المنظمة . وكان ينصح الأمريكان والاسرائيليين بضرورة التفاوض مع قيادة منظمة التحرير مباشرة باعتبارها المرجعية وباعتبارها الجهة الوحيدة المخولة باتخاذ القرارات الكبرى . لم يكن فيصّل يعلم انه بمواقفه واحاديثه كان يعزز القناعة عند الاسرائيليين بان قناة أوسلو هي الطريق القادر على ايصال الاطراف الى الاتفاق .

ومقابل محاولات رابين وكريستوفر اعتماد قناة الوفد الرسمي واعتماد فيصّل الحسيني في التوقيع على أي اتفاق يتم التوصل اليه ، كان بيريز يعمل باتجاه آخر متعاكس مع اتجاه كريستوفر - رابين . فهو كما نقل عنه ، عبر رجاله في أوسلو ، نفّض يده من فيصّل تماماً منذ مدة ، خاصة بعد اللقاءين اللذين عقدهما معه قبل وبعد تسلمه وزارة الخارجية الاسرائيلية . فمن اللقاءين خرج بيريز بانطباع مفاده ان فيصّل ليس الرجل الذي سيتم معه توقيع الاتفاق ، وأن فيصّل أضعف وأعجز من أن يتحمل مسؤولية الوصول بالمفاوضات الى اتفاقات ، وغير قادر على تأمين موافقة عرفات على خطواته . وغير قادر على الوصول مع عرفات الى تسوية واتفاق يحصل من خلالهما على الدعم والتغطية المطلوبة من الخارج . ولهذا بحث بيريز عن قناة أوسلو . وعندما فتحت رعاها بكل طاقاته وإمكاناته وعمل على إنجاحها . ولم يتورع عن تقديم النصائح للطرف الفلسطيني في أكثر من محطة فاصلة من محطات الصراع بين القناتين . ونقل عنه أنه نصّح رابين بعدم إضاعة الوقت مع فيصّل وحيدر . وأنه طلب من كريستوفر إعطاء قناة أوسلو الفرصة وعدم اعتبارها تجاوزاً لدورهم أو التفافاً عليهم .

فالمجموعة الاسرائيلية الأولى التي فاوضت في أوسلو كانت من المقربين من بيريز . ولم يكونوا يخفون علاقتهم به وقربهم منه ومن افكاره حول التسوية . ولم يتورع بيريز عن إرسال أكثر من رسالة شفوية الى قيادة المنظمة عبر قناة أوسلو .

فعلى أبواب الجولة التاسعة أرسل يقول ان هذه الجولة حاسمة وفيها سيتقرر مصير المفاوضات ومصير أي من القناتين سوف يتم الاعتماد . ونصح بعدم الانسياق وراء ما قد يقدم خلالها من إغراءات للطرف الفلسطيني سواء أكانت في الشكل أو في المضمون ، و سواء أ جاءت من الطرف الأمريكي أو من رابين . وكشف للفلسطينيين ما يفكر به رابين والإدارة الأمريكية ، فأرسل يقول : رابين سوف يوافق على دخول فيصل الى غرفة المفاوضات . والأمريكان سوف يتقدمون بورقة رسمية . المطلوب إفشال الجولة وعدم الإنجرار وراء خطوات كهذه . وقبل إنتهاء الجولة التاسعة عاد أبو علاء من أوسلو وهو مقتنع بضرورة إفشال الجولة التاسعة بكل الطرق . ومقتنع بصدق الحديث الذي نقل عن بيريز . لأن إفشالها سيدفع رابين الى اعتماد قناة أوسلو بصورة رسمية ونهائية بديلاً لقناة واشنطن . وان النتائج الأولية التي تم التوصل اليها في أوسلو موضوعة الآن على طاولة رابين ، بانتظار إنتهاء الجولة التاسعة . بعد استماع الخلية الفلسطينية المصغرة التي كانت تشرف على مفاوضات أوسلو الى كلام أبو علاء وما نقل من أقوال ونصائح من بيريز اندفعت الخلية بكل حماسة لافشال الجولة التاسعة التي استمرت من ٢٧ نيسان وحتى ١٣ أيار ١٩٩٣ .

حقاً لقد كانت الجولة التاسعة في واشنطن ميدان صراع عنيف ، دارت فيه وخارجه اشتباكات أمريكية فلسطينية قوية . فمنذ بداية الجولة كثف الأمريكان لقاءاتهم مع الوفدين الفلسطيني والاسرائيلي . وأصبحت تتم مرة في اليوم وأحياناً مرتين . وبلغ مجموع اللقاءات الأمريكية مع الوفد الفلسطيني ما يزيد على عشرين لقاء . وذات العدد حصل مع الاسرائيليين . وبلغت الأمور مستوى أن يقول الوفد الاسرائيلي للوفد الفلسطيني ، لا أمل في المفاوضات فيما بيننا ، تفاوضوا مع الأمريكان ، وما تصلون له يكون القاسم المشترك بيننا . وخلال الجولة تسرع كريستوفر وأعطى تصريحاً بعد لقائه مع الأمين العام للأمم المتحدة بأن اختراقاً ما سيتم في هذه الجولة على المسار الفلسطيني - الاسرائيلي ،

وأضاف : هناك احتمال باختراق آخر على المسار السوري - الاسرائيلي . بعد هذا التصريح رفع أبو عمار من وتيرة العمل لافشال الجولة التاسعة ، وراح يتكلم عدة مرات في اليوم مع الوفد المفاوض دافعاً إياه للتطرف والتصلب . أصر على إعتقاد القرار ٢٤٢ كأساس للمرحلة الإنتقالية وطالبهم بمعالجة موضوع القدس والتمترس عنده كما طالبهم بالضغط على الأمريكان ومطالبة كريستوفر بالضغط على السعودية ودول الخليج لدفع مستحقات م . ت . ف . وإعادة المساعدات المتوقفة منذ حرب الخليج . ولم تتردد خلية أوصلو بقيادة أبو عمار في إصدار الأوامر الخطية للوفد الفلسطيني برفض اللقاء الثلاثي الذي اقترحه الأمريكان فلسطيني - أمريكي - اسرائيلي) ، علماً بأن هذه الصيغة كانت مطلباً فلسطينياً في يوم من الأيام . وبناء على التوجه نفسه أعطيت الأوامر للوفد الفلسطيني مباشرة من أبو عمار برفض حضور اجتماع ثلاثي لاستلام أول اقتراح أمريكي رسمي يقدم طيلة فترة المفاوضات للطرفين الفلسطيني والاسرائيلي . ويومها لم يكن موقف أبو عمار مقنعاً ، لا للوفد ولا لأي من أعضاء لجنة المفاوضات غير المشاركين في الاشراف على قناة أوصلو . وانضم الى موقفهم سليمان النجاب عضو اللجنة التنفيذية وممثل حزب الشعب فيها دون أن يعرف خلفية مواقف أبو عمار وياسر وأبو مازن وأبو علاء . ورغم أهمية الموضوع وخطورة الموقف ، لم يفكر أبو عمار في دعوة لجنة متابعة المفاوضات للاجتماع ، وفي حينها إنسجم أبو مازن وأبو علاء وياسر عبد ربه مع موقف أبو عمار . وتركوا له حرية التصرف كامله ولم يحاولوا التدخل في التوجيهات رغم المناشدات الكثيرة من قبل الوفد . مساء يوم ٥/١٢ حصل لقاء غير مخطط له في مكتب أبو مازن ، ضم أبو مازن وسليمان النجاب وياسر عبد ربه وممدوح نوفل بحثت خلاله بصورة غير رسمية آخر تطورات الموقف في واشنطن . كان واضحاً من خلال البحث أن أبو مازن وياسر وسليمان مع إفشال الجولة . ولتحقيق هذا الهدف توجه ياسر والنجاب الى مكتب أبو عمار لمساعدته في إخراج الموقف ، وضمان عدم ترده أمام الضغوطات الفلسطينية والعربية (المصرية) التي يمكن أن يتعرض لها . كنت

مقتنعاً بأن من الخطأ الفادح وضع المسارين (أوسلو - واشنطن) في حالة تصادم، فالمصلحة الفلسطينية تكمن في حصول تقدم في المفاوضات، وإن على الفلسطينيين أن يمسكوا بكل خطوة وكل إقتراح يساعد على التقدم. وكنت على قناعة تامة بأن التصادم مع الأمريكان في تلك المرحلة لا يخدم القضية. وأن دور م.ت.ف. قادم لا محالة لأن الأمريكان والإسرائيليين يدركون أن تحقيق الأمن، وحل مشكلة اللاجئين، ومشكلة القدس، ومشكلة الحدود والعمليات العسكرية، لا يمكن أن يتم بمعزل عن دور مباشر للمنظمة ولابي عمار بالذات. فلا فيصل ولا حيدر ولا كل الوفد بمقدورهم تحمل مسؤولية القول لمقاتل فلسطيني داخل الوطن أو خارجه أوقف إطلاق النار، لأن مرحلة الكفاح المسلح قد إنتهت. كنت أدرك أن لا فائدة من الحديث مع أبو مازن وياسر، ولذلك توجهت الى مكتب أبو عمار على أمل إقناعه بحضور اللقاء الثلاثي الأمريكي-الإسرائيلي-الفلسطيني لأن دخول الأمريكان مباشرة الى غرفة المفاوضات يجعلهم شركاء ويحملهم مسؤولية أكبر. وعلى أمل إقناعه أيضاً بإعطاء الوفد تعليمات باستلام الورقة الأمريكية لأن رفض استلامها (مجرد إستلام) سلوك تفاوضي غير لائق ويسيء لدور المنظمة. وبجانب ذلك كله كنت أشك في إمكانية الوصول الى اتفاق عبر قناة أوسلو التي لا يشارك فيها الأمريكان. فإذا كان من الصعب الوصول الى الاتفاق في واشنطن فالوصول له في أوسلو أصعب بما لا يقاس. في مكتب أبو عمار دار نقاش قوي وحاد بيني وبين ياسر وسليمان النجاب. قلت خلاله كل آرائي على مسمع من أبو عمار. ثم وجهت الكلام لأبو عمار مباشرة، قلت له: يا أبو عمار علينا أن نتعلم من تجربة صدام حسين، أنا لا أطالب بالموافقة على الورقة الأمريكية ولا أعرف ما فيها، كل ما أطلبه هو إرسال الدكتور زكريا الأغا مثلاً بتعليمات محددة خلاصتها أن يدخل الى الإجتماع ويعلن قبل الدخول: أنا داخل للإجتماع بتعليمات من الرئيس عرفات. وفي الإجتماع يقول أنا موجود فقط لإستلام الورقة. وبعد إستلامها يعلن إستلمت مشروعاً أمريكياً وسأرسله للرئيس عرفات

فهذا الموقف أقوى لك يا أبو عمار ، ويحميك من ردود الفعل الأمريكية . كان أبو عمار يمشي ويدور حول الطاولات . في البداية قال أنا أريد الإستشهاد هذا شأني ولا تتدخل فيه . قلت هذا ليس شأنك وحدك . ثم نظر لساعته وقال لم يبق على الموعد سوى ربع ساعة وهذا يعني أن إقتراحك جاء متأخرا . قلت لا زال معنا وقت ، فالمطلوب رفع السماعه والحديث مع واشنطن . صمت أبو عمار ، ونظر في وجه ياسر وسليمان . كلاهما قال : الوقت متأخر . ثم تحدث سليمان بحدة وقال هل أنت وياسر حزب واحد أم حزبان؟ وهل ياسر أمين عام أم لا؟ قلت إسمع يا أبو فراس أخطأت عشرين عاما عندما كنت أعتبر كلام الامين العام قرأنا كريماً ، وعندما كنت أحرص على عدم إبداء وجهة نظري الخاصة ، والتعبير عن رأيي خارج الأطر الحزبية في الجبهة الديمقراطية ، اما الآن فانا لست مستعدا لتكرار التجربة السابقة ، التعددية في التنظيم ضرورية ، والتعبير علنا عن وجهات النظر داخل وخارج منابر الحزب مسألة حيوية لحياة الحزب وضرورة وطنية . صمت سليمان النجاب وساد الصمت للحظات ، قطعه أبو عمار بضرب الجرس . دخل المرافق فقال له أطلب لي يا ابني أبو مازن . تحدث أبو عمار مع أبو مازن وروى له إقتراحه . ترك أبو عمار السماعه وقال أبو مازن قادم لطرفنا . بعد وصول أبو مازن تحدث أبو عمار مع الوفد في واشنطن وسألهم عن آخر الأخبار فقالوا له ، نفذنا التعليمات ، وأبلغنا الأمريكان بأننا لن نحضر ولن نستلم أية أوراق . عند هذا الحد غادرت مكتب أبو عمار بإتجاه منزلي . وقلت لنفسني ، ابوعمار دخل في مغامرة غير محسوبة ، يريد شطب قناة واشنطن وانهاء دور الوفد في المفاوضات ،مراهننا على نجاح قناة اوسلو .

رغم عدم اقتناع الوفد بالتعليمات إلا أنه التزم بالقرار ، ورفض إستلام الإقتراح الأمريكي ولم يحضر اللقاءات المقترحة مع الأمريكان . واضطر الوفد الأمريكي للذهاب الى مقر اقامة الوفد الفلسطيني في الفندق وتسليمه المقترح الأمريكي . وتمنى الجانب الأمريكي على الوفد الفلسطيني أن لا يرفض

المشروع علنا ، وأن يقول بأنه تسلم المقترح الأمريكي وأنه سيدرسه . وطلب كريستوفر من فيصل أن يتأخر في واشنطن لاجراء المزيد من المشاورات . إلا أن أبو عمار والمطبخ المصغر لم يستجيبوا للطلب الأمريكي . لم لا وهم يعرفون ان راين قد دخل على خط المفاوضات في اوسلو ، وان مندوبا عنه اسمه زنغر وصل قبل يومين الى اوسلو ؟

بعد منتصف الليل رن جرس الهاتف كان أبو عمار على الخط ، قال : تفضل لطرفنا ، وصل المشروع الأمريكي وستأكد من أنني كنت على حق وأنت على باطل . قلت : أخ أبو عمار أنا كالمجتهد في الإسلام ، قال شرف نحن بإنتظارك . في مكتب أبو عمار كان الحضور قد بدأوا^(٢٦) بقراءة الورقة الأمريكية ، بعد القراءة علق أبو عمار وقال هذه ورقة إسرائيلية وليست أمريكية كلكم تذكرون المشروع الإسرائيلي ، قارنوا بين الإثنين وستجدون التطابق . قلت المشروع الأمريكي سيء جدا ومرفوض . أنا لم أطلب بالموافقة عليه ولست مع كتم الموضوع ، أنا مع إصدار تصريح يقول إستلمنا المشروع الأمريكي ورفضناه ، لأنه يتطابق مع الآراء الإسرائيلية التي رفضناها على إمتداد المفاوضات . بعدها سارع ناطق رسمي فلسطيني الى الاعلان عن أن الادارة الأمريكية تقدمت بمشروع إعلان مبادئ . وان هذا المشروع مرفوض من القيادة الفلسطينية ومن الوفد المفاوض ، لأنه يتبنى وجهة النظر الاسرائيلية كاملة ، ويتجاهل المطالب والحقوق الفلسطينية . وأضاف الناطق : ومن الناحية الشكلية فالمشروع أخذ النصوص الاسرائيلية وطرحها كما هي . وفي حينها أصدر أبو عمار تعليماته للوفد بإصدار عدة تصريحات ضد المشروع الأمريكي ، وأصدر الوفد ما طلب منه . كما أصدر أبو عمار تعليمات مباشرة للوفد بالعودة الى تونس . ولم يوافق أبو عمار لفصل أن يتأخر في واشنطن ولو لبضع ساعات . . ويومها قال أمام عدد من أعضاء القيادة الفلسطينية لن يهدأ لي بال ، ولن أنام الليلة قبل أن أطمئن الى أن فيصل قد غادر واشنطن . وبالفعل عاد فيصل الى تونس بعد أن

أبلغ الأمريكان بأنه لا يستطيع التأخر ، وأنه ملتزم بالقرارات التي صدرت له من تونس . ووافق على أن يعود الى واشنطن لاحقاً وفي الوقت الذي حدده كريستوفر في الدعوة الرسمية التي وجهت له قبل مغادرته واشنطن . وبهذا نجح أبو عمار في إفهام الأمريكان بأن فيصل ليس سوى كادر من كوادر المنظمة وأنه مطيع في التنفيذ . ونجح أيضاً في دفع رابين الى الاقتناع بما سبقه له بيريز ، بأن فيصل ليس الرجل الذي سيوصل المفاوضات الى الاتفاق . ونجح ، وهذا الالهم ، في إقناع رابين باعتماد قناة أوصلو كأساس لتابعة المفاوضات الفلسطينية الاسرائيلية .

الخلية الفلسطينية تنجح في الامتحان مع رابين

بعد إنتهاء الجولة التاسعة أكثر أبو عمار من التصريحات عن فشل الجولة التاسعة ، وعن انحياز الراعي الأمريكي وخروجه عن رسالة التطمينات التي قدمها بيكر للوفد الفلسطيني . وراح يضغط باتجاه انتزاع رسالة تطمينات أمريكية جديدة تؤكد على التطمينات التي قدمها بيكر للطرف الفلسطيني على أبواب مؤتمر مدريد . وفي حينها رفض كريستوفر التجاوب مع الفكرة ، باعتبار ان ذلك يشكل سابقة في العلاقة مع باقي الأطراف ، وان التماشي معها قد يقود الى المساس بصيغة مدريد . ولم يتورع طاقم الخارجية الأمريكية عن الافصاح عن موقفهم بشأن رسائل التطمينات حيث قال مارتن^(٢٧) أندريك بكل وضوح : الوارد في رسالة التطمينات ، لا يعني شيئاً على صعيد المفاوضات ، هذه وجهة نظر امريكية من قضايا الصراع لكنها غير ملزمة لا للادارة ولا لاسرائيل . ولهذا توترت العلاقات الفلسطينية مع الأمريكان ، وشهدت نوعاً من الأزمة وخرجت رائحتها من الغرف المغلقة الى وسائل الاعلام . وفي حينها اعتقد بعض أعضاء الوفد المفاوض وبعض أعضاء القيادة الفلسطينية أن أبو عمار دخل في مغامرة غير محسوبة جيداً ، لكنه كان في الحقيقة يلعب لعبة تفاوضية محسوبة بدقة . فبينما كان يوتر على مسار واشنطن كان يسهل ويعمل بجدية على مسار أوسلو . وكان على ثقة أن الوزير كريستوفر على إطلاع كامل بما يجري هناك ، ويعرف من ابو علاء ان وزير خارجية النرويج توجه الى واشنطن وسيلتقي كريستوفر يوم ٢٨ ايار لاطلاعه على نتائج اللقاءات الأخيرة التي تمت في بلده وتحت رعايته .

قبل إنتهاء الجولة التاسعة بأيام قليلة أدرك رابين أنها ستكون فاشلة ولهذا وبعد الاطلاع على ملف أوسلو الموضوع أمامه ، أرسل يوري سافير مندوباً من طرفه للتدقيق في حقيقة ما يجري في أوسلو ، وفي الآفاق الممكنة لهذا المسار . وسافير هو مدير وزارة الخارجية الاسرائيلية ، والده كان سفيراً سابقاً لاسرائيل في

فنلندا . ومعروف عنه أنه لا يعارض إقامة دولة فلسطينية . وموقف والده من الفلسطينيين موثق في كتاب عن الفلسطينيين . أما يوري فيبلغ من العمر أربعين عاماً ، عمل سابقاً في البعثة الدبلوماسية الاسرائيلية في نيويورك ، وكان ديناميكيًا في عمله .

قبل الجولة الجديدة في أوصلو نقل أبو علاء عن لارسن ان شخصية اسرائيلية رسمية ستحضر اللقاء ، ولم يحدد اسم الشخصية او صفتها الرسمية . وبناء على هذه المعلومة اقترح أبو عمار وأبو مازن أن يسافر ياسر عبد ربه الى أوصلو لحضور اللقاء ، وفي حينها لم يتحمس أبو علاء لمشاركة ياسر دون الافصاح عن موقفه ، ورغم ذلك سافر ياسر بناء على إلحاح من أبو عمار وأبو مازن . فأبو عمار يثق في قدرات ياسر السياسي ويعرف ان ياسر لا يخفي عنه شيئاً . وللتمويه على الموضوع اختار ياسر طريق تونس - باريس - أوصلو ، إلا أنه وقع في خطأ بسيط كشف مكان تواجده ، فقد سار على العادة القديمة ، إذ طلب من المعني عن تأمين سفر واستقبال القيادات الفلسطينية من وإلى تونس أن يؤمن له التذاكر ، مع معرفته بأنه مرتبط بالأمن الفلسطيني وعلى علاقة مباشرة مع حكم بلعوي سفير فلسطين في تونس ومسؤول الأمن الفلسطيني فيها .

بالكاد وصل ياسر الى استكهولم مساء يوم ١٠ حزيران ، وإذا بحكم بلعوي يتصل بي مستفسرا عن مكان وجود ياسر . قلت له اظن أنه في باريس . قال : لا أنت لا تعرف ، ياسر في أوصلو ، يبدو أن هناك شيئاً ما يجري طبعه هناك . انكرت علمي بالموضوع ، إلا أن حكم قال أنه يشتم الرائحة منذ فترة ، وأضاف : يبدو أن العصفور شريك في الموضوع ، يقصد حسن عصفور وعلق قائلاً ، إذا صح الأمر فهذا غير معقول وغير مقبول ، لأن العصفور لا يعرف كلمتين من اللغة الانجليزية ، وأنت تعرف أنه عضو في اتحاد الطلاب ولا يصلح للمفاوضات السياسية الرسمية . قلت : لا أفهم ما تقول . قال لا مجال للحديث في الموضوع على الهاتف . لاحقاً سأحدثك ولكن من الضروري أن تدقق مع

صاحبك ، يقصد ياسر ، وقل له عندما يعود لا تلعب من خلف ظهري ، ولا من خلف ظهر أبو مروان (حكم) . أنا وقفت معكم طيلة فترة الصراع الذي عاشته الجبهة الديمقراطية ودعمت تنظيم 'فدا' واطروحاته . وختم حديثه بالقول على كل حال أنا لهم بالمرصاد ، وبسيطة ، إذا كان أبو مازن وياسر وأبو علاء يطبخون من خلف ظهري فليس صعباً علي أن أفتح خطي الخاص مع الإسرائيليين . وإذا كان كل واحد سيفتح خطأ على حسابه فأنا أقدر الناس على فتح أوتوسترادات . أنكرت معرفتي وقلت يا أبو مروان أنت تعرف ياسر عبد ربه لا يتحرك إلا بعلم ياسر عرفات وموافقة . قال هذا صحيح ، ولكن عتبي سيكون كبيراً على أبو مازن وياسر . فمن غير المنطقي ولا يدخل للعقل أن يشارك العصفور ولا يشترك أناس خبراء في اللغة والقانون وفي المفاوضات وفي الأمن . المفاوضات ليست لعبة للتسلية . . هذا مصير وطن وشعب وعلى الجميع أن يتحملوا مسؤولياتهم . في نهاية المكالمة اتفقنا أن نتابع ما يدور في الخفاء من خلف ظهر لجنة متابعة المفاوضات وأن نقاطع المعلومات فيما بيننا لاحقاً .

مساء ذات اليوم اتصل ياسر عبد ربه من أوسلو ليقول وصلت ، والأمر لم تسر كما كنا نتوقع ، غداً سأكون بطرفكم ، لم أشارك في الاجتماعات لأن الجماعة لم يحضروا . قلت له انتبهوا أبو مروان يعرف مكان وجودك ويبدو أنه يتابعكم . بعد عودته تذر ياسر من موقف أبو علاء الراض لأية مشاركة من الآخرين . قال صحيح أن من حضر من تل أبيب ليس في مستوى وزير لكن أبو علاء لا يرغب في مشاركة أي إنسان آخر . عندها جددت اقتراحي عليه بضرورة أن يتبنى فكرة انضمام خليل الهندي أو سليم تماري أو يزيد صايح للمجموعة . واضفت اسمي نبيل قسيس عضو الوفد المفاوض في واشنطن وأنيس قاسم الخبير في القانون الدولي والمعروف جيداً للقيادة الفلسطينية .

بعد بضعة أيام عاد أبو علاء من أوسلو وكان متفائلاً إلى أبعد الحدود ، حيث حصل بعض التقدم في بحث النقاط الأساسية لإعلان المباديء المقترح .

والأهم من ذلك هو ما نقله عن يوري سافير من أن فشل الجولة التاسعة رسم قناة أوصلو عند رابين . وأن القناة اجتازت اللحظة الخطرة ، وأنه اعتباراً من هذا اللقاء أصبحت الأمور تدار من قبل بيريز ورايين معا ، ونقل تصميم بيريز على الوصول بأسرع وقت ممكن الى اتفاق عبر هذه القناة . وانه قال أن الآفاق واسعة لا سيما وأن المنظمة اثبتت جدارتها في إدارة المفاوضات في الجولة التاسعة وفي حفظ الأسرار . وبسط الى أبعد حد ردود الفعل الأمريكية ووعد بمعالجة الموضوع معهم مباشرة . ونقل ابو علاء ان احد اعضاء الوفد الاسرائيلي اقترح عليه ان يوصل ابو عمار رساله مجاملة لرايين . بعد سماع هذا الخبر نسي ابو عمار كل الاخبار والمعلومات الاخرى ، وراح يشرح معاني وابعاد اقتراح كهذا وراحت الخلية تناقش مضمون الرساله وطريقة نقلها . وفي حينها رسى النقاش على ان يصوغ نقاطها ابو مازن وياسر وابو علاء وان تعرض على ابو عمار ، وأن يستدعى الدكتور أحمد الطيبي ليتولى نقلها . لاحقاً وضعت نقاط الرسالة ونقلها الطيبي الى حاييم رامون ، وزير الصحة الاسرائيلي ، وهو مقرب من رابين ، ومن حمائم حزب العمل ومن دعاة التفاوض مع المنظمة . كان الاسرائيليون متشككون في مدى دعم عرفات لقناة أوصلو ومدى تأييده للمواقف التي يطرحها ابو علاء ، وكانت مهمة سافير والرسالة المقترحة التأكد من هذه الامور ، واقناع ابو علاء ان المفاوضات تدور مع حكومة اسرائيل .

خلال تلك الفترة حان الموعد الذي حدده كريستوفر للقاء مع فيصل (بين الجولتين التاسعة والعاشرة) . من القدس اقترح فيصل أن يذهب للقاء إلا أن أبو عمار طلب منه الحضور الى تونس اولاً ، حتى يفهم الأمريكان أننا لسنا مضمونين في جيبيهم وأننا منزعجون من موقفهم ، ومن الأوراق التي قدموها في الجولة السابقة ، ومن تخليهم وتنصلهم من رسالة الضمانات التي قدموها . بعد وصول فيصل الى تونس اقترح أبو عمار أن لا يذهب فيصل ، وأن يكتف بإرسال حنان عشراوي وصائب عريقات وأن يذهب معهم غسان الخطيب

وسعاد العامري من الوفد المفاوض .

حاولت عشراوي وأكرم هنية إقناع أبو عمار بضرورة ذهاب الحسيني الى واشنطن إلا أنهما فشلا . وافتعل أبو عمار إشكالاََ معهما واتهمهما بعدم سماع كلمته . وفي حينها وجد أبو عمار في القيادة الفلسطينية وفي اللجنة المركزية لحركة فتح واللجنة التنفيذية من يؤيد موقفه ويتبناه بصورة أكثر تشدداً وأكثر تطرفاً . وبعض ذلك التأييد كان نابعاً عن قناعة أصحابه ، وبعضه الآخر فيه مسايرة لأبو عمار . وبالفعل لم يسافر فيصل وازداد التوتر في العلاقة مع الأمريكان . وضعف موقف فيصل أمامهم أكثر فأكثر . لاحقا على أبواب الجولة العاشرة سافر فيصل الى واشنطن وتعهد كريستوفر التعتيم الاعلامي على اللقاء . ولم يتورع عن معاتبة وقال له :أنا وزير خارجية أمريكا ، كثير من الرؤساء والوزراء يتمنون اللقاء معي أما أنت فترفض لقائي ؟ في حينها لم يتردد فيصل في القول هذا قرار القيادة في تونس وأنا سأبقى ألتزم بقراراتها بغض النظر عن قناعاتي الشخصية .وعاد فيصل وكرر المعروفة المعروفة حول فتح الحوار مع المنظمة ،وتسهيل عودة المساعدات المالية لها .

أواخر أيار ١٩٩٣ ،وبعد اقل من عشرة ايام على اللقاء الاخير اتصل لارسن مع أبو علاء عبر القنوات الخاصة التي رتبت ،مستخدما الشيفرة البسيطة والتعابير الخاصة المتفق عليها . ونقل له أن الجانب الاسرائيلي يطلب لقاء مستعجلاً ،وسيحضر مع المجموعة الاسرائيلية خبراء في القانون .ونصح لارسن أن يحضر ابو علاء ومعه رجل قانون . استبشرت الخلية الفلسطينية خيرا وناقشت الاقتراح النرويجي ، وجرى التداول في بعض أسماء رجال القانون الفلسطينيين إلا أن الخلية لم تتفق على اسم محدد ، وأثرت السرية على الدور النوعي لدرجة عدم العثور على رجل قانون قادر على كتم الأسرار . . وفي حينها جرى التداول من جديد ببعض الأسماء من غير القانونيين ومن راكموا خبرة في المفاوضات ، وبرزوا في إعداد الوثائق والملفات ويتقنون اللغة الانجليزية .وكالعادة وجدت

الخلية نفسها محشورة بالوقت .وبسرية القناة . وخلال الحشرة كان أبو علاء شبه متحفظ على إنضمام عناصر جديدة . إلا أنه أمام الاقتراح النرويجي وأمام موقف أبو مازن وياسر وأبو عمار وافق على إنضمام أحد اثنين يزيد صايغ أو خليل الهندي . ولم يطرح ياسر عبد ربه اسم القانوني أنيس قاسم لمعرفة المسبقة بأن أبو عمار لا يرتاح لمواقف وآراء أنيس الخالية من أية مجاملات . ويومها عاد ياسر من الاجتماع وأجرى في ساعة متأخرة من الليل اتصالاً مع خليل الهندي وسأله عما إذا كان بإمكانه السفر غداً صباحاً الى النرويج ، إلا أن خليل اعتذر بسبب ارتباطه بندوة في باريس كانت مقررة منذ مدة طويلة . بعد المحاولة مع خليل تم الاتصال مع يزيد صايغ حيث كان يتواجد في عمان وطلب منه أن يحضر نفسه للسفر غداً الى النرويج ، وهناك سيلتقي مع أبو علاء ويطلع على المهمة . وافق يزيد إلا أنه تم العدول عن الموضوع في ذات الليلة ، ولم يسافر يزيد ، بل سافر أبو علاء ومعه حسن عصفور وألحق بهما محمد أبو كوش كبديل لماهر الكرد . ومحمد أبو كوش من طاقم أبو علاء ومن العاملين معه في الدائرة الاقتصادية ، وعن سبق لهم وأن عملوا في قضايا العلاقات السياسية في الساحة الأمريكية . وأظن أن أبو علاء قدمه للخلية على أنه خبير في اللغة وخبير في مسائل القانون ، وبالحدود التي قد تلزم في مثل هذه المفاوضات .

واستبدال ماهر الكرد كان نتيجة انزعاج ابو علاء منه ،خاصة بعدما اكتشف ان ماهر فتح خطأ مستقلاً ومباشراً مع ابو عمار ، وانه يقدم له التقارير الخاصة عن المفاوضات من خلف ظهره ولا يعطيه نسخا عنها . لكن من يعرف ابو عمار لا يفاجأ بسلوك ماهر ، بل يؤكد ان ابو علاء تسرع في ابعاد ماهر عن المفاوضات .فماهر لم يقدم التقارير متبرعا من تلقاء نفسه وانما بناء على طلب مباشر من ابو عمار . فالمعروف عن ابو عمار انه شكاك ،ويجب ان تقدم له الطلبات الخاصة مباشرة ،وان تقدم له التقارير الخاصة مباشرة وان تعقد معه الخلوات الخاصة حتى ولو خلعت من كل جديد . يهتم بالتفاصيل وبخاصة تلك التي لها طابع

امني ، لا يكتفي بالعموميات ولا بالمحاضر الرسمية المنمقة . وعلى كل حال فان ما حصل لاحقا مع ابو كوش لن يختلف عما حصل مع الكرد ، فقد استدعاه ابو عمار وطلب منه تقديم تقارير خاصة .

سافر أبو علاء وحسن عصفور وأبو كوش الى أوسلو ووجدوا شخصا جديدا قد انضم للوفد الاسرائيلي . قبل الدخول الى الاجتماع يوم ١١ حزيران اختلى أبو علاء مع أعضاء المجموعة الاسرائيلية الأصلية ، الذين أبلغوه أن راين أرسل يوثيل زنغر المستشار القانوني لوزارة الخارجية الاسرائيلية . وقالوا هذا رجل مقرب جداً من راين . وراين يعتمد عليه وعلى أقواله وتقديراته ولا يعتمد تقييم يوري سافير باعتباره من المقربين من بيريز . وطلبوا من أبو علاء الهدوء وضبط الأعصاب ، وتحمل ما سيطرحة زنغر حتى لو كان في حديثه وأسئلته شيء من الاستفزاز . قالوا بصراحة اللقاء مع هذا الرجل حاسم ، اعتبروه امتحانا استفزازيا والاستفزاز مقصود . وبالفعل كانت المناقشات مع زنغر حامية كما وصفها أبو علاء ، وكان الرجل استفزازياً وكان استفزازه لا يطاق . أخرج من ملفاته ورقة أسئلة . تفاوتت الروايات في ذكر عددها ، الحد الأدنى خمسون سؤالاً والأقصى ثمانون . أسئلته كانت تفصيلية ودقيقة واستفزازية . ويومها ضبط أبو علاء أعصابه وأجاب على الجزء السهل منها والذي لا يحتاج الى تحديد مواقف جديدة ، أما البقية فحملها ابو علاء وعاد الى تونس منزعجا ومحبطا الى ابعاد الحدود . فأسئلة زنغر اعادت الامور الى نقطة الصفر ونسفت مسودتي اعلان المبادئ الاولى والثانية .

اجتمعت الخلية الفلسطينية فوراً ودرست الأسئلة ، وأبدت امتعاضها الشديد من مبدأ الأسئلة واعتبرته أسلوباً تفاوضياً فيه شيء من عدم اللياقة في التعامل وفي التفاوض . لكن ما نقله ابو علاء وحسن عصفور للخلية وما نقله ابو كوش لابي عمار عن جماعة بيريز وتمنياتهم جعل الخلية تبلغ الاستفزاز وراحت تناقش الأسئلة سؤالاً بعد سؤال . أجابت على كل الأسئلة ، ولاحقا ارسلها ابو

علاء الى لارسن في أوصلو لينقلها الى الاسرائيليين . وفي حينها اجمعت الخلية على انه بالرغم من الاستفزاز بالمفاوضات على قناة أوصلو تسير الى الامام ودخلت طورا جديدا . واعتبروا اي لقاء جديد يعني الاقتراب من الاتفاق ، وانتبهت الخلية لبعض التفاصيل التي وردت في اسئلة زنغر خاصة تلك المتعلقة بمسألة غزة- اريحا اولاً .

خلال ذات الفترة تصاعدت أعمال الانتفاضة ، لا سيما الأنشطة العسكرية ، وصدرت في اسرائيل تصريحات ومقالات متعددة حول الانسحاب من غزة . وظهرت أفكار ومواقف اسرائيلية تدعو للانسحاب من غزة من جانب واحد . احدثت التصريحات والمناقشات الاسرائيلية شيئاً من التفاعل داخل القيادة^(٢٩) الفلسطينية ، وجرت مناقشات أولية للموضوع وطرحَت أسئلة : ما العمل إذا انسحبت اسرائيل دون تنسيق مسبق؟ وهل القيادة الاسرائيلية بصدد تفجير حرب أهلية فلسطينية بالاقدام على الانسحاب من طرف واحد وبدون التنسيق في المفاوضات؟ . . الخ . من الاسئلة . ولعل حديث بعض الرسميين الاسرائيليين في حينها مع فيصل الحسيني حول موضوع الانسحاب من غزة وحديث مسؤول الادارة المدنية في غزة مع أسعد الصفاواوي حول الموضوع ذاته ، وحديث بعض أعضاء الوفد الاسرائيلي في الجولة التاسعة مع بعض أعضاء الوفد الفلسطيني حول الانسحاب من قطاع غزة ، أعطى المناقشات الفلسطينية الداخلية طابعاً جدياً رسمياً . وصدرت حوله تصريحات فلسطينية متباينة بعضها صدر عن أعضاء الوفد في الداخل والبعض الآخر عن أعضاء في قيادة المنظمة . البعض قال : أن م . ت . ف . سوف تتحمل مسؤولياتها في كل الأحوال والظروف ، وستتواجد فوراً على كل قطعة أرض فلسطينية ينسحب عنها الاحتلال . وهي على ثقة بأنها ستكون على مستوى المسؤولية وأن الشعب الفلسطيني بوعيه وتراثه قادر على إحباط كل الفتن التي يحاول الاحتلال أن يخلقها . والبعض الآخر قال أن المنظمة ستطلب من الأمم المتحدة ومن الراعيين

تحمّل المسؤولية وإرسال قوات دولية لاستلام الأراضي التي ينسحب عنها الاحتلال ، ومن ثم تسليمها الى منظمة التحرير . آخرون قالوا أن خطوة اسرائيلية من هذا النوع تعني القضاء على المفاوضات ، وتقويض لكل عملية السلام التي بدأت من مدريد . وفي حينها فوجئت القيادة الفلسطينية بطرح أبو عمار رسمياً لموضوع الانسحاب من أريحا وربطه بالانسحاب من غزة ، حيث قال أعرف أن رابين والمخابرات وقيادة الجيش الاسرائيلي تريد التخلص من غزة ، وأكد انه يتكلم بناء على معلومات . وأضاف أنا مستعد لأخذها منهم وتحمل وزرها شريطة أن يعطونا معها أريحا . أنا لست مستعداً لأخذ غزة بدون أريحا ، فالطريق الى القدس وكل الضفة تبدأ من أريحا وليس من غزة . وأضاف لا يمكن استلام غزة وحدها لأنني سأتهم فلسطينياً وعربياً بالتفريط بالضفة الغربية والقدس من أجل دولة غزة ، وهذا لا يمكن أن أسجله في تاريخي . ولكن إذا أرادوا الانسحاب من غزة بدون اتفاقات وبدون ترتيبات معنا فأنا سأدعو الأمم المتحدة لتحمل المسؤولية . وإذا لم أفلح فسأدعو المصريين لتحمل مسؤولياتهم باعتبارهم الطرف العربي الذي كان مسؤولاً عن قطاع غزة قبل وقوع الاحتلال عام ١٩٦٧ . وفي حينها راح الكثير من أعضاء القيادة الفلسطينية يتهامون فيما بينهم حول موضوع أريحا وما قاله أبو عمار . البعض قال ان أبو عمار اخذ موضوع غزة بصورة جدية ويريد أن يساوم ، رفع سعر غزة وربطها بأريحا . البعض الآخر قال ان هذا 'فيلم' ، وأصبح عندنا موضوع جديد قادر على تعطيل المفاوضات سنوات . ومن الآن فصاعداً ستسمعون الكثير من التعليمات التي سيعطيها أبو عمار للوفد المفاوض : أطلبوا الانسحاب من أريحا وغزة وإذا لم يستجيبوا فانسحبوا . آخرون قالوا ان أبو عمار يريد أن يتسلى فينا وفي الوفد ، وهو ناسي أن هناك شيئاً اسمه مرحلة انتقالية عمرها خمس سنين ، وخلالها ستبقى القوات الاسرائيلية مرابطة في أراضي الضفة والقطاع وعلى قلوب الفلسطينيين . وحده أبو عمار الذي قال يا اخوان أنا 'لا أهزأ' أنا اطرح الموضوع بشكل جدي ورسمي .

بعد أيام قليلة سافر أبو عمار الى القاهرة وهناك التقى مع الرئيس حسني مبارك بحضور عدد من أركان القيادة الفلسطينية ، وفي ذلك اللقاء جرى نقاش موضوع غزة ، وسمع أبو عمار كلاماً مصرياً رسمياً حول أن رابين ومعظم القيادات الاسرائيلية يبحثون جدياً ورسمياً مسألة الانسحاب من غزة . عندها بادر أبو عمار وطرح الخيارات الفلسطينية ومن ضمنها خيار التفاوض سرا مع المنظمة مباشرة حول غزة وأريحا بشكل مستقل . وراح يشرح للرئيس مبارك والمساعدين والمستشارين لماذا أريحا مع غزة . وفي نهاية اللقاء طلب من الرئيس مبارك أن يكلف الخارجية المصرية ومن يشاء ، باستطلاع رأي رابين حول موضوع غزة وأريحا . اهتم الرئيس مبارك ووعد بدراسة الموضوع . أما الدكتور أسامة الباز مستشار الرئيس مبارك فأخذ الموضوع بكل جدية وناقش المفهوم الفلسطيني ومبرراته بالتفصيل . وخلال الزيارة اطلع ابو عمار الرئيس حسني مبارك على اخر التطورات على قناة اوسلو .

قبل مغادرته القاهرة تلقى ابو عمار اتصالاً من أسعد الصفتاوي^(٣٠) وهو مسؤول في حركة فتح في قطاع غزة ، أبلغه فيه أنه أرسل له رسالة مهمة وينتظر منه الجواب . كانت رسالة الصفتاوي تتضمن معلومات رسمية حول اجتماع مسؤول الادارة المدنية لقطاع غزة مع الصفتاوي . وأنهم عرضوا عليه فكرة أن تتسلم حركة فتح في غزة مسؤولية إدارة الأوضاع في القطاع بعد الانسحاب منه . بعد الاطلاع على الرسالة اتصل أبو عمار مع الصفتاوي وطلب منه الحضور الى القاهرة لمناقشة الموضوع . كان الوقت منتصف الليل ولهذا حاول الصفتاوي تأجيل اللقاء الى صباح اليوم التالي . لكن أبو عمار قال له جرب الحضور الليلة لأنني سأغادر القاهرة صباح الغد .

في ضوء المكالمات الهاتفية بادر أسعد الصفتاوي بعد منتصف الليل الى الاتصال مع مسؤول الادارة المدنية الاسرائيلية في القطاع ، ووضعه في صورة مكالمته مع أبو عمار ، وطلب منه أن يسهل له الخروج فوراً من القطاع عن طريق

رفع ليتمكن من اللقاء مع أبو عمار . ورغم التعقيدات الادارية التي تواجه مثل هذه الطلب وخاصة بعد منتصف الليل ، إلا أن الصفتاوي تمكن من مغادرة القطاع ، ومن الوصول الى القاهرة قبل أن يغادرها أبو عمار .

في اللقاء مع الصفتاوي دقق أبوعمار في الأقوال الاسرائيلية ، وحمل الصفتاوي جواباً خلاصته اننا مستعدون لاستلام قطاع غزة فوراً ، شريطة أن يربط بالانسحاب من أريحا . وحملته اقتراحاً يقول بأن أبو عمار يفضل أن يبحث الموضوع من خلال مفاوضات سرية خاصة . عاد الصفتاوي الى غزة وأبلغ القيادة الاسرائيلية فحوى رسالة أبو عمار . ومن ذلك التاريخ أصبحت مسألة الانسحاب من غزة وأريحا أولاً مسألة مطروحة بصورة جدية ورسمية وعبر قناتين ، المصرية ، وقناة أسعد الصفتاوي . وقبل مغادرته القاهرة لم ينس أبو عمار أن يبلغ كلا من الرئيس مبارك وعمرو موسى والدكتور أسامة الباز بتطور المفاوضات ويضمنون ما طرح على الصفتاوي . الدكتور أسامة وحده اهتم بالموضوع ودقق بالتفاصيل وشدد على أهمية وضوح المواقف في قناة اوسلو، واعتبر ما جرى مع الصفتاوي اختباراً ليس أكثر .

من القاهرة طار أبو عمار الى عمان وهناك التقى الملك حسين . وبحث الجانبان في العلاقة المستقبلية . في ذاك اللقاء أبدى الملك حسين استعداد الأردن للدخول مباشرة في البحث التفصيلي حول العلاقات الكونفدرالية وقال لأبو عمار : دعنا نتقدم ، ونقيم الكونفدرالية ببرلمانين ، وحكومتين ، وعاصمتين ، مع مؤسسات الاتحاد الأخرى ، برلمان ، حكومة ، وجيش ، وهيئة قيادة عليا مشتركة تقود الاتحاد وتوجهه . وعلى هامش الاجتماع أسر أبو عمار للملك بأن هنالك مفاوضات سرية تجري الآن بين المنظمة والحكومة الاسرائيلية وخلال الحديث تعمد أبو عمار تبسيط الموضوع وتصغيره . وفي حينها اعتبر ذلك اللقاء من المنهج اللقاءات التي عقدها الملك حسين وأبو عمار . حيث اتفقا على الشروع في بحث جدي وتفصيلي حول الكونفدرالية . واتفقا على دعوة اللجنة العليا

الأردنية - الفلسطينية للاجتماع خلال فترة اسبوعين . لكن أبو عمار تريث بعدها في التحرك وفي تنفيذ ما اتفق عليه مع الملك . وعندما تم الاستفسار منه لماذا هذا التريث خاصة وأن دخول الأردن في كونفدرالية الآن مع المنظمة ورطة كبيرة له ؟ قال : الكونفدرالية ورطة للأردن عندما أكون في أريحا وغزة ، ولكنها الآن لا تعتبر ورطة ، وستكون غير متكافئة ، عندما تقوم ونحن في تونس أو عمان . وفي حينها تهاجم بعض الحاضرين وقالوا يبدو أن أبو عمار لديه معطيات جديدة حول احتمال موافقة رابين على تسليم غزة وأريحا للمنظمة . آخرون قالوا ان أبو عمار يكتفي بغزة وبما هو أقل من غزة وذكروا بدولة الفاكهاني التي أقامتها منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت قبل حرب ٨٢ .

بصورة غير متوقعة اتصل الوسيط النرويجي لارسن أوائل تموز ليبلغ أبو علاء أن الطرف الآخر جاهز لاستئناف المفاوضات ويقترح أن يحضر الجانب الفلسطيني فوراً وهو جاهز لاجتماع طويل وللقاءات متواصلة .

قبل سفر مجموعة أوصلو عقدت الخلية اجتماعاً ناقشت فيه القضايا التي يجب التركيز عليها في المفاوضات . وفي حينها أصر أبو عمار على أن تطرح قضية الانسحاب من غزة وأريحا أولاً ، وأن يكون هناك ممر آمن بين المنطقتين . ورغم موافقة الجميع على طرح الموضوع إلا أنهم باستثناء أبو عمار كانوا يعتبرون إثارة موضوع أريحا تعقيداً للمفاوضات ولم يكن أي منهم مقتنعاً بإثارة الموضوع . واتفقوا على أن يحمل أبو علاء الى أوصلو تصوراً فلسطينياً متكاملاً صيغ في نقاط محددة . ويومها لم يضع أبو مازن مسألة الانسحاب من غزة وأريحا ضمن النقاط ، إلا أنه سجلها في نهاية الورقة كنقطة مستقلة يرى الجانب الفلسطيني أنها قابلة للتفاوض والنقاش . قبل سفر أبو علاء قال له أبو مازن ا طرح موضوع غزة وأريحا من زاوية الاستطلاع وجس النبض وليس أكثر .

في أوصلو وجد الوفد الفلسطيني زنغر أمامه فاصيب بشيء من النكد والتكدير . إلا أن الآخرين من الوفد الاسرائيلي كانوا فرحين ، وأبلغوا أبو علاء

بأن رابين دخل على الخط بصورة رسمية ، وأن الاجابات الفلسطينية على الأسئلة أعطت نتائج ايجابية وأقنعت رابين بأن هناك أرضية صالحة للتفاوض في هذه القناة ، وختموا حديثهم بالقول 'نحتم في الامتحان ونهنتكم على النجاح' . مساء ٣ تموز عقد الاجتماع بين الطرفين ، وفوجيء الجانب الفلسطيني ان زنغر قدم ومعه مشروع اعلان مبادئ متكامل ومصاغ بلغة قانونية محكمة . بعد قراءة المشروع توتر ابو علاء وتوترت الاجواء . فمشروع زنغر نسف عمليا كل المشاريع السابقة ، وأعاد النقاش الى نقطة البداية . في البداية رفض ابو علاء اعتماد المشروع كأساس للنقاش وطالب بالعودة للمشروع الاول الذي اعد بصورة مشتركة مع هيرتشفيلد . بعد مناقشات حامية استمرت عدة ايام تخللتها تهديدات بالانسحاب تم حصر نقاط الخلاف الاساسية . منها ايراد نص واضح حول تنفيذ القرار ٢٤٢ في مفاوضات المرحلة النهائية ، والربط بين مفاوضات المرحلة النهائية والمرحلة الانتقالية ، وحول موقع القدس في الانتخابات وايرادها كقضية مطروحة في مفاوضات الحل النهائي ، وكذلك مسألة النازحين وحقوقهم في المشاركة في انتخابات المجلس الانتقالي . أما وضع المستوطنات في المرحلة الانتقالية فقد تجاوزها الجانب الفلسطيني منذ الجولة الاولى التي حضرها زنغر .

بعد حصر نقاط الخلاف اتفق الجانبان على السفر على امل اللقاء من جديد بعد اطلاع قيادتهما على حصيلة النقاش .

بعد هذه الجولة الساخنة والمنتجة من مفاوضات اوسلو ، قرر وزير خارجية الترويج للدخول على خط المفاوضات مباشرة . ففي يوم ١١ تموز وصل هولست الى تونس في زيارة رسمية واصطحب معه لارسن ومنى واخرين . وخلال زيارته التقى بأبي عمار ، وكان همه كما قال ياسر عبد ربه ان يتأكد من أمرين : الاول مدى دعم ابو عمار لقناة اوسلو ولما يطرح فيها ومدى اطلاعه على ما يدور فيها . والامر الثاني هو مدى استعداد ابو عمار للالتزام الكامل بتنفيذ ما يمكن التوصل اليه والاتفاق عليه . بعد اللقاء خرج هولست ولارسن ومنى مرتاحين

تماما حيث تأكدوا ان ابو عمار متابع لكل التفاصيل اولا باول . ونجح ابو عمار في تبديد مخاوفهم وفي اقناعهم بأهمية ربط اريحا مع غزة وتامين ممر امن بينهما يعبره جميع الفلسطينيين .

من تونس ارسل هولست لارسن وزوجته منى الى اسرائيل ومعهما رسالة خطية يشرح فيها نتائج لقائه مع ابو عمار ،ومع الرسالة لنجح لارسن في طمأنة الاسرائيليين حول موقف ابو عمار ،ونقل لهم تشدده حول ربط اريحا مع غزة .

غزة- أريحا محور مفاوضات مكثفة

بعد أسبوع واحد (١٠ تموز) التقى الطرفان من جديد ، وقد تم لقاءهما هذه المرة تحت وطأة تسرب بعض الأخبار عن مفاوضات سرية بين م . ت . ف . وإسرائيل . قبل بدء الاجتماعات في أوسلو فهم الوفد الفلسطيني أن زنغر هو الذي سيتولى قيادة المفاوضات ، بالرغم من وجود سافير . وبالفعل بادر زنغر الى الحديث وأكد أن رئيس الوزراء - رابين - اطلع على الموقف الفلسطيني ، وتم تصنيفه بعد الدراسة الى ثلاثة أقسام . قسم مقبول ، وقسم آخر مرفوض كلياً ولا يمكن الحديث عنه إطلاقاً . وقسم ثالث قابل للأخذ والعطاء . وراح زنغر يضرب الأمثلة حول المرفوض والمقبول . وبعد نقاش طويل وصعب تخللته توترات وتشنجات ، طرح الوفد الفلسطيني المشروع الذي حمله من تونس . فتكهرب الجو وتوتر زنغر الى أبعد الحدود وقال هذا نفس لهذه القناة واتهم المنظمة بالتراجع عن مواقفها ، وبعد نقاش عسير باشر الطرفان بإعادة النظر في مسودة إعلان المباديء . وراحا يفرزان نقاط الخلاف عن نقاط الاتفاق . وفي حينها حصرت نقاط الخلاف ب ٢٩ نقطة معظمها جاءت مع الورقة الفلسطينية الجديدة ، ومع النقاش تم تقليصها الى ثمان أو تسع نقاط أساسية . بعدها غادر الطرفان أوسلو واتفقا على العودة للقاء من جديد . وقبل المغادرة نصح زنغر الجانب الفلسطيني بعدم إثارة موضوع أريحا من جديد ، وتساءل هل أريحا مطروحة بشكل جدي ورسمي أم أنها طرحت للاستفزاز ؟ ورغم كل الجهود التي بذلها أبو علاء لتفسير مسألة أريحا وأهميتها في إطار الاتفاق إلا أن زنغر عاد وكرر نصيحته وطالب الجانب الفلسطيني بنسيان الموضوع ، ونسيان مسألة الممر الواصل بينهما .

بعد أقل من ٧٢ ساعة حضر أكرم هنية الى مكتب أبو عمار ، واختلى به ونقل اليه مشروعاً من عدة نقاط قدمه رابين الى فيصل الحسيني بواسطة أفرايم سنيه ، داعياً إياه للتفاوض حولها في قناة سرية مستقلة عن قناة واشنطن .

اطلع أبو عمار على النقاط وقبل أن يستكمل قراءتها طلب من أكرم إبلاغ فيصل بوقف كل الاتصالات مع الاسرائيليين فوراً ، سواء أكانوا رسميين أو غير رسميين . وقال إن رابين يلعب ويريد أن يدمر علاقتنا مع الأمريكان . ويريد شق الداخل عن الخارج . وطلب إبلاغ فيصل بالحضور الى تونس .

بعد اطلاعها على الورقة التي تلقاها فيصل من رابين ، تأكدت خلية أوصلو أن رابين لا زال يراوغ ، ويناور ، ويحاول الالتفاف على قناة أوصلو من خلال الوفد وفیصل بالذات . فنقاط رابين هي النقاط الفلسطينية ذاتها التي حملها أبو علاء معه الى أوصلو . صدمت الخلية من سلوك رابين وجميعهم اعتبروا أن الجانب الاسرائيلي ، ورابين بالذات لا زال يتلاعب وهو غير جاد في المفاوضات مع المنظمة . ولا زال يراهن على امكانية التوصل الى حلول مع الوفد تعفيه من الاعتراف بالمنظمه . وتوصلوا الى شبه قناعة بأن لا أمل يرجى من قناة أوصلو واقترح أبو عمار عدم الذهاب الى هناك من جديد . وفي حينها اتفقوا على إبلاغ الراعي النرويجي بأن الجانب الفلسطيني غير مستعد لحضور أي لقاء جديد ، بسبب تلاعب رابين المهين للفلسطينيين والنرويجيين معاً . وبالفعل أبلغ أبو علاء لارسن إستياء الجانب الفلسطيني من تصرف رابين ونقل له فحوى قرار القيادة الفلسطينية .

اوائل تموز ٩٣ عقد في روما مؤتمر حول قضايا نسوية ، حضرته حنان عشاوي عن الجانب الفلسطيني وشولاميت ألوني عن الجانب الاسرائيلي . على هامش المؤتمر التقت ألوني مع حنان وأبلغتها أنها ترغب في اللقاء مع أبو مازن ، وهمست في اذنها بأنها مكلفة من رابين بفتح قناة سرية للمفاوضات بين المنظمة والحكومة الاسرائيلية . ويومها اتصلت حنان مع أبو مازن ونقلت له الرسالة ، إلا أنها لم تنتظر طويلاً حيث أعطاها أبو مازن الجواب فوراً ، أنا لا أريد اللقاء ، وقال سأكلف محمود درويش بذلك . وبشكل سري التقى محمود درويش وحنان مع ألوني وكررت ألوني ما قالته لحنان . بعد اللقاء مباشرة حضر محمود وحنان الى

تونس . وقبل وصولهما كان أبو مازن وأبو علاء قد استفسرا من أركان قناة أوصلو الأساسيين في الجانب الاسرائيلي عما قالته شولاميت آلوني ، فكان الرد لا تصدقوها إطلاقاً أقفلوا الموضوع معها فوراً ، رابين يحاول جس النبض من جديد . وحديثه مع الونى له وظيفة داخلية وهو في الوقت نفسه اختبار للفلسطينيين ومدى تمسكهم بقناة أوصلو . وتضمن رد مؤسسي قناة أوصلو من الجانب الاسرائيلي : ولعلمكم فان رابين لا يطبق أن يرى الونى ، وهو يشتم الساعة التي اضطر فيها الى التحالف معها ومع حزبها . وأنه كلف بيريز باستدعائها ، وطلب عودتها الى البلاد فوراً .

في تونس سمعت حنان كلاماً مغايراً للذي سمعه محمود درويش . قيل لها في سياق التضييل : يا حنان ، رابين لا يريد أي حل لا مع المنظمة ولا مع الوفد . رابين يلعب ، ويعمل على شق الموقف الفلسطيني وضرب الوفد بالمنظمة ، ويعمل أيضاً على توتير علاقتنا مع الأمريكان أكثر مما هي متوترة الآن . نحن ليس من مصلحتنا تدمير العلاقة التي بنيتها أنت وفصيل وبقية الشباب مع الأمريكان . الأمريكان لن يقبلوا أن تتم مفاوضات بمعزل عن مشاركتهم ، ولن يسمحوا لأية حلول أن تمر دون أن يكونوا طرفاً أساسياً في صياغتها ، ونحن لا نتوقع الوصول الى أي اتفاق مع الاسرائيليين ؛ الشيء الوحيد الممكن هو أن يطرح الأمريكان مشروعاً مقبولاً وأن يفرضوه على الطرفين . وسمعت حنان أيضاً كلاماً قاسياً ضد فيصل الحسيني ، حيث اتهم بأنه يكاد يتحول الى العوبة بيد الاسرائيليين والأمريكان . لقد كانت خلية أوصلو تعتقد ان عشاوي والحسيني وكل أعضاء الوفد ضد اية مفاوضات غير المفاوضات الجارية في واشنطن ، وكانت تتهمهم بانهم لن يتورعوا عن افشال قناة أوصلو لأنهم غير مشاركين فيها . أما محمود درويش فتم إطلاعه على آخر ما جرى في أوصلو . وطلب منه أن يكتفم الموضوع تماماً عن حنان ، ومحمود كان على علم بقناة أوصلو ، حيث سبق لأبو عمار وأطلعه عليها خلال زيارته لإحدى الدول الأوروبية . إلا أنه لم

يكن من المواظبين والمداومين الدائمين في خلية أوصلو . ومشاركته كانت متقطعة وكانت بالمناسبات ، وخاصة عندما كان يحضر من باريس الى تونس لحضور أحد الاجتماعات الفلسطينية ، وهي لم تكن على أية حال قليلة في تلك الفترة . وأغلب الظن أنه لم يكن راغباً في صنع الحلول ، لاسيما وأنه يعرف ان موازين القوى بين الطرفين لا تسمح بالوصول الى اتفاق متوازن يلبي الحدود الدنيا من الحقوق الوطنية الفلسطينية . خلال ذات الفترة نشرت جريدة الحياة اللندنية -اوائل تموز- خبراً نقله مراسلها في نيويورك يقول أن هناك مفاوضات فلسطينية-اسرائيلية تجري منذ مدة طويلة بين الحكومة الاسرائيلية ومنظمة التحرير في أوصلو . فور ظهور الخبر اتصل ياسر عبد ربه يستفسر حول ما إذا كان التسريب من طرفنا . قلت له وهل يعقل ، أنا لست مجنوناً ، قال اعتقدت أنك تكلمت مع صديقك المحرر في جريدة الحياة بصورة شخصية وهو الذي فضح وسرب الموضوع . قلت صداقتي مع المحرر قديمة ، لكنني لم اطع احداً حتى الان على ما يجري في أوصلو سوى الدكتور جميل هلال مدير دائرة الاعلام .

مساء ذلك اليوم اتصل صديقي المحرر في جريدة الحياة اللندنية قبل أن أتصل به ، وسأل عن مدى صحة ما نقله مكتب 'الحياة' في نيويورك ، قلت له كنت أفكر بالاستفسار منك حول الموضوع . قال ولكن من المؤكد هناك اتصالات أخرى غير التي يجريها الوفد في واشنطن ، قلت صحيح عن طريق المصريين ورحلة أسامة الباز الأخيرة هي أهم ما في الموضوع . قال هل تعرف باللقاء الذي تم في باريس بين حنان ومحمود درويش والوزيرة الإسرائيلية شلوميت ألوني ، قلت صحيح وتبنييت وجهة نظر مؤسسي أوصلو من الجانب الاسرائيلي حول موضوع ألوني . واستفسرت منه عن مصدر الخبر الذي وصلهم من نيويورك ، وفهمت أنه من شخصيات يهودية رسمية تعمل في الادارة الأمريكية سرّبه لمكتب 'الحياة' في نيويورك . وقال اظن مصدره بعض المقربين من دنيس روس .

في المساء توجهت كالعادة الى مكتب أبو عمار فوجدت ياسر قد سبقني الى هناك ، ولتبرئة ذمته تعمد ياسر سؤالي أمام أبو عمار عن معلومات جريدة الحياة حول التسريب . وعندما رويت ما قاله المحرر في الحياة فشن أبو عمار هجوماً عنيفاً على 'الربايات' الأربعة المساعدين لكريستوفر في شؤون الشرق الأوسط . وكان يقصد دنيس روس ، وألون ميلر ، ومارتن انديك ، ودان كيرتزر . ولم تكن تلك التسريبة هي الوحيدة التي يقوم بها بعض العاملين في الخارجية . فقبل انعقاد الجولة العاشرة من المفاوضات سأل دنيس روس حنان عشاوي لماذا لا يتم نقل ما يتم التوصل اليه في القناة السرية وأولاً بأول الى طاولة المفاوضات في واشنطن؟ . يومها فوجئت حنان بالسؤال وردت عليه بطريقة دبلوماسية أفهمته أنها مطلعة ، لكن لا شيء نهائياً حتى الآن . ومباشرة أرسلت الى أبو عمار نص ما دار بينها وبين روس من حوار . وفي حينها لم ينتظر أبو عمار عودة حنان وأبلغها على الهاتف أن هدف روس لا يختلف عن هدف رايبين ، وأن روس يحاول قطع الطريق على الجهود البسيطة التي يقوم بها الأخوة المصريون .

بعد اقل من اسبوع عاد لارسن واتصل مع ابو علاء وابلغه ان الجانب الاسرائيلي يطلب لقاء جديداً . ونقل له تمسك الاسرائيليين بقناة اوسلو ، وانهم راغبون في الوصول الى اتفاق حول اعلان المبادئ باسرع وقت . وانهم قادمون وجاهزون لمفاوضات طويلة ، ومصممون على عدم الخروج الا بعد الاتفاق .

درست الخلية رسالة لارسن ، ووافقت على متابعة المفاوضات ، وعلى سفر أبو علاء ، ولم تحمله أية أوراق جديدة ، باعتبار ان ما قدم سابقاً من أوراق يكفي . ومسودة اعلان المبادئ لا زالت سارية المفعول رغم تسريبها الى الحسيني . وقبل انتهاء اجتماع الخلية لم ينس أبو عمار أن يؤكد على ابو علاء ضرورة تركيز البحث والنقاش على موضوع غزة وأريحا أولاً ، وعلى الممر الامن ، وأن يجعلها قضايا رئيسية حتى لو تعطلت المفاوضات . في حينها لم يعلق أبو مازن ولا أبو علاء ولا ياسر على موقف أبو عمار ولكنهم بعد انفضاض الاجتماع

وقبل سفر أبو علاء ومن خلف ظهر أبو عمار قالوا له أبدأ بورقة النقاط العشر كأساس لإعلان المباديء أما مسألة غزة وأريحا أولاً فاتركها الى آخر جدول الأعمال ، ولا مانع من الاستفسار عن الرد حولها باعتبارها نقطة من النقاط التي اثيرت في آخر اجتماع . وفي حينها كان واضحاً أن أعضاء الخلية مجمعون على استحالة موافقة رابين على موضوع أريحا ، ومقتنعون بأن رابين مستعد للانسحاب من غزة لأنها عبء على إسرائيل وهو يريد التخلص من هذا العبء لا سيما وأن التخلص من غزة لا يثير له اشكالات داخلية كبرى . فالعديد من أركان الليكود وعلى رأسهم أرينز وزير الدفاع سابقاً سبق لهم وطرحوا الموضوع . وكان أعضاء الخلية يعتقدون بأن أبو عمار سيوافق على ما هو أقل من غزة ، لأنه يبحث عن قطعة أرض يقيم عليها دولة مراسم .

حقاً لقد مثلت غزة كابوساً للإسرائيليين . فعلى أرض لا تتجاوز مساحتها ٣٦٠ كم معظمها رملية يعيش ما يقارب المليون انسان ، معظمهم لاجئون يعيشون في مخيمات بائسة تنقصها كل مقومات الحياة . في عام ١٩٥٦ احتلت اسرائيل قطاع غزة وواجهت مقاومة عنيفة ، وفي حرب عام ١٩٦٧ عادت واحتلت القطاع ضمن احتلالها لسيناء والضفة الغربية والجولان ، وعلى مدى بضع سنوات بقيت غزة تقاوم الاحتلال بعنف حتى منتصف السبعينات . وفي الثمانينات واصلت غزة ازعاج وارهاق جيش الاحتلال الاسرائيلي . وفي مطلع كانون الاول من عام ١٩٨٧ تفجرت الانتفاضة من هناك وامتدت الى كل انحاء الضفة الغربية . وعلى مدى ربع قرن من الاحتلال كانت غزة سوقاً رخيصة للعمالة الا انها كانت عبئاً ثقيلاً على كل الحكومات الاسرائيلية من عام ١٩٦٧ وحتى عام ١٩٩٤ .

على ابواب الجولة العاشرة من مفاوضات واشنطن قام كريستوفر بزيارة المنطقة مرة اخرى بهدف التمهيد للجولة . وخلال لقائه الثنائي مع فيصل الحسيني في القدس ، استفسر منه حول حديث ابو عمار عن الانسحاب من أريحا بالتزامن مع غزة . وفي حينها شرح فيصل للوزير الأمريكي أهمية أريحا وتناولها من

مدخل التمهيد الفوري للكونفدرالية مع الأردن . وفي ذاك اللقاء أكد كريستوفر على فيصل بعقد لقاء ثنائي في واشنطن قبل الجولة العاشرة ، وافق فيصل وحددا موعداً لذلك .

في أواسلو تم استئناف المفاوضات من جديد يوم ٢٤ تموز ، وبعد نقاش قصير وافق زنغرو ومن معه على فكرة الانسحاب من غزة وأريحا - من حيث المبدأ - واشترطوا ان يكون الانسحاب من أريحا رمزياً وفي حدود المدينة فقط . وسجلت في حينها باعتبارها نقطة من النقاط العامة المتفق عليها والتي تحتاج الى تفصيل في ملحق خاص بها . وبجانب غزة - أريحا اولاً ناقش الطرفان ذات النقاط التي بقيت معلقة من الاجتماع الأخير . وفي حينها اضاف زنغر مسألة امن المستوطنات وأمن المستوطنين وتنقلاتهم ، وحدود مناطق الانسحاب كنقاط تفصيلية اضافية بحاجة الى نقاش تفصيلي وثبتت نهائي .

بعد رفع الجلسة اتصل أبو علاء مباشرة مع تونس وأبلغ أبو عمار وأبو مازن وياسر ، كلا على إنفراد بأن رابين وافق من حيث المبدأ على فكرة غزة أريحا أولاً ، ونقل لهم آخر ما توصلت اليه المناقشات . لم يصدق أبو عمار الخبر كما لم يصدقه أبو مازن ولا ياسر . بعد مكالمة أبو علاء اتصل ياسر معي وقال هل تصدق إذا قلت لك أن رابين خيب أملنا وأعطى لأبو عمار ممسكاً علينا ، وأنه وافق على الانسحاب من أريحا وغزة؟ وأن هذا الموضوع لم يجر التوقف عنده مطولاً في أواسلو . وخلال المكالمة شكك ياسر في نوايا وأهداف رابين من الانسحاب ، وقال : على كل حال موافقته المبكرة والسريعة على غزة أريحا سيكون ثمنها كبيراً في المواضيع الأخرى . فأنت تعرف ماذا يعني هذا الموضوع عند أبو عمار . في المساء توجهت الى مكتب أبو عمار لأستطلع الخبر وردود الفعل عليه . كان ذلك في الثامنة الا ربعا وفي مثل هذا الوقت يكون مقر أبو عمار شبه خال من الزوار ، فالكل يعرف أن شغله الجدي يبدأ بعد الثامنة مساء . ولابي عمار بعض العادات الثابتة فرضت نفسها على العمل الفلسطيني

منذ ما يزيد عن عشرين عاما ، وتأثرت بها حياة معظم القيادات الفلسطينية التي عملت مع ابو عمار منها السهر حتى الصباح ،فهو لا ينام قبل الرابعة صباحا ، يتناول طعام العشاء قبل اوبعد منتصف الليل بقليل . يصلي صلاة الفجر ثم ينام . ينهض من نومه ما بين الثامنة والنصف والتاسعة صباحا . يتناول فطوره بصحبة ضيوفه في العاشرة صباحا . ويبدأ عمله في الحادية عشرة صباحا ، ويتناول وجبة الغداء في الثانية والنصف من بعد الظهر . وبعد الغداء يوقف كل اعماله لينام من الثالثة والنصف وحتى السابعة مساء . بعض المقربين منه توقعوا بعد زواجه حدوث تبدل وتغير فيها الا انه خيب ظنهم . وكثيرا ما سببت عادة العمل في الليل ازعاجا للكثير من الصحفيين والسياسيين . المحروم كمال جنبلاط كان واحدا منهم ، وكان يتساءل لماذا تتشابه القيادة الفلسطينية في عملها مع العاملين في النوادي الليلية ١٩

قبل دخولي الى غرفته استفسرت كالعادة من الحراس عن الموجود عند أبو عمار . . قالوا لا أحد . دخلت فوجدته كالعادة يمشي ويدور خلف الطاولات لممارسة رياضة المشي . فهذه هي المساحة المتوفرة له في مقره في تونس لممارسة هذا النمط من الرياضة وهذا هو وقتها المفضل عنده . فور دخولي قال بصوت عال : ' وافقوا على غزة وأريحا ، وافقوا على غزة وأريحا ' . قالها بفرح وانفعال وكان وجهه منشرحاً . وأضاف : أصحابك كلهم كانوا ضد طرح أريحا وهم لا يعرفون أبعاد الإنسحاب من أريحا . ألم يبلغك ياسر . كان يتحدث معي وكأنني في الخلية المصغرة ، يبدو أنه كان على ثقة من أن ياسر كان يطلعني على كل شيء . قلت : ياسر تحدث معي بطريقة ممغمة ولم أفهمه جيداً . قال : رابين وافق رسمياً على غزة وأريحا . وهذه ليست المرة الأولى التي أتخذ فيها قرارا ويكون كل الاخوان ضده . عندما طرحت أريحا مع غزة كلكم في القيادة وفي لجنة متابعة المفاوضات ضحكتم وقلتم أبو عمار يريد تعقيد الأمور . كان يتكلم ويدور حول الكراسي والطاولات ، رحت أسير في الجهة المقابلة له وقلت اذا

صحت فهذه كبيرة يا أخ أبو عمار، وهي تعني دولة مهما تأخر تسليمهم بوجودها. قال طبعاً ولكن المهم ان تتسلمها المنظمة، الاخوان في الداخل ليسوا بمستوى الحمل، المسؤولية عبء كبير فكيف اذا كانت دولة؟. جلس خلف طاولته وراح يقرأ في الأوراق، فجأة رفع رأسه وتناول قلمه الأحمر وقال وبهذا القلم سيتم التوقيع وإلا لا اتفاق. المهم أن يصمد الاخوان معي وأن لا يخذلوني وأضاف على كل حال لن أمكنهم من ذلك. الاخوان مع الأسف الشديد لا يعرفون فن التفاوض، تذكر المفاوضات مع فيليب حبيب خلال حصار بيروت عام ٨٢، يومها لو استمعت لهم لما كنا الآن أحياء. تذكر، يومها وافق بعض الذين يزاودون علينا الآن على الانسحاب بدون سلاح وبعضهم وافق على الخروج من بيروت بلباس الصليب الأحمر الدولي، وسمى احمد جبريل كمثال، قلت وماذا بشأن المستوطنات والجورس دكشن (الولاية) والسيادة على الأرض. قال كله بعد غزة وأريحا أصبح تفاصيل. المهم الآن النجاح في الخطوة الثانية وفرض هذا القلم في التوقيع. ورفع قلمه الأحمر ثانية وقال توقيع هذا القلم يعني دولة، توقيع سواء يعني الله أعلم!

أثناء هذا الحديث دخل بعض الاخوان من الزوار والمراجعين العاديين فغير الكلام. لم أنتظر طويلاً، غادرت مسرعاً أبحت عن ياسر فوجدته عند أبو مازن هو والرواد الآخرون المعروفون. كان الحديث يدور حول رحلة كريستوفر وإمكان أن تكون الجولة العاشرة جولة اتفاق إذا عرف كريستوفر كيف يتصرف. قلت وإذا لم يعقدها أبو عمار، فهو يريد التوقيع شخصياً على أي إتفاق حتى لو تم التوصل اليه في المريح. رد أبو مازن وقال قولوا له ليس كل مرة تسلم الجرة، وسبحان مغير الأحوال. وراح أبو مازن يذكر الحاضرين بمواقف أبو عمار من المفاوضات قبل بدئها وقال ان بعض الناس يساقون الى اللجنة بالسلاسل والأخ أبو عمار واحد منهم. أبو عمار كان ضد الدخول في المفاوضات لأنه كان يخشى من القيادة البديلة، ابو عمار كان مشطوباً بعد غلظته في حرب الخليج، والآن صار

يريد التوقيع على أي اتفاق . صحيح أن بعض الناس لا تعطى وجهها . . أحد الحاضرين قال على كل حال أطمئنا لا اتفاق ولا تقدم في المفاوضات إلا إذا دفعت لأبو عمار الأموال المطلوبة ، ولا تستبعدوا أن يرفض أبو عمار أخذ دولة مستقلة إذا عرضت عليه إلا إذا كان ضامناً أموالاً لهذه الدولة . وسيعرف كيف يبتز رابين والأمريكان . رد أبو مازن وقال أنا أتعهد بإعادة العلاقة مع السعودية ومع كل دول الخليج ، شرط أن لا يتدخل أبو عمار وأن ينفذ ما أطلبه منه لمدة ثلاثة شهور فقط ، ومطالبي ليست كبيرة . أولها وقف الهجمات الاعلامية والمنشآت السيئة التي تصدر يومياً صفحات جريدة 'القدس' ^(٢١) اللندنية . هذه الجريدة يوجهها الآن عبد الله حوراني عضو اللجنة التنفيذية للمنظمة والآخر عبد الله عامل رفضاوي هذه الايام . وثاني الطلبات ، أن يوقف أبو عمار حديثه في المضافات وأمام من هب ودب عن أمراء ومشايخ الخليج ، فكل ما يقوله يصل اليهم . وثالثها أن لا يضع شروطاً تعجيزية لمن ستدفع الأموال . احد الحاضرين قال هذه شروط يضعها قائد عام ولا قائد عام إلا قائد عام واحد ، هو القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية .

استقالات الأخوة الثلاثة

بعد الجولة التاسعة من مفاوضات واشنطن لم تكن الأمور الفلسطينية الداخلية طبيعية على الإطلاق . فالوفد المفاوض في واشنطن وخاصة فيصل الحسيني وصائب عريقات وحنان عشاوي لم يستوعبوا مواقف أبو عمار خلال تلك الجولة ، ولم يستوعبوا مواقفه بعدها ، لا سيما وأنهم لمسوا أن أبو عمار متخوف منهم ومن صلاتهم مع الأمريكان ، ونقل إليهم اتهاماته لهم بأنهم متساهلين مع الأمريكان ، وأنهم يعدون انفسهم ليكونوا البديل للقيادة الفلسطينية . وانه في الوقت الذي يدفعهم فيه نحو التطرف والتصلب بيد هو مرونة فائقة تصل حد الاستعداد لتقديم التنازلات . ولمسوا أنه يعتمد توتير العلاقة مع الأمريكان وإظهارهم وكأنهم أدوات تنفيذية بسيطة وأنه يشغل نبيل شعث كقناة بديلة وموازية لهم مع الأمريكان . ويدفعه عبر تعليمات محددة للتصادم مع فيصل وأكرم هنية وعشاوي وصائب عريقات . وبجانب ذلك كله فكل المعلومات المتوافرة عندهم تشير الى وجود شيء ما يجري عبر المصريين في الخفاء ، وأبو عمار ينكر ذلك ولا يطلعهم على شيء . وبهذا تشكل عند الثلاثة وباقي أعضاء الوفد قناعة بأن أبو عمار ولجنة متابعة المفاوضات لا يريدون الدخول في مفاوضات جديدة ، وأنهم يعتمدون وضع العراقيل وتعقيد الأمور وتدويخ الوفد على حد تعبيرهم ، ووضعهم في إحراجات متنوعة ومتكررة . ولم تتوقف الأمور عند هذا الحد في تلك الفترة . فبشكل مفاجيء وبقدرة قادر باتت المنظمة شبه مفلسة . أوقف أبو عمار الموازنات التي كانت تصرف لمكاتب المنظمة في الخارج ولكل المؤسسات في الداخل ومن ضمنها موازنة مركز الدراسات الذي يقوده فيصل ، وموازنة مقر الوفد في القدس ، وموازنة المجموعات التي فرغها فيصل كإداريين وحراسات للقيادة والوفد في الداخل . علماً بأن كل التفرغات تمت بموافقة من أبو عمار وتوجيهات شخصية ومباشرة منه . في حينها تراكت الديون على فيصل كما تراكت على الوفد في واشنطن ،

وبلغت حد عدم دفع قيمة الاقامه في الفندق .

في حينها جعل أبو عمار المسألة المالية قضية القضايا ، وربط كل شيء بحلها وحمل الأمريكان مسؤولية عدم الضغط على دول الخليج لإعادة مساعداتها المالية للمنظمة ، ودفع ما تجبیه من ضريبة التحرير المفروضة على الفلسطينيين العاملين هناك . ورفض كل حل للأزمة المالية خارج الصندوق القومي ، رفض السماح لفیصل بالسفر للسعودية ورفض أن تدفع السعودية بعض المساعدات للداخل من خلال فیصل دون المرور على الصندوق القومي ، وعندما أمن أبو مازن لفیصل مبلغاً محدوداً من احدى الدول الخليجية لسداد ديونه تعرض الاثنان لحملة من أبو عمار . واتهم فیصل بأنه بدأ بالاستقلال المالي عن المنظمة ، وهذا تمهيد للاستقلال التنظيمي وشق الداخل عن الخارج على حد تعبيره . .

وخلال تلك الفترة استنفر أبو عمار تنظيم فتح في الداخل . ودفع باتجاه تعبثته ضد خطر القيادة البديلة . ولم يتورع المبعثون عن التحريض ضد فیصل بالاسم وضد حيدر عبد الشافي باعتبارهما مرشحين من الأمريكان لتشكيل قيادة بديلة وطامحين للزعامة . وتعرضت حنان وبقية الوفد لحملة تشهيرية مدروسة . فقد دعت مفاصل العمل 'الفتحاوية' الأساسية في الداخل الى عمان لدراسة التطورات وتحديد التوجهات . ويومها عاد ما يقارب الخمسين كادرا بمهمة واحدة ووحيدة هي التصدي لخطر القيادة البديلة التي تمثلها 'شلة الأمريكان' . فیصل وحيدر وحنان وصائب عريقات . .

ورغم معرفة ياسر عبد ربه وأبو علاء وأبو مازن بحقيقة مواقف فیصل والآخرين من الوفد ، ومدى حرصهم على إعلاء شأن قيادة م . ت . ف . وتعزيز مكانتها السياسية والشعبية إلا أنهم مع الأسف الشديد انخرطوا في الحملة ضد فیصل وحنان وحيدر وضد كل الوفد بالاجمال . وصارت أسماؤهم موضع تنذر في الجلسات العامة والخاصة . وظهرت المسألة وكأنها صراع على السلطة بين

الأفراد ، وبين الداخل والخارج . فهناك القيادة التاريخية وهناك 'بضعة أولاد' على حد تعبير خلية أوسلو وأبو عمار ، يحاولون قطف ثمار نضال الشعب والقيادة . خلال تلك الفترة كان كريستوفر يقوم بجولة في المنطقة تحضيراً للجولة الجديدة ، في حينها أرسل أبو عمار ورقة لفصيل الحسيني وعريقات وحنان وطلب منهم تقديمها إلى كريستوفر كوجهة نظر فلسطينية . وعندما قدموها فوجئوا بأن أبو عمار قدم ورقة أخرى عبر المصريين تخلو تماماً من المواقف المتصلبة الواردة في الورقة التي أرسلها لهم . أمام هذا الوضع المؤلم ، لجأ فيصل وحنان وصائب إلى الإعلان عن استقالاتهم . ظناً منهم أنهم سيتمكنون من ممارسة الضغط على أبو عمار وإلزامه بتعديل موقفه منهم والتعامل معهم باحترام وكشركاء ، وبالحل الأدنى كمستشارين تسمع آراؤهم وليس كجنود وظيفتهم تنفيذ كل الأوامر والتعليمات التي تصدر إليهم دون أن يعطوا الحق بإبداء الرأي في هذه التعليمات ، لا قبل التنفيذ ولا بعده . ودون أن يسمعو كلمة شكر ، بل كثيراً ما سمعوا الذم وتلقوا الإهانات على الهاتف .

من داخل الأرض المحتلة وبعد اجتماع موسع عقد في قصر الشرق ، مقر الوفد في القدس ضم كل أعضاء الوفد ، أعلن الأخوة الثلاثة عن استقالاتهم . حاولوا جر الدكتور حيدر إلى ذات الموقف إلا أنه رفض الإنجرار . وسجل أنه يتفهم الدوافع والأسباب للاستقالات . وعندما سئل من قبل الصحافة ووكالات الأنباء عن موقفه ورأيه في الاستقالات قال ، أطالب بالقيادة الجماعية وأطالب الأخ أبو عمار بتنظيم العمل ، وتقسيم المهمات ، وعدم مصادرة الصلاحيات . وأضاف أتفهم موقف الأخوة الثلاثة ودافعهم للاستقالة لكنني أعتقد أن الاستقالة لا تعالج الداء . وكما لم يتمكن الأخوة الثلاثة من جر الدكتور عبد الشافي ، فشلوا أيضاً في جر أي من أعضاء الوفد إلى موقفهم ، رغم أن كل الوفد كان مقتنعاً بعدالة موقفهم وصحة ملاحظاتهم . فأعضاء الوفد كانوا يعانون من فيصل وصائب وأكرم وحنان ما يعانيه الأربعة من أبو عمار . وبعض أعضاء

الوفد لم يكونوا مقتنعين بأن الاستقالة هي الخيار الأسلم . وآخرون كانوا على قناعة بأن المعركة لا تتعدى تحسين مواقع وأوضاع الثلاثة المستقلين ، وليس أوضاع الوفد أو الأوضاع الفلسطينية العامة . وكانوا على ثقة بأن الأخوة الثلاثة سيعودون عن استقالاتهم بعد أن تسوى مشكلاتهم . وأن النتيجة سوف تكون حلاً فتحوايماً يتم بالترضيات الداخلية ، وليس بناء مؤسسة جدية للمفاوضات ، أو خلق قيادة جماعية للمنظمة .

أعطت الاستقالات سلاحاً إضافياً ، لأبو عمار وخلية متابعة مفاوضات أوصلو لتوسيع الحملة ضد خطر القيادة البديلة . وخرجت حملة التشهير ضد الوفد من إطار الغرف المغلقة الى الصالونات والاجتماعات الحزبية والوطنية الموسعة ، ووصلت حد التعرض لهم في الصحافة وفي الأحاديث مع وكالات الأنباء . ولحماية انفسهم من تهمة الصراع المبكر على السلطة ، وتهمة السعي لقطف وجني ثمار أتعاب الآخرين وتشكيل القيادة البديلة ، حاول الثلاثة تصوير الخلاف على أنه خلاف سياسي وليس فقط على الطريقة التي تدار بها المفاوضات ، وأسلوب التعامل معهم وأسلوب اتخاذ القرار . وأعطوها بعداً سياسياً ، يتعلق بالموقف من القضايا المطروحة على جدول أعمال المفاوضات . وصوروا موقف القيادة على أنه من اجل غزة واريحا اولاً ، ينوي التفريط بالقدس ، وبالمرحلة الانتقالية . وبهذا التطوير لقضايا الخلاف خسر الثلاثة عطف وتضامن أبو مازن وأعداد كبيرة من الكوادر وبعض القيادات الفلسطينية التي كانت متضامنة مع مواقفهم ، وبخاصة مع ملاحظاتهم الانتقادية حول تفرد أبو عمار بالقرار وطريقته في التعامل معهم ، وحول الطريقة التي تدار بها المفاوضات . صحيح أن أبو مازن انخرط في الحملة ضد الوفد إلا أنه كان الأقل عدوانية تجاههم والأقرب الى الموضوعية في نقدهم . وقبلما دخل في عملية التجريح الشخصي لأي منهم . ومع تطوير قضايا الخلاف ، صعد أبو عمار وقيادات فتح الأخرى وخلية متابعة أوصلو الحملة ضدهم ، وجرت عمليات

تشهير واسعة داخل الوطن المحتل ، وبخاصة في صفوف تنظيم فتح . وبعد بلوغ التصعيد ذروته دعا أبو عمار الى اجتماع للقيادة الفلسطينية يحضره المستقيلون الثلاثة وعدد آخر من الوفد المفاوض . وبعد أخذ ورد استمر بضعة أيام حضر الحسيني وعشراوي وعريقات يوم ٨/٨/٩٣ الى تونس ، وحضر معهم عدد آخر من أعضاء الوفد المفاوض وعلى رأسهم الدكتور عبد الشافي . فور وصولهم الى المطار طلب ابو عمار نقل فيصل مباشرة من المطار الى مقره ، إلا أن فيصل اعتذر بدعوى التعب والارهاق ، وتوجه مباشرة الى منزل أكرم هنية مستشار أبو عمار لشؤون الوطن المحتل ، وعندها فهم أبو عمار أن فيصل قادم ورأسه 'حامي' وأن أكرم له دور في الذي يجري وأنه يعمل على التصعيد .

في المساء التقى ابو عمار الاخوة الثلاثة وحاول معالجة الموضوع معهم . إلا أنهم أصروا على استقالاتهم وتحدثوا بصراحة حول دافعهم للإستقالة . في اليوم الثاني دعا أبو عمار اللجنة المركزية لحركة فتح الى اجتماع لمعالجة الموضوع ، إلا أن الثلاثة أصروا على مواقفهم . وبعدها قاموا بجولة على أعضاء اللجنة المركزية لفتح وبخاصة المحتجين منهم على سياسة أبو عمار ، وشملت جولتهم أيضاً المعارضين من قيادة فتح لعملية السلام ، على أمل كسب تأييدهم ودعمهم في معركتهم مع أبو عمار . وفي مساء يوم ٩ آب كرر أبو عمار اجتماع اللجنة المركزية وخرج منه بانطباع أن المسألة قد سويت ، إلا أن الثلاثة عادوا وأبلغوه في الصباح تمسكهم بالاستقالات . مساء يوم ٨/١٠ دعا ابو عمار القيادة الفلسطينية الى الاجتماع وعقد الاجتماع في مكانه المعتاد (مقر قيادة أبو عمار) . وفي ذلك الوقت كان أبو علاء قد عاد من أوسلو حاملاً معه أخباراً عن تقدم المفاوضات في قناة أوسلو وأن الطرفين توصلا مبدئياً الى خطوط عريضة لاعلان مبادئ نهائي . واتفقا على دراسة إمكانية تأجيل عدد من القضايا الكبرى التي تمثل عقبات رئيسية ، وتحتاج الى وقت طويل للإتفاق حولها ، من نوع السيادة ، والترتيبات الأمنية والحدود ، والقدس والمستوطنات واللاجئين . الخ . وعاد أبو

علاء وهو يقول وافقوا على تضمين إعلان المبادئ نصاً يقول 'تنفيذ القرار ٢٤٢'، ووافقوا النص على تأمين ممر آمن بين غزة ومصر وبين أريحا والأردن . وممر آمن بين غزة وأريحا عبر الأراضي الإسرائيلية . وأن يشطبوا حصر الممر بالشخصيات المهمة (VIPS) وكانت معه المسودة الأخيرة وشبه النهائية للإتفاق . ونقل أبو علاء موافقة إسرائيل مبدئياً على تبادل الاعتراف مع منظمة التحرير إذا استجابت المنظمة لمطالب إسرائيل الخاصة بذلك .

في بداية اجتماع القيادة الفلسطينية طرح أبو عمار سؤالاً : هل نضع مشكلة الأخوة الثلاثة على جدول الأعمال . صحيح أنه طرح الموضوع في صيغة سؤال لكنه كان يعرف أن قضية من هذا المستوى لا تحل في اجتماع يحضره ٣٧ شخصاً من مختلف التيارات والاتجاهات ، بمن في ذلك يمثلو المعارضة الفلسطينية وخاصة مثل الجبهة الديمقراطية ومثل الجبهة العربية . وإثارة أبو عمار للموضوع في صيغة سؤال كانت بمثابة دعوة للعديد من الحاضرين كي يتحدثوا في الموضوع ، حتى لو لم يطرح على جدول الأعمال . فأبو عمار يعرف أن الأغلبية الساحقة من الحاضرين ضد الاستقلالات ، وأن بينهم من هو جاهز للدخول في تصفية حسابات ذاتية مع الأخوة الثلاثة . وأن من بين الحضور من استدعي لحضور الاجتماع ليرد على فيصل وصائب وحنان . بعد سؤال أبو عمار انبرى من يقول ان حضور الاخوان الاجتماع يعني ان المشكلة قد انتهت . إلا أن فيصل وحنان ردا مباشرة : المشكلة لم تنته ، ونحن لا زلنا عند موقفنا . أما صائب فقال : المشكلة لم تنته وهذا الاجتماع ليس مكان بحثها . أبو مازن من جهته قال سواء انتهت المشكلة أم لم تنته فمكان بحثها ليس هنا . تساءل الدكتور سمير غوشة عضو اللجنة التنفيذية والأمين العام لجبهة النضال الشعبي عن المكان الأنسب لبحث قضية وطنية كهذه إذا لم يكن لإجتماع القيادة الفلسطينية هو المكان المناسب؟ رد أبو عمار وقال : يمكن في اللجنة التنفيذية . ادرك من يعرفون أبو عمار جيداً ويفهمونه ، أن إخراج المسألة من إطار فتح الى

الاطار الوطني لن يكون في صالح الاخوة الثلاثة إطلاقاً . تدخل أبو ماهر غنيم عضو اللجنة المركزية لحركة فتح وقال أعتقد أن الموضوع شبه منته ولنا مونة على الاخوان . رد صائب وقال بتمون يا أبو ماهر على كل شيء ، أما الاستقلالات فنحن نعتبرها مسألة خاصة . وأضاف ارجو من الأخ أبو عمار الایعاز للاخوان بعدم التعليق على الاستقلالات ، طالما اتفقنا أن مكان بحثها في مكان آخر وليس في هذا الاجتماع . تدخل أبو مازن وقال اذا توقفت عند التعليق بسيطة يا صائب ما نرجوه أن لا نقرأ ما قيل حتى الآن في هذه الجلسة وما سيقال في الصحف . عندها قال أبو عمار : يؤخذ حديث صائب بعين الاعتبار ، وجدول الاعمال المقترح : تقييم الجولة العاشرة ، تقييم الجولات العشر وكل العملية ، الحوار الوطني الفلسطيني ، تعزيز الديمقراطية والقيادة الجماعية . طرح ابو عمار النقطتين ليفسح المجال امام المندفعين ليقولوا ما يريدون وما يعتمر في نفوسهم . اراد امتصاص توترهم وتشنجهم ، فهو يعرف انه مقدم على قرارات كبرى وخطيرة وسيكون بعد ايام بحاجة ماسة للدعم والاسناد السياسي من كل الحاضرين .

المداخلة الأولى أعطيت لفیصل ؛ ركز حديثه على النقاط التالية : نحن لسنا في ورطة ، العملية كلها في ورطة ، علينا أن لا نتفرد بالحركة . وعلى الأطراف الأخرى القيام بأدوارها . هذه لحظة مناسبة لشل وتعطيل أي شيء لا يتناسب مع مصالحنا . بإمكاننا إعادة النظر في خطواتنا وتقديم شيء . العملية لن تنجح بدوننا . علينا التعامل بإيجابية ولكن بدون خضوع وعدم الظهور بالمظهر السلبي . مطلوب وضع آليات عمل سواء في إطار الوفد أو في الخارج وأيضاً مع المعارضة ، والتي عليها أن تعترف أن لا خيار آخر عندها . المطلوب دعم الوفد وتقوية مواقفه وليس اضعافه . العمل الاعلامي التجريبي ضار والتقاط تصاريح وكلمات والتعليق عليها من قبل رسميين فلسطينيين ضار . قاصداً بذلك مواقف وتصريحات ياسر عبد ربه . طالما العملية سائرة فلا بد أن نبقي في داخلها

وسيبقى الآخرون . الخلافات تحل في إطار العملية وليس خارجها بعيداً عن الوفد ، وعلى صفحات الصحف . البعض منا مع العملية ، يشارك في اجتماعات ويقاطع أخرى . هذا غير مقبول ، فإما العمل في كل الهيئات أو لا عمل فيها كلها ، قاصداً بذلك موقف حزب الشعب ومقاطعته الجولتين التاسعة والعاشر وحضوره اللقاءات مع الأمريكان .

أما حنان عشراوي فركزت حديثها على : كريستوفر لم يأت بجديد . للموقف الأمريكي خمسة مكونات : الأول النقل المبكر للسلطة واستلام الفلسطينيين عدداً من السلطات المبكرة . موقفنا رفض ذلك لأنه يتناقض مع المرجعية . المكون الثاني اعلان مبادئ والتعامل بوثائق سياسية . كانوا يريدون منا رداً على وثيقتهم . من جانبنا قدمنا ورقة لدنيس روس حول القضايا الجوهرية بناء على ما وصلنا من تونس . المكون الثالث تحسين الأوضاع على الأرض وتحسين الظروف المساعدة . قلنا لهم هذا ابتزاز . الرابع ربط القضايا المالية والدعم بالاستلام المبكر للسلطة . أما المكون الخامس فهو أن تفاعل الموقف الأمريكي الخاص وتطوره مرهون بما ينجز من النقاط الأربع السابقة . نحن اعتبرنا هذه الرزمة غير مقبولة ، واعتبرنا الطرف الأمريكي منحازاً . وطلبنا منهم رداً على موضوع الولاية ، والقدس ، والأرض ، والمال . قالوا انهم مستعدون لوثيقة جديدة في حال وصول وثيقة من الفلسطينيين . طرحنا عليهم موضوع غزة-أريحا باعتبارها جزءاً من الحل الشامل وليست منفصلة عنه . وليس لدينا مشروع متكامل حول الموضوع . وختمت حديثها بالقول أعتقد أنهم لن يحددوا موعداً لجولة جديدة ، إلا إذا كان النجاح مضموناً تماماً .

خلال مداخلة فيصل وحنان كان أعضاء خلية أوصلو يتبادلون التعليقات الساخرة بواسطة قصاصات الأوراق ، بعضها اتهم فيصل وحنان بأنهما مع السلطات المبكرة المقلصة شرط أن تسلم لهم . أحد التعليقات قال كلها عشرة أيام وبعدها على الوفد السلام . . .

بعد انتهاء مداخلة حنان تدخل أبو عمار وبدأ حديثه بالقول : تصحيح لم يحصل أي تقدم على المسار الفلسطيني . التقدم حصل على المسار اللبناني . وربما على المسارات العربية الأخرى . موقف الأخوة اللبنانيين غريب ، بعد القصف الإسرائيلي العنيف للجنوب اللبناني قدم اللبنانيون صباحاً طلباً لعقد إجتماع لمجلس الأمن ، ظهراً سحبوه . والموقف اللبناني معروف لكم من الذي يحركه ، يقصد سوريا . أنا لا أريد الاسترسال في هذا الموضوع لأنني لا أريد مشاكل مع أحدهم العرب . يكفيني مشاكل مع الأمريكان والاسرائيليين . الاعتداء الاسرائيلي الأخير شمل المخيمات الفلسطينية بدون مبرر . وخسائرتنا ما بين ٥٠-٥٥ مليون دولار ، ونحن طالبنا بالتعويض . وقدمنا طلباً لدعوة مجلس الأمن للاجتماع . ثار اللبنانيون ضدنا واعتبروا موقفنا تدخلاً في شؤونهم الداخلية . لكنهم نسوا أن هناك اتفاقاً بيننا وبين فيليب حبيب وبرعاية فالدهايم صديقنا القديم . لدي معلومات خطيرة . هم يعتقدون أن التسوية لن تشمل الفلسطينيين في الخارج . ولهذا يريدون أن يتصرفوا بالوجود الفلسطيني ، ناسين أننا استطعنا إحياء القرار ١٩٤ . أحد بنود اتفاق ١٧ أيار ١٩٨٣ الإسرائيلي اللبناني القديم والمرشح للإحياء من جديد ، يقول بتخفيف التواجد المدني الفلسطيني في جنوب لبنان . ولعلمكم الأونروا اشترت أراضي في الهرمل ثمهيداً لنقل بعض الفلسطينيين من الجنوب الى هناك . الملك حسين اتصل معي صباح اليوم ، وقال بأنه يريد الاطمئنان على أوضاعنا الداخلية ، يعني مشكلة الثلاثة ، قلت له لا تقلق اطمئن نحن عندنا ديمقراطية . . وجه لي دعوة لزيارة عمان . نحن مقدمين على شيء ما في لبنان . وختم حديثه بالقول : أمني أن لا يتسرب هذا الحديث للصحافة .

أما بشير البرغوثي أمين عام حزب الشعب فاكتفى بالقول : نحن انسحبنا من اطرار العملية التفاوضية ، ولكن سنبقى نؤيد العملية ، وبإمكانكم عدم دعوتنا لحضور اجتماعات الوفد ولقاءاته . ونحن مضطرون لأن نقول رأينا في

المواقف وفي كل العملية ، لكننا - وكلكم تعرفون - أننا لا نسرب محاضر الاجتماعات .

تابع أبو عمار حديثه وقال ما معناه : الاعلام آفة مصابة بها قيادات الفصائل الفلسطينية كافة وليس فقط حزب الشعب . مثلاً نايف حواتمة أمين عام الجبهة الديمقراطية خرج عن المألوف وطنياً ولم أرد عليه . أفهم النقد ولا أفهم التشويه والتجريح . ولا أفهم عدم احترام الأسرار الفلسطينية والمساس بالمحرمات الوطنية . تدخل فريح^(٣٣) أبو مدين وقال ' طخوا لكم واحد يتوقف التسريب نهائياً ' . لم يعلق أبو عمار على كلام فريح وتابع حديثه : أناشدكم من موقع المسؤولية الوطنية ، السوريون مستاؤون من بعض التسريبات والتعليقات . معلوماتي أنه مطروح على المحور السوري - الاسرائيلي انسحاب من جزء من الجولان وقوات مراقبة ، وأجهزة إنذار مبكر على الجزء الآخر ، وبقاء قوات اسرائيلية في الجزء الثالث أي الحمة الفلسطينية ومنطقة المثلثات أي الجولان الفلسطيني . بعض العرب قالوا لنا في الجولة الأخيرة اقبلوا استلام السلطات المبكرة المعروضة عليكم . والعرب لا يحولوا لنا ال ٥٪ من الأموال ، التي يستقطعونها من أبنائنا العاملين عندهم ، أي يأكلون حقنا وحقوقنا . يدعون الإسلام ويأكلون السحت . مالنا سحت يا اخوان ومنصوص عليه في القرآن . وهذا الكلام قلته لمعمر القذافي وجهاً لوجه ، وبعض الاخوان يشهدوا على ذلك . نحن الآن في منعطف تاريخي . ولا يكفي اجتماع قيادة فلسطينية - بل علي أن أدعو المجلس المركزي للاجتماع . نحن متخوفون من أن يفرض علينا شيء خلال الفترة القادمة .

أما الدكتور حيدر فعقب على حديث فيصل والمداخلات وركز حديثه على : نحن لا نستطيع أن نحقق ما نريد ، بل قد نستطيع تعطيل ما لا نقبله . طبعاً هذا قوله سهل وتنفيذه صعب . الشعب الموحد هو القادر على إبطال ما لا يريد . كان أملنا في الموقف الأمريكي والضغط على اسرائيل ، هذا الموقف تبخر الآن

على ضوء الموقف الأمريكي الأخير . التفويض المبكر للسلطات تقدمه امريكا واسرائيل على حساب سكوتنا عن أشياء أساسية مثل تهويد القدس والاستيطان . إذا طرح سؤال هل نستمر؟ منذ القدم ناديت بالتعليق ، ولكن وضعنا وإفلاسنا السياسي الشامل يجعل من الاستمرار في المفاوضات طريقة لرفع صوتنا للعالم ، وتعريفه بالظلم ، وقد يفتح مجالا امام تحقيق بعض المكاسب لشعبنا . مطلوب تنظيم القدرات وتوظيفها ، في السابق كنا نعتمد على العرب والسوفييات ، الآن لاشيء من هذا . بحالتنا الحالية نحن شعب نحضر . والخروج من هذا الوضع الصعب يحتاج الى توضيحات جسيمة ، ولا بد من تغيير جذري . أما هاني الحسن فقد ركز هجومه على الأداء التفاوضي الفلسطيني وخاصة في المؤتمر المتعدد الأطراف قاصدا ابو علاء .

أبو علاء بدوره ركز مداخلته على الرد على ما قاله هاني الحسن ، وعن المفاوضات . قال هل يمكن أن نتعامل مع الممكن لنظوره؟ سهل أن نخطب على بعضنا وأن نتحدث عن المبادئ ، أي وضع جديد هو أفضل من الوضع الموجود الآن . المستقبل مخيف والكل يركض وراء اسرائيل . السؤال كيف نضع أنفسنا على الخارطة السياسية؟ مهم أن نعرف حدود المرحلة الانتقالية . السلطات المبكرة أقبلها كجزء من إعلان المبادئ وليس قبله أو منفصلة عنه ، وكذلك غزة وإريحا . كان واضحا للخلية التي تدير أوسلو ولمن يعرف بالمفاوضات الجارية هناك ، أن أبو علاء عاد من أوسلو بعدما ثبت ما قاله في مداخلته وأنه بصدد أخذ الرأي النهائي والعودة الى هناك لتوقيع الاتفاق .

كالعادة انتهى اجتماع القيادة الفلسطينية في ساعة متأخرة من الليل . ولم تستكمل المناقشات حول جدول الأعمال . أما قضية استقلالات الأخوة الثلاثة فقد جرى التطرق اليها من هذا العضو أو ذاك لكنها بقيت معلقة بانتظار العلاج ، والعلاج لن يأتي بالتأكيد من اجتماع القيادة الفلسطينية . بعد رفع الاجتماع طلب أبو عمار وعلى مسمع من جميع أعضاء القيادة الفلسطينية من

فيصل وصائب وحنان أن يتأخروا وقال موجهاً حديثه للجميع ، أنتم تذهبون للنوم والراحة أما أنا فمكتوب علي متابعة التعب والشغل . مضطر الآن لعقد اجتماع آخر مع عصابة الثلاثة وكأنني بدون شغل ، يقصد فيصل وصائب وحنان . بعد العشاء استكمل أبو عمار الحديث مع المستقلين الثلاثة وحاول ثنيهم عن موقفهم . وفهم أبو عمار في نهاية اللقاء الخاص أن الموضوع قد سوي تماماً ، إلا أن زيارة فيصل وصائب وحنان له صباح اليوم التالي استفزته حيث أبلغوه أنهم لا زالوا عند موقفهم .

في الثانية عشرة من ظهر يوم ٨/١١ اتصل ابو عمار مع ياسر عبد ربه واستدعاه الى مكتبه وبحث معه الموضوع على انفراد . قال له : أولاد ويلعبوا ، صبرت عليهم أكثر من اللزوم ، الوضع جاهز لمعاقبتهم ، لم يسمعوا لرأي اللجنة المركزية لفتح ، ولم يحترموا رأيي ولا رأي القيادة الفلسطينية . في نهاية الخلوة بين أبو عمار وياسر كانت النتيجة معاقبة الثلاثة ، بإبقاء قضيتهم معلقة الى إشعار آخر حتى يتدخل الأمريكان راجين السماح لهم بالالتحاق بالوفد وحضور الجولة الحادية عشرة ، ثم فضح مواقفهم ومواقف الأمريكان منهم . أي شطبهم سياسياً . ويومها أضاف ياسر 'فعلا أولاد وصدقوا أنفسهم بأنهم قيادات تقرر على كل حال هم منتهون إن لم يكن الآن فبعد شهر على أبعد تقدير حيث يفترض أن يتم التوصل الى اتفاق في أوصلو' . عقت قائلاً هذا خطأ من الزاوية الوطنية ، الأخوان الثلاثة هم الذين رفعوا م. ت. ف. وهم الذين مهدوا الطريق أمام قناة أوصلو ، ولا يجوز التعامل معهم بهذه الطريقة ، وخطأ أن يتم اتهامهم بهذه الطريقة غير المبدئية بغض النظر عن صحة موقفهم أو خطأه . وطبعاً لست مع الاستقالات ، ولكن كان بالامكان استثمار استقالاتهم من قبل من ينادون بالإصلاح ، ومن ينتقدون مواقف أبو عمار وتفرد بالقرار ، لاجداث ما يمكن احداثه من إصلاح ، ولو كان قليلاً ، في عمل الهيئات الفلسطينية ، وفي العلاقات الداخلية وخاصة العلاقة بين الداخل والخارج . رفض ياسر هذا

المنطق ، وقال ان حسابات الثلاثة شخصية وخاصة ، وهي صراع مبكر على السلطة . قلت : قد يكون هذا صحيحا ، ولكن مواقف الخارج صراع على السلطة أيضاً ، وأعتقد أن المصلحة الوطنية تفرض اشراكهم في السلطة . فهم أفضل وأنظف وأكفأ من نصف اللجنة التنفيذية ، ومن ثلاثة أرباع ما يسمى بالقيادة الفلسطينية . لم يصل النقاش مع ياسر الى نتيجة خرجت غير مرتاح للموقف من الاخوة الثلاثة . وقلت لنفسي لا بد من التحرك لتعطيل ما يببئ لهم فهم حقاً لا يعرفون أوضاع الغابة الفلسطينية ولا يفهمون قوانين العيش والعمل فيها .

في المساء وقبل موعد الجلسة الثانية للقيادة الفلسطينية بحثت عن فيصل فلم أجده ، توجهت الى المضافة حيث تقيم حنان . بعد الاستفسار عنها فهمت أنها في غرفة نومها تحضر نفسها للاجتماع . لم أنتظر خروجها صعدت الى الغرفة ، وقلت لها بحضور هشام مصطفى ، أحد العاملين الرئيسيين في مكتب أبو مازن ومدير دائرة العلاقات مع القوى الإسرائيلية ، اسمعي يا حنان أنتم اخطأتم في طرح الاستقالات ، من حيث المبدأ وأخطأتم في الإخراج ، خسرت المعركة . وفقدتم إمكانية استقطاب أي دعم وتأييد من اللجنة المركزية لفتح أو القيادة الفلسطينية . لا مجال للنقاش الآن ، وحتى إمكانية استثمار موقفكم باتت شبه مستحيلة . المطلوب الآن التراجع المنظم حتى لا تخسروا أكثر ، وحتى لا نفقدكم ، وحتى لا تشوه صورتكم الوطنية . العيش في الغابة الفلسطينية له قوانينه وأنتم لم تلعبوا حسب القوانين . إذا لم تتراجعوا اليوم فغداً سيتخذ قرار من اللجنة التنفيذية بإبقاء موضوعكم معلقا الى اشعار آخر ، ولحين تدخل الأمريكان . وإذا تدخلوا لصالحكم فسيتم حرقكم وطنياً ، حيث سيقال : أنتم جماعة الأمريكان ، والأمريكان تدخلوا لحماية اصحابهم . وأنت تعرفين ماذا يعني هذا الكلام عند الفلسطينيين بخاصة في صفوف كوادر فتح في الداخل والذين سيعمم عليهم الموضوع ، مضافاً له كل ما يلزم من فلفل وبهار . وختمت حديثي قائلاً ما انقله اليك معلومات رسمية ، وقرار نهائي أخذه أبو عمار بعد

التشااور مع ياسر عبد ربه . الأمور تجري بسرعة يا حنان وأسرع مما يتصوره الجميع . أبو عمار قوي جداً رغم الحديث عن الأزمة المالية ورغم ظهور المنظمة بمظهر النهار الآن . أبو عمار أقوى الآن من أية فترة سابقة ، الوقت ضيق ولا مجال للحديث بالتفصيل حول هذا الموضوع ولكن قريباً ستسمعون بعض الأخبار وسوف تفاجأون .

فوجئت حنان بحديثي وصراحتي ، وقالت ما العمل؟ قلت المهم اقنعي فيصل وصائب وأكرم بالتراجع والبقية يمكن متابعتها . قالت تصرف واعتبر موقفهم مضمونا ، وسألت كيف ستتصرف؟ . قلت الاخراج سيتم عن طريق أبو مازن وخلال اجتماع سأرتبه لكم معه . وافقت حنان على الاخراج المقترح

حاولت العثور على أبو مازن إلا أنني لم أفلح ، فقد اختفى ذلك المساء هروباً من حضور اجتماع القيادة الفلسطينية . فهو يعتبر مثل هذه الاجتماعات الموسعة ، مضيعة للوقت ولا جدوى من حضورها . وكتابة بضع صفحات من التاريخ أجدى وأنفع . ذهبت الى الاجتماع وهناك حاولت إقناع حنان بأن تقطع الطريق على كل من يحاول استثمار الاستقلالات ، لا سيما وأن بعض أعضاء القيادة يرغب في طرح الموضوع والتسلي به . إلا أن حنان فضلت عدم التكلم في اجتماع يضم أربعين شخصاً . طال وقت الاجتماع ولم نستطع ترتيب اللقاء مع أبو مازن في تلك الليلة . في الصباح توجه المستقيلون الثلاثة الى مقر أبو عمار مباشرة ، وخلال تناول الفطور على مائدته فهموا أن أبو عمار دعا اللجنة التنفيذية للاجتماع . فوجيء أبو عمار بحضور الأخوة الثلاثة على الفطور بدون دعوة ، وفوجيء بمبادرتهم في طلب سحب استقالاتهم . وفي إجتماع اللجنة التنفيذية أصر فيصل على أن يصدر بيان من التنفيذية ، يقول رفضت اللجنة التنفيذية استقلالات الأخوة الثلاثة وسحبوا استقالاتهم . وقررت التنفيذية تشكيل لجنة قيادية عليا من الداخل والخارج لمتابعة المفاوضات وذكرت وكالات الأنباء لاحقاً أسماء فيصل وحنان وصائب من ضمن الأسماء .

بهذا سويت مشكلة الاستقالات وعاد الثلاثة مع بقية الوفد الى الوطن على أمل العودة الى تونس على ابواب الجولة الحادية عشرة .

في اليوم التالي على انتهاء اجتماعات القيادة الفلسطينية ، اختلى ابو مازن في مكتبه مع بشير البرغوثي امين عام حزب الشعب ، وأطلعته على مسودة مشروع إعلان المبادئ التي توصل اليها أبو علاء مع المجموعة الاسرائيلية في اوسلو . قرأ بشير المسودة وعلق قائلاً أجمل من أن يصدق ويتحقق . وأبدى بعض الملاحظات على الفقرات الأخيرة المتعلقة بالعلاقات الاقتصادية بين الطرفين . عندما استفسر عن الجهة التي تعمل على طبخ مشروع اعلان المبادئ ، أبلغه ابو مازن بوجود قناة خلفية ودون أن يذكر التفاصيل تاركاً له تفسير الأمور كما يريد . وخلال الفترة تم إطلاع محسن ابراهيم على كل الموضوع ، وهو امين عام منظمة العمل الشيوعي في لبنان ، وامين سر المجلس السياسي للحركة الوطنية اللبنانية الذي تشكل في منتصف السبعينات . وهو صديق قديم لكل القيادات الفلسطينية بكل اتجاهاتها وتلاوينها السياسية ، مفكر عربي رؤية محترم ومسموع من قبل الجميع وخاصة من ابو مازن وابو عمار . بعد إنتهاء إجتماعات القيادة الفلسطينية مباشرة ، زار أبو عمار كلاً من مصر والأردن وأطلع الرئيس مبارك والملك حسين بشكل اجمالي وعام على ما بلغته مفاوضات اوسلو .

الأزمة الداخلية تتفاقم والمفاوضات في أوسلو تتعثر

بعد انتهاء اجتماعات القيادة الفلسطينية توجه أبو علاء الى أوسلو حاملاً معه الموافقة على الصيغة الثالثة التي تم التوصل اليها والتي اتفق على أنها نهائية . في أوسلو فوجيء أبو علاء بأن الوفد الاسرائيلي يحمل تعديلات على نقاط اعتبرت منتهية . واصبح متشدداً ومتصبلاً في كل النقاط الأخرى الباقية . الشيء الايجابي الوحيد الذي جاء به الوفد الاسرائيلي هو أن رابين تسلم رسالة أبو عمار وأبو مازن . وأن الرسالة ولدت ارتياحاً عند رابين وأنها وصلت في وقتها حسب تعبير الوفد الإسرائيلي . بعد يومين من النقاش الحاد اتصل أبو علاء مع أبو عمار وأبو مازن ووضعهما في الاجواء الاسرائيلية الجديدة ، فتلقى رداً يقول : أرفض أية تعديلات وبإمكانك العودة الى تونس .

منتصف آب عاد أبو علاء من أوسلو وهو متشائم الى أبعد الحدود ، ودون تحديد أي موعد جديد ، وراح يبحث مع بعض أعضاء الخلية عن بعض الصيغ التعديلية . فهم منه أنه طرح فكرة استبدال كلمة الوفد الفلسطيني بمنظمة التحرير إلا أن الوفد الاسرائيلي رفض ذلك . ولكنه لمس ان الاسرائيليين مستعدون للمساومة حول الموضوع اذا وافقنا على شطب بعض الفقرات من الميثاق الوطني لمنظمة التحرير . يومها تلقف أبو عمار الفكرة وراح يدقق في الفقرات المطلوب شطبها . إلا أن أبو علاء قال لم اناقش معهم التفاصيل ، ويمكن ايجاد صيغة عامة دون الوقوف عند هذا النص او ذاك بشكل محدد . استحسّن أبو عمار الفكرة ، وقال انه في حال استئناف المفاوضات لا بد من بحث الموضوع ، فالنص على المنظمة في الاتفاق مكسب هام وأهم بكثير من كل النقاط الأخرى الواردة في اعلان المبادئ . وأضاف : أنا في عام ١٩٨٨ قلت أن الميثاق 'كادوك' ، ونحن في قرارات مجلسنا الوطني منذ العام ١٩٨٨ عدلنا الميثاق دون أن ننص على ذلك بقرار رسمي ودون أن نقبض الثمن .

خلال تلك الفترة زادت حدة المشاكل الداخلية على المستوى القيادي

الفلسطيني . فالأزمة المالية تفاعلت وتفاقت أكثر فأكثر ، وبلغت حد عدم تسديد قيمة تلفونات وكهرباء مكتب دائرة العلاقات القومية الذي يقوده أبو مازن ، وذات الشيء بالنسبة لدائرة الاعلام وسائر دوائر م . ت . ف . الموجودة في تونس وعمان . وراجت اشاعات كثيرة حول اقدام م . ت . ف . على بيع ممتلكاتها في العديد من دول العالم ومن ضمنها بيوت السفراء . وفي حينها تم إغلاق بعض المكاتب والسفارات ولم تصرف لموظفي م . ت . ف . مخصصات . بعض أعضاء القيادة الفلسطينية ومعظم أعضاء اللجنة المركزية لحركة فتح وعلى رأسهم أبو مازن لم يكونوا مقتنعين بإفلاس المنظمة بهذه السرعة . وكان الجميع غير راض عن الطريقة التي تدار بها الأمور المالية ، وباقي القضايا الأخرى . الكل كان يتذمر ، القيادة تتذمر ، الكوادر تتذمر ، والعناصر تتذمر في تونس وعمان والجزائر والسودان . ومع التذمر انتعش الحديث عن الفساد وراح كل من يعرف رواية ما عن سرقة ما يرويها . وبلغ التذمر ذروته في عدد من الساحات ، وأخذ أشكالا من التمرد والإحتجاج . ففي عمان تحركت النسوة وخاصة زوجات الشهداء والمفقودين وتظاهرن أمام مراكز المنظمة ، يطالبن بمرتبات اسرهن . وفي ليبيا حصل اشتباك بالسلاح بين المحتجين على عدم استلام رواتبهم وحرس السفارة . وفي الجزائر اعتصم المحتجون والمتذمرون في السفارة واحتلوا لبضعة أيام . أبو عمار وحده الذي لم يكن منزعجا من انتشار أخبار كهذه ، لا بل كثيرا ما قال على الهاتف لهذا السفير أو ذاك بيعوا المبنى ، أو اغلقوا السفارة وعودوا الى تونس وعمان ، وهذا ما فعله معظم سفراء فلسطين في بلدان شرق أوروبا . وكأنه كان يريد أن يوصل رسالة للأمريكان وكل من يعينهم أمر السلام . كان يريد ان يقول لهم لا اتفاق بدون دعم م ت ف . وذلك الموقف والسلوك كان يزيد من شكوك المقربين منه حول الادعاء بإفلاس المنظمة . وكانوا يقولون من خلف ظهره ، ان أبو عمار يريد إبتزاز العالم . وكان أبو مازن يتهم ياسر عبد ربه وآخرين بأنهم المسؤولون عن زرع هذه الفكرة في رأس أبو عمار ، وكان يقول : «مجنون رمى حجر في بير وهات مئة عاقل ليطلعوه» .

مساء يوم ١٧ آب وصل الاحتجاج ذروته عند عدد من أعضاء اللجنة التنفيذية ، فقد التقى عند أبو مازن كل من محمود درويش وياسر عبد ربه وحضر اللقاء أبو علاء ومحسن ابراهيم وممدوح نوفل وحسن عصفور وخلال هذا اللقاء طرح محمود درويش سؤالاً هل فقدنا كل وسيلة للضغط على أبو عمار لمكاشفتنا بحقيقة الاوضاع المالية للمنظمة والتعامل معنا بشيء من الاحترام؟ هل نستطيع مكاشفته بأننا غير راضين عن طريقة عمله؟ بعد نقاش بسيط اتفق على أن يقدم الثلاثة أبو مازن وياسر ومحمود درويش استقالة جماعية من اللجنة التنفيذية في كتاب واحد . صاغ ياسر نص الاستقالة وكانت أقل من خمسة سطور . وفي حينها همست في اذن محسن ابراهيم وقلت سجل ، يا ابو خالد ستكون النتيجة النهائية ، تراجع ياسر عن الاستقالة ، واعتكاف ابو مازن لبضعة شهور في القاهرة او المغرب ، واستقالة محمود درويش ، وأعتقد أنك وياسر ستكلفان لاحقاً من ابو عمار بالضغط على ابو مازن لفك استنكافه كما حصل في المرات السابقة ، والضغط على محمود للعدول عن استقالته . وأضفت : وأظن أن شفيق الحوت سيقدم استقالته فور سماعه خبر الاستقالات ، ففي آخر مرة زار فيها تونس فكر في تقديم استقالته بمفرده ، بعدما سمع قصصاً عن الفساد تشيب لها رؤوس الأطفال ، وبعدما ازداد الضغط عليه من أسر الشهداء في لبنان الذين لم يتسلموا مخصصاتهم منذ عدة شهور .

حمل محسن ابراهيم كتاب الاستقالة لأبو عمار وعاد بعد أقل من نصف ساعة ليقول : لقد صدم الرجل ، وبكى بكاءً حقيقياً . علق الجميع هذا بكاء صياد العصفير . واتفقوا على أن يتم التمسك بالاستقالات الى أن يوافق أبو عمار على مكاشفة الجميع بحقيقة الأوضاع المالية . وإجراء بعض الإصلاحات على عمل ودور الهيئات وخاصة اللجنة التنفيذية . واتفقوا على أن يختفي الجميع تلك الليلة . وان يلتقوا صباح اليوم التالي في مكتب ابو مازن لدراسة ردود فعل ابو عمار ، واتخاذ الموقف المناسب . وفي حينها شدد محمود على عدم

التراجع على الاقل حتى الصباح .

تفرق الجميع وكل مضى الى منزله مؤكدين على عدم التراجع . عند الباب قال محمود درويش أعرف أن ياسر سيتدراجع وأبو مازن سيحرد ويعتكف أما أنا فسامضي في الاستقالة حتى النهاية ولن أراجع عنها ، وعندى أسباب واعتبارات كثيرة سياسية وتنظيمية . خلال تلك الفترة لم يكن الثلاثة هم وحدهم المأزومين من الاوضاع التي آلت اليها حال منظمة التحرير ، على المستوى القيادي وعلى صعيد علاقاتها مع الشعب الفلسطيني . فالأزمة أصبحت عامة واستقالات الثلاثة مظهر من مظاهرها . لا شك أن أي تسريب للخبر سوف يزيد من تفاقم الأمور ، ويعمق الأزمة ويدفع بها الى ذروتها القصوى . ولهذا اتفق على إبقاء الموضوع طي الكتمان ، ومراقبة ردود الفعل عند أبو عمار . ولاحقاً وبعد بضعة أيام سرب خبر استقالة محمود درويش من اللجنة التنفيذية . والأرجح أنه شخصياً كان وراء هذا التسريب خاصة وأنه علم بتطور المفاوضات في اوسلو . فقد أراد أن يعلن عن إستقالته قبل الإعلان عن أي إتفاق فلسطيني إسرائيلي . بعده أعلن شفيق الحوت من بيروت تعليق عضويته في اللجنة التنفيذية ، لحين اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني حيث سيقدم له الاستقالة . وعلل شفيق الحوت استقالته وعزاها الى تغيب اللجنة التنفيذية عن كل القضايا المصيرية ، بما في ذلك ما يجري في المفاوضات وسوء إدارة العملية التفاوضية . وسوء إدارة الأوضاع المالية لمنظمة التحرير وغياب العمل الجماعي ، وختمها بالقول : المرحلة مصيرية ولا أقبل لنفسي أن أكون شاهد زور في الوقت الذي أحرم فيه من فرص تحمل المسؤولية التي حملني إياها المجلس الوطني عندما انتخبني عضواً في قيادة م . ت . ف .

هزت استقالات محمود درويش وشفيق الحوت صورة م . ت . ف . هزة عنيفة عند الجميع ، فهما مستقلان حقيقيان عن الفصائل والتنظيمات ، وينظر اليهما باحترام كبير من قبل الشعب الفلسطيني داخل الوطن وخارجه ، خاصة بعدما

اهتزت صورة الفصائل وطغت سلبياتها على الايجابيات . وخروجهما من اللجنة التنفيذية يعني عند الكثيرين أن الأوضاع القيادية لم تعد تطاق . فالكل يعرف أن 'شفيق ومحمود' ليسا من القيادات المتهورة أو المتطرفة . فكلاهما كان مع المشاركة الفلسطينية في عملية السلام منذ انطلاقتها في مدريد . وكلاهما من أركان منظمة التحرير ومن اشد المدافعين عنها باعتبارها الخيمة التي تظلل الجميع . ومن المؤمنين بأنه يجب الحفاظ عليها والدفاع عنها بكل السبل . وهما كثيراً ما تصادما مع اطروحات ومواقف جبهة الرفض . وخروجهما يعني أن الاطار القيادي للمنظمة لم يعد قادراً على استيعاب المستقلين عن الفصائل والأحزاب .

أما في اسرائيل فوضع حكومة رابين لم يكن أفضل حالاً من حال اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير . فقضية^(٣٤) درعي وزير حزب شاس مع المحكمة العليا اقتربت من لحظة الحسم ، وحين موعد تقديم استقالته أو إقالته من قبل رئيس الوزراء . وكل الجهود التي بذلها رابين وبيريز مع قيادة شاس للبقاء في الائتلاف الحكومي لم تفلح . وبانسحاب شاس يصبح رابين معتمداً كلياً على الاصوات العربية في الكنيست ، وهذا الوضع يضعف صورة الحكومة في نظر كل الاسرائيليين . ويجعل أي اتفاق يتم التوصل اليه في مفاوضات السلام ، مع أي طرف من الأطراف ضعيفاً ومعرضاً للطعن ، والتشكيك به يهودياً . أما بشأن المفاوضات الجارية في واشنطن ، فبرغم انقضاء عشر جولات من المفاوضات وعشرين شهراً من الزمن فإن أياً من الأطراف لم يتوصل الى أي اتفاق . وحتى أحاديث بيريز العلنية بأن الاتفاق مع الأردن جاهز ولا ينقصه سوى قلم للتوقيع ، لم تكن تكفي لاقناع الاسرائيليين بأن العملية تسير باتجاه النجاح . فالكل يعرف أن الاتفاق مع الأردن وحده مشكوك فيه ، ولا يحل الاشكال بل يعقد الأمور أكثر ويخلق اشكالات عربية كبرى . وكل محاولات كريستوفر لاحتداث اختراق على هذا المحور أو ذاك من محاور المفاوضات باءت بالفشل ، ووصم

بالتسرع والخفة عندما أعطى تصريحات إبان الجولة التاسعة بقرب الوصول الى اتفاق فلسطيني - اسرائيلي ، وحصول تقدم على المسار الفلسطيني - الاسرائيلي . وتقدم بمشروعين خلال أقل من شهرين ، كان مصيرهما الرفض من الطرف الفلسطيني . وازداد التوتر في العلاقة بين الجانبين الفلسطيني والأمريكي . صحيح أن كريستوفر كان على علم بما يجري على قناة أوسلو ، لكنه كان يعرف أن المفاوضات هناك لا زالت في بداية الطريق وأن أيًا من القضايا الرئيسية لم تحل . وأن مواقف الطرفين منها لم تتغير . وكانت ثقته ضعيفة في إمكان وصول أوسلو الى نتائج مباشرة أو لاحقة . ولم يخف موقفه هذا عن المصريين . فقد قال لعمرو موسى وزير خارجية مصر أكثر من مرة ، أعرف بما يدور في أوسلو لكن المعجزة لن تأتي من هناك . وبسبب اقواله هذه بقي عمرو موسى ومعه الرئيس مبارك يتعاملان مع قناة أوسلو باعتبارها قناة هامشية ، قد تساعد على حلحلة بعض الأمور بين الطرفين ليس أكثر . وحده الدكتور اسامة الباز كان مقتنعاً بأن قناة أوسلو هي المرشحة لحدوث الاختراق ، اذا كان مقررًا وقوع مثل هذا الاختراق . وكان يقول اذا كان رابين بصدد الوصول الى اتفاق مع الفلسطينيين ، فهو يفضل أن يكون ذلك في المفاوضات الثنائية المباشرة ودون تدخل أي طرف من الأطراف . أما عمرو موسى فكانت تصوراتهِ تتقاطع وتلتقي مع تصورات كريستوفر ، ولهذا نسي في إحدى زيارته الى واشنطن إثارة موضوع مفاوضات أوسلو مع كريستوفر رغم ان أبو عمار شخصياً حمله هذا الطلب . ولعل حديث رابين مع عمرو موسى في إحدى زيارته لاسرائيل ، هو الذي شككه في قناة أوسلو وما يدور فيها . ففي حينها قال له رابين 'دع أبو مازن وبيريز يتسلان بهذه اللعبة' ويمارسان هوايتهما السياسية والفكرية . خلال تلك الفترة كثرت الاشاعات من جديد حول وجود قناة سرية للمفاوضات بين المنظمة واسرائيل . وبين سوريا واسرائيل والاردن واسرائيل وراحت كل الأطراف تنفي مثل هذه الاشاعات . إلا أن الصحافة الاسرائيلية نشرت أخباراً موثوقة عن لقاءات تمت بين مسؤولين اسرائيليين وآخرين فلسطينيين . وفي حينها ذكر

اسم أبو علاء وأبو مازن ونبيل شعث وآخرين . وجاءت تصريحات نبيل شعث المتكررة لتكرس الاشاعات ولتشير العديد من التساؤلات . وكادت مفاوضات أوصلو أن تكشف في معمعان تلك التصريحات ، إلا أن الخلية الفلسطينية المتابعة لمفاوضات أوصلو نجحت في تدارك الموضوع . فكشف أبو مازن عن لقاء تم بين نبيل شعث ويوسي ساريد في القاهرة . علماً بأن حالة نبيل لم تكن أحسن من حالة الوفد المفاوض في واشنطن . فلم يكن إطلاقاً على علم بقناة أوصلو ، ولا بما يدور فيها . وكانت خلية أوصلو حريصة على عدم إطلاع نبيل ، إنطلاقاً من قناعتها بأنه «إذاعة متنقلة» ولا يستطيع الصمود لحظة واحدة أمام عدسات التلفزيون ولا يستطيع إخفاء أية معلومة عنها . ولم يتردد أبو مازن في تضليل نبيل شعث عندما جاءه قالا : يوسي ساريد والأمريكان أكدوا لي وجود قناة مفاوضات سرية . ولزید من التغطية والتمويه على قناة أوصلو كشف أبو مازن أيضاً عن لقاء شولاميت الوني مع حنان ومحمود درويش . وتحديث أبو عمار عن لقاءات أجرتها حنان مع بعض المسؤولين الاسرائيليين في واشنطن . ومن جهتهما ساهم كل من رابين وبيريز في عملية التضليل . فأكدوا لقاءات ساريد وشولاميت مع قيادات منظمة التحرير إلا أنهما قالا أنها لقاءات غير رسمية وتمت بصفة شخصية . وأنكروا وجود مفاوضات رسمية مع أعضاء في اللجنة التنفيذية للمنظمة . وفي حينها لم يكن رابين يكذب على شعبه ، فأبو علاء ليس عضواً في اللجنة التنفيذية للمنظمة التحرير بل عضواً في اللجنة المركزية لحركة فتح .

ورغم عمليات النفي والتمويه التي قام بها الطرفان ، إلا أن أجواء خلقت في اسرائيل وفي صفوف الفلسطينيين حول المفاوضات السرية بين المنظمة واسرائيل ، وأظن أن هذا ما كان يقصده ويريده بيريز ورايين ، وإنهما لم يكونا بعيدين عن بعض اشكال التسريب . بعد هذا التسريب تحركت المعارضة عند الطرفين وراحت تبث الاشاعات وتطعن في الحق في إجراء مثل هذه المفاوضات السرية

من خلف ظهر الشعب . المعارضة الإسرائيلية طعنت في حق راين وحكومته في إجراء مفاوضات مع المنظمة وطالبت بالعودة للكنيست والشعب لأخذ الرأي في الموضوع . وذات الشيء فعلته المعارضة الفلسطينية التي شككت وطعنت في صلاحيات اللجنة التنفيذية في إجراء مثل هذه المفاوضات . وخلال ذات الفترة حاول جهاز الموساد الاسرائيلي فتح قناة حوار مع أبو مازن إلا أنه رفض الموضوع . وفي حينها أرسلوا له من يقول إن ما يجري مع جماعة الخارجية الاسرائيلية يقصدون 'بيريز وييلين' لن يوصل الى شيء . فهما ليسا أصحاب قرار وليس مؤثرين في قرار اسرائيل . المؤثرون المعروفون وأصحاب القرار يفترض أن يكونوا معروفين لكم أيها الفلسطينيون . . وطبعاً كانوا يقصدون الموساد . وفي حينها لم يتجاوب أبو مازن مع دعوة الموساد لفتح قناة معهم . ويعتقد أبو مازن أن موقفه هذا دفعهم الى اتخاذ قرار بوضع أجهزة تجسس في مكتبه ، والتي كشفت لاحقاً ، وعرفت العملية باسم الجاسوس عدنان ياسين (٣٥) .

سهرة على الهاتف.. تحسم الاتفاق

ليلة استقالة ابو مازن وياسر عبد ربه ومحمود درويش ٩٣/٨/١٧ وبحدود الساعة الحادية عشرة اتصل مكتب أبو عمار معي في منزلي مستفسراً عن ياسر عبد ربه ، وعندما قلت لهم أنه غير موجود ، تحدث أبو عمار مباشرة وقال ياسر هارب مني يا ممدوح ، وضروري جداً أن يحضر لطرفي الآن . قلت : ياسر في البيت يا أبو عمار وانا متأكد من ذلك .

السادسة صباح اليوم التالي (٨/١٨) رن جرس الهاتف . كنت غارقاً في غفوة الصباح ، نهضت زوجتي وعادت تقول ، ياسر على الخط ويلح من اجل التحدث اليك . نهضت وأنا أفرك عيني ، وقلت لنفسي : خير لإنشاء الله ، ما الذي دفع بياسر للإتصال في مثل هذا الوقت . لا بد من حصول شيء هام . خلال وجودنا في لبنان كان الإتصال في مثل هذا الوقت نذير شؤم حيث كان يتم فقط في حال وقوع غارة إسرائيلية قوية على مواقع الثورة ، أو في حال استشهاد شاب أو مجموعة في عملية قتالية ، أو بسبب غارة جوية على احد المخيمات او المواقع العسكرية في لبنان ، أو جراء هجوم إسرائيلي على الجنوب اللبناني . رفعت السماعة وقلت خيراً إن شاء الله ، بادرني عبد ربه بالقول : مبروك . ولما استفسرت حول الموضوع قال تم التوصل الى اتفاق مع أولاد عمنا ، سهرنا حتى الخامسة صباحاً وسهر معنا في الجهة الأخرى بيريز ورايين ، وهولست وزير خارجية النرويج . وفي الخامسة صباحاً انتهينا وأخذنا صورة تذكارية (أبو عمار وأبو مازن وأبو علاء ومحسن ابراهيم وأنا) ونسي أن يذكر حسن عصفور . قلت عظيم وعجيب ، أمس نمنا وأنتم مستقيلون وكانت الأمور في اوسلو شبه مقفلة ، وبليلة واحدة ظلماء انتهى صراع أربعين عاماً .

قال : 'صدق او لاتصدق هذا ما حصل وشرف لطرفي إذا أردت أن تعرف التفاصيل ، أنا عاجز عن النوم ، منفعل وغير مصدق لما جرى' .

بعد المكالمة مع ياسر عبد ربه لم استطع ضبط انفعالاتي ولا السيطرة على

اعصابي . دخلت المطبخ لكي اعد قهوة الصباح وكنت اتحدث مع نفسي ولم اتوقف عن الكلام الا بعد ان سألتني زوجتي مع من اتحدث . في تلك اللحظات اجتاحتني موجة قوية من المشاعر المتناقضة . بعضها كان مفرحا اما الاخر فكان مؤلما ومبعث حزن وألم . ان يتم التوصل الى اتفاق رسمي بين منظمة التحرير والحكومة الاسرائيلية فهذا يعني انقلابا في الفكر الصهيوني ، وتغييرا استراتيجيا نوعيا في تفكير راين . ويعني ان الدولة الفلسطينية قادمة لا محالة ، طال الزمن او قصر ، لكن الاتفاق يعني ايضا اننا سلمنا ان جزءا عزيزا من ارض الاباء والاجداد لم يعد لنا وصار اسمه اسرائيل . في طفولتي كانت تطاردني كوابيس الاحلام في اليهود الاقوياء القتلة ، اخذوا ارضا وتسببوا في فقرنا وجوعنا ، فهل الاتفاق قادر على محو اثار تلك الكوابيس؟ ام انه هدنة طويلة اتفق عليها المتحاربون بعدما تعبوا وملوا من الحرب ، ولم يعودوا قادرين على مشاهدة الدماء والخراب والدمار الذي تخلفه الحروب؟ وهل ستنتهي هذه الهدنة عندما يكبر الصغار؟ وسألت نفسي هل كان بالامكان تقصير الطريق واختزال الزمن والعذاب؟ ام اننا واليهود كنا ضحايا صراع العمالقة الكبار وضحايا الحرب الباردة التي صنعوها وامتدت خمسين عاما؟ في تلك اللحظات قررت ابلاغ زوجتي بقصة قناة اوصلو وبقصة الاتفاق .

بعد أقل من ساعتين كنت في بيت ياسر وسمعت الرواية التالية : بعد الإستقالة وبعد مغادرتنا ليلة امس مكتب أبو مازن ، اتصل هولست -الوزير النرويجي- مع أبو عمار مباشرة وقال له بحثت عن أبو علاء على الارقام المتفق عليها فلم أجده ، هل لي أن أزعجك يا سيادة الرئيس بالعثور عليه . انا اتحدث من السويد من عند الصديق الاسرائيلي نظيري من الطرف الآخر (بيريز) . ويرغب في الانتهاء الليلة من كل الموضوع ، وحتماً سنكون بحاجة لمساعدتك . وتمنى على أبو عمار ان يبقى ساهرا . بعدها راح أبو عمار يبحث عن الثلاثة أبو مازن وياسر وأبو علاء وبعد نصف ساعة كانوا مجتمعين مع محسن ابراهيم

ومعهم حسن عصفور عند أبو عمار . وعلى مدى سبع ساعات دارت مفاوضات على الهاتف بين الطرفين . كانت المفاوضات تجري بين خلية يوغرتا (مقر أبو عمار في تونس) وبيريز في استكهولم ، بواسطة الوزير النرويجي هولست ، الذي طار الى استكهولم بناء على طلب من بيريز ليدير المفاوضات من هناك . كانت مسودات الأوراق^(٣٦) أمام الطرفين ، وكان الحديث عن كل موضوع بالرقم المعطى له . من بداية المكالمات ، نقل الوزير النرويجي موافقة بيريز على :

أ) تثبيت مسودة اعلان المبادئ الاخيرة كأساس للبحث والنقاش .
ب) تثبيت تأجيل البحث في القضايا التي كانت مقترحة للتأجيل في آخر لقاء بين الطرفين ، وهي : الحدود ، اللاجئين ، القدس ، المستوطنات ، الترتيبات الأمنية ، العلاقة والتعاون مع جيران آخرين .

ج) الموافقة على تثبيت المحضر الملحق لآخر جلسته عقدت بين الطرفين في اوسلو كجزء رسمي من الاتفاق .

بعد تثبيت هذه النقاط الرئيسية بدأ أبو علاء والوزير النرويجي بالتدقيق في بنود إعلان المبادئ بنداً بنداً ، وكل منهما يضع أمامه ذات النسخة . بعد الاتفاق على القضايا المؤجلة بات واضحاً أن ما تبقى من نقاط يمكن الوصول بشأنها الى قواسم مشتركة ، وبالتالي يمكن الانتهاء من الصياغة النهائية للاتفاق خلال الليلة ذاتها .

خلال التدقيق في البنود جرى التوقف مطولاً عند بعض البنود . أما بعض البنود الأخرى فلم تستغرق وقتاً طويلاً إذ تم التأكيد على الصيغة النهائية للمسألة المركزية التي تحملها .

في المادة الأولى من اعلان المبادئ^(٣٧) مثلاً ، جرى التيقن من الفقرة الأخيرة التي تقول 'الترتيبات الانتقالية جزء لا يتجزأ من عملية السلام . ومفاوضات الوضع الدائم ستؤدي الى تطبيق قراري مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨' .

وبعد مساومات وأخذ ورد تم تثبيت صيغتها النهائية التي وردت في الاتفاق كما يطالب الفلسطينيون . أما المواد الثانية والثالثة والرابعة من البروتوكولات فتم المرور عليها مرور الكرام . عند المادة الخامسة طال النقاش حول الفترة الزمنية للمرحلة الانتقالية ، وكذلك حول تاريخ بدء مفاوضات الوضع الدائم بين حكومة اسرائيل وممثلي الشعب الفلسطيني ، والوجود الدولي المؤقت ، وحل الحكومة العسكرية والادارة المدنية الاسرائيلية ، وترتيبات الوضع على المعبر . فقد حاول أبو علاء بناء على الحاح أبو عمار وتوجيهات الخلية ، اختصار الفترة الزمنية وتقريب تاريخ بدء المفاوضات حول الوضع النهائي . إلا أن محاولاته لم تنجح لا سيما وأن المناقشات السابقة لم تؤثر في الموقف الاسرائيلي حيث ظل الجانب الاسرائيلي متمسكاً بالنص . وثبتت صيغة تقول ، تنتهي مفاوضات المرحلة النهائية في فترة اقصاها خمس سنين ، وهو نص مأخوذ من رسالة الدعوة لمؤتمر^(٣٨) مدريد . وذات الشيء وقع عند محاولة شطب الجملة الأخيرة من النقطة الثالثة من ذات المادة الخامسة التي تقول ، ومسائل أخرى ذات الاهتمام المشترك . أما بشأن الادارة المدنية فقد تمت الموافقة على حلها . اما الحكومة العسكرية فقد ابقيت حين تنصيب المجلس الانتقالي . كان النقاش على الهاتف متواصلاً إلا أن العقد الكبيرة كثيراً ما فرضت على أحد الطرفين طلب التوقف لبضع دقائق لاجراء المشاورات .

وفي الوقت الذي كان فيه أبو علاء يغلق الخط للتشاور مع الخلية ، كان بيريز في الوقت ذاته على اتصال مباشر مع راين في تل أبيب . عند مناقشة المادة السادسة من مسودة الاتفاق طال النقاش وحصلت تشنجات على الهاتف ، فقد حاول أبو علاء زيادة عدد مجالات السلطة التي سيتم نقلها للفلسطينيين قبل انتخاب المجلس الانتقالي ، وطلب الجانب الاسرائيلي ربع ساعة لاجراء الاتصالات عاد بعدها ليصر على موقفه وعلى العدد الأولي الذي ثبت في المسودة التي يدور عليها النقاش . ورفض بيريز بشكل قاطع (عبر النرويجي)

نقل المجال الاقتصادي للفلسطينيين قبل تنصيب المجلس الانتقالي المنتخب . وحتى الآن لم أجد تفسيراً لهذا الموقف من بيريز . فهو يتناقض مع ذاته ، فهو من جهة يركز على ضرورة أن ينهض الفلسطينيون بالاعباء الاقتصادية ، ويعتبرها أساساً لنجاح الاتفاق ، وبالمقابل يرفض تسليم السلطة الفلسطينية المجال الاقتصادي . وتزداد الغرابة والاستهجان إذا عرفنا أن مجالي الاقتصاد والزراعة كانا من المجالات التي وافق بيغن ١٩٧٩ ، على تسليمها للفلسطينيين ، وإذا تذكرنا أن روبنشتاين وافق في مرحلة من مراحل المفاوضات في واشنطن على تسليم الفلسطينيين ثلاثة عشر مجاًلاً بينها الإقتصادي ، بينما أصبر بيريز على حصرها في ستة مجالات فقط ، هي التعليم والثقافة والصحة والشؤون الاجتماعية والضرائب المباشرة والسياحة بالإضافة الى بناء قوة الشرطة دون الاتفاق على عددها أو تسليحها أو وظائفها وحدود صلاحياتها .

بعد محاولات متعددة لزيادة عدد المجالات وجدت الخلية أن من الأنسب تجاوز الموضوع ، وعدم افسال الاتفاق بسببها لا سيما وان كل المجالات يفترض نقلها خلال فترة لا تتجاوز تسعة شهور . وأعتقد أن موافقة رابين على تسليم غزة وأريحا للمنظمة هو الذي دفع أبو عمار لعدم التشدد في هذا الموضوع . والقضية الثانية التي طال النقاش حولها واستغرقت بضع ساعات كانت مقر قيادة السلطة الفلسطينية ، ومركز إدارة المجالات التي سيتم نقلها قبل الانتخابات ، أي مكان تواجد أبو عمار والقيادة الفلسطينية ، ومصير المؤسسات والمراكز الفلسطينية الموجودة في القدس الآن . خلال المكالمات الهاتفية لفت نظر الخلية الفلسطينية إصرار بيريز على وضع نص يقول أن أريحا وغزة هي المقر لإدارة هذه السلطات ، دون النص على فترة زمنية محددة لبقائها هناك ، ودون ذكر شيء عن مصير الموجود من المؤسسات الفلسطينية في القدس . حاولت الخلية شطب كل النص إلا أن بيريز رفض ، وتعقدت المفاوضات حول الموضوع . وفي حدود الخامسة صباحاً ، وعندما نام رابين ، وافق بيريز على أن يتضمن البروتوكول رقم ٢ نصاً

يقول في النقطة الخامسة 'سيكون موقعها في قطاع غزة ومنطقة أريحا لحين انتخابات المجلس'. وتعهد بيريز للوزير النرويجي بأن لا تطرأ أية تغييرات على وضع المؤسسات والمراكز الفلسطينية الموجودة في القدس بما في ذلك الأورينت هاوس. لم تكتف الخلية بالتعهد الشفوي وطالبت بأن يقدم بيريز ورقة خطية للراعي النرويجي تنص على ذلك. وفي تلك اللحظة وافق بيريز واعتبر الطرفان أن الاتفاق على اعلان المبادئ قد تم. أما الاعتراف المتبادل فاتفق على استكمال النقاش حوله بعد وصول ابو علاء الى اوسلو. وقبل اغلاق الخط لم يحاول الجانب الفلسطيني اثار اية قضية من قضايا اجراءات بناء الثقة، وقضايا حقوق الانسان الفلسطيني، من نوع المعتقلين والمبشرين. ووقف الاستيطان ووقف مصادرة الاراضي. علما بان هذه القضايا كانت موضع صراع دائم في مفاوضات واشنطن. لاحقا اثار ابو علاء بعضها الا انه لم يخرج بنتائج تذكر. وفي نهاية المكالمة أصر الوزير النرويجي على أبو علاء بالسفر ذات اليوم (صباح ١٨/٨/١٩٩٣) الى اوسلو لتوقيع الاتفاق بالأحرف الأولى، وابلغه أن بيريز سيتأخر لهذا الغرض. وأنه يرغب في العودة الى اسرائيل وهو يحمل اتفاقاً نهائياً لعرضه على مجلس الوزراء الاسرائيلي الذي سيجتمع استثنائياً لمناقشة الاتفاق. وشدد الوزير النرويجي على حضور أبو علاء لاستكمال مناقشة مسألة توقيع م. ت. ف. على الاتفاق، ومسألة الاعتراف المتبادل. ونقل عن بيريز أنهم جاهزون للبحث في الموضوع وإتمامه ليكون جاهزاً جنباً الى جنب مع الاتفاق على اعلان المبادئ، وقبل الإقرار الرسمي والتوقيع النهائي على الاتفاق. اعتقد ان من حق هولست على الفلسطينيين ان يسجلوا له انه فاض عنهم في بعض الاحيان وان يسجلوا له انه كان بجانبهم وتبنى اراءهم ومواقفهم طيلة فترة المفاوضات. وكل من يستمع الى شريط المحادثات- المفاوضات- على الهاتف يستطيع التعرف على الجهد الكبير والمضني الذي بذله هولست لانتزاع بعض النصوص التي طلبها الفلسطينيون.

قبل إغلاق الخط اتفق على أن يبذل أبو علاء جهوده للسفر يوم الأربعاء ١٨/٩٣ وإذا تعذر ذلك فحتماً سيكون في أواسلو يوم ٨/١٩ . بعد إقفال الخط حمل أبو عمار أوراق الاتفاق ، ووقف بجانبه كل من أبو مازن وياسر ومحسن ابراهيم وحسن عصفور والتقطت لهم صورة تذكارية . بعدها ارتحل ابو عمار قليلا من الكلمات العاطفية المؤثرة . وردا على سؤالي حول آراء الاخوان في الصيغة النهائية للاتفاق لا سيما وانه يقفز عن الاستيطان ، قال ياسر : الكل مقتنع بان موازين القوى والظروف المحيطه بنا لا تعطينا اكثر مما أخذنا . المسأله الجوهرية هي الاعتراف بالمنظمة كممثل للشعب الفلسطيني . وأنت تعرف أن الإنسحاب من غزة وتسليمها للمنظمة يشكلان القضية المركزية المسيطرة على ذهن ابو عمار . واضاف ان محسن ابراهيم أمين عام منظمة العمل الشيوعي في لبنان حاول تأجيل التوقيع على الاتفاق أطول فترة زمنية ممكنة وأقترح أن يتم التريث فلسطينياً ، وان يقوم ابو عمار بجولة عربية يطلع خلالها كل العرب على الاتفاق . وان يتم الانتظار ريثما يتوصل العرب الآخرون الى إتفاقات . وأن يكون التوقيع جماعياً حتى لا يتهم الفلسطينيون بأنهم عملوا 'كمب ديفيد' جديدة . إلا أن الجميع رفض فكرة محسن واتفق على الإسراع في التوقيع ، مع العمل على إطلاع العرب بصورة أو أخرى على الإتفاق . واعتبر الحاضرون ان اقتراح محسن سيعرض الاتفاق الى اخطار جسيمة . واتفقوا على ان تتم الجولة على الدول العربية بعد التوقيع وليس قبله .

صباح اليوم التالي تذكرت الخلية ان الاتفاق قد انجز دون أن يقرأه قانوني فلسطيني ، أو قانوني عربي أو دولي مندوباً عن الفلسطينيين ، علماً بأن زنغر هو المستشار القانوني لرئيس الحكومة الاسرائيلية وكان هو المفاوض الرئيسي . فوراً تم الاتصال مع سعيد كمال وطلب منه إبلاغ طاهر شاش بالسفر فوراً الى اواسلو ، وهو مصري الجنسية ، ومن شاركوا في مفاوضات الحكم الذاتي التي تمت بين مصر واسرائيل في ٧٩-٨١ ، وقد الحق بالوفد في واشنطن بناء على

طلب من ابو عمار .سافر شاش الى اوسلو دون أن يعرف طبيعة المهمة المكلف بها . وهناك استقبله لارسن وأطلعته على المهمة ، وسلمه نسخة من الاتفاق . بعد القراءة والتدقيق القانوني اتصل شاش ليقول لا مشكلات في الاتفاق من النواحي القانونية .

ضحى يوم ٩٣/٨/١٩ اتصل أبو مازن مع ياسر وطلبه لحضور اجتماع طارئ للخلية ، وأبلغه على الهاتف بأن رابين معترض على النص المتعلق بمقر السلطة والمجالات المنقولة قبل الانتخابات . ذهب ياسر ، وبعد أقل من ساعة عاد ليقول أوضاع الاسرائيليين ليست أفضل حالاً منا ، رابين عينه على المعارضة الداخلية . فالسيد رابين نهض من نومه وتناول كالعادة كأس الويسكي ، وسأل : ماذا تم بشأن مركز السلطات المنقولة ، فلما قيل له أن بيريز وافق على نص يقول تكون أريحا وغزة مركزها لحين الانتخابات ، احتد وانفعل ورفض . وتحدث مع بيريز وطلب منه تعديل الصيغة . عدنا وناقشنا النقطة وأخيراً ثبتنا 'الحين تنصيب المجلس' بدلاً من 'الحين الانتخابات' . أما الرسالة بشأن المراكز الموجودة الآن في القدس ، فقد بقي الاتفاق حولها كما هو وستعطى لاحقاً رسالة رسمية من الحكومة الاسرائيلية الى الوزير النرويجي ، على أن تبقى سرية ولا يجري عرضها على أي هيئة فلسطينية وأن لا يتم تسريبها لوسائل الاعلام . وأضاف ياسر : يبدو أن مسألة تبادل الاعتراف بالمنظمة ستسبق التوقيع الرسمي على الاتفاق . هذه آخر أجواء بيريز ورايين ، ولكن الثمن لن يكون بسيطاً . والمطلوب تثبيت نص خلاصته شطب ميثاق م . ت . ف .

صباح يوم ٩٣/٨/١٩ عاد هولست ولارسن ومن معهما الى اوسلو ليكونوا في استقبال الوفد الاسرائيلي برئاسة بيريز الذي سيصل للقيام بزيارة علنية رسمية للنرويج مرتبة بصورة مسبقة ، وايضا لاستقبال الوفد الفلسطيني في زيارة سرية رتبت على عجل . مساء ذات اليوم وصل أبو علاء وحسن عصفور وأبو كوش الى اوسلو والتقوا فوراً مع الوفد الاسرائيلي بحضور الطرف النرويجي كان اللقاء

حميما ، وبعد تبادل التهاني بالنجاح دخلوا فوراً في مناقشة مسألة الاعتراف المتبادل وترتيبات التوقيع بالأحرف الأولى على الاتفاق . بعد نقاش قصير اتفقوا على الانتهاء أولاً من توقيع اعلان المبادئ بالأحرف الأولى ليتابعوا بعدها اعداد الأوراق اللازمة لتبادل الاعتراف . وفي حينها طرح الجانب الاسرائيلي أن سافير وزنغر هما اللذان سيوقعان عن الجانب الاسرائيلي . وعندها كان لا بد من توقيع حسن عصفور الى جانب توقيع أبو علاء . وفي الساعة الأولى من فجر يوم ٢٠/٨/٩٣ نظم احتفال بسيط ووقع المعنيون من الطرفين بحضور الوفدين الاسرائيلي والفلسطيني ومعهم هولست وزوجته ولارسن وزوجته منى وعدد محدود من طاقم الخارجية النرويجية والطاقم الامني النرويجي الذي اشرف على حراسة الوفدين . بعد التوقيع تبادل ابو علاء وسافير الكلمات العاطفية . فور انتهاء الاحتفال اتصل أبو علاء مباشرة مع تونس ، وأبلغ أبو عمار بأن الاتفاق قد وقع بالأحرف الأولى ، وأنه اتفق على توقيعه بصفة رسمية ونهائية خلال عشرة أيام من تاريخ التوقيع بالأحرف الأولى ، على أن تصادق عليه المؤسسات التشريعية من الطرفين خلال فترة أقصاها شهر ابتداء من ٢٠ اب . وفي حينها وافق أبو عمار على ذلك ، وتم تثبيتها كنقطة ملحقه بالاتفاق . اما عن الاعتراف المتبادل فقال : سنتابع النقاش . واضاف : الاسرائيليون متمسكون بمطالبهم وخاصة الغاء بعض بنود الميثاق . وفي حينها شدد أبو عمار على ان يكون الاعتراف بالمنظمة كممثل شرعي ووحيد ، واضحاً وصريحاً . وان تتولى هي التوقيع الرسمي عبر من تنتدبه لذلك .

بعد التوقيع توجه الجميع الى منزل وزير خارجية النرويج وهناك التقى أبو علاء وحسن مع بيريز . ودارت بينهم دردشة حول الاتفاق وحول المستقبل . خلال الدردشة سأل بيريز من من جانبكم على إطلاع وعلم بالموضوع . رد أبو علاء وقال ستة فقط بالاضافة للمترجم ، وهم أبو عمار وأبو مازن وياسر عبد ربه

وأبو علاء وحسن عصفور بالاضافة للصديق اللبناني محسن ابراهيم والذي نعتبره جميعاً من أهل البيت الفلسطيني ، ومن المطلعين على كل أسرار ودواخل القيادة الفلسطينية . وعندها سأل بيريز : وأين موقع أبو اللطف وزير خارجيتكم من كل هذا الموضوع ، فالمفترض أن أوقع الاتفاق معه ؟

رد أبو علاء على استفسارات بيريز وقال : اليوم ظهراً أبلغ أبو اللطف بالموضوع . لم يفاجأ بيريز بما قاله أبو-علاء وراح يدقق في المشكلات المحتملة على الجانب الفلسطيني ، وفي مدى قدرة ابو-عمار على أخذ موافقة القيادة الفلسطينية واللجنة التنفيذية . وتحدث بإسهاب عن المشكلات التي سيخلقها الاتفاق في اسرائيل ، لكنه أكد على تصميم حزب العمل على المضي قدماً بالاتفاق ومواجهة كل الصعوبات . وقال علينا أن نظير بالاتفاق وبالمفاوضات اللاحقة ، وأن يكون طيراننا بأقصى سرعة ، وأن نعتمد أسلوب الارتفاع في الأعالي أثناء التحليق وتجنب الطيران المنخفض والبطيء فأي تلكؤ أو إبطاء في التنفيذ تكون له انعكاسات سلبية لا سيما في المرحلة الأولى . أمامنا شهر وعلينا استغلاله بأقصى الحدود . وفي الجلسة ذاتها أثيرت ردود الفعل المحتملة من قبل الأمريكان ولا سيما أنهم سيفاجأون بالاتفاق وسرعة الوصول اليه . في حينه اقترح بيريز أن تبادر النرويج الى إبلاغ كريستوفر بما تم ، وان يترك لبيريز شخصياً أمر اقناعهم والحصول على دعمهم وتأييدهم وقال نحن أدرى الناس بالأمريكان ، ونحن الأقدر على التفاهم معهم . وطمأن الحضور بأن الأمريكان سيدعمون الاتفاق ، وسيدفعون بعضاً من كلفته . وأضاف سأعود الى اسرائيل فوراً لإطلاع رئيس الحكومة على الاتفاق وبعدها أغادر فوراً الى واشنطن للقاء مع كريستوفر والاتفاق معه على إخراج الإتفاق للعالم . وشدد بيريز على كتم الموضوع لمدة عشرة أيام فقط يكون خلالها سافر الى واشنطن وعاد منها .

بعدها انتقل جميع من في اوسلو الى مناقشة مسألة دور م. ت. ف. في التوقيع على الاتفاق ، وكيفية تجاوز العقبات . وطرح بيريز أنه يفضل أن تدفع

الأمر الى أقصى مدى ممكن ، وبأسرع وقت ممكن . وقال نحن نعرف أن قيمة الاتفاق وجديته في أن يكون مع م . ت . ف . مباشرة . فنحن نعرف ثقل م . ت . ف . في غزة والضفة وعلى المستوى العربي والدولي ونعرف أن توقيع فيصل أو حيدر أو كل الوفد يضعف الاتفاق ولا يحميه . وراح يتحدث بأسهاب عن انطباعاته عن فيصل وعن حيدر والوفد المفاوض في واشنطن . وقال لو اعتمدنا عليهم لما وصلنا الى أي اتفاق . واقترح بيريز أن يتواصل النقاش بين المجموعتين ، وأن لا يغادر أحد أوصلو قبل اتمام اتفاق الاعتراف المتبادل . وختم حديثه بالقول اطلعت على مسودة البيان المقترح صدره عنكم . البيان جيد ويحتاج الى بعض التدقيقات وبعض التفاصيل . المهم أن يكون هناك نص واضح على إلغاء بنود الميثاق التي تدعو الى تدمير دولة اسرائيل ، والتي تتعارض مع هذا الاتفاق نصاً وروحاً . وأن تجدوا لنا صيغة تدعو الى إنهاء العنف . نحن نقدر أن من الصعب على المنظمة أن تدعو الآن الى وقف الانتفاضة بصورة علنية ومباشرة .

تحدث أبو علاء مطولاً عن الأوضاع والظروف الصعبة التي تمر بها المنظمة ، وعن ردود الفعل السلبية المحتملة على الصعيد العربي وعن المواقف التصعيدية المحتملة من قبل المعارضة الفلسطينية . وأكد أن نجاح الاتفاق مسؤولية فلسطينية - إسرائيلية مشتركة ، ولا غنى للطرفين عن الدعم والاسناد الأمريكيين للاتفاق . فعليهم أن يتحملوا مسؤولياتهم في كل المجالات والاتجاهات بما في ذلك الحصول على دعم عربي للاتفاق ، وتخفيف معارضة المعارضين ، وطرح ضرورة أن يقوم الطرفان النرويجي والاسرائيلي بدورهما تجاه دفع الولايات المتحدة لاعادة علاقاتها مع منظمة التحرير والى فك الحصار المالي المضروب حول م . ت . ف . وأكد أن الحصار على المنظمة فرض بقرار أمريكي ، ورفعته يتم بقرار أمريكي . أكد الوزير النرويجي وبيريز على منطقية الطرح ، ووعدا بأنهما سيتحملان مسؤولياتهما وسيبحثان الأمر مع الأمريكان . انتقل أبو علاء بعدها

لحديث عن مسؤولية اسرائيل في إنجاح الاتفاق . وأكد على أهمية أن يلمس الناس العاديون بأسرع وقت ممكن نتائج الاتفاق على الأرض . وطالب أبو علاء بيريز بأن تبادر الحكومة الاسرائيلية الى إطلاق سراح المعتقلين وإعادة المبعدين ، ووقف الممارسات القمعية ورفع الحصار عن القدس . الخ من المواضيع المتعلقة بحقوق الانسان الفلسطيني وبناء الثقة بين الطرفين . رد بيريز قائلاً هذا حق وسنقوم بما هو أكبر من ذلك . ولكن انتظروا علينا قليلاً وأعطينا مهلة شهر . فكل شيء ممكن ولكن بعد الانتهاء من مشكلة درعي وشاس ، وبعد الانتهاء من مناقشة الاتفاق في الكنيست . وسأل فيما إذا كانت لدى أبو علاء كشوفات محددة بالمعتقلين والمبعدين . اعتذر أبو علاء ووعد بإرسالها لاحقاً خلال أيام قليلة . وقبل مغادرته أكد بيريز على ضرورة الانتهاء من رسائل الاعتراف المتبادل خلال فترة أقصاها أسبوع .

عند هذا الحد انتهى اللقاء وكانت الساعة تجاوزت الثالثة صباحاً من فجر يوم ٩٣/٨/٢٠ حسب رواية أبو علاء .

لم يبق أبو علاء نتائج اللقاء مع بيريز تنتظر حتى الصباح ، بل أسرع الى الاتصال مع أبو عمار وأبو مازن وياسر ، ووضعهم في صورة اللقاء . وطلب من تونس العمل على وضع رسالة الاعتراف المتبادل في صيغتها النهائية ، وهم سيعملون من جانبهم في أوصلو على مناقشة المسودة القديمة مع المجموعة الاسرائيلية .

صباح اليوم التالي اتصل ياسر معي وتباحثنا في أخف الصيغ الممكن وضعها في رسالة الاعتراف المتبادل . وفي حينها اقترحت على ياسر أن يتبنى فكرة تشكيل لجنة وطنية مصغرة تقوم بوضع تصور متكامل لخطة العمل والتحرك الفلسطيني في المستقبل . بدءاً من كيفية الاعلان عن الاتفاق وكيفية طرحه على الشعب الفلسطيني وعلى العرب . مروراً بالتحضير للمفاوضات اللاحقة ، وانتهاء بقوانين ونظم الدولة والمجالات التي سيتم تسلمها . وأضفت ،

انتهت الآن مرحلة الثورة ، ودخلنا مرحلة بناء الدولة . ولا بد من إعادة النظر في كل أساليب العمل السابقة ، والتوجه الى خلق وبناء المؤسسات . وافق ياسر على الفكرة و اضاف عندي الكثير من الافكار التي ينبغي العمل على إنجازها قبل وبعد الاعلان عن الاتفاق ولدنيا وقت لمناقشتها لاحقاً . وفي حينها اتفقنا على إطلاع عدد محدود من الرفاق في قيادة التنظيم الذي ننتمي له سوياً (فدا) على الموضوع ، والطلب منهم إبقاء الموضوع طي الكتمان ، مع التصرف سياسياً وإعلامياً وتنظيماً وجماهيرية على أساس أن هناك اتفاقاً قد تم . وفي حينها تم إطلاع صالح رأفت وعزمي الشعيبي وعدد اخر من قيادة التنظيم . ورغم التشديد على سرية الأمر إلا أنهم بالتأكيد أطلعوا صفاً واسعاً من الرفاق والأصدقاء . فتعميم الأخبار والمعلومات الجديدة جزء من تقاليد العمل الحزبي في الساحة الفلسطينية . وفي سياق الحديث عن الذين عرفوا بقناة أوسلو والذين لم يعرفوا بها تجدر الإشارة التي أنني أطلعت جميل هلال على مسار الأمور في أوسلو أولاً بأول منذ أوائل شهر حزيران ٩٣ . وذلك بناء على اتفاق مع ياسر بعدما دخلت المفاوضات في أوسلو منعرجاً جديداً . وفي منتصف تموز أطلع ياسر كلاً من عزمي الشعيبي وصالح رأفت على مسار أوسلو . ولعل التدقيق في هذا الموضوع يكشف أن عدد من كان على علم بقناة أوسلو ، وقبل التوصل الى اتفاق لا يقل عن بضع عشرات . ورغم أن هذا العدد ليس بقليل فقد تم كتم السر . وتأكد لأول مرة أن الصورة المعروفة عن القيادة الفلسطينية بأنها غير قادرة على كتم الاسرار صورة غير دقيقة . وأكدت تجربة أوسلو أن الشعور العالي بالمسؤولية الوطنية كفيل بضبط المشاعر والعواطف عند الفلسطينيين ، وبوقف الاندفاع نحو التسريب ونحو التسابق الاعلامي .

قبل عودته من أوسلو ، سربت بعض الأوساط الاسرائيلية لصحيفة ידיعوت أحرنوت ، خبراً مفاده أن بيريز التقى خلال رحلته الى الدول الاسكندنافية مع مسؤول كبير في منظمة التحرير ، وذكر اسم ابو مازن . وتسابقت وكالات الأنباء في نقل الخبر . مما دفع ابو مازن الى إصدار تصريح^(٣٩) ينفي الموضوع جملة

وتفصيلاً . وضمنه جملة تقول أن قيادة م . ت . ف سبق وأيدت عقد مثل هذه اللقاءات ، وهي تعتقد أن اللقاءات المباشرة بين الحكومة الاسرائيلية وقيادة م . ت . ف . تعجل في الوصول الى نتائج وفي إنجاح عملية السلام . أما بيريز فقد رفض التعليق في أوصلو على الموضوع . وقال عندما أعود الى اسرائيل سأطلع رئيس الحكومة على كل نتائج زيارتي للدول الاسكندنافية . وفي حينها أعيد- فلسطينياً وإسرائيلياً- تحريك موضوع لقاءات نبيل شعث مع يوسي ساريد ولقاءات محمود درويش مع شولاميت أكوني ولقاءات فيصل الحسيني مع رسميين اسرائيليين في الداخل ، وتم الزج باسم مصر في الموضوع .

فور عودة بيريز الى اسرائيل ، عقدت الحكومة الاسرائيلية اجتماعاً خاصاً ناقشت فيه الاتفاق . وناقشت فكرة الاعتراف المتبادل . وفي حينها كتم السر في اسرائيل ولم يتم تسريب الموضوع . ولم يتوان بيريز عن إبلاغ الجانب الفلسطيني عبر قناة أوصلو بأن الحكومة الاسرائيلية ناقشت الاتفاق بناء على عرض شفوي قدمه هو ، وأن الأجواء الأولية ايجابية جداً ، وأن الحكومة ستتابع النقاش في الأيام اللاحقة . وخلال وجوده في اسرائيل وقبل سفره الى واشنطن التقى بيريز مع لجنة الشؤون الخارجية والأمن التابعة للكنيست وطرح عليها لأول مرة بصورة رسمية وعلنية فكرة غزة - أريحا أولاً ، ودافع عن الفكرة واضعاً لها ضوابط ، ومحاولاً طمأنة المعارضة والمستوطنين من خلال التركيز على أن أمن المستوطنات والمستوطنين وكل الاسرائيليين الموجودين في الضفة وغزة سيبقى في يد اسرائيل . وأن اسرائيل لا يمكنها التساهل في هذا الأمر أو في أمر القدس أيضاً باعتبارها عاصمة دولة اسرائيل ، وأنها ستبقى مدينة موحدة . وخلال ذات الفترة زار رابين قطاع غزة ، والتقى مع كبار العسكريين الإسرائيليين هناك ، وتحدث من جديد عن رغبة اسرائيل في الانسحاب من قطاع غزة شريطة أن لا يتأثر وضع المستوطنات والمستوطنين .

ورشة عمل اسرائيلية وفلسطينية بعد التوقيع بالأحرف الأولى

فتح التوقيع على الاتفاق بالأحرف الأولى ورشة عمل عند الطرفين الفلسطيني والاسرائيلي . فالى جانب الانهماك في العمل مع النرويجيين على إنجاز نصوص رسائل الاعتراف المتبادل راحت قيادات الطرفين تتحرك على أكثر من صعيد ، لتمهيد الأجواء للاعلان عن الاتفاق ، ولتأمين اوسع وأكبر دعم وتأييد داخلي وخارجي له . فكلتا الطرفين يعرف أن ما قام به هو انقلاب سوف يمس ويهز أوضاع المنطقة بمجرد الاعلان عنه في البيان رقم واحد . وأن انقلابهما لن يمر بسلام لا على الصعيد الداخلي عند كل منهما ولا على صعيد مواقف دول المنطقة الأخرى ، خاصة وأنه سوف يكون مفاجئاً للشعبين الاسرائيلي والفلسطيني ولكل دول المنطقة بما في ذلك الدول المشاركة في المفاوضات الجارية في واشنطن .

لهذا لم يتأخر بيريز في تل أبيب . فقد حضر اجتماع الحكومة ، وغادرها مباشرة الى الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها الطرف الذي لا غنى عن دعمه لانجاح الاتفاق . وتوجه مباشرة الى كاليفورنيا حيث كان كريستوفر يقضي اجازته الصيفية . وفي يوم ٢٨ آب التقى بيريز كريستوفر وكان معه دنيس روس ، وكيرتزر ، وآلون ميلر ، وأطلعهم على تفاصيل الاتفاق . وحسب رواية بيريز فوجيء كريستوفر بتوصل الطرفين الى اتفاق . وهنا بيريز على هذا الانجاز ووعد بعمل كل مايلزم لانجاحه ، وأكد أن الولايات المتحدة الأمريكية ستدعمه سياسياً ومعنوياً ومادياً . أما دنيس روس فقد صدم وظهرت على وجهه علامات الدهشة والامتعاض لم يصدق ما قاله بيريز واستفسر اذا كان الاتفاق قد ابرم ؟ أما كيرتزر فقد اشارت ملامح وجهه الى أنه كان على علم بما يجري في قناة اوسلو وأنه فوجيء بسرعة توصل الطرفين الى اتفاق . ولا مبالغة في قول بيريز أنه كان شبه مستحيل التوصل الى اتفاق بواسطة الوفدين ، وبالطريقة التي كان طاقم الخارجية الأمريكية يدير بها المفاوضات . أما امتعاض روس فكان بسبب

إدراكه أنه فقد إمكانية بلوغ المجد الذي سعى لتحقيقه من خلال رعايته المفاوضات ،وكمنسق لعملية السلام ومن أجله استمر في العمل في الخارجية الأمريكية بعد رحيل بيكر . ولعله امتنع أيضاً بسبب ما اعتبره تنازلات اسرائيلية كبيرة تضمنها الاتفاق . إذ لم يكن يخطر بباليه ولم يتصور أن الحد الأدنى للموقف الاسرائيلي يمكن أن يصل الى الحدود التي ظهرت في الاتفاق . ولم يتوقف رد فعل دنيس روس وبعض الآخرين من طاقم الخارجية عند حدود إظهار علامات عدم الرضا والامتناع من الاتفاق ، فقد قال البعض منهم أن الاتفاق بأبعاده الاقليمية يؤثر سلباً في استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية ، وعلى علاقاتها مع العديد من دول المنطقة . وفهم فيما بعد أنهم اجروا في الايام اللاحقة العديد من الاتصالات مع شخصيات اسرائيلية ومع عدد من الشخصيات العربية وحرصوها ضد الاتفاق . وكانت صدمتهم أكبر عندما عرض بيريز سيناريو الاخراج والتوقيع على الاتفاق ، وعندما قال أن العمل جار في اوسلو وأن التوقيع على الاتفاق سيتم من قبل قيادة م . ت . ف . وليس مع الوفد المفاوضات . فطاقم الخارجية وقف منذ البداية الى جانب شامير ضد مشاركة

م . ت . ف . ف . في المفاوضات . ووقف ضد استعادة العلاقة الامريكية مع المنظمة . وبعضهم كان يعتبرها عقبة امام تقدم المفاوضات ، وحجر عثرة في طريق صنع السلام .

خلال وجوده في الولايات المتحدة أعطى بيريز العديد من التصريحات المتفائلة ، حول اقتراب الطرفين الفلسطيني والاسرائيلي من الاتفاق . وكان قاصداً تهيئة الرأي العام الاسرائيلي وتحضيره لتقبل الاعلان عن الاتفاق . اما رابين فقد اكثر من الحديث عن الانسحاب من غزة .

اما على الجانب الفلسطيني فقد كانت الورشة أكثر تعقد وصعوبة . فلا الرأي العام الفلسطيني مهياً لإمكانية التوصل الى إتفاق ، ولا أي من القيادات

الفلسطينية في وارد التوصل الى اتفاق . فالأجواء السائدة منذ استئناف المفاوضات في الجولة التاسعة تشير الى ان عملية السلام تسير في طريق مسدود تماماً ، وجاءت الجولة العاشرة والورقة الأمريكية الثانية وتصريحات ابو عمار حولها لتكرس في ذهن الجميع مثل هذا الانطباع .

وبجانب الوضع الفلسطيني غير المهيأ ، كانت غالبية الدول العربية مغيبة تماماً عما يدور في اوسلو . وما أبلغ به الأردن لا يتعدى القول أن هناك مفاوضات سرية بين المنظمة واسرائيل ، وأنها لم تصل الى شيء ملموس . المصريون واران القيادة التونسية كانوا على اطلاع يكاد يكون تفصيلياً . أما السوريون واللبنانيون شركاء م . ت . ف . والاردن في العملية التفاوضية فكانوا مغيبين تماماً عن كل الموضوع بصورة مقصودة وواعية . فأبو عمار وخلية اوسلو كانوا مقتنعة تماماً بأن تسرب الموضوع للسوريين يعني فشل المفاوضات . فالوصول الى اتفاق فلسطيني اسرائيلي سوف يؤثر بشكل واسع على مجرى المفاوضات السورية - الاسرائيلية ، الى جانب تأثيره على الموقف التفاوضي اللبناني بصورة أو بأخرى . ولمعالجة كل هذه المسائل وكل ما يتطلبه الاتفاق من خطوات داخلية وخارجية تحركت الخلية الفلسطينية التي أدارت مفاوضات اوسلو . وأول خطوة قامت بها كانت اطلاع أبو اللطف على الاتفاق . فهو رئيس الدائرة السياسية للمنظمة ، وأمين سر حركة فتح ، وله وجهة نظر في كل العملية التفاوضية ، وسماعه لخبر الاتفاق من الراديو ووكالات الأنباء يخلق اشكالات داخلية وخارجية كان أبو عمار وخلية اوسلو في غنى عنها .

ذهب أبو عمار بنفسه الى مقر الدائرة السياسية واختلى مع أبو اللطف ، وقال له 'تذكروا أبو اللطف سبق وقلت لك أن هناك قناة خلفية مع الاسرائيليين . اخواننا أرسلوا لنا مشروع اعلان مبادئ ، ويقولون أن الاسرائيليين موافقون عليه من حيث المبدأ ، وسيعودون الى حكومتهم لإبداء الرأي النهائي فيه' ، وأضاف 'أنا انكليزياتي على قد الحال وأنت انكليزياتك أقوى' . ناوله المسودة وتابع

قائلاً: فهمت أنهم وافقوا على الانسحاب من غزة وأريحا ، وأن التوقيع سيكون مع المنظمة . وهذه النقطة لا زالت موضع نقاش ، لكنهم مبدئياً وافقوا ، وفي المشروع ذكر للقدس يا أبو اللطف ، وهذا مكسب كبير . وحسب رواية أبو عمار تصفح أبو اللطف الاتفاق وراح يقرأه ، قال عظيم وعلى بركة الله يا أبو عمار . ولاحقاً تراجع عن بركة الله ...

مساء يوم ١٩/٨/١٩٩٣ اجتمع المتواجدون من خلية اوسلو (أبو عمار ، أبو مازن ، ياسر عبد ربه) وشاركهم محسن ابراهيم في الاجتماع . ناقشوا خطة التحرك على الصعيدين الفلسطيني والعربي ، ومسألة متابعة رسائل الاعتراف المتبادل . وكان أبو مازن سبق الاجتماع والتقى صباحاً بالسفير السعودي في تونس ، وأطلعته على ما تم التوصل إليه في اوسلو ، وأبلغه أن السعودية أول دولة عربية تطلع على الاتفاق وهو في صيغته النهائية . وطلب إبلاغ الملك فهد بأن القيادة الفلسطينية وابو عمار وابو مازن ينتظرون منه دعم وتأييد الاتفاق ، سياسياً ومادياً ومعنوياً . وأبدى أبو مازن استعداده لزيارة السعودية إذا رغب الملك في الاطلاع على تفاصيل ما جرى ، وإذا رغب في معرفة ما لدى الفلسطينيين من توجهات . لقد اعتقد أبو مازن وخلية اوسلو أن السعودية سوف تقدر هذا التكريم الفلسطيني ، وتفتح صفحة جديدة من العلاقات . إلا أن شيئاً من ذلك لم يتم . فالأزمة بين الجانبين منذ حرب الخليج كانت عميقة وتبين انها اعمق من ان تحل بهذا الاسلوب او بهكذا مناسبة . فالرد السعودي لم يتأخر ، لكنه اقتصر على وعد بدعم الاتفاق ، ودعم قرارات القيادة الفلسطينية التي تخدم القضية الفلسطينية . اما موضوع الزيارة فلم يتم التطرق له .

في ذات الاجتماع المسائي ثبتت الخلية عدداً من التوجهات منها :

(أ) استدعاء الأساسيين من أعضاء الوفد الفلسطيني الى تونس وإطلاعهم بشكل عام على ما تم في اوسلو .

(ب) أن يتوجه أبو مازن الى موسكو لاطلاع القيادة الروسية على الاتفاق ،

وأن يعمل على امتصاص أية ردود فعل سلبية قد تبدر عنهم .

(ج) أن يتوجه أبو عمار الى القاهرة وعمان ودمشق لاطلاع المصريين والأردنيين والسوريين ضمن الحدود التي يراها أبو عمار مناسبة مع كل طرف .

(د) البدء بالتدريج بإطلاع الرأي العام الفلسطيني وتهيئته لتقبل الاتفاق .

(هـ) استدعاء كبار رجال الاعمال من الفلسطينيين الى تونس واطلاعهم على الاتفاق وإن يطلب منهم تأييد ودعم الاتفاق وتقديم بعض المبالغ المالية للمنظمة والمساعدة في وقف التدهور الحاصل في مؤسسات م . ت . ف . في الخارج .

ويومها قال أبو عمار سأقول لهم أنا بحاجة الى روتشيلد فلسطيني يقف الى جانبي من الآن وحتى استكمال بناء الدولة . أما بشأن رسائل الاعتراف المتبادل فقد اتفقوا أن يتابعها ياسر عبد ربه من تونس مع أبو علاء في اوسلو ضمن توجه يقول بضرورة انتزاع اعتراف واضح وصريح من رابين بأن المنظمة هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ، وأنها الجهة التي ستوقع الاتفاق . ويومها راح أبو عمار يلح الى رغبته شخصياً في توقيع الاتفاق . وأن الاتفاق يكون أقوى إذا وقع من قبل رابين وأبو عمار . وقبل انفضاض اجتماع الخلية عادوا وناقشوا مسألة استقالة محمود درويش حيث بدأت وكالات الأنباء تتناقل خبر إستقالته على نطاق واسع ، بعدما تم تسريبها بعلمه الى وكالات الأنباء . ويومها حزن أبو عمار وبحث عن محمود على أمل التحدث اليه واقناعه بالتراجع عن الاستقالة ، أو في الحد الأدنى تجميدها الى ما بعد تمرير الاتفاق .

لم ينجح أبو عمار في العثور على محمود الذي اختفى في باريس وتهرب من الحديث مع أبو عمار . فاستقالة محمود لم تكن بسبب سوء إدارة الأوضاع المالية والتنظيمية في اللجنة التنفيذية فحسب ، بل لأنه معارض للاتفاق ولا يستطيع البقاء في الاطار القيادي الفلسطيني الأول في مرحلة ما بعد الاتفاق . منذ البداية كان محمود درويش مع الدخول في عملية السلام ، وايد الذهاب الى مدريد ودافع عن الوفد الفلسطيني عندما تعرض للهجوم . وهو لم يكن من

حيث المبدأ ضد القناة السرية في اوسلو لكنة وقف ضد الاتفاق وقبل ان يقرأه
لانه كان يدرك سلفا انه لا يلبي الحد الادنى الذي يتصوره .لقد خاض محمود
درويش صراعاً داخلياً قوياً منذ دخوله اللجنة التنفيذية .كان صراعاً بين الشاعر
المبدئي وبين القائد السياسي المناور . حاول أكثر من مرة حسم هذا الصراع .
في دورة المجلس الوطني الأخيرة استقال . إلا أن ضغوط أبو عمار وأبو مازن
وكل الأصحاب أعادته الى عضوية اللجنة التنفيذية . أما استقالته الحالية فهي
نهائية ولا رجعة عنها . هكذا قال وهكذا فعل . وفي يوم ٢٢ آب ٩٣ نقلت
وكالات الأنباء خبر استقالة شفيق الحوت عضو اللجنة التنفيذية حيث سلمها
للصحف ووكالات الانباء في بيروت وعزاها الى الأوضاع التنظيمية السائدة
والى سوء إدارة القضايا المالية ، وعدم إطلاع اللجنة التنفيذية على ما يدور في
المفاوضات السرية الجارية هنا وهناك .

شفيق الحوت سياسي فلسطيني مخضرم من مؤسسي م . ت . ف . لم
ينخرط في اي من فصائل الثورة لكنة كان صديقا لجميع الفصائل والاحزاب ،
كانت مواقفه مسموعة . اسندت له مهمة تمثيل المنظمة في لبنان وقد سبب له
موقعه هذا متاعب كثيرة وعرضه لخطر الموت والاغتيال عدة مرات .

بناء على استدعاء عاجل من ابو عمار وابو مازن وصل المليونير الفلسطيني
حسيب الصباغ وباسل عقل الى تونس ظهر يوم ٢٠/٨/٩٣ ، على متن طائرة
خاصة وتوجهها مباشرة الى مكتب ابو مازن حيث اطلعهما بشكل اولي على
الاتفاق . ثم توجهوا معا الى بيته حيث كان الغداء جاهزاً وكان أبو عمار
بالانتظار ومعه النص النهائي للاتفاق . قبل تناول الطعام بادهم أبو عمار- على
ذمة الراوي بالقول ، عندي سر كبير وأنتم أول من سأطلعهم عليه خارج عصابة
الأربعة ، يقصدخلية اوسلو ، وطلب منهم أن يقسموا بأن يحفظوا السر لمدة
اسبوع . ثم تابع الحديث قائلاً هل تصدقون أننا توصلنا الى اتفاق مع اسرائيل
وأنهم يا أبو سهيل (حسيب) وافقوا على الاعتراف بمنظمة التحرير وعلى

الانسحاب من غزة وأريحا . وروى لهم مسار المفاوضات في أوسلو . وأطلعهم على نص الاتفاق . وقال هذا ما استطعت تحقيقه لشعبنا في هذه المرحلة ، أنا قمت بواجبي وجاء الآن دور روتشيلد فلسطين لبناني الدولة . غزة وأريحا والاعتراف بالمنظمة يعني دولة . نحن الآن أمام تحدي بناء الدولة ، لا أدري إذا كنا سننجح أم لا . بناء الدولة يحتاج الى مال يا أبو سهيل ونحن الآن مفلسون تماماً ، بناء الاقتصاد يحتاج الى مال ، وتغيير حياة الناس يحتاج الى مال . . والأولوية الآن لبناء وتجهيز الشرطة الفلسطينية ، وهذا يحتاج الى مال يا اخوان . بعد الدردشة والاستفسارات ، قال الصباغ وباسل سنبندي دولتنا يا أبو عمار ونجعلها دولة نموذجية . وقال : بإمكانني الآن أن اتعهد بجمع ١٠٠ مليون دولار لبناء الشرطة وسأعمل مع إخواني الآخرين على دراسة واجباتنا إزاء الاتفاق وتجهيز بناء الدولة . لاحقاً وبعد توقيع الاتفاق عقدت مجموعة من كبار رجال الاعمال والمال من الفلسطينيين اجتماعاً خاصاً في عمان بدعوة من أبو سهيل حضره السيد عبد المجيد شومان وآخرون من 'المليونيريه الفلسطينيه' ناقشوا فيه الموضوع وثبتوا العديد من التوجهات منها تأسيس شركة فلسطينية براسمال ٢٠٠ مليون دولار للاستثمارات في الضفة والقطاع وتعهدوا بأن لا يجني أي من المستثمرين أية أرباح وأن توظف الأرباح في معالجة قضايا الناس .

صباح يوم ٢٠ آب ١٩٩٣ اتصل الملحق العسكري في السفارة الروسية في تونس وطلب مقابلي وألح أن يكون اللقاء في ذات اليوم . فوافقت على اللقاء فوراً مدفوعاً بحب الاستطلاع . فالملحق العسكري كان من أنشط الذين عملوا في سفارة الاتحاد السوفياتي (سابقاً) في بيروت وكانت لديه دائماً أخبار ومعلومات جديدة ومفيدة . خلال وجوده في لبنان نشأت بيننا علاقات مبدئية حميمة . في اللقاء معه خاب ظني ، كنت أعتقد أنه قادم لابلأغي عن لقاءات أوسلو ، إلا أنه قال يا رفيق لدي سؤال وموسكو تريد الجواب . قلت تفضل ، قال أبو مازن طلب زيارة موسكو بصورة عاجلة جداً ، واشترط اللقاء مع وزير الخارجية

فور وصوله ، وطلبه الزيارة جاء عن طريق سفارة فلسطين في موسكو . وموسكو أرسلت لنا تسأل عن الموضوع الذي يحمله أبو مازن . قلت له ظننت أن موسكو على علم مسبق بالموضوع . وأضفت أن أبو مازن ذاهب الى موسكو لا بلاغ الأخوة أو الرفاق بأننا توصلنا الى اتفاق مع الاسرائيليين . اتفاق بين المنظمة وممثلين عن الحكومة الاسرائيلية . وسأل هل تم ذلك في واشنطن . قلت لا تم في اوسلو في مفاوضات سرية . غادر الملحق العسكري المكتب مسرعاً ولم يستغرق اللقاء سوى دقائق قليلة . بعد مغادرته قلت في نفسي يبدو أن الخراب في موسكو طال كل المؤسسات بما في ذلك جهاز ال . K.G.B حيث كنت أعتقد أن الروس والأمريكان على معرفة بما يجري في اوسلو ، وكنت أعتقد أن جهاز ال . K.G.B كاشف للاتصالات والتحركات الفلسطينية والاسرائيلية لا سيما وأنها طالت وامتدت عدة شهور .

قبل سفره الى القاهرة جمع أبو عمار الأعضاء المتواجدين من اللجنة المركزية لحركة فتح يوم ٢٢ آب ١٩٩٣ ، وقال لهم بتنا الآن قريبين من الاتفاق مع الحكومة الاسرائيلية . وطلب من أبو مازن عرض ما جرى في المفاوضات السرية ، ويومها قدم أبو مازن عرضاً مقتضباً ركز فيه على أن المفاوضات جارية بين الحكومة الاسرائيلية ومنظمة التحرير . وأن الاتفاق سوف ينص على تنفيذ القرار ٢٤٢ وأنه سوف يشير الى القدس والى عودة النازحين ، ولم يتطرق ابو مازن الى مكان المفاوضات ، ولا الى مسألة الاعتراف المتبادل ولا الى إلغاء بعض بنود الميثاق الوطني . وختم حديثه بالقول نحن بحاجة الى أسبوع كحد أقصى نتوصل خلاله للاتفاق ونمنى على المتواجدين من اللجنة المركزية أن يكتموا هذا السر لمدة اسبوع .

فوجئ الحاضرون بما سمعوا باستثناء أبو اللطف فقد أبلغه أبو عمار مسبقاً وكذلك أبو ماهر غنيم حيث كان أبو مازن قد وضعه منذ مدة في صورة المفاوضات السرية الجارية في اوسلو . لقد حرص ابو مازن على اطلاع أبو ماهر

بشكل مبكر فهو يثق بأن أبو ماهر قادر على حفظ الاسرار وهو من مؤسسي حركة فتح وقد يعارض الاتفاق اذا لم يطلع عليه بشكل مسبق ، فأبو ماهر من الأعضاء الأساسيين في اللجنة المركزية وهو المسؤول عن دائرة التعبئة والتنظيم . وكسب دعمه وتأييده للاتفاق مسالة فتحاوية داخلية هامة ، لا سيما وأنه معروف داخل فتح بأنه من المتشددین ومن الداعين للتنسيق مع سوريا . ولعل مواقف أبو ماهر التي مالت لصالح مواصلة المفاوضات شجعت أبو مازن على إطلاعها على مجريات المفاوضات في اوسلو اولاً باول .

في الاجتماع ببارك أبو اللطف وأبو ماهر الخطوة مما ساعد على تقبل الآخرين للمفاجأة . واعتبر ذلك الاجتماع أولياً واتفق في نهايته على دعوة اللجنة المركزية لاحقاً بكامل أعضائها للاجتماع . وترك لأبو عمار تحديد الزمان والمكان في ضوء النتائج الأولية للمفاوضات .

صباح يوم ٢٣ آب ١٩٩٣ غادر أبو مازن تونس الى موسكو ، وحاول أن يكون سفره شبه سري . فقد سافر دون أن يودع العاملين في مكتبه على غير عادته . وعند الاستفسار عنه كان الجواب شبه مبهم . لقد أثار غياب أبو مازن في ذلك اليوم العديد من الاستفسارات والتساؤلات خاصة بعدما سربت معلومات من إسرائيل بأن بيريز التقى مع أبو مازن في اوسلو . وأن هناك شيئاً ما ، يجري بين المنظمة والحكومة الاسرائيلية . وفي حينها نفى بيريز الخبر ، لكن طريقة النفي كانت غير واضحة ، وغير قاطعة ، مما كرس لدى وسائل الاعلام الانطباع بأن اللقاء قد تم . حتى أقرب الصحافيين العرب لم يصدقوا تأكيدنا بأن اللقاء لم يتم . وخلال ذات اليوم سافر أبو عمار الى القاهرة ليطلع الرئيس حسني مبارك على تفاصيل الاتفاق ، وليطلب منه التوسط لدى الملك فهد لإعادة العلاقات مع م . ت . ف . وتقدير مساعده ماليه عاجله للمنظمة ، ولاستطلاع الموقف الأمريكي وللبحث في كيفية إخراج الاتفاق ، ولطلب المساعدة في إتمام اتفاق الاعتراف المتبادل بين م . ت . ف . والحكومة الاسرائيلية . وقبل سفره التقى أبو

عمار الرئيس التونسي زين العابدين بن علي وأطلععه على تفاصيل ما تم التوصل اليه في اوصلو .

لقد حرص أبو عمار منذ البداية على إبقاء المصريين في أجواء اوصلو ، والأصح حرص على اشراكهم معه في حمل هذا العبء . فهو مقتنع تماما بان قيام دولة فلسطينية يخدم الامن القومي المصري ، ويعرف أن الأردن وسوريا ستنزعجان من المفاجأة وكان يريد من مصر أن تساعد في تخفيف ردود الأفعال العربية السلبية وبخاصة الأردنية والسورية . وبجانب ذلك فأبو عمار مقتنع بأن راي القيادة المصرية في قضايا الشرق الاوسط مسموع منذ كامب ديفيد عند الادارة الامريكية .

في القاهرة فوجيء عمرو موسى ما قاله أبو عمار . أما أسامة الباز فقال كنت واثقا من أن مفاوضات واشنطن لا يمكنها أن توصل الى اتفاق . وأن الاسرائيليين يفضلون عدم تدخل أي طرف ثالث حتى ولو كان الأمريكان . أما الرئيس مبارك ، فقد هنا أبو عمار على هذا الانجاز ووعد بأن يبذل جهوده مع الملك فهد لانهاء الأزمة مع م . ت . ف وتقديم ما يمكن تقديمه من المساعدات . وان يقوم بدور ما مع الرئيس حافظ الاسد والملك حسين للحصول على تأييدهما للاتفاق .

بعد القاهرة توجه أبو عمار ومعه ياسر عبد ربه يوم ٢٣ آب الى عمان لاطلاع الملك حسين على الاتفاق ، وتوجه أبو اللطف الى دمشق لاطلاع نائب الرئيس السوري عبد الحليم خدام والتمهيد لزيارة يقوم بها أبو عمار لدمشق . في دمشق ووجه أبو اللطف بعاصفة قوية من الملاحظات والانتقادات السورية والفلسطينية المعارضة لعملية السلام ، تركزت كلها حول المواقف الفلسطينية في مفاوضات السلام الجارية في واشنطن . وعندما حاول الاقتراب من موضوع المفاوضات الفلسطينية - الاسرائيلية السرية ، لمس أبو اللطف تشنجاً سورياً من مجرد وجود مثل هذه الفكرة . وعندما حاول جس النبض بشأن زيارة أبو عمار الى دمشق ،

ووجه برفض مباشر وسمع ذرائع متنوعة تحول دون اتمام الزيارة . أمام هذه الأجواء طوى أبو اللطف موضوع أوصلو ، وراح يقتل الوقت بانتظار اجتماع وزراء خارجية الدول الخمس المقرر عقده يوم ٢٧ آب ٩٣ وعقد عدد من اللقاءات مع قوى جبهة الانقاذ^(٤٠) . المعارضة لعملية السلام . ولم يتوان عن تبديل موقفه بصورة كاملة حيث راح يطلق التصريحات ضد عملية السلام كلها وراح يطالب بالانسحاب من المفاوضات بعدما تحولت الى مهزلة حسب تعبيره .

في عمان التقى أبو عمار مع الملك حسين ولم يصارحه بكل ما تم في أوصلو . يومها لم يطلعه على نص الاتفاق ، ولم يبلغه بأن م . ت . ف . قد توصلت الى اتفاق نهائي . كل ما قاله 'تذكر يا جلالة الملك ، سبق وأن أبلغتك في ايار الماضي بأن هناك قناة خلفية تدور فيها مفاوضات سرية بين المنظمة واسرائيل . الطرف الاسرائيلي يعرض الان علينا مشروع اتفاق بين المنظمة واسرائيل ، الاتفاق لم يستكمل ، والمفاوضات لا زالت جارية . الصيغة المعروضة ليست سيئة . فيها بعض النقاط والمواقف الايجابية الجديدة . وفي ختام الحديث طلب من الملك أن يستطلع له موقف الادارة الأمريكية غير المشاركة في مفاوضات أوصلو . وأضاف لا أريد أن أخسر الأمريكان يا جلالة الملك . ثم انتقل ابو عمار للحديث عن العلاقة الفلسطينية الأردنية ، وعن ضرورة إحياء عمل اللجان المشتركة . يومها لم يعلق الملك حسين كثيراً على ما قاله أبو عمار ، فقد فهم أن أبو عمار بصدد الاتفاق إن لم يكن قد أنجزه . وأنه في الوقت نفسه لا يريد إطلاعه على نص الاتفاق وتفاصيل ما تم التوصل اليه . ولا يريد قيام أي تنسيق جدي في هذه المرحلة بين المنظمة والحكومة الأردنية بشأن المفاوضات ومستقبل العلاقات . وقد كان فهم الملك لموقف أبو عمار صحيحاً ودقيقاً . فرغم فك الارتباط بين الأردن والضفة منذ سنوات ، ورغم تعامل العالم مع م . ت . ف . باعتبارها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ، ورغم الاعلان عن قيام دولة فلسطين واعتراف معظم دول العالم بهذه الدولة بما في ذلك الأردن ، ورغم

حرص الأردن على التعامل مع أبو عمار كرئيس دولة وله سفارة في عمان ، رغم ذلك كله فقد بقي أبو عمار ولا زال ينظر للأردن باعتباره البديل للمنظمة . ويتعامل معه باعتباره طامعاً في إعادة إلحاق الضفة الغربية بالضفة الشرقية . ورغم كل التطمينات التي قدمها الملك له ، ورغم كل التحليلات التي كان يطرحها بعض أعضاء القيادة الفلسطينية والتي تقول ، أن اعلان فك الارتباط مع الضفة خطوة أردنية استراتيجية وليست مناورة أو تكتيكا ، لسبب بسيط هو أن العالم بما في ذلك اسرائيل أقروا بالوحدة الترابية لأراضي الضفة والقطاع وأن تطور الأوضاع الفلسطينية داخل الأراضي المحتلة وتطور وضع الحركة الوطنية الفلسطينية لا يسمحان بإعادة إلحاق الضفة الغربية بالضفة الشرقية وفقاً للصيغة السابقة التي كانت قائمة قبل عام ٦٧ . ولم يقتنع أبو عمار بأن الوصول الى اتفاق بين المنظمة واسرائيل يعني نهاية فكرة الخيار الاردني كخيار بديل . وظل ينظر للأردن باعتباره خطراً على الاستقلال الفلسطيني . ولعل هذا الفهم هو الذي دفع أبو عمار في كثير من المحطات الى التريث أو التراجع عن أية خطوات تنسيقية جديدة مع الأردن قبل وخلال وبعد المفاوضات . وكان عاملاً أساسياً في دفع أبو عمار الى الاصرار في اتفاق اوسلو على ربط الانسحاب من غزة بالانسحاب من أريحا ، والتريث في الاقدام على أية خطوات جديدة باتجاه وضع الأسس واللبنيات الأساسية للكونفدرالية بين الأردن وفلسطين . عن أريحا قال أبو عمار أن الطريق الى القدس سيكون منها وليس من غزة . إلا أن حقيقة موقفه كان اختباراً للموقف الإسرائيلي من مستقبل الضفة . وهل سيكون مع الأردن أم مع المنظمة؟

خلال وجوده في عمان التقى أبو عمار أعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ، وأعضاء المجلس الوطني الفلسطيني . وخلال كل اللقاءات تعمد أبو عمار التعطيم تماماً على ما تم في اوسلو ، وصور ما تتناقله وكالات الأنباء والصحف والاذاعات حول الاتصالات السرية بين المنظمة واسرائيل وحول

اقترب الطرفين من الاتفاق ، على أنها اشاعات هدفها التأثير على الموقف الفلسطيني في مفاوضات واشنطن وتخريب العلاقات الفلسطينية - العربية ، والفلسطينية - الأمريكية . وقال نحن نصر على تدخل الراعيين ونفكر جدياً في اتخاذ بعض الخطوات الهامة التي سيكون لها تأثيرها على مسيرة عملية السلام . وشدد على أهمية الوحدة الوطنية الفلسطينية . وعلى التنسيق مع الأطراف العربية المشاركة في المفاوضات . وتحدث عن اجتماع وزراء خارجية الدول الخمس باعتباره محطة هامة ، وطرح احتمال مشاركته شخصياً في الاجتماعات . وفي الوقت الذي كان فيه أبو عمار يخفي ويعتم على اجتماعات اوسلو ، كان ياسر عبد ربه يعرض على عدد من اعضاء قيادة فدا تفاصيل اتفاق اوسلو . وكان يطالب قيادة التنظيم بتحضير الأوضاع الذاتية للمرحلة الجديدة التي دخلتها الحركة الوطنية الفلسطينية ، والقضية الفلسطينية برمتها .

بعد عودته من عمان يوم ٢٦ آب ١٩٩٣ ، ورداً على سؤال حول نتائج زيارته الى عمان ، وصف أبو عمار زيارته بأنها سلبية تماماً . لاحقاً أكدت مجريات الأمور صحة تقديرات أبو عمار . فقد توترت العلاقة بين الأردن والمنظمة لفترة قصيرة . فقبل الاعلان عن الاتفاق بصورة رسمية راحت الصحف الأردنية تهاجم الحلول الثنائية . وحمل بعضها على المنظمة وعلى أبو عمار شخصياً واتهمته بالتنكر للخدمات الكبيرة التي قدمها الأردن للمنظمة وللقضية الفلسطينية . وبعد الاعلان عن الاتفاق صدر أكثر من تصريح رسمي أردني هاجم التفرد الفلسطيني ، وتم التأكيد على أن الأردن ليس ملزماً بأي اتفاقات لم يشارك في صياغتها . ولاحقاً وبعد أقل من شهر غير الأردن موقفه من الاتفاق ، وتعامل مع الموضوع بواقعية . وأعلن الملك حسين تأييده الكامل لكل ما يقبل به الفلسطينيون ، وأكد أن الأردن يحترم القرار الوطني الفلسطيني الذي تتخذه المنظمة ودعا الى قيام تنسيق حقيقي بين المنظمة والأردن .

بالرغم من هذا التبدل في الموقف الأردني إلا أن العلاقة الفلسطينية الاردنية

بقيت متشنجة نسبياً لبضعة شهور لاحقة . ورغم وصفه لنتائج زيارته الى عمان بالسلبية ، ورغم الحملة الاعلامية التي شنتها الصحافة الأردنية ضد الاتفاق إلا أن أبو عمار كان مرتاحاً للاتفاق ، ولانعكاساته العربية والدولية ، وحاول الرد على الحملات الاعلامية وعلى التصريحات الرسمية الأردنية ، إلا أن ياسر عبد ربه وأبو مازن وبعض اركان القيادة الفلسطينية أقنعوه بأن الدخول في صراع مع الأردن لا يخدم الموقف الفلسطيني إطلاقاً ، بل يلحق أضراراً فادحة بمستقبل العلاقات ، وبالموقف التفاوضي الفلسطيني اللاحق . وأقنعوه بأن ردة فعل الأردن طبيعية ، فهو الشريك في الوفد المشترك وهو الشريك في الكونفدرالية الأردنية الفلسطينية ، ورغم ذلك فقد فرضت سرية المفاوضات والمصلحة الفلسطينية أن لا يتم التشاور معه قبل التوصل الى الاتفاق ، ونجحوا في تعطيل اندفاع أبو عمار نحو الرد والتصعيد .

خلال وجوده في عمان اتصل ابو عمار مع جمال الصوراني عضو اللجنة التنفيذية وسكرتيرها وطلب منه توجيه دعوة رسمية لأعضاء اللجنة التنفيذية للاجتماع في تونس في ٢٧ آب ١٩٩٣ . وجه أبو عمر الصوراني الدعوات إلا أنه لاحقاً راح ينكت حول الموضوع . فأبو عمر بحكم مهمته كسكرتير للتنفيذية هو المسؤول عن توجيه الدعوات لاجتماعات اللجنة التنفيذية وعن تحضير جداول الأعمال ، هذا من الناحية الرسمية . إلا أن واقع عمل التنفيذية يظهر أن مهمة سكرتاريا التنفيذية مهمة وهمية ، فأبو عمار هو الرئيس وهو السكرتير ، فهو الذي يوجه الدعوات لاجتماعات التنفيذية من خلال مكتب الأرشيف الملحق به مباشرة والمتنقل معه باستمرار ، وهو الذي يحدد جدول الأعمال هذا إذا تم مثل هذا التحديد ، ودفتره هو المحضر الوحيد لاجتماعاتها . ونادراً ما ترك للسكرتاريا أو لرؤساء المدوائر ، الفرصة للعمل في مهامهم . ورغم المحاولات العديدة والمتكررة التي بذلت من قبل بعض أعضاء التنفيذية لتنظيم عمل اللجنة التنفيذية إلا أن كل المحاولات باءت بالفشل . وبقيت اجتماعات

التنفيذية تعقد في المناسبات وعندما يرى أبو عمار ضرورة لدعوتها للاجتماع . وكثيراً ما حول أبو عمار اجتماعاتها الى ما يشبه الندوات ، أو الى اجتماعات موسعة للقيادة الفلسطينية ، فنادرأ ما اجتمعت التنفيذية وخاصة في المدة الأخيرة ، دون حضور عدد آخر من غير أعضائها الرسميين . وعندما يسال عن الاحوال يرد بسرعة انه متعب ومرهق لان اعضاء اللجنة التنفيذية لا يشتغلون ، وأنه يعمل نيابة عنهم اجمعين .

وخلال الفترة ذاتها وبالاتفاق المسبق مع ياسر عبد ربه وأبو مازن تم استدعاء وفد محدود من الداخل ضم كلاً من الدكتور حيدر عبد الشافي ، وفيصل الحسيني وحنان عشراوي وسعاد العامري ونيل قسيس ، وغسان الخطيب تحت شعار التشاور مع القيادة قبل انعقاد الجولة الجديدة -الحادية عشرة من مفاوضات واشنطن .

في موسكو لم يتأخر أبو مازن . فرحلته لم تستغرق أكثر ٤٨ ساعة ، التقى خلالها مع وزير الخارجية الروسي ، وسلمه نسخة من الاتفاق ، وشرح له الظروف والملابسات التي أحاطت بعدم اطلاعهم من قبل على مجريات مفاوضات أوسلو . وطلب منه دعم وتأييد الاتفاق والعمل مع الأمريكان للاتفاق على الاخراج ، وعلى إعادة العلاقة مع منظمة التحرير ، بعدما أصبح مؤكداً اعتراف اسرائيل بالمنظمة . لم يظهر الوزير الروسي أي انزعاج من عدم ابلاغه من قبل . ووعد بالاتصال المباشر مع الأمريكان لتأمين أكبر دعم سياسي واقتصادي دولي للاتفاق . وهنا كوزير أبو مازن والقيادة الفلسطينية على هذا النجاح التاريخي . بعد وصوله الى تونس تحرك أبو مازن الى المغرب لاطلاع الملك الحسن الثاني على الاتفاق ، وطلب جهوده في دعم وإسناد الاتفاق سياسياً واقتصادياً على المستويين العربي والدولي ، وخاصة مع السعودية . ومن الجدير ذكره أن أبو مازن كان على امتداد فترة التفاوض حريصاً على إطلاع الملك الحسن الثاني على مجريات المفاوضات من خلال سفير فلسطين في المغرب

وسفير المغرب في تونس ، فأبو عمار وأبو مازن ومعظم القيادة الفلسطينية تنظر للملك الحسن الثاني باعتباره ركناً أساسياً من أركان النظام العربي وأنه واحد من القلائل بين الزعماء العرب الذين لهم كلمة مسموعة عند الغرب والأمريكان . ولعل عدم تدخل الملك الحسن الثاني في الشؤون الداخلية الفلسطينية وعدم محاولته التأثير المباشر في السياسة الفلسطينية كان عاملاً مساعداً في بقاء العلاقة المغربية الفلسطينية جيدة . فلم تقع أية اشتباكات أو توترات جدية بين الطرفين طيلة عمر المنظمة . وعندما كانت تحصل بعض التباينات أو الخلافات بين الجانبين كانت تحل بطريقة حبية دون أن تترك أية آثار مؤذية . كما أن دور الملك الحسن الثاني في ترتيب اللقاء السري الأول بين حسن التهامي مستشار الرئيس السادات وموشي دايان وزير الدفاع الاسرائيلي ، لم يكن بعيداً عن سلوك أركان القيادة الفلسطينية تجاه الملك الحسن والحرص على إبقاء الصلة الدائمة معه . وفي كثير من الأحيان حاول أبو مازن استثمار علاقة الحسن بالعديد من الزعماء المغاربة اليهود الذين هاجروا الى اسرائيل ، أو الذين بقوا في المغرب وفرنسا والذين لهم علاقات حسنة مع القيادات الاسرائيلية ، ومع قادة اليهود المغاربة ، وخاصة زعماء حركة شاس وبعض زعماء الليكود من أمثال دافيد ليفي الليكودي المغربي الأصيل .

خلال هذه الفترة بقي أبو علاء في أوصلو يتابع المفاوضات مع الاسرائيليين حول صيغة الاعتراف المتبادل بين المنظمة واسرائيل . واتصل هاتفياً ليقول لقد اطلع بيريز على المسودة التي وضعها ياسر عبدربه وكان رأيه فيها أنها جيدة وتصلح أساساً للمفاوضات ، وهي بحاجة لبعض التدقيقات القانونية والإضافات التفصيلية المتعلقة بمسألة مصادقة المجلس الوطني الفلسطيني عليها والغاء بعض بنود الميثاق ، وبمسألة موقف المنظمة من الارهاب والعنف . وفهم من حديث أبو علاء أن بيريز يقصد الانتفاضة والاشارة بصيغة أو بأخرى الى وقفها والانصراف الى بناء المجتمع الفلسطيني . وبعد مشاورات تمت بين ياسر

وأبو عمار اتفق على استدعاء أبو علاء الى تونس لمناقشة الموضوع بصورة مباشرة ، بدل مناقشتها على الهاتف . وكان رأي أبو عمار وياسر عبد ربه أن الأمر يحتمل التأخير بضعة أيام . ويومها علق ياسر قائلاً ان الأخوة أبو علاء وأبو مازن وحسن عصفور لم تعجبهم الصيغة التي وضعتها . بيريز وصفها بأنها معقولة ومقبولة بينما الأخوان قالوا عنها أنها تصلح كخطاب في مهرجان جماهيري ، واعتبروها صيغة متشددة .

بحلول أواخر آب ٩٣ كانت الحركة في تونس على أشدها ، وكانت وسائل الاعلام العالمية ترفع من وتيرة تأكيداتها على لقاءات فلسطينية اسرائيلية سرية في اوسلو والقاهرة وواشنطن . وعن طبخة ما ، يجري الاعداد لها ، مبرزة أبو مازن وبيريز كبطلين لها . ولم يكن هناك أي حديث عن دور أبو علاء وحسن عصفور ، ولا حتى عن دور أبو عمار وياسر عبد ربه . في حينها حاول أبو عمار إخفاء إنزعاجه وتخوفاته من هذا الإبراز الأمريكي والدولي لأبو مازن ، إلا أنه كثيراً ما انفجر انزعاجه غضباً أمام المقربين ، وكان يقول : أبو مازن خدعني ، وهناك لعبة دولية للتخلص مني . . مبروك عليكم رئيسكم القادم أبو مازن . وبشكل مفاجئ بدأ مراسلو الصحافة ووكالات الأنباء يتوافدون على تونس ، ومن لم يصل منهم حجز لنفسه غرفة في أحد فنادق العاصمة المزدهمة أصلاً بالسواح . ففي أشهر الصيف تستقبل تونس كل عام ما لا يقل عن ثلاثة ملايين سائح معظمهم من الأوروبيين . ألمان وفرنسيين وإيطاليين وإنجليز . يأتون إليها ليستمتعوا بإجازاتهم السنوية في بلد رخيص نسبياً قياساً لدخل الفرد في أوروبا ، وقياساً لكلفة السياحة هناك ، وليستمتعوا أيضاً بمناخها وبشواطئها الجميلة المجهزة لخدمة السياح .

ورغم كثافة الحديث عن طبخة فلسطينية - اسرائيلية بقي أبو عمار وأبو مازن وياسر عبد ربه ينكرون وجود شيء من هذا القبيل . واستمروا في التعتيم حتى على أعضاء اللجنة التنفيذية . مساء يوم ٢٦ آب وبعد عودته مباشرة من عمان

دعا أبو عمار المتواجدين من أعضاء اللجنة المركزية لحركة فتح الى لقاء ، وفتح الحنفية على أخبار إضافية صغيرة . قال لهم الاسرائيليين وافقوا على توقيع اتفاق مع المنظمة ، وعلى أن يكون القرار ٢٤٢ أساساً للمفاوضات . ووافقوا على الانسحاب الكامل من غزة وأريحا . وتمنى على إخوانه الابقاء على الموضوع طي الكتمان بضعة أيام ، ريثما تحسم القضايا العالقة . وفي مساء ذات اليوم ٨/٢٦ عقدت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير اجتماعاً حضره ممثل الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ، كما حضره محمود درويش الذي سبق وأعلن استقالته من التنفيذية . اما شفيق الحوت فقد غاب عن الاجتماع . وغاب ايضاً عبد الرحيم ملوح ممثل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين حيث التزم بقرار سابق لقيادته بتعليق عضويتها في التنفيذية .

قبل الاجتماع رحب أبو عمار بمحمود ترحيباً حاراً وقال له 'أصيل يبقى أصيلاً يا محمود' . أنت أصيل وأنت تختلف عن شفيق (يقصد شفيق الحوت) . ويومها حاولت شخصياً الدفاع عن موقف شفيق إلا أن أبو عمار انفعل وقال أنت طيب وتأخذ الأمور بحسن نية . في السياسة لا مكان للنيات الحسنة يا ممدوح . شفيق صدرت له الأوامر العربية (يقصد سوريا) بمقاطعة اجتماعات التنفيذية . قلت : ولكنني متأكد من أن استقالته من التنفيذية تمت بناء على قناعة شخصية وليست بناء على أوامر من أحد . وفي حينها وضّح محمود موقفه وقال : استقلت لأسباب خاصة ومتنوعة ، وحضرت يا أبو عمار لأبين هذه الأسباب ، ولأظهر المسافة التي تفصلني عن أوباش الشام وكان يقصد الفصائل العشرة المعارضة لعملية السلام .

ورغم شبه تأكيد معظم أعضاء التنفيذية من أن هناك شيئاً ما أعد أو يعد مع الاسرائيليين ، إلا أن أبو عمار وياسر عبد ربه وأبو مازن استمروا في التضليل . وبادر أبو عمار بالحديث عن ورقة مصرية قديمة قدمت للإدارة الأمريكية . طرح الورقة على الاجتماع واستدرج الحاضرين لمناقشة نقاطها ونصوصها ، موحياً بأن

ما تتناقله وكالات الأنباء يدور حول احتمال موافقة اسرائيلية أو امريكية عليها . كما سرح -بالمجتميعن نحو المفاوضات الدائرة في واشنطن وحول الموقف الذي سيحمله الوفد الفلسطيني الى هناك .

ويومها دخل المعارضون لعملية السلام والمعارضون للدور المصري في مناقشة الموضوع بكل جدية ، رافعين من حدة نبرة أصواتهم ضد عملية السلام وضد المفاوضات ، وضد الدور المصري المعروف بانحيازه للرغبات الأمريكية . وكرروا مواقفهم السابقة الداعية الى وقف المفاوضات والانسحاب من كل عملية السلام . في وقت كان فيه الإتفاق قد وقع بالأحرف الأولى . وفي ذلك الإجتماع شدد مندوب الجبهة الديمقراطية على ضرورة الدعوة الى اجتماع قيادي فلسطيني ضيق ، وسمى الدكتور جورج حبش ونايف حواتمة وأبو عمار . وعلى هامش الإجتماع بادر الى الحديث الثنائي مع أبو عمار عن ضرورة توجيه دعوة خاصة الى نايف حواتمة وجورج حبش وترتيب لقاء ثلاثي سريع . في حينها رحب أبو عمار كلامياً بالفكرة ، وقال : الدعوة مفتوحة وبإمكانهم الحضور في أي وقت ، وكلف مندوب الديمقراطية بنقلها اليهم . بعدها نسي أبو عمار الموضوع كلياً . وعند هذا الحد انتهى الإجتماع .

خلال ذات اليوم تناقلت وكالات الأنباء من عمان تصريحاً منسوباً الى صالح رأفت عضو المجلس المركزي ،عضو قيادة حزب فدا ، بأن لقاءات سرية عقدت بين قيادة المنظمة وممثلين عن الحكومة الاسرائيلية في اوسلو ، وأن الطرفين أوشكا على التوصل الى اتفاق بين المنظمة والحكومة الاسرائيلية . وفي اليوم الثاني تناقلت وكالات الأنباء أيضاً ذات الخبر منسوباً للدكتور عزمي الشعيبي عضو قيادة فدا . وكان لهذين التسريبين أثرهما السلبي على مصداقية ياسر عبد ربه مع أركان المطبخ المصغر ، وتركبا بعض ردات الفعل عند أعضاء اللجنة التنفيذية حيث تيقنوا أن هناك طبخة وأن ابو عمار كعادته يخفي الموضوع عنهم . فشعار أعضاء اللجنة التنفيذية والعديد من القيادات والكوادر

الفلسطينية كان «إذا أردت أن تعرف ما يريد أبو عمار عليكم الاستماع لتصريحات ياسر عبد ربه» .

وبينما كانت اللجنة التنفيذية تعقد اجتماعها كنت ألتقي مع سعاد العامري ومع د . نبيل قسيس عضوي الوفد في منزلي . وفي ذلك اللقاء تحدثت معهما حول الاتصالات السرية وحول احتمالات الوصول الى اتفاق نهائي بين المنظمة واسرائيل إن لم يكونوا قد توصلوا بعد . كما تحدثت عن فحوى الاتفاق وذكرت بعض نقاطه ونصوصه . خلال الحديث لاحظت أن كليهما لم يفاجأ تماماً بما قلت ، فما تناقلته وكالات الأنباء وما سمعاه من د . عزمي الشعيبي قبل وصولهما الى تونس ، جعل الموضوع أمراً متوقعاً . ويومها علق د . نبيل قسيس وقال : من الغباء أن لا نتوقع ذلك . وأضاف الآن أصبح بالإمكان تفسير العديد من المواقف التي كنا نتلقاها من تونس خلال المفاوضات في واشنطن .

ظهر اليوم التالي جلس ياسر عبد ربه جلسة طويلة مع نبيل قسيس ومع سعاد في بيته ووضعهما في صورة تفاصيل المفاوضات السرية وعرض لهما شفوياً نصوص الاتفاق ونقاطه الأساسية . بعد اجتماع التنفيذية ذهب أبو عمار مع أبو مازن ومحسن ابراهيم في ساعة متأخرة من الليل الى منزل سليمان النجاب حيث كان يقيم الأمين العام لحزب الشعب السيد بشير البرغوثي وتم إطلاعهما على الاتفاق وعلى حكاية مفاوضات أوصلو 'من طقطق وحتى السلام عليكم' . يومها تشنّج سليمان النجاب وتوتر بسبب إخفاء الأمر عنه شخصياً وبسبب تجاهل دور الحزب . فهو عضو في اللجنة التنفيذية وعضو في اللجنة العليا لمتابعة المفاوضات ، وقيادي أول في حزب ايد عملية السلام من بدايتها وشارك بفعالية في مفاوضات واشنطن . وكان توتره أكبر عندما علم أن ياسر عبد ربه وحسن عصفور من المشاركين في الطبخة ، أما بشير فقد ضبط أعصابه لا سيما وأن أبو مازن سبق وعرض عليه مشروع الاتفاق دون ذكر أي تفاصيل . وصباح يوم ٢٧ جلس أبو عمار مع د . حيدر عبد الشافي بحضور محسن ابراهيم وبشير

البرغوثي وتحدث معه عن الاتفاق . إلا أن حديثه كان غامضاً ، لدرجة أن الدكتور حيدر خرج بانطباع أن هناك مفاوضات سرية مع المنظمة وأن المنظمة متمسكة بمواقفها من المسائل الأساسية وأن من الصعوبة التوصل الى اتفاق بين المنظمة واسرائيل . وبعد رواية د . حيدر لما دار بينه وبين أبو عمار علق البعض قائلاً : « أبو عمار قطع ورقة للدكتور حيدر عبد الشافي وانهى دوره قبل التوقيع » . آخر قال : المهمة الرئيسية لأبو عمار ستكون مسح إسم فيصل الحسيني ، وحيدر وحنان من الذاكرة ومن أجهزة الإعلام العالمية .

ظهر يوم ٢٨ آب اتصل أبو مازن بياسر عبد ربه وتشاور معه في مسألة إطلاع المتواجدين من الوفد المفاوض على الاتفاق . وافق ياسر عبد ربه وتحركت سعاد العامري ونبيل قسيس من دائرة الاعلام الى دائرة العلاقات الخارجية لقراءة الإتفاق . وسألني ياسر عبد ربه إذا كنت راغباً في الذهاب معهم لقراءة النص النهائي والرسمي للاتفاق . قلت لا إذ لا معنى لذهابي سوى استكمال المسرحية التي أقوم بها بشأن المعرفة بما دار في أوصلو . وأظن أن أبو مازن وأبو علاء وحسن عصفور يعرفون في قرارة أنفسهم باني على علم بالموضوع . وسيأتي يوم أسألهم فيه لأعرف تقديراتهم . وفعلاً بعد التوقيع في البيت الأبيض وبعد عودة الوفد من واشنطن راح أبو مازن وياسر عبد ربه وأبو علاء وحسن عصفور يكثرون من الحديث عن الاتفاق وعن الصراعات التي كانت تدور في الخفاء ، وعن عملية التمويه والتضليل التي وضعت ونفذت بإحكام . كان حديثهم فيه الكثير من التباهي والتفاخر ، وكان فيه بعض التشويه لمواقف الوفد الفلسطيني في واشنطن ، ولم يخل في بعض الأحيان من تصفية بعض الحسابات الصغيرة مع بعض أعضاء الوفد وبعض المشرفين على عمله . وخاصة الذين كانوا يخفون المعلومات عن أبو مازن ، وعن لجنة المفاوضات ، والذين وكانوا يلعبون على التباين بين أبو مازن وأبو عمار . كنت خلال الجلسات أُلجأ الى الصمت أحياناً ، وفي أحيان قليلة كنت أ تدخل لصالح الدفاع عن الوفد ، وفي أحيان أخرى كنت

أُلح إلى بعض المواقف من بعض المسائل التي كان يتم القفز عنها . وفي إحدى الجلسات في مكتب أبو مازن تكرر الحديث عن أوصلو ونسبت مواقف لأفراد عكس مواقفهم التي كنت أسمعها من ياسر عبد ربه . كان الموضوع يدور حول الابداع في المفاوضات وطرح فكرة غزة-أريحا . عندها تدخلت وقلت لكن أبو عمار يتهمكم بأنكم جميعاً كنتم ضد الفكرة ولم تكونوا مقتنعين بإمكانية الحصول عليها . وذات الشيء بالنسبة لمسألة الاعتراف بالمنظمة وتوقيع أبو عمار على الاتفاق . ورويت ما قاله أبو عمار لي . عندها قال أبو مازن : شخصياً كنت واثقاً أنك على إطلاع ومعرفة بما يدور في أوصلو رغم نفي ياسر عبد ربه للأمر عدة مرات . تيقنت من سلوكك عندما كنت تحضر ونحن نناقش قضايا أوصلو . كنت تجلس بضع دقائق ثم تغادر بسرعة تحت حجج واهية . أما أبو علاء فقال : « اسئلتك لي كانت تبعث الشك في نفسي ، وفي إحدى المرات سألت ياسر عبد ربه إذا كان ممدوح على اطلاع ومتابع لما يجري في أوصلو ، وفي حينها نفى ياسر عبد ربه إلا أنني لم أصدق » . ويومها قلت لهم أظن أن من غير الطبيعي أن لا يطلعني ياسر ، وعلى كل حال ولحسن حظكم أو سوءه انني سجلت كل ما قاله لي ياسر عن المفاوضات وسجلت كل الأدوار التي قمت بها وقام بها أبو عمار للتمويه على الموضوع ، وشرعت في كتابتها . وقد أكتب ما لا تكتبون . ونصحتهم بأن يصححوا الرواية حول عدد الذين كانوا على اطلاع على ما كان يدور في أوصلو وقلت لهم اضيفوا أسماء جميل هلال ، وصالح رأفت ، وعزمي الشعبي ، وآخرين من قيادة 'فدا' ولا أدري إذا كان أي منهم أبلغ آخرين من التنظيم أو من خارجه . وأعتقد أنهم ابلغوا الكثيرين ، وذات الشيء فعل بعض العارفين الآخرين .

في غرفة مدير مكتبه وضع أبو مازن نص اتفاق أوصلو ، وبعد جلسة قصيرة مع فيصل الحسيني وحنان عشراوي وسعاد العامري ونيل قسيس وزكريا الآغا وغسان الخطيب ابلغهم فيها بكلمات قصيرة عن الاتفاق . وطلب أبو مازن منهم

الاطلاع على الاتفاق وتمنى عليهم أن لا يصوروه اطلاقاً ، وأن يسجلوا آراءهم وملاحظاتهم تمهيداً لجلسة تعقد لاحقاً يتم الحديث فيها عن الكيفية التي تم التوصل فيها للاتفاق . وعن الدوافع والأسباب التي دفعته للاستمرار على إبقاء الموضوع سرياً وإخفائه عن الجميع . وخلال ذات اليوم استدعى الدكتور حيدر الى مكتب أبو مازن وتم الجلوس معه على انفراد ورويت له حكاية اوسلو ووضع نص الاتفاق أمامه فقرأه بإمعان شديد .

في مساء يوم ٢٨ آب ١٩٩٣ دعا أبو عمار الى اجتماع مشترك بين الوفد المفاوض واللجنة التنفيذية ، ورغم اطلاع الوفد والعديد من أعضاء التنفيذية على الاتفاق إلا أن أبو عمار قفز عن الموضوع . وعاد الى مناقشة الورقة المصرية التي قدمت الى كريستوفر ، ودفع بالنقاش باتجاه بحث قضايا الجولة الجديدة من المفاوضات التي سيسافر الوفد 'اغداً' للمشاركة فيها . وعندما طرح بعض أعضاء اللجنة التنفيذية بعض الاستفسارات حول المفاوضات السرية بين المنظمة واسرائيل وحول التوصل الى اتفاق بين الطرفين ، كان جواب أبو عمار : هناك مفاوضات واتصالات عبر عدة قنوات وعندما نتوصل الى نتائج نهائية سيطرح الموضوع على التنفيذية وعلى المؤسسات التشريعية المعنية بصورة رسمية لأخذ رأيها وأخذ موافقتها .

في ذلك الاجتماع فهم أعضاء التنفيذية أن أبو عمار لا يريد طرح الموضوع على اجتماع التنفيذية ، وحاول مندوب جبهة التحرير العربية الموالية للعراق ومندوب الجبهة الديمقراطية وعبد الله حوراني تسجيل مواقفهم بطريقة فيها بعض الاستفزاز . إلا أن أبو عمار لم يمرر لهم مواقفهم . وكيف يمررها وهو في أوج النشوة والسعادة بالاتفاق وبالإعتراف بالمنظمة . وركز هجومه على ممثل الجبهة الديمقراطية ووجه له ولأمينه العام (نايف حواتمة) إهانات سياسية وشخصية شديدة وجارحة ، رداً على الإهانات والهجوم الشخصي الذي تعرض له أبو عمار ، في البيانات والتصريحات التي صدرت من دمشق وعمان عن هذا

التنظيم ، وسواء من المعارضين . وفي الوقت الذي كانت فيه كل وكالات الأنباء تتناقل خبر اللقاءات والاتفاق ، ورغم إبلاغ العديد من أعضاء التنفيذية والوفد المفاوض بالاتفاق ، كان أبو اللطف وصائب عريقات يحضران اجتماعات وزراء خارجية الدول العربية الخمس (سوريا ، مصر ، الأردن ، لبنان ومنظمة التحرير) وكانوا ينفون بالمطلق كل الأخبار عن الاتفاق . وصدرت تصريحات عنيفة عن أبو اللطف ضد أي تفرد من المنظمة ، وطالب بأن تكون الاتفاقات في وقت واحد وعلى كل مسارات المفاوضات . وإذا كانت تصريحات أبو اللطف تشير الى تراجع عن موقفه الذي اتخذته قبل السفر الى دمشق ، فتصريحات صائب كانت تصريحات الضائع الذي لا يعرف بما يجري في تونس ولا يدري بما دار في أواسلو ، وهو على كل حال لم يكن الوحيد الذي فوجئ .

يوم ٢٨ آب وقبل عودته من واشنطن أرسل بيريز الى تونس ما مفاده 'ان اللقاء مع كريستوفر ممتاز ، والزيارة ناجحة ، ولدي اخبار سارة سأنقلها لكم لاحقاً . غداً الأحد ٢٩ آب ستجتمع الحكومة لدراسة الاتفاق والأجواء إيجابية جداً . ومع هذه الكلمات المتفائلة أرسل بيريز سيناريو اخراج الاتفاق وقال أنه اتفق عليه مع هولست وزير خارجية النرويج ومع الأمريكان ، وخلاصته :

(١) يعود طاقم اواسلو الى اللقاء فوراً لالانتهاء من وضع الصيغة النهائية لاتفاق الاعتراف المتبادل بين المنظمة واسرائيل .ويستمر النرويجيون في دعمه .

(٢) يرسل أبو عمار رسالة الى رابين يؤكد فيها التزام المنظمة بما تم التوصل اليه في اواسلو ، ويؤكد له الالتزام بما تم وضعه بشأن الاعتراف المتبادل وخاصة الحديث عن استعداد المنظمة لالغاء بعض نصوص الميثاق التي تتعارض مع الاتفاق والتي تدعو الى تدمير إسرائيل .

(٣) بصورة متزامنة (أ) يعلن الأمريكان أولاً أن الفلسطينيين توصلوا مع الحكومة الاسرائيلية بمساعدة حكومة النرويج الى اتفاق . وأن الادارة الأمريكية قد شجعت المفاوضات السرية التي تمت بين الطرفين في اواسلو ،

وتشكر الادارة الأمريكية اوسلو وكل من ساهم في تشجيع الطرفين وكل من ساعد على الوصول الى هذا الاتفاق ، وتدعو الادارة الأمريكية جميع القوى والدول الى مساندة ودعم هذا الاتفاق . وأن الادارة الأمريكية ملتزمة بدعمه وإنجاحه . وأضاف بيريز أنا واثق من أننا سنبدأ نلمس هذا الموقف الأمريكي خلال الأيام والساعات القادمة .

(ب) بعد الاعلان الأمريكي يصدر بيان رسمي عن الحكومة الاسرائيلية يعلن عن التوصل الى اتفاق بين المنظمة والحكومة الاسرائيلية ويعلن راين عن استلامه رسالة من عرفات ويعلن عن مضمونها . ويعلن انه ارسل رسالة الى عرفات تعترف فيها اسرائيل بالمنظمة كممثل للشعب الفلسطيني .

(ج) بعدها تعلن المنظمة عن التوصل الى الاتفاق مع الحكومة الاسرائيلية . وفي ضوء هذا الاتفاق تعود المنظمة وتؤكد نبذها للعنف ، والالتزام بقرار ٢٤٢ كأساس لحل النزاع مع اسرائيل ، وتدعو الشعب الفلسطيني الى العمل من أجل بناء المجتمع والاقتصاد الفلسطيني بعدما دمرته الحروب والصراعات الدموية .

(د) ولاحقاً وبدون تحديد موعد زمني ، يصدر عن الادارة الأمريكية بيان حول العلاقة مع منظمة التحرير . ومن الجدير ذكره أن هذا السيناريو لم يكن بعيداً عن السيناريو الذي سبق واقترحه د . أسامة الباز مستشار الرئيس مبارك خلال زيارة أبو عمار للقاهرة . وذلك الذي ناقشه ابو علاء مع الاسرائيليين والنرويجيين في اوسلو .

رحبت الخلية القيادية الفلسطينية بالسيناريو المقترح ، وتحرك أبو علاء وحسن عصفور الى باريس ، حاملين معهما صيغة نهائية لرسائل الإعتراف المتبادل بين المنظمة واسرائيل . وأرسل أبو عمار رسالة خطية الى الملك فهد يعلمه بالاتفاق وبترتيبات الاعلان عنه ، وطلب دعمه للاتفاق والمساعدة على إنجاحه . وخلال ذات اليوم توجه الوفد الى واشنطن . وشد أبو عمار رحاله من جديد نحو القاهرة

وعدد آخر من عواصم الدول العربية . وخلال ذات اليوم اتصلت مع د . خليل الهندي عضو الوفد المفاوض المقيم في مانسستر وأبلغته بالاتفاق كما اتصلت مع خير الله خير الله المحرر الرئيسي في جريدة الحياة وأبلغته بالاتفاق ، والشيء ذاته فعلته مع بعض الأصدقاء في عمان . وفي اليوم التالي (الأحد) لم تتحرك عجلة الاعلان وفقاً للسيناريو المتفق عليه . حيث لم ينته مجلس الوزراء الاسرائيلي من مناقشة الاتفاق خلال ذلك اليوم ، اذ طلب بعض الوزراء من الوقت لقراءة الاتفاق بصورة مدققة . وفي اليوم التالي (الاثنين) عقد مجلس الوزراء الاسرائيلي جلسة استثنائية وأقر الاتفاق بأغلبية ١٦ صوتاً وامتنع وزيران عن التصويت . بعدها تم طرح الاتفاق للعالم . ومع الاعلان بدأت مرحلة جديدة من الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي ، وراحت تفاعلاته تبرز أولاً بأول .

الاتفاق يشير عاصفة قوية من ردود الأفعال

في العادة تثير الأحداث الخفيفة المفاجئة ردود أفعال بسيطة ، تستمر فترات زمنية محدودة . أما الأحداث الكبيرة وخاصة المفاجئ منها فردود الأفعال عليها تكون كبيرة وتستمر لفترات طويلة . هذا ما فعله الاعلان يوم ٣٠ آب ، عن توصل الحكومة الاسرائيلية ومنظمة التحرير الى اتفاق عبر مفاوضات سرية تمت في أوسلو . فمنذ اللحظة الأولى للاعلان وقبل التوقيع عليه ، أثار الاتفاق عاصفة قوية على كل المستويات الدولية والعربية والاسرائيلية والفلسطينية ، بعضها رحب والآخر تحفظ وآخرون عارضوه ورفضوه قبل أن يقرأوه . وهذا أمر طبيعي ومنطقي ، لأن وقوع الأحداث الكبيرة هو الأساس في تشكل ردود الأفعال عليها ، أما تفاصيلها فيجري الاهتمام بها لاحقاً . كل القوى الدولية والاقليمية والمحلية الكبيرة أو الصغيرة تعاملت مع الاتفاق باعتباره حدثاً تاريخياً كبيراً ، وسيفرض نفسه ضمن قائمة الأحداث الدولية والاقليمية الكبرى التي تضع بصماتها عادةً على مسار حركة التاريخ .

وأعتقد أن التباين والاختلاف حول الاتفاق لا يلغي حقيقة أنه يوازي من حيث آثاره ونتائجه المباشرة واللاحقة على الصراع الفلسطيني والعربي - الاسرائيلي تلك التي تركها وعد بلفور عام ١٩١٧ ، وحرب ٤٧-٤٨ ، واعلان قيام دولة اسرائيل أو حرب ٦٧ . ولأنه من هذا الحجم والنوع فالتباين والاختلاف في صفوف الشعب الفلسطيني حوله أمر طبيعي ، وظاهرة صحية وصحيحة تماماً . ولا يمكن مطالبة الحركة الوطنية الفلسطينية بمختلف اتجاهاتها بالاجماع على تأييد الاتفاق . فهو اول اعلاج اوضاع جزء بسيط من الارض والشعب ، اما اوضاع باقي الشعب والارض فقد بقيت محتلة ، وحتى هذا الجزء البسيط فقد بقي بصورة واخرى ناقص السيادة ومشوه الاستقلال . فالاتفاق يعطي لجيش الاحتلال حق التدخل في معظم مناحي حياة أهل غزة واريحا . وهو ثانياً حكم ذاتي ناقص ، والحكم الذاتي لم يكن في يوم من الايام هو

الهدف المنشود للشعب الفلسطيني . لقد قاتل الفلسطينيون اربعون عاما من اجل الدولة المستقلة ، والمسافة بين الدولة والحكم الذاتي شاسعة جدا . والاتفاق ثالثا ، جاء بصورة مفاجئة ، وتم بطريقة انقلابية . ومن الطبيعي ان ترفض اقسام واسعة من الشعب الفلسطيني وقواه الوطنية هذا الانقلاب ، لاسيما ان الموافقة عليه تستوجب احداث تغيير جذري في المفاهيم وفي القناعات الفكرية والحزبية الراسخة منذ سنين طويلة ، والموافقة عليه تتطلب ايضا التخلي والتضحية بمصالح ذاتية فردية وجماعية ، مادية ومعنوية ، كبيرة واساسية . والاتفاق رابعا ولد على ارضية مليئة بالشكوك في النوايا الاسرائيلية ، وكان للاصرار الاسرائيلي على فرض بعض النصوص دور في تكريس الشكوك وزيادتها . وفي حينها حاکمت قطاعات واسعة من الشعب الفلسطيني الاتفاق انطلاقا من الحكمة الشعبية القائلة (اسمع كلامك يعجبني ، لكن افعالك تحيرني) .

لقد وضع اتفاق اوسلو الشعبين الفلسطيني والاسرائيلي وجميع القوى الدولية والاقليمية أمام الأمر الواقع . وفي حينه سارعت الادارة الامريكية الى تصويره على انه اتفاق سلام شامل وكامل بين الفلسطينيين والاسرائيليين ودفعت الاعلام العالمي للتعامل معه على هذا الاساس ، الا ان كل ذلك لم يغير المواقف والقناعات الفلسطينية ، ولم يبدل مواقفهم الحذرة والانتظارية . وبقي التعامل الفلسطيني الرسمي والشعبي يقوم على اساس ان الاتفاق خطوة نوعية جديدة في العلاقات مع اسرائيل ، وهذه الخطوة او الخطوات مطروحة على الاختبار العملي والملموس .

لقد رأت الادارة الأمريكية في الاتفاق اختراقا سياسيا كبيرا يفتح الآفاق لدفع كل عملية السلام خطوات كبيرة نحو الأمام . ورأت فيه قوة تدفع منطقة الشرق الأوسط نحو استقرار يضمن لها تعزيز نفوذها ، وتوسيع مصالحها . ولهذا رحبت الادارة الأمريكية بالاتفاق ، وأعلن الرئيس كلينتون يوم ٣٠ آب دعم

الولايات المتحدة للاتفاق . ودعا دول العالم الى مساندته بكل السبل والوسائل الممكنة ، وتعهده ببذل كل جهد ممكن لحمايته من المتطرفين أعداء السلام . لقد تعمدت الادارة الأمريكية الايحاء بأن الاتفاق تم برعايتها وقللت من الدور الذي قامت به النرويج . وراحت تتصرف باعتبارها صاحبة العرس وكاتبة عقد القران . فقد جاء الاتفاق في وقت كانت فيه الادارة الأمريكية في أمس الحاجة الى إنجاز ما في سياستها الخارجية ، خاصة بعد إخفاقها في معالجة مشكلة البوسنة ، وظهور اخطاء في سياستها في الصومال . وحيث كانت متهمه داخليا ومن قبل حلفائها الأوروبيين بأنها إدارة ضعيفة مترددة وذات سياسة خارجية مرتبكة . ولهذا سارعت بعد الاعلان مباشرة ، الى التحرك على أكثر من صعيد وفي أكثر من اتجاه . إعلامياً صورت الاتفاق على أنه اتفاق سلام ، وأن اقطابه اقطاب سلام . وراحت الماكينة الاعلامية الأمريكية الضخمة تضخم الاتفاق و الانجاز ، وتجميل صورة م . ت . ف . عامة وأبو عمار على وجه الخصوص . قبل الاتفاق بأيام كانت منظمة التحرير منظمة إرهابية متطرفة ، لا تستطيع الولايات المتحدة إقامة أية علاقات معها . وكان ياسر عرفات إرهابيا لا تستطيع الادارة الأمريكية التعامل معه ، ولا حتى السماح له بدخول الولايات المتحدة . بعد الاعلان ، وبقدرة قادر ، تغيرت الصورة ليس فقط في الولايات المتحدة بل في كل أنحاء العالم . صارت المنظمة حركة مكافحة من أجل السلام . وأصبح عرفات بطل السلام يستحق الترشيح لنيل جائزة نوبل للسلام . وخلال أيام معدودة تقاطرت الصحف العالمية ، والوكالات من بقاع الأرض الى تونس ، لتنقل الأخبار وتغطي الحدث من جهة ، ولتجميل صورة المنظمة وصورة أبو عمار من جهة أخرى . فهذه هي 'التعليمات التي تلقيناها' على حد قول كبار المراسلين الذين امتلأت بهم فنادق العاصمة التونسية . سياسياً ألحق الرئيس كلينتون ووزير خارجيته وارن كريستوفر تصريحاتهما المتحمسة والداعمة للاتفاق ، بإجراء اتصالات تلفونية مباشرة مع العديد من زعماء المنطقة ، وبعض رؤساء دول العالم . مشددين على ضرورة دعم الاتفاق وإسناده في مواجهة

المتطرفين . وقصد الرئيس كلينتون إفهام رؤساء بعض الدول التي عارضت الاتفاق بأنه يرمي بثقله الشخصي خلف الاتفاق . وراحت الادارة تتحدث عن تغيير محتمل في سياستها الرسمية من منظمة التحرير ، مشددة على ضرورة أن تظهر المنظمة التزامها بتنفيذ الاتفاق وأن تحترم توافيقها . وبجانب النشاط الاعلامي والسياسي ، ركز قسم الشرق الأوسط في الخارجية الامريكى جهوده مع أصحاب اتفاق اوسلو للاسراع في استكمال الحجاز الاعتراف المتبادل . وأخذوا يستطلعون الأفكار الفلسطينية والاسرائيلية بشأن مكان وزمان التوقيع على الاتفاق . وإرضاءً لأبو عمار وطلبه بضرورة توفير دعم اقتصادي للاتفاق أجرى الوزير كريستوفر عدة اتصالات مع السعودية ، وعدد من دول الخليج . وتحدث أكثر من مسؤول في الادارة عن ضرورة توفير دعم مالي واقتصادي للسلطة الفلسطينية الانتقالية التي ستقوم في غزة وأريحا ، وعن ضرورة أن يلمس الناس أن هناك تغييرات ايجابية في حياتهم اليومية ومن ضمنها تحسين اوضاعهم المعيشية .

أما روسيا وريثة الاتحاد السوفياتي في رعاية العملية السلمية ، وشريكة الولايات المتحدة في ذلك ، فقد فوجئت بالاتفاق وسارعت الى الترحيب بهذا الانجاز . وذكرت العالم بأنها أحد الراعين لعملية السلام . ودعت دول العالم لدعم الاتفاق ، كما شددت على ضرورة أن يكون الاتفاق على المسار الفلسطيني - الاسرائيلي مقدمة وعاملاً مساعداً على التقدم على المسارات العربية - الاسرائيلية الأخرى . وذات الشيء فعلته الدول الأوروبية والأفريقية والآسيوية . ويمكن القول أن الغالبية العظمى من دول العالم هنأت طرفي اتفاق اوسلو على هذا الانجاز الكبير ودعتهم الى متابعة جهودهما السلمية .

تفاعلات الاتفاق على الساحة العربية

أثار اتفاق إعلان المبادئ بين المنظمة والحكومة الاسرائيلية عاصفة قوية غطت سماء وشوارع المنطقة العربية برمتها . ولم تبق قوة عربية رسمية أو شعبية ، صغيرة أو كبيرة ، إلا وأدلت بدلوها في الاتفاق . الجميع فوجئ بالاتفاق والجميع يعتبر ان القضية الفلسطينية قضية العرب الأولى . هكذا تثقفت الشعوب العربية وهكذا كان الموقف الرسمي العربي منذ عام ٤٨ وحتى الآن . ورغم تبدل الأنظمة في العديد من الدول العربية منذ قيام اسرائيل ، إلا أن الموقف من القضية الفلسطينية ظاهرياً لم يكن يتبدل أو يتغير . القديم والجديد كان ينادي بتحرير فلسطين ، والكل يعتبر اسرائيل عدواً للأمة العربية . وكثيراً ما كان الموقف من اسرائيل ومن تحرير فلسطين موضع مزادة بين الدول العربية وبين هذا النظام العربي الراحل ووريثه القادم .

على مدى أكثر من ٤٠ عاماً كان الموقف من فلسطين مقياساً للوطنية وللقوموية العربية . ومن أجل فلسطين دخلت العديد من الدول العربية في حروب طاحنة ، استشهد فيها مئات الآلاف من الشباب العربي عامةً والمصري والسوري والأردني واللبناني خاصة . التضحية من أجل فلسطين واجب مقدس ، شراء السلاح على حساب قوت الناس واجب مقدس ، تخصيص معظم موازنات الدول العربية المحيطة بفلسطين للتسلح واجب مقدس ، ومسألة غير خاضعة للبحث والنقاش . فرض الأحكام العرفية ، وتأجيل الحقوق الديمقراطية ، ومصادرة حقوق الانسان في العديد من الدول العربية ، كانت القضية الفلسطينية غطاء له . تقديم الدعم المالي من الدول العربية البعيدة لدول الطوق واجب قومي . فمن أجل فلسطين واسترجاع ما اغتصب منها وإعادة من شرد منها أنفقت طاقات وإمكانات عربية ضخمة . باختصار كانت القضية الفلسطينية ، والصراع مع اسرائيل ، حجر الزاوية في بناء النظام السياسي العربي من المحيط الى الخليج . وكان لها دورها في تحديد الاتجاهات الثقافية والصناعية

والحضارية والاقتصادية العربية . ولهذا كله كانت المفاجأة كبيرة . كانت الصدمة نفسية وفكرية قوية ، طالت الحاكم العربي والانسان العادي . وبحجم الصدمة كانت ردود الفعل . بعضهم أصيب بالذهول والبعض الآخر لم يصدق . ردود الفعل ظهرت بسرعة وقبل أن يتم التعرف على تفاصيل الاتفاق . وتراوحت بين اتهام القيادة الفلسطينية بالخيانة الوطنية والقومية وتحليل قتلها ، وبين تأييدها والاشادة بحكمتها . السمة الغالبة لموقف الشارع العربي كانت بين متحفظة ومعارضة ، ومتشككة في إمكان الوصول الى سلام مع اسرائيل . الغالبية العظمى من الأحزاب والمنظمات الشعبية العربية تحفظت على الخطوة الانفرادية الفلسطينية في القضية القومية . العديد منها هاجم قيادة المنظمة ، وترحم على شهداء فلسطين وشهداء الأمة العربية الذين ضحوا بحياتهم من أجل فلسطين . وهناك من ترحم بصورة تهكمية على المرحوم السادات ، وطالب بإعادة الاعتبار الوطني والقومي له ، وإقامة تماثيل له في كل المدن الفلسطينية والعواصم العربية . كتاب ومثقفون طرحوا الموضوع من زوايا مختلفة . هل كنا على خطأ؟ هل كان السادات قائدا ذا نظرة استراتيجية؟ هل كان بالامكان حصول الفلسطينيين على اتفاق أفضل قبل سنين؟ أسئلة كثيرة ومتنوعة طرحت في الشارع العربي . ولم يبق بيت عربي إلا وناقش مسألة التوصل الى اتفاق بين المنظمة واسرائيل . ومنذ التوقيع وحتى الآن وحالة الجدل والنقاش مستمرة ، تخبو أحيانا لكنها سرعان ما تعود بقوة . وأظنها سوف تتواصل لسنوات طويلة قادمة . وسيبقى الموضوع مشارجدل لجيل عربي كامل أو اكثر . ولا أعتقد أن بالامكان الوصول الى اجماع شعبي عربي مع الاتفاق أو ضده . ومن الجدير ذكره أن تسليح قيادة م. ت. ف. بتجارب الرسول محمد (صلعم) في الحروب وفي صلح الحديبية لم يفلح في تخفيف حملة القوى الاسلامية على الاتفاق وضد قيادة م. ت. ف. .

لقد ساهم الاتفاق بصورة أو بأخرى في استنفار القوى الأصولية في المنطقة .

وأعطائها مادة سياسية للحركة والنشاط في أكثر من قطر عربي . ودفع العديد منها الى تصعيد نشاطه ضد المنظمة ، في دولها إذا أمكن من جهة أخرى . وفتح امام النظام الاسلامي في إيران المجال للقيام بدور أكبر من الذي كان يقوم به قبل الاتفاق . أما على الصعيد الرسمي العربي فالمواقف وردود الفعل كانت أكثر تحديداً ووضوحاً . وتحكمت بها اعتبارات تختلف عن الاعتبارات التي أثرت في موقف الشارع العربي ، منها : (أ) أثر الاتفاق وانعكاساته على المصالح المباشرة والبعيدة لهذا النظام أو ذاك . (ب) موقف الإدارة الأمريكية والدول الكبرى الأخرى من الاتفاق . (ج) كذلك طبيعة العلاقة القائمة بين قيادة المنظمة والنظام العربي في هذا البلد أو ذاك . صحيح أن التزام النظام العربي الرسمي بالقضية الفلسطينية ومتطلباتها قد تراجع منذ سنوات عديدة لصالح المصالح القطرية ، لكن التوصل الى اتفاق بين الفلسطينيين والاسرائيليين وإنهاء القضية ذاتها ، شئ آخر .

جميع الحكومات والرؤساء العرب فوجئوا بالاتفاق باستثناء الرئيس المصري حسني مبارك والرئيس التونسي زين العابدين بن علي ، والى حد ما الملك حسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية . الكل صدمته المفاجأة لكن صدمة الدول المشاركة مع م . ت . ف في المفاوضات كانت أقسى وأكبر . قبل الاتفاق وعلى مدى عامين من المفاوضات العربية-الاسرائيلية كان التنسيق بين الأطراف العربية المشاركة في المفاوضات الثنائية شكلياً واقرب الى رفع العتب . وكان محصوراً في لقاءات موسمية ومتباعدة ، يعقدها وزراء خارجية سوريا والأردن ولبنان وفلسطين وباشتراك مصر . وأيضاً في لقاءات شكلية يعقدها رؤساء الوفود المفاوضة خلال تواجدهم في واشنطن مهمتها تبادل ما يراد تبادله من المعلومات ليس أكثر . أما التنسيق بين الأطراف العربية الأخرى المشاركة في المفاوضات المتعددة الأطراف ، فقد كان معدومة من الناحية الرسمية . اما من الناحية العملية فلم تكن حدود التنسيق تتعدى التنسيق الثنائي خلال

كل جولة من جولات المفاوضات . وخلال تلك الفترة كانت الأطراف العربية المشاركة في الثنائي تأخذ على المنظمة تكرار حديثها عن المقاطعة والتعليق . وقبل التوقيع بأسابيع قليلة كانت تنصح المنظمة ، وتدفعها نحو القبول بالاستلام المبكر للسلطات في الضفة والقطاع ، التي بادر الأمريكان الى طرحه ، ورفضته قيادة م . ت . ف في حينه .

بعد الاعلان عن الاتفاق اتهمت المنظمة بعدم التنسيق وبالتفرد في المفاوضات ، وفي اتخاذ قرار يمس كل الأوضاع العربية ومن ضمنها المواقف التفاوضية لسوريا والأردن ولبنان . في الأيام الأولى التي سبقت حفل التوقيع في البيت الأبيض تلاقى الموقف الرسمي الأردني مع السوري واللبناني والليبي والعراقي ، حول معارضة الاتفاق مع تباين في شكل التعبير وحدة النبرة في الخطاب السياسي . جميع حكومات هذه الدول اصدرت بيانات رفضت فيها الاتفاق ، ورفضت الالتزام بما يمسه أو يؤثر في مواقفها ومصالحها . واعتبرته تفرداً فلسطينياً في قضية قومية . وتفرداً من قبل قيادة م . ت . ف في إدارة وتوجيه المفاوضات . وحملتها المسؤولية الكاملة عن النتائج السلبية التي قد تلحق بالموقف التفاوضي العربي ، أو بالقضية الفلسطينية . وخلال تلك الفترة شنت أجهزة الاعلام الرسمية في تلك الدول حملة عنيفة ضد الاتفاق وضد قيادة م . ت . ف . واتهمتها بالتنكر وعدم الوفاء للدم العربي والتضحيات الجسيمة التي قدمتها الشعوب العربية من أجل القضية الفلسطينية .

وفي الوقت الذي طار فيه أبو عمار نحو القاهرة واليمن والسودان (٩٣/٨/٣٠) ليلتقي مع كارتر ، الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية ، توجه الملك حسين الى دمشق للقاء بالرئيس الأسد وبحث انعكاسات الاتفاق على مواقف البلدين في المفاوضات وتوحيد الموقف فيما بينهما . وخلال ذات اليوم بادر الرئيس مبارك الى الاتصال مع الرئيس الأسد للتخفيف من حدة إنفعاله من تصرف قيادة م . ت . ف . ومن تفرداها في الاتفاق .

أما باقي الدول العربية فبعضها تريث في تحديد موقفه وتأخر متعمداً ،
والآخر بادر وطرح موقفه فوراً . وتراوحت مواقفها بين تأييد الاتفاق بشكل
واضح . وتأييده بالقول : ان من حق قيادة الشعب الفلسطيني أن تبرم الاتفاقات
التي ترى فيها ما يخدم تحقيق الأهداف الوطنية المشروعة والعدالة للشعب
الفلسطيني . وقالت في بياناتها وصحافتها الرسمية بأنها تقبل وتدعم ما تقبل
به قيادة الشعب الفلسطيني ممثلة بمنظمة التحرير الفلسطينية . في البداية حاول
أبو عمار الرد بعنف على الهجوم الذي تعرض له من قبل الأردن وسوريا ولبنان
وليبيا والعراق . وراح يفكر في شن حملة اعلامية ضد الأردن وسوريا بالذات ،
إلا أن أبو مازن وياسر عبد ربه عطلا اندفاعاته ، وأزرهما في ذلك آخرون . وقالوا
ان من حق العرب أن يتخذوا ما يحلو لهم من مواقف ازاء الاتفاق ، ومن حقنا
أن نصل ونوقع ما يناسبنا من الاتفاقات . ولكن في الوقت ذاته من واجبنا تفهم
واستيعاب ردود فعل الدول والقوى العربية والأحزاب غير الحاكمة ، وتوقعوا أن
تغير هذه الدول مواقفها بعدما تخف آثار الصدمة التي أحدثها الاتفاق . فهي
من جهة مضطرة للتعامل مع الواقع الجديد الذي سيفرضه الاتفاق ، ومن جهة
أخرى ستجد نفسها مضطرة للتجاوب مع المواقف الدولية الداعمة والمؤازرة
للاتفاق ، وتجنب الاصطدام مع الادارة الأمريكية التي باتت تحتضن الاتفاق .
وفي حينه استغرب الجميع ، وفوجئوا ، بموقف الحكومة السودانية المؤيد للاتفاق .
فالسودان يحكمه بصورة أو بأخرى اتجاه اصولي اسلامي ، وتربطه علاقات
حميمة مع ايران ، وكل الحركات الاصولية في المنطقة . في حينها فسر أبو عمار
الموقف من زاوية شخصية ، إذ اعتبره نتيجة للعلاقة القوية التي تربطه بالترابي ،
الموجه الروحي للنظام ، وبأركان النظام أنفسهم بمن في ذلك البشير . إلا أن
الآخرين من القيادة الفلسطينية فسروه سياسياً ، واعتبروه محاولة سودانية
للتخفيف من حدة الموقف الأمريكي والاسرائيلي العدواني من النظام الحاكم
في السودان . وفهموه على أنه رسالة من السلطة السودانية للأمريكان خاصة ،
والغرب عامة ، بأنها على استعداد للتكيف مع الوجهة الاستراتيجية الأمريكية

والأوروبية في المنطقة ، والدافعة باتجاه صنع السلام والاستقرار في منطقة الشرق الأوسط .

خلال أقل من اسبوعين بدأت حدة مواقف الدول العربية التي عارضت الاتفاق تخف تدريجياً وقبل أن يأتي يوم ١٣ ايلول كانت مواقفها الرسمية تغيرت تماماً فقد شارك ممثلون عنها وعن كل الدول العربية ما عدا ليبيا والعراق في حفل التوقيع على الاتفاق الذي تم في حديقة البيت الأبيض في واشنطن . بعضها ، مثل سوريا ولبنان ، تغيرت مواقفه العملية ، أما مواقفه الرسمية فلم يصدر ما يعلن عن تبديلها . توقفت الحملات الاعلامية ، وصدرت تصريحات عن مسؤولين تقول بأنهم لن يقفوا حجر عثرة في طريق تطبيق الاتفاق . ولاحقاً التقى الرئيس الأسد مع رئيس اللجنة التنفيذية . أما الأردن فلم يتردد الملك حسين في اتخاذ موقف علني دعم فيه الاتفاق . وأعلن عن استعداد الأردن لمساعدة م . ت . ف . في تطبيقه ، وفي بناء مؤسسات السلطة الفلسطينية التي ستقوم في غزة وأريحا . وأعرب عن ترحيب الأردن برفع مستوى التنسيق مع قيادة المنظمة في المفاوضات ، وفي تنظيم العلاقات على أسس قومية ثابتة .

لاحقاً وبعد بضعة أسابيع قليلة عقد مجلس جامعة الدول العربية اجتماعاً اختتمت أعماله ببيان أيد فيه موقف م . ت . ف . وأكد على التوجه العربي نحو السلام العادل والشامل . وشدد على انسحاب اسرائيل من كل الأرض العربية التي احتلت عام ٦٧ ، وعلى ضرورة التقدم على كل محاور المفاوضات . صحيح أن العرب أعلنوا تأييدهم للاتفاق إلا أن العلاقة بين م . ت . ف . وكل من الأردن وسوريا لم تعد الى ما كانت عليه قبل الاتفاق . علماً بأنها وعلى مدى سنين طويلة لم تكن صافية على الإطلاق . وكان الشك في النوايا هو سيد العلاقة بين الأطراف الثلاثة وكثيراً ما تخللتها -توترات- حادة . فخرج قرارات المجلس الوطني حول الكونفدرالية مع الأردن ، ورغم إقدام الأردن على فك الارتباط مع الضفة الغربية ، إلا أن هاجس الوطن البديل بقي عند الكثير من الأردنيين ،

وبقي يقابله هاجس الضم واللاحاق ومصادرة التمثيل المستقل عند أبو عمار وكثير من القيادات الفلسطينية . وهذا أبقي العلاقة ملفوفة بالريبة والغموض منذ عام ١٩٧٠ وحتى الآن .

أما العلاقة بين سوريا ومنظمة التحرير فمحطات التصادم الخفيف والدامي والتوتر كثيرة ، بدءاً من التقاتل بالسلح على أرض لبنان عام ٧٦ ، وانتهاء بوجود الفصائل العشرة المعارضة لقيادة المنظمة في دمشق حتى الآن ، وسعي القيادة السورية المتواصل لخلق قيادة بديلة لقيادة المنظمة بالحد الأدنى ، والقيام بحركة شغب إذا فشلت في صنع البديل . وخلال تعداد المكاسب والمزايا التي حققتها المنظمة من اتفاق اوسلو ، كان أبو عمار وآخرون في القيادة الفلسطينية يضيفون بشيء من الفرح والارتياح أن الاتفاق وجه ضربة ماحقة لفكرة القيادة البديلة ، وشطب طموحات سوريا بالهيمنة على القرار الفلسطيني المستقل ، وهز مرتكزات الضم واللاحاق ، إلا أنه لم يسقطها كلياً .

لا شك أن اوسلو واعتراف اسرائيل بمنظمة التحرير كممثل للشعب الفلسطيني وانفتاح الادارة الأمريكية على قيادة المنظمة جاءت لتعزز مواقع أبو عمار خاصة ، والمنظمة عامة . وأظن أن القيادتين السورية والأردنية تدركان أن شطب تاريخ العلاقة الصراعية والمتشنجة مع قيادة م.ت.ف ليس بالأمر الهين ، ويحتاج الى جهد كبير لمنعه من التحكم لاحقاً بالعلاقة بين الكيان الفلسطيني في المرحلة الانتقالية والدولة الفلسطينية في النهاية وبين الدولتين الأردنية والسورية . وأن ذلك ليس مرهوناً بإرادة طرف واحد .

التفاعلات المباشرة للاتفاق داخل اسرائيل

وفقاً للتقاليد والأعراف الديمقراطية في اسرائيل ، اجتمع رابين قبل الاعلان عن الاتفاق مع أقطاب المعارضة ، وأطلعهم على نص الاتفاق الذي تم التوصل اليه مع م . ت . ف . ولم تكن المعارضة الاسرائيلية بحاجة الى قراءة نصوص الاتفاق حتى تنزل للشارع ، للتظاهر والاعتصام أمام منزل رئيس الوزراء وأمام الكنيسة . فقبل الاطلاع على الاتفاق ومع بدء تسرب اخباره نظمت المعارضة حركتها ضد الاتفاق وباتجاه إسقاط حكومة رابين . وفي الوقت الذي نظمت فيه التظاهرات والاعتصامات ، عملت مع حركة شاس باتجاه الانسحاب من الائتلاف الحكومي ، والتصويت في الكنيسة ضد الاتفاق ، وإظهار حكومة رابين بأنها لا تملك أغلبية يهودية لاقرار الاتفاق . وفي حينها تلاقى مصالح شاس مع المعارضة وانسحبت من الائتلاف . ولعبت قصة إدانة الوزير درعي بالتلاعب المالي ، واضطرار رابين الى اخراجه من الحكومة دوراً في الانسحاب . لقد استنفر الاتفاق كل قوى اليمين في اسرائيل وتنادت الى اللقاء وتدارست خطة إسقاط الاتفاق وإسقاط الحكومة ، وقررت تشكيل لجنة متابعه برئاسة شارون .

لقد قرأ اليمين الاسرائيلي الاتفاق بصورة صحيحة ، فقد رأى فيه ضربة قاضية لبعض مرتكزاته الأيديولوجية ، ولستقبله السياسي والتنظيمي . فحزب الليكود والأحزاب الدينية واليمينية الأخرى تقوم على أن كل أرض فلسطين هي أرض الميعاد التي وعد الله اليهود بها . صحيح أن الاتفاق لا يقر بالسيادة الفلسطينية عليها ، إلا أن هذه الأحزاب تدرك أن الاقرار في الاتفاق بوجود شعب له ممثل شرعي ، سيقود في النهاية وخلال بضع سنوات الى التسليم بحق هذا الشعب في تقرير المصير ، أي حقه في دولة . وتعرف أن القرار ٢٤٢ يقول بأن أراضي الضفة الغربية والقدس الشرقية وقطاع غزة هي أراض محتلة وأن اسرائيل هي الطرف المحتل لهذه الأرض ، وأن تنفيذه يعني الانسحاب

الاسرائيلي من هذه الأراضي ، لتصبح أجلاً أم عاجلاً دولة كل الشعب الفلسطيني . وتعرف أن فقدان أرض الميعاد بعد أكثر من ربع قرن ، والاضطرار للتسليم بأنها أراض للغير ، يعني نفس مرتكزين أساسيين من مرتكزاتها العقائدية ، وهما العودة الى أرض الميعاد ، والافرار بوجود الأغيار ومنهم الشعب الفلسطيني .

ظهر يوم ٣٠ آب رن جرس الهاتف في منزلي وبعد الاستفسار عن المتحدث الذي كان يتكلم العربية الفصحى بطلاقة قال أنه أهود يعاري . هو رجل اعلامي اسرائيلي لامع ، وخبير ضليع في الشؤون الفلسطينية ، ألف مع زئيف شيف كتابا تحليليا عن وضع الانتفاضة . وهذا الكتاب من أفضل ما كتب عن الانتفاضة حتى الآن . قلت يهود يعاري نفسه الذي رفض اللقاء معي في القاهرة في صيف عام ٨٨؟ قال : صحيح وأتكلم من واشنطن ، وقد حصلت على رقم الهاتف من السيدة سعاد العامري عضو الوفد الفلسطيني للمفاوضات بعد مقابلة تلفزيونية معها . قلت سبحان مغير الأحوال ، اتصالك مؤثر على مسار الأحداث وطبيعة المواقف تماماً ، كما كان رفضك اللقاء بحجة أن القانون الاسرائيلي يمنع اللقاء بيننا . قال هذا صحيح وكل شيء تغير . الجميع عندنا يعيش المفاجأ وهذه صدمة عنيفة . الاتفاق احدث انقلابا في الشرق الأوسط . عمله رابين سرا مع عرفات ، انقلبوا على فكرهم ، وعلى تاريخهم ، وعلى ثقافتهم ، قبل أن ينقلبوا على الآخرين . وهذا الانقلاب إذا نجح ، سيغير منطقة الشرق الأوسط ويقلبها رأساً على عقب . قلت نحن متفقان في التحليل وحتى في التسمية والوصف . وأضفت أنه يشبه انهيار سور برلين الذي سقط قبل أربع سنين تقريباً . قال كيف الوضع عندكم؟ الوضع عندنا صعب كثيرا وأعقد مما يتصوره الكثيرون بمن فيهم رابين نفسه . ولا أعرف إذا كان بإمكان رابين الاستمرار في الحكم رغم أنه صاحب الانقلاب . أنتم ستكسبون مسائل ملموسة من الاتفاق ، وهذا سوف يساعد عرفات على البقاء في الحكم . لكن

اسرائيل من وجهة نظر نصف المجتمع ستخسر الأرض والعقيدة ، ولن يقدم رابين للناس عندنا سوى كلمات على الورق . قلت سيقدم السلام وسيقدم اعتراف الفلسطينيين باسرائيل ، وهذا ليس بالقليل . قال هذا صحيح وأنا أستوعبه لكنه وعود و-كلام في نظر نصف المجتمع عندنا . على كل حال وضع رابين صعب جداً . والأمور الداخلية عندنا على وشك الانفجار الداخلي . المعارضة اصببت بالجنون ولا بد من الاسراع في الانتهاء من ورقة الاعتراف المتبادل . لا بد من إعطاء رابين ورقة ، وأكرر ورقة إلغاء بنود الميثاق التي تنص على تدمير اسرائيل . يمكن لهذه الورقة أن تساعد رابين في الصمود أمام العاصفة . وأضاف قبل قليل وصلني نص الاتفاق كما نشر في تل أبيب . وأعتقد أنه سيخلق إشكالات إضافية لرابين مع المؤسسة العسكرية والأمنية عندنا . جماعتنا صعب عليهم أن يبلعوه . قلت : وضع أبو عمار والاتجاه العامل عندنا في المفاوضات ، والمؤمن بالسلام صعب جداً . المعارضة عندنا قوية جداً وهي موجودة في كل الفصائل دون استثناء بما في ذلك فتح وحزب الشعب وفدا ، قلت في كل الفصائل دون استثناء ، واتفاق أوسلو أعطى لرابين ما يريد . تأجيل الاستيطان للمرحلة النهائية ، وعدم التعهد بوقفه خلق لنا اشكالات كبيرة ، ودفع بالكثيرين من مؤيدي عملية السلام الى المعارضة والتحفظ على الاتفاق بمن فيهم اعضاء في الوفد المفاوضات ، وعلى رأسهم الدكتور حيدر عبد الشافي . ولا أعرف إذا كان سيبقى الدكتور حيدر على رأس الوفد المفاوضات أم أنه سيستقيل . وضعنا صعب جداً ولا بد من بعض الخطوات العملية للموسسة للناس عندنا ، من نوع اجراءات بناء الثقة مثل إطلاق سراح المعتقلين ، واعادة المبعدين ، وتخفيف الاجراءات الأمنية والعسكرية على الأرض ، وأضفت أن معظم المعتقلين والمبعدين ابعدوا أو اعتقلوا بتهمة الانتماء لمنظمة التحرير ، وتهمة رفع العلم الفلسطيني . والاتفاق رغم عدم النص يلغي قانونياً مبرر الاعتقال والابعاد . وطلبت منه إرسال نص الاتفاق بالعبرية عبر الفاكس . في نهاية المكالمة عاد أهود وأكد على صعوبة الموقف وركز على التفاعلات الكبيرة التي سيحدثها

الاتفاق داخل اسرائيل واتفقنا على اللقاء لاحقاً . قال أظنه سيكون في تونس قبل غزة وأريحا . وبعد دقائق أرسل أهود يعاري نص الاتفاق باللغة العبرية . قلت لنفسى إن اسراع رابين في نشر اتفاق اوسلو علناً ، يؤكد ثقته بأن نصوص الاتفاق ستساعده في خوض المعركة ضد اليمين . إلا أن نشر نصوصه التفصيلية ونصوص رسائل الاعتراف المتبادل التي يجري اعدادها ستثير عاصفة قوية من النقاش عندنا . وستجد فيه المعارضة ، الكثير الكثير من النواقص والكثير الكثير من البنود التفصيلية الصالحة للاستعمال لظهار سلبيات الاتفاق .

بعد نشر الاتفاق في اسرائيل ، نشرت المعارضة الاسرائيلية خطة تحركها السياسي والجماهيري ، تحت شعار اسقاط الاتفاق وإسقاط حكومة رابين . وقبلها على الجانب الفلسطيني اجتماع طارئ واستثنائي للفصائل العشرة المعارضة للمفاوضات عقدته في دمشق . وأذاعت هي الأخرى خطتها للاطاحة بالاتفاق والاطاحة بالقيادة الفلسطينية المستسلمة والخائنة وعلى رأسها ياسر عرفات .

لقد اتهم اليمين الاسرائيلي حكومة رابين بتقديم تنازلات واسعة لم يكن يحلم بها الفلسطينيون . اتهموها بالتمهيد للتنازل عن القدس وإعادة تقسيمها ، مجرد القول في الاتفاق بأن القدس مؤجلة وسيبحث وضعها في المرحلة النهائية . واتهموها بتغيير صيغة مدريد وشطب الحل مع الأردن ، ومع فلسطينيين من الداخل ، واستبداله بحل مع منظمة التحرير . التي تطالب بدولة فلسطينية وبتدمير اسرائيل . واتهموها بالتفريط بأمن اسرائيل ، بالموافقة على تشكيل شرطة فلسطينية قوية ، والسماح بدخول آلاف المخربين من الخارج بلباس الشرطة . بالموافقة على عودة مئات الألوف من النازحين الذين غادروا منذ الرابع من حزيران ١٩٦٧ . وبالاستعداد لاطلاق سراح آلاف المخربين المعتقلين الذين سفكوا دم اسرائيليين . واتهموها بالتفريط بالمستوطنين وبالتمهيد لفكفكة

المستوطنات . وراحت قوى اليمين تطالب بانتخابات برلمانية جديدة . وبعضها طالب باعتماد الأغلبية اليهودية في الكنيست ، وعدم أخذ أصوات النواب العرب بعين الاعتبار . وآخرون هددوا بالتمرد ومقاومة الاتفاق بقوة السلاح ، خاصة إذا تم المساس بالمستوطنات والمستوطنين ، وإذا ظهرت الشرطة الفلسطينية على الطرق . ولم يتورع نتنياهو عن القول أن الليكود لن يتعامل مع الاتفاق في حال عودته للسلطة .

من نصوص الاتفاق وعلى أرضيته ، خاض رابين واركاز حزب العمل وحركة السلام الآن معركتهم ضد المعارضة . وكانت منطلقات ومركزات هجومهم ضد المعارضة ودفاعهم عن الاتفاق تقوم على :

أولاً : المفاوضات بدأت في عهد الليكود ، وشامير هو الذي قبل بالتفاوض مع الفلسطينيين ضمن مسار فلسطيني مستقل . وفي عهده رفع الغطاء ورفعت المظلة التي خدع بها شامير شعب إسرائيل حين ادعى بأن الوفد الفلسطيني المفاوضات جزء من الوفد الأردني ولا علاقة له بمنظمة التحرير . وخلال عهده التقى الوفد الفلسطيني مرات ومرات مع مرجعيته السياسية والتنظيمية . المفاوضات عملياً كانت مع المنظمة بصورة غير مباشرة . وحزب العمل حين تفاوض مع المنظمة أنهى الخديعة الكبرى التي مارسها الليكود مع شعب إسرائيل . وفي حينها قامت قيادة المنظمة وعلى لسان أبو مازن بالكشف عن بعض اللقاءات والاتصالات السرية التي تمت سابقاً بين أركان أساسيين من الليكود مع بعض قادة منظمة التحرير ، وعن لقاءات موشي عميراف مع فيصل الحسيني وسري نسيبة . وذلك في سياق تقديم المساعدة لرابين في معركته مع اليمين ، وتأكيد مصداقيته حول هذه النقطة . وبالفعل ساهمت المعلومات التي كشفت عنها المنظمة ، في تسليح كتاب وسياسيي ورجال اعلام حركة السلام وحزب العمل في فضح مواقف الليكود . وفي شتى الهجومات ضد أطروحات اليمين حول التفاوض مع منظمة التحرير .

ثانياً : فكرة المرحلة الانتقالية والحكم الفلسطيني الانتقالي فكرة ليكودية أصلاً ، طرحت في عهد بيغن ووردت نصاً في اتفاقات كامب ديفيد . حزب العمل كان مع الخيار الأردني والليكود هو الذي ورط اسرائيل في حل مع الفلسطينيين . ونصوص اتفاق اوسلو لا تخرج عن المواقف التي طرحها بيغن خلال مفاوضات الحكم الذاتي التي تمت مع المصريين . واتفاق أوسلو أعطى في بعض المجالات ما اعطاه الليكود في كامب ديفيد وفي مجالات أخرى أعطى أقل بكثير مما ورد في كامب ديفيد . فالنص الوارد في اتفاق أوسلو حول تشكيل شرطة فلسطينية قوية مأخوذ من اتفاقية الحكم الذاتي الملحقه باتفاق كامب ديفيد . وكذلك النص على عودة النازحين . أما المجالات التي ستنقل سلطاتها للفلسطينيين فهي أقل بكثير مما ورد ذكره في اتفاقات كامب ديفيد .

ثالثاً : في معرض الردود على الليكود ، راح راين وبيريز وأركان حزب العمل يبرزون نصوص الاتفاق المتعلقة بأمن المستوطنات والمستوطنين وكل الاسرائيليين ، ليؤكدوا أنهم لم ولن يتساهلوا في أمن اسرائيل أرضاً وشعباً وممتلكات . وراحوا يتباهون بالنصوص التي تبقي المستوطنات ولا تمس وضعها خلال المرحلة الانتقالية ، التي تعطي اسرائيل المسؤولية الكاملة عن الأمن الخارجي وأمن الاسرائيليين . وتعطي الاسرائيليين حرية الحركة على الطرقات في غزة وأريحا . واعطوا تفسيراتهم الخاصة للعديد من نصوص الاتفاق ، وخاصة نصوصه الأمنية .

ولإمتصاص بعض الإعتراضات التي ظهرت في صفوف قيادة الجيش والمخابرات ، حول بعض النصوص الأمنية ، تطرف بييرز وراين في تصريحاتهما وفي الحديث عن مفهومهما للأمن لدرجة ان قيادة م . ت . ف . لم تعد قادرة على التحمل او السكوت ، فسقامت بالرد عليها ووصفتها بأنها مخالفة للاتفاق . وفي حينها أرسل بييرز عدة رسائل شفوية الى قيادة المنظمة ، قال فيها لا تتوقفوا عند التصريحات التي نطلقها فهي للاستهلاك المحلي ، وسنبقى

بحاجلة لمثلها من الآن وحتى تتم مصادقة الكنيست على الاتفاق يوم ٩/٢٠/٩٣ ، وبعدها سيكون لكل حادث حديث مع المعارضة . وسوف تلمسون مواقف أخرى وخطوات عملية على الأرض تقوي مواقفكم في مواجهة المعارضة الفلسطينية .

رابعاً : أما بشأن القدس فقد لجأ زعماء حزب العمل الى الهجوم وشنوا حملة تقوم على أن القدس ستبقى عاصمة اسرائيل الى الأبد . وأن الاستيطان فيها سيستمر وسيتوسع أكثر فأكثر . وقللوا من قيمة النص الوارد في اتفاق اوسلو ، الذي يقول بأن وضع القدس سوف يبحث في المرحلة النهائية . ولم يأخذوا بعين الاعتبار تأثيرات مثل هذه المواقف والتصريحات على الوضع الفلسطيني . ولم تستطع القيادة الفلسطينية السكوت عليها ، واضطرت في كثير من المرات الى الرد عليها .

خامساً : في سياق الدفاع عن الاتفاق وعن مواقفه ، عاد حزب العمل للحديث عن أن الحلول التي يطرحها الليكود واليمين تقود الى انتهاء اسرائيل كدولة يهودية وتحولها الى دولة ثنائية القومية . ومضى بعضهم بعيداً ، حيث راح يتحدث عن تحويل الكيان الفلسطيني الى كيان ثنائي القومية من خلال التأكيد على بقاء المستوطنين في مواقعهم الآن وفي الحل النهائي أيضاً .

لقد أظهر الصراع الذي جرى داخل اسرائيل حول اتفاق اوسلو ، أن بعض قوى السلام وعددا من اركان حزب العمل ، عندهم مفاهيم اسرائيلية للاتفاق والتعايش والسلام مع الفلسطينيين ضارة وخطرة . صحيح أن معظمها طرح في سياق المزادة على اليمين ، إلا أنها كانت تعبر عن نوايا وطموحات راين وبعض أركان قادة حزب العمل . وأظهرت المعركة طغيان المواقف الدفاعية في نهج حزب العمل في مواجهة اليمين ، وغياب المواقف المبدئية في الدفاع عن الاتفاق وعن السلام والتعايش مع الفلسطينيين . ولم يحاول قادة حزب العمل إطلاقاً مراعاة مصالح شريكهم الفلسطيني في الاتفاق . ولم يفكروا في

التأثيرات السلبية التي تعكسها مناوراتهم السياسية ومواقفهم غير المبدئية على وضع م.ت.ف. وعلاقتها مع شعبها ومع المعارضين للاتفاق .

لقد نجح رابين في معركته الداخلية ومناوراته وأساليبه غير المبدئية في الحفاظ على وحدة حزب العمل ، وحافظ على جمهوره ووسعه ، خاصة وسط الجمهور العربي المقيم في اسرائيل ، إلا أنه لم يتمكن من الحد من اندفاع اليمين ضد الاتفاق ، وضد الحكومة ، حيث صعد اليمين من تحركاته ووسع أنشطته ونزل المستوطنون الى الشوارع وارتكبوا عددا من عمليات القتل ضد الفلسطينيين . أما على المستوى الخارجي فقد نجح في تحسين صورة اسرائيل . وراح العالم الغربي والأمريكي يتعامل معه باعتباره رجلا سلام ورجلا تاريخيا . إلا أنه في الوقت ذاته ألحق أذى بالغاً بمواقف م.ت.ف. وأجبت تصريحاته وتفسيراته للاتفاق التفاعلات الداخلية الفلسطينية ، المتأججة أصلاً .

تفاعلات الاتفاق على الساحة الفلسطينية

مع كثرة الحديث ، وقبل الاعلان الاسرائيلي الرسمي عن الاتفاق ، عاش الشارع الفلسطيني والغالبية المطلقة من قيادات الفصائل حالة من البلبلة والارباك ، فالتصريحات الفلسطينية الرسمية متناقضة . بعض أعضاء التنفيذة قالوا أن لا علم لهم بأية مفاوضات غير التي تجري في واشنطن ، ولا علم لهم بأي اتفاق . وآخرون كانوا لا زالوا يتحدثون عن تعليق مفاوضات واشنطن والانسحاب منها . كانوا محرجين مع الكوادر ومرافقيهم وحتى مع حراساتهم ، ومنزعجين الى أبعد الحدود من أبو عمار والمقربين منه . أما تصريحات بعض أركان المطبخ الفلسطيني المصغر فقد بقيت متحفظة وفقاً للاتفاق فيما بينهم . بعد الاعلان الاسرائيلي الرسمي عن موافقة الحكومة على الاتفاق يوم ٣٠ آب تأكد الشارع الفلسطيني والقيادات داخل وخارج الأرض المحتلة من صحة الأنباء . وراح الكل يسأل كيف تم التوصل الى الاتفاق بهذه السرعة لا سيما وأن الأجواء الى ما قبل بضعة أيام كانت توحى بتعثر المفاوضات . وما هي طبيعة هذا الاتفاق؟ وما المقصود بغزة وأريحا أولاً؟ وهل هناك ثانياً؟ وما هو السري وما هو العلني؟ . . كانت التساؤلات كثيرة ، ويوماً بعد يوم تتسع وتتسع ، والقيادة الفلسطينية لا تجيب ، تاركة الشارع الفلسطيني يفسر الأمور على هواه عرضة للشائعات ولتفسيرات المعارضين للاتفاق ، وللمفاوضات من اساسها . ومع بدء تسرب نصوص الاتفاق للصحافة العربية نقلاً عن الصحف الاسرائيلية ، بدأت التفاعلات في الساحة الفلسطينية تأخذ أشكالاً وأبعاداً جديدة . كان الوفد الفلسطيني لمفاوضات واشنطن أول المصدومين بالاتفاق ، وبعضهم سافر الى واشنطن خجلاً وخاصة من كانوا يعتبرون أنفسهم عرفاتيين الى أبعد حد ، وذلك بعدما اطلعوا على الاتفاق . وبعضهم كان في نيته الاستقالة من كل العمل السياسي الفلسطيني ، احتجاجاً على الطريقة التي أديرت بها المفاوضات واحتجاجاً على طبيعة الاتفاق . قبل سفرهم الى

واشنطن يوم ٢٨ آب ١٩٩٣ وبعد القراءة الأولى للاتفاق التي أجراها الدكتور حيدر عبد الشافي ، وفيصل الحسيني ، وحنان عشراوي ، وسعاد العامري ، ونبيل قسيس ، وزكريا الآغا سجلوا جميعاً تحفظاتهم وملاحظاتهم على نصوص الاتفاق . حيث اجمعوا على أن قبول الجانب الفلسطيني تأجيل بحث وضع المستوطنات الى مفاوضات المرحلة النهائية خطأ جسيم يلحق الأذى بالمصالح الوطنية الفلسطينية . وأن تجزئة المرحلة الانتقالية بين غزة وأريحا أولاً وبقية الضفة ثانياً خطأ ثان خطير ، قد يجعل من غزة وأريحا أولاً وآخرأ . كما سجلوا ملاحظات أخرى على النصوص المتعلقة بالأمن ، وبعدد السلطات التي سيتولاها الجانب الفلسطيني . وسجلوا غياب الحديث عن تطبيق اتفاقية جنيف الرابعة ، وخلو الاتفاق من أي نصوص حول حقوق الانسان الفلسطيني ، وحول المعتقلين والمبعدين . وفي ذلك اليوم تعمد أبو عمار عدم اللقاء مع المتواجدين من الوفد فهو لم يعد بحاجة لهم ، ولم يعد يخشاهم ، ولا داعي لوجع الرأس مع أي منهم . وهم لم يحاولوا من جانبهم اللقاء به . واستعاضوا عن ذلك بلقاء قصير عقده مع أبو مازن . سجلوا فيه ملاحظاتهم السريعة والأولية على الاتفاق ، وعلى الطريقة التي أديرت بها المفاوضات . وقالوا نعرف أن الوقت غير مناسب لنا ولكم للدخول الآن في مراجعة ومناقشة معمقة للموضوع . وأكدوا على أهمية عقد لقاء قيادي فلسطيني موسع لمناقشة الاتفاق وكل الدور الفلسطيني في المفاوضات . وتساءل بعضهم اين سيوقع الاتفاق؟ ومن سيوقع عليه؟ هل هو الوفد أم قيادة اللجنة التنفيذية؟ وعندما أبلغوا جانبياً بأن قيادة المنظمة هي المرجحة ، تساءلوا هل من ضرورة لسفرنا الى واشنطن وماذا سنعمل هناك؟ أجابهم أبو مازن بايجاز مؤكداً على أهمية عقد لقاء آخر لاطلاعهم على كيفية التوصل الى الاتفاق ومجريات مفاوضات أوصلو ولمناقشة الاتفاق بصورة هادئة ومعمقة . وقال لهم سافروا الآن الى واشنطن وابعثوا مع الجانب الاسرائيلي ملاحظاتكم على الاتفاق . واعملوا على صياغتها في ملاحق وأوراق جانبية ، إذ من المستحيل اجراء أي تغيير أو تعديل على نصوص

الاتفاق . وأضاف : سافروا ، وسنرسل لكم ما يستجد من معلومات وتعليمات . كان هم أبو مازن أن يسافر الوفد الى واشنطن ، لأن اتفاق اوسلو يتطلب مواصلة المناقشات حول نقل السلطات وحول ما بعد تنفيذ غزة وأريحا أولاً . أما بشأن من سيوقع على الاتفاق فقد تهرب أبو مازن من الاجابة وقال لهم هذا الموضوع لا زال مدار بحث ونقاش مع الاسرائيليين وداخل القيادة الفلسطينية ، علماً بأنه كان يعرف أن المنظمة هي التي ستوقع على الاتفاق وأن الحديث الأولي يدور حول اسمه بالتحديد . وكان يعرف أن لا قيمة ولا معنى لأية ملاحظات ، سواء سجلت شفويّاً أو على الورق ، فالاتفاق وقع بالأحرف الأولى وأغلق نهائياً ولا مجال للتعديلات . وعلى الطرف الاخر فوجيء روبنشتاين رئيس الوفد الاسرائيلي على المسار الفلسطيني الاردني في مفاوضات واشنطن ورفض الذهاب الى واشنطن رغم كل الجهود التي بذلها بيريز معه .

بعد اللقاء مع أبو مازن تفرق المتواجدون من الوفد ، بعضهم كان مصدوماً . وجميعهم سيطرت عليهم حالة عدم الارتياح . منهم من خلط الجانب الذاتي بالجانب الوطني والآخر تعامل مع الموضوع بموضوعية وهدوء . بعضهم أخفى الجانب الذاتي والآخر لم يستطع . بعد اللقاء وقبل مغادرة الوفد دائرة العلاقات القومية التي يقودها أبو مازن تحدثت حنان عن الاتفاق واصفةً إياه بأنه أسوأ اتفاق تم التوصل له ، وأن فيه تنازلات كثيرة وأنه كان بإمكان الوفد أن يحصل على اتفاق أفضل بكثير . وراحت تتحدث عن الاستقالة من الوفد ومن كل العمل الوطني الفلسطيني .

صباح يوم ٢٩ آب تعمدت أن أنقل سعاد العامري عضو الوفد من منزلي الى الضيافة ، حيث تقيم حنان وعدد آخر من أعضاء الوفد . وكان هدفي ليس فقط توصيل سعاد بل الحديث مع حنان ، على أمل التخفيف من ردة فعلها الذاتية والموضوعية على الاتفاق . وتخصيص حنان بالحديث دافعه قناعتي بأن حنان طاقة سياسية ، وخروجها من العملية خسارة ، وحنان خير من فهم العقلية

الأمريكية وخير من عرف كيف يتعامل معها ، بغض النظر عن كل الملاحظات . وهي في الوقت نفسه مسموعة الرأي من قبل فيصل الحسيني وآخرين في الوفد . وابتعادها عن العملية التفاوضية هي وغيرها من أعضاء الوفد ، يشكل ضربة قوية للاتفاق ، ويضعف الاتجاه الواقعي الذي يقود المفاوضات فلسطينياً وعربياً ودولياً .

على باب مضافة جدة ، إحدى الأماكن التي يقيم فيها عادة ضيوف المنظمة ، كانت حنان وعدد آخر من أعضاء الوفد بانتظار سعاد تمهيداً للتحرك الى المطار . على الواقف انزونا جانباً ، تحدثنا بايجاز شديد وختمت حديثي قائلاً ، يخطئ يا حنان كل من يعتقد من أعضاء الوفد أن أبو عمار بحاجة له الآن . بعد الاتفاق واعتراف اسرائيل به كقائد للشعب الفلسطيني وبعد الانفتاح الأمريكي عليه ، أصبح أبو عمار أقوى من أي وقت . لم يعد بحاجة لا لحنان ولا لشبكة علاقاتها مع الكونغرس أو الادارة الأمريكية . أبواب الكونغرس والادارة فتحت أمامه ، ولعلمك وعلم الاخوان ، أبو عمار يعمل على أن يتم التوقيع بقلمه وأظن أن الأمريكان سيرحبون بذلك . أبو عمار لن يترك لا ليفصل ولا لحيدر ولا لأبو اللطف ولا لأبو مازن أن يحصلوا على هذا الامتياز . وختمت حديثي مازحاً 'حفلة يا حنان حضرناها من أولها صعب علينا الانسحاب في منتصفها . ونحن ملزمون ومضطرون للبقاء ولو على مضض حتى آخرها' . وحتى يتم إسدال الستار بصورة رسمية .

في حينه غادر الوفد الى واشنطن وكله بلبلة وارتباك . ومنذ اللحظة الأولى لوصوله الى واشنطن ظهر الارتباك على وجه حنان في كلامها في أول لقاء مع الصحفيين . الكل ، سواء كانوا محبين أو حسّاداً يعترفون لحنان ويشهدون بقدرتها وطلاقة لسانها أمام عدسات الكاميرات . إلا أنها في هذا اللقاء كانت مرتبكة وفي حيرة . . هل تدافع عن الاتفاق أم تنتقده وتقول رأيها؟ لاحقاً وبعد أقل من ٧٢ ساعة عادت حنان كما كانت وعرفت كيف تدافع عن قضايا

شعبها . إلا أنها في قرارة نفسها كانت قد أخذت قرار البدء بالابتعاد التدريجي عن المشاركة في عملية السلام . ومثل هذا القرار لم يكن سهلاً لا على حنان ولا على أعضاء الوفد الآخرين . جميعهم قدموا بتفاوت لقضيتهم وخدموها كل حسب طاقاته ، إلا أنهم جميعاً ، أعطتهم الكاميرات وأجهزة الاعلام ما لم يكونوا يتوقعونه ، وخاصة حنان . فقد تحولت الى نجم إعلامي خلال فترة زمنية وجيزة . سلطت الأضواء الدولية على عملية السلام ، ووجد رجال الاعلام في حنان ما يشبع بعضاً من جشعهم ، ونهمهم ، في الحصول على الأخبار فلاحقوها . وهي من جانبها ، لم تقصر في التجاوب مع متطلباتهم الاعلامية . اكتشفوها نجماً اعلامياً فاكشفت طاقاتها السياسية والاعلامية ، واندفعت وراء العمل الاعلامي . ومع الأيام والشهور تحولت العلاقة بين حنان والاعلام الى المرض وسببت لها متاعب مع كثيرين من القيادة الفلسطينية من المصابين بهذا المرض . حيث خطفت الأضواء من بعضهم ، وأزاحت أسماءهم وصورهم من الاذاعات وشاشات التلفزيون . وباتت كلماتها وتصريحاتها خاضعة لرقابة ومتابعة مشددة من بعض القياديين . همهم التقاط زلة لسان منها لينزلوا من شأنها في مجالسهم الخاصة ، وللرد عليها بطريقة مبطنة من جهة أخرى . لقد اتهمت حنان بأنها طامحة . بعضهم حاول تشويش مواقفها وتشويه صورتها ، فاتهمها بالتساهل في المواقف عند اللقاء مع الأمريكان . إلا أن كل من يطلع على المحاضر الرسمية للقاءات التي شاركت فيها حنان مع الأمريكان يجدها مناكفاً لهم من الطراز الأول . ومرض حب الظهور في أجهزة الاعلام مرض منتشر بكثرة في صفوف فصائل منظمة التحرير عامة ، وعلى المستويات القيادية الأولى خاصة ، والثانية الى حد ما . بعضهم يحاول إخفاء هذا المرض وآخرون تجاوزوا التردد في إظهاره ، وبعضهم لم يعد بإمكانه أن يسيطر على نفسه ليخفيه . وبسبب من هذا المرض اتهمت القيادة الفلسطينية بأنها لا تستطيع إخفاء خبر . واتهم بعضها بأنه لا يستطيع أن يحفظ داخل فمه كلمة . انه ينسى نفسه وينسى المصلحة الوطنية عندما يجلس مع صحافي أو مراسل وكالة

أنباء أو أمام عدسة تلفزيونية . والعلاقة المرضية بين القيادة الفلسطينية والاعلام فرخت أمراضاً عديدة ، وتسببت في اساءات كثيرة للعمل الوطني ولسمعة الفصائل وقياداتها . ومن هذه الأمراض ، تسريب الوثائق للصحف والوكالات ، وتشويه الصورة الحزبية أو الشخصية لهذا التنظيم ، أو ذاك القائد . وأظن أن أكبر أذى أدت اليه هذه الأمراض هو نشر كل وثيقة من وثائق المفاوضات الفلسطينية والاسرائيلية والتي بلغت حد نشر خطط التفاوض الفلسطينية قبل بدء جلسات المفاوضات .

صباح اليوم التالي لإعلان الحكومة الاسرائيلية عن الاتفاق راحت وكالات الأنباء تنقل تباعاً ردود فعل القوى الفلسطينية . وصدرت الصحف العربية وفي صدر صفحاتها الأولى أخبار ومواقف القوى الفلسطينية من الإتفاق . وكل واحدة منها طرحت الخبر بالصيغة التي تعكس موقف النظام الحاكم في بلدها من الاتفاق . وبعضها ندد بالاتفاق وبالتفرد الفلسطيني ، وبعضها الآخر اعتبره اختراقاً . صحف عمان شنت حملة عنيفة على الاتفاق ، وعلى قيادة المنظمة عامة وياسر عرفات خاصة . وأبرزت مذكرة وقعها ما يزيد على ١٢٠ من أعضاء المجلس الوطني تدين الاتفاق ، وتندد بالتنازلات التي قدمتها قيادة المنظمة . وفي حينها كان الملفت للانتباه توقيع عدد من أعضاء اللجنة المركزية لحركة فتح الى جانب أعضاء الفصائل العشرة في المجلس ، وبعض الأعضاء المستقلين المقربين بصيغة أو بأخرى من هذه الفصائل . وكان من بينهم هاني الحسن ، وعبد الله الافرنجي ، وعباس زكي ، وابو المنذر وعدد آخر من أعضاء المجلس الثوري لحركة فتح . وبجانب عريضة أعضاء المجلس أبرزت الصحافة الأردنية والسورية واللبنانية ووكالات الأنباء البيانات المستقلة لحركة حماس والجهبة الشعبية والديمقراطية والجهاد الاسلامي التي رفضت الاتفاق ، وأدانته وطعننت في شرعية قيادة المنظمة ، وفي شرعية الاتفاق ذاته . وأكدت أنها لم ولن تلتزم به واعتبرته غير ملزم للشعب الفلسطيني . وبعض الفصائل لم تتوقف عند هذه

الحدود بل راحت تهدد بالتصفية الجسدية ، واغتيال كل من شارك في صياغة الاتفاق ، وكل من سيقع عليه . وانبرى أحمد جبريل الأمين العام للجبهة الشعبية - القيادة العامة والدكتور فتحي الشقاقي أمين حركة الجهاد الاسلامي الموالية لايران الى التهديد بقتل عرفات . وفي حينها تداعت الفصائل العشرة لاجتماعات طارئة وراح بعضها يدعو الى عقد مؤتمر شعبي فلسطيني في القدس والخارج ، تنبثق عنه منظمة بديلة أو موازية للمنظمة . وطالب آخرون بدعوة المجلس الوطني للانعقاد . وقال بعض المتطرفين أن كل هذه الدعوات غير مجدية ولا بديل عن التصفيات الجسدية لأصحاب الاتفاق . وعقدوا اجتماعاً خاصاً حددوا خلاله الأسماء المطلوب تصفيتهم وتقاسموا الجريمة المنوي ارتكابها فيما بينهم . وبمجرد بدء اجتماعاتهم دبت الخلافات فيما بينهم ، حول اسم الاطار الذي سيعملون تحت رايته ، وحول أسس تشكيله وحصة كل فصيل فيه . ولم يخرجوا بأية نتيجة عملية ، سوى الدعوات المتكررة لاضرابات عامة داخل الوطن المحتل ، وفي مخيمات لبنان وسوريا والأردن . وتمكن مسلحو وملثمو الفصائل العشرة من إنجاح إضرابات عامة داخل المدن الأساسية في الضفة والقطاع ، إلا أنهم لم يفلحوا في تحريك أية مظاهرات جماهيرية باستثناء مظاهرة واحدة رئيسية طافت شوارع مدينة غزة . وفي مخيمات لبنان كان التجاوب الشعبي محدوداً ، إلا أنهم نجحوا في تعطيل المدارس وفي إغلاق الأسواق والمحلات التجارية . أما في سوريا فقد سمحت لهم السلطات السورية بعمل مظاهرة شعبية في مخيم اليرموك ، حشدوا لها كوادرهم الحزبية وإطاراتهم الجماهيرية ، إلا أنها رغم التسهيلات والمساعدة السورية كانت محدودة . أما في مخيمات الأردن فقد فشلت دعوة الفصائل العشرة للاضراب العام وفشلوا في تحريك المظاهرات . وبالتمعن في مواقف هذا التيار المعارض للاتفاق وفي القوى المشكلة له ، يتبين أنها امتداد للمعارضة التي رفضت المشاركة في عملية السلام منذ انطلاقتها من مدريد في تشرين اول ١٩٩١ . ويظهر أنها متباينة ومتفاوتة في درجة ووتيرة معارضتها للاتفاق . فيها المتشنج والموتور ، وفيها

الهادئ والمسؤول . قسم يتجاوز المحرمات 'وفات في القزاز' من خلال التهديد بتفجير حرب أهلية فلسطينية . ومن خلال الضرب على وتر اللاجئين وحقوقهم . أما رهانه فيتمحور حول فشل منظمة التحرير في الحصول على دعم الأغلبية الشعبية ، وعلى فشلها في تنفيذ ما التزمت به في الاتفاق . وفشلها في معالجة جبال المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والتنظيمية . وبعضها راهن على دعم وإسناد بعض الدول العربية وايران لهم ، وراهن على استمرار الأردن وسوريا ولبنان في معارضة الاتفاق ودخولها في صراع مكشوف مع قيادة م . ت . ف . ومشكلة المعارضة الفلسطينية هي أنها لم تطرح البديل الواقعي قبل الإتفاق وبعده وحتى الآن .

إلا أن رهانهم على الموقف الرسمي العربي سرعان ما تبخر . فبعد أقل من اسبوع حدث تبدل في المواقف الرسمية لسوريا والأردن ولبنان . فبتاريخ ٥ أيلول توجه أبو عمار الى دمشق بناء على دعوة رسمية التقى خلالها بالرئيس الأسد ، ومعه وفد رسمي من قيادة المنظمة . حيث أكد الرئيس الأسد تمسك سوريا بالقضايا القومية . وابلغ أبو عمار بعدم الموافقة على الإتفاق إلا أنه لن يعارضه ولن يعمل على إفشاله . ولاحقاً اصدرت دمشق وبيروت عدة تصريحات رسمية توضيحية ، قالتا فيها أنهما رغم ملاحظتهما على الطريقة التي تم التوصل فيها للاتفاق إلا أنهما لن يعملتا على إفشاله ، ولن يدعمان أية جهات تسعى لإفشاله . وخلال تلك الفترة بدأت ملامح موقف أردني جديد تظهر في الصحافة الأردنية وفي تصريحات بعض المسؤولين الأردنيين . ولاحقاً تطورت المواقف العربية من الاتفاق . وأكدت الأحداث ان المعارضة الفلسطينية قد غلبت كالعادة امانياتها ورغباتها الذاتية على الوقائع ، وأنها وقعت اسيرة الانفعالات الذاتية . لقد اعتقد بعضهم أن بالامكان إلغاء الاتفاق وإسقاطه خلال بضعة اسابيع أو بضعة اشهر محدودة - على حد تعبير أحد الأمراء العامين - واعتقدوا أنهم بالاستناد للموقف العربي بإمكانهم إقامة منظمة تحرير

بديلة خلال فترة وجيزة . ورفضوا أن يعترفوا بأنهم لا يملكون برنامجاً بديلاً واقعياً ومقبولاً في نظر الشعب الفلسطيني . وفي حينها لم تستوعب المعارضة الفلسطينية أن الاتفاق الفلسطيني - الاسرائيلي لم يكن سوى نتاج لموازن القوى الدولية والاقليمية والمحلية . وأنه منذ اللحظة الأولى لميلاده لم يعد ملكاً لمن صاغوه أو أقروه بل صار ملكاً للمجتمع الدولي وللقوى الرئيسية فيه . نسيت المعارضة أو تناسست تجربة اتفاقات كامب ديفيد والموقف منها . ففي حينها أجمعت غالبية الدول العربية على معارضة ذلك الإتفاق وفي حينها ساندتها الاتحاد السوفياتي بكل قوته وعظمته ، ونسيت المعارضة أن النتيجة كانت ثبات اتفاق كامب ديفيد وغرق المعارضين له في صراعات دموية لا زالت آثارها قائمة حتى الان في هذا البلد أو ذاك من البلدان العربية . على كل حال لم تستطع المعارضة تعطيل التقدم نحو التوقيع على الاتفاق . أما مسعاها لتشكيل منظمة تحرير بديلة فكان مصيره كمصير المحاولات السابقة اعوام ٨٣-٨٤-٨٥ . ولم تفكر المعارضة فيما إذا كان بإمكانها إيجاد بلد عربي يسمح لها بعقد مؤتمر شعبي أو مجلس وطني فلسطيني ، تنبثق عنه قيادة بديلة أو منظمة بديلة خاصة بعد تبادل الاعتراف والعلاقات بين المنظمة والولايات المتحدة واسرائيل . وبغض النظر عن النوايا والرغبات الذاتية للمعارضة فإن النتيجة الوحيدة الملموسة لحركتها كانت تعزيز موقف قيادة م . ت . ف . وموقف أبو عمار بالذات . حيث وظفت المواقف والبيانات والتصريحات المتشنجة والمتوترة لصالح تحسين موقعه في العلاقة مع الادارة الأمريكية . وإلى حد ما في المفاوضات التي تمت لاحقاً بين المنظمة واسرائيل . كانت المعارضة الفلسطينية منفصلة وكانت أوضاع فتح الداخلية مضطربة ، إلا أن أبو عمار كان منتشياً وهادئاً . كان التيار الواقعي قلقاً وكانت خلية اوسلو متخوفة من تطور ردود الفعل . خاصة بعد ان تذاخ رسائل الاعتراف المتبادل والتي تضمنت إلغاء بعض بنود الميثاق ، إلا أن أبو عمار كان مندفعاً بحماسة . لم لا ، بعدما حقق ما يريد؟ كان همه على مدى

فترة المفاوضات أن يكرس م. ت. ف. كطرف رسمي في المفاوضات وأن يلزم الإسرائيليين بالتفاوض معه والإعتراف به كزعيم للشعب الفلسطيني ونجح في تحقيق ذلك . كان أبو عمار سعيداً بحفلة تجميل موافقه وصورته التي يقوم بها الغرب والأمريكان ؛ كان إرهابياً من الطراز الأول وصار بين ليلة وضحاها رجل السلام الشجاع . لم يكن يقلقه اضطراب الأوضاع الفلسطينية الداخلية فهو يعرف كيف يهدئها . يعرف إخوانه في اللجنة المركزية لحركة فتح وفي مجلسها الثوري . ويعرف وزن وثقل كل منهم داخل فتح وخارجها ، ويعرف الحدود التي يمكن لأي منهم أن يصلها في صراعه معه ، ويعرف كيف يرضي هذا أو ذاك . لم يكن يخشى انشقاق فتح أو تمرد بعضها ، فالانشقاق والتمرد يحتاجان الى دعم وإسناد خارجي ، ولن يتجرأ نظام عربي على تشجيع خطوة من هذا المستوى . عام ٨٣ وقع الانشقاق في فتح لأن سوريا وليبيا وقوى دولية كانت تريد شق فتح وشق المنظمة . أما الآن فسوريا شريكة في عملية السلام والاتحاد السوفياتي غير موجود ، وسوريا وكل العرب حريصون على نيل رضا الأمريكان . كان أبو عمار يقول انتظروا قليلاً ، كل العرب سيدعمون الاتفاق وكل الأطراف العربية المشاركة في المفاوضات ستوقع اتفاقاتها مع اسرائيل . اتفاقاتهم شبه جاهزة ولا تحتاج إلا الى وضع الرتوش النهائية عليها . الاستقلالات التي تمت من اللجنة التنفيذية أو التي سوف تتم لا تفقده الشرعية بل تقوي شرعيته الشخصية ، وتدفع بالأمريكان والاسرائيليين الى مزيد من الاعتماد على دوره الشخصي الخاص .

يوم اعلان الحكومة الاسرائيلية عن مصادقتها على الاتفاق حرص أبو عمار على أن يكون في لقاء مع الرئيس مبارك . كان وجوده في مصر في ذلك الحين مقصوداً ، هدفه أن يحمل مصر مسؤولية الاتفاق أمام العرب وأن يدفعها الى مساعدته في مواجهة سوريا إذا ما حاولت التصعيد . وكان يريد أن يقول : بإمكانني الاستغناء عن الأردن كلياً بالاستناد الى مصر ، وطريقي الى غزة

وأريحا مؤمن عن طريق القاهرة . في رحلته الى اليمن والقاهرة والسودان حرص أبو عمار على اصطحاب بشير البرغوثي وياسر عبد ربه معه ليقول أن لي شركاء ، وليرضي بشير ويضمن عدم معارضته للاتفاق .

خلال وجوده في القاهرة اتصل الرئيس حسني مبارك أكثر من مرة مع الأسد . وكلف أبو عمار كلاً من ياسر عبد ربه وبشير البرغوثي وسعيد كمال باللقاء مع عمرو موسى ، ووضع المسودة النهائية لإعلان الاعتراف المتبادل . كان همه أن يزيد من مسؤولية مصر ، وأن يعطيها هذه الورقة لتستفيد منها في علاقاتها مع الأمريكان ومع إسرائيل . وكان يريد توريط الأمين العام لحزب الشعب (البرغوثي) في صياغتها . وبالفعل تم وضع الصيغة وهي ذاتها التي حملها أبو علاء الى أوسلو واتفق أن يتوجه عمرو موسى الى إسرائيل لبحثها مع بيريز ورايين . لإدخال مصر على خط المفاوضات وخط صياغة الوثائق لم يكن مريحاً للإسرائيليين . كما لم يكن يحبذه أبو مازن ، أما أبو علاء فكان منزعاً منه . كلاهما كان يفضل استكمال كل الأوراق عبر فريق أوسلو . خلال وجود بشير البرغوثي مع أبو عمار ، صدر تصريح عن ناطق رسمي لحزب الشعب قال أن الحزب لم يشارك في مفاوضات أوسلو كما لم يشارك في مفاوضات الجولتين التاسعة والعاشر لاعتبارات عددها التصريح . أما الموقف من الاتفاق فالقرار النهائي سوف تقرره الهيئات الرسمية المعنية في الحزب . وأضاف الناطق أن الأساس الذي سوف يعتمد عليه الحزب في محاكمة الاتفاق هو مدى تطابق الاتفاق مع القرار ٢٤٢ والآفاق التي يفتحها أمام تطبيق هذا القرار باعتباره الأساس ، وفيه يتوافر إمكان تحقيق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني . لقد تعمد الناطق الرسمي لحزب الشعب القول بأن الحزب لم يشارك في مفاوضات أوسلو ، ليبين لكوادر الحزب وللقوى السياسية الفلسطينية أن مشاركة حسن عصفور عضو اللجنة المركزية في الحزب كانت تتم بدون علم الحزب ، ومن خلف ظهر الحزب ، وستقوم الهيئات الرسمية باتخاذ الاجراءات المناسبة بحقه .

وفعلاً وبعد فترة وجيزة فصل حسن عصفور من عضوية الحزب .

مساء الثلاثاء ٣١ آب ١٩٩٣ وفجر الأربعاء ٩/١ عاد أبو عمار وبشير وياسر من رحلتهم ، وعاد أبو علاء وحسن عصفور من اوسلو ومعهما مسودة نهائية حول اعلان الاعتراف المتبادل . وعاد أبو مازن من رحلته الى المغرب . وشرع أبو عمار في معالجة أوضاع فتح ، وتابعت خلية اوسلو وضع اللمسات الأخيرة على اتفاق الاعتراف المتبادل ، إذ عقدت اجتماعاً خاصاً تقصد أبو عمار أن يشارك فيه بشير البرغوثي ومحسن ابراهيم . في الاجتماع عرض أبو علاء الصيغة النهائية ، ونقل استفسار الاسرائيليين حول من سيوقع الاتفاق من الجانب الفلسطيني وأنهم ، أي الاسرائيليين ، حددوا بيريز . وان الامريكان حددوا يوم ٩/١٣ موعداً للتوقيع في واشنطن ويطالبون باستلام اسماء الوفد الفلسطيني الذي سيشارك في الاحتفال .

اجرى الاسرائيليون تعديلاً على صيغة الاعلان يؤكد على أن المجلس الوطني الفلسطيني سيصادق على الاتفاق وطالبوا أن تكون مصادقته خلال فترة زمنية قصيرة . وفي حينها وقع تباين داخل الخلية حول هذه النقطة ، حاول ياسر دفع الموقف باتجاه رفضها ، إلا أن أبو مازن ثبتها وأقنع الحاضرين بأنها لصالحنا لأنها تعطينا فسحة من الوقت نرى فيها قبل المصادقة النهائية كيف سيتم تنفيذ اتفاق اوسلو لا سيما وأن امامنا مفاوضات عسيرة .

يوم ٩/٢ بدأت اللجنة المركزية لحركة فتح دورة اجتماعات لمناقشة الاتفاق ، وسط أجواء داخلية متوترة وتحث أعضاء أجهزة الاعلام الدولية ، إذ اعتبر الدبلوماسيون الغربيون والعرب أن نتائج اجتماعات فتح هي المؤشر على الموقف الفلسطيني اللاحق . وهي الأساس في تقرير الموقف الفلسطيني . فالاتفاق من الناحية الرسمية هو بين المنظمة واسرائيل ، لكنه في الواقع بين فتح واسرائيل . فأطر المنظمة ومؤسساتها أصبحت منذ مدة طويلة أطراً فتحاوية أكثر منها أطراً وطنية . قبل اتفاق اوسلو وقبل خروج الشعبية والديمقراطية والآخرين كانت أطر

المنظمة ومؤسساتها فتحاوية من الناحية العملية محاطة بنكهة وطنية فلسطينية . بعد الخروج فقدت النكهة ولم يستطع لا حزب الشعب ولا تنظيم 'فدا' ولا جبهة النضال الشعبي ولا منظمة أبو العباس ولا الجبهة العربية الموالية للعراق الحفاظ عليها .

مع بدء اجتماعات اللجنة المركزية لحركة فتح بدأت حسبة اصواتها ، من سيكون مع الاتفاق ، ومن سيكون ضده . كثير من الدبلوماسيين الغربيين كانوا يتساءلون ، هل سيستطيع ياسر عرفات اتخاذ قرار في اللجنة المركزية بتبني اتفاق اوسلو أم أن المعارضة ستفشل الاتفاق؟ تساؤلات الدبلوماسيين الغربيين ومراسلي وكالات الأنباء وأركان الحكم في اسرائيل وفي البيت الأبيض ، كان لها أساس ، فأبو اللطف أعلن موقفاً واضحاً وصريحاً ضد الاتفاق ، وصعد من خطابه السياسي ضد المفاوضات وضد الاتفاق . وكذلك هاني الحسن وخالد الحسن ومحمد جهاد وعباس زكي وأبو المنذر وصخر حبش الذي صدمه الاتفاق ، وصدمه أبو عمار أكثر بإخفاء الأمر عنه . أما نبيل شعث فكان المصدوم الأكبر من أبو عمار ومن أبو مازن حيث لم يصدق ما فعلاه به ، وراح يحاول ايجاد المخرج لنفسه عندما كان يسأل عن دوره في إتفاق اوسلو . أما أبو ماهر غنيم فالكل يعرف أنه متحفظ على المفاوضات وأنه كان دائماً من أنصار التعليق والتجميد ، ومن دعاة الحرص على العلاقة مع سوريا ، وعمل كل ما يلزم من أجل الوحدة الوطنية ، وهي في منظوره عودة الشعبية والديمقراطية الى مؤسسات المنظمة ، ويتمنى أيضاً أن تعود الصاعقة والقيادة العامة .

مع بدء اجتماعات فتح تعمد الملك حسين عقد مؤتمر صحافي في عمان أعلن فيه تأييد الأردن للاتفاق . ليساعد أبو عمار في للممة أوضاع قيادة فتح والحصول على موافقتها على الاتفاق .

منذ بدء الاجتماعات كانت الأجواء مشحونة ومتوترة . الأغلبية الساحقة من أعضاء اللجنة المركزية عاتبة على أبو عمار وأبو مازن لأنهما أخفيا عنها

المعلومات . كان محمد جهاد هو الأكثر توتراً وانفعالاً . فبعد دقائق قليلة انفجر في الاجتماعات ، وقال أنا عضو لجنة مركزية ولا أقبل أن أكون 'طرطورا' وأن أسمع بالاتفاق من الاذاعات . . وشن هجوماً على ياسر عرفات وتفرد به بأوضاع فتح . واتهمه بأنه يريد تدمير فتح وإنهاء وجودها ، وأن هذا مطلب أمريكي واسرائيلي . حاول أبو عمار صده فكانت النتيجة مغادرة محمد جهاد الاجتماع أمام المرافقين والصحافيين المحتشدين على باب المكان . وبخروجه زادت التساؤلات وانشدت الأنظار الى الاجتماعات .

خلال ذلك اليوم اتصل أهود يعاري مستفسراً وقال : أصحابنا ، ويعني القيادة الاسرائيلية ، قلقون من الأخبار الواردة من طرفكم . قلت له : الوضع صعب لكن اللجنة المركزية لحركة فتح ستوافق على الاتفاق . وكذلك اللجنة التنفيذية والمجلس المركزي فالأغلبية مضمونة . رغم كل ما قيل وما قد يقال عن المعارضة والمعارضين .

في اجتماعات اللجنة المركزية لفتح ، انبرى أبو مازن للدفاع عن الاتفاق ، وأزره في ذلك حكم بلعاري وأبو علاء والطيب عبد الرحيم سفير فلسطين في عمان . وكانت المفاجأة تبني أبو ماهر للاتفاق والدفاع عنه . لم يترك أبو مازن الفرصة لأبو عمار لعرض الاتفاق أو الدفاع عنه ، فهو على حد تعبيره ، كثيراً ما يكون محامياً فاشلاً لأعدل قضية ، خاصة في الاجتماعات الداخلية . يعرض الأمور بصورة ناقصة ويقدم ما يحلوه ، ويقفز عن مسائل هامة ويغرق الاجتماعات في قضايا فرعية ، ولا يتورع عن الدفع باتجاه تفجير الاجتماع عبر اشتباك مع أحد الأعضاء حول قضية فرعية وشكلية . لم يتوقف أعضاء اللجنة المركزية أمام نصوص الاتفاق مطولاً ، حيث اكتفوا بالعرض الذي قدم لهم ، معظم المداخلات والمناقشات تركزت حول الدور القيادي الجماعي للحركة ، وحول توزيع المسؤوليات ، وحول الوحدة الوطنية وضرورة بذل محاولات باتجاهها . وتوقف بعض الأعضاء مطولاً عند مسألة السلطة ودور فتح كحزب حاكم .

تواصلت الاجتماعات الفتحاوية على مدى يومين كاملين وتقصد أبو عمار إطالة مدتها بعدما لاحظ الاهتمام الدولي والاسرائيلي الكبير بها . أراد أن يشد الأنظار نحوها أكثر فأكثر وأن يظهر أنه يواجه صعوبات كبيرة في اتخاذ القرار . صباح السبت ٤ أيلول رفعت قيادة فتح اجتماعاتها بعد المصادقة على الاتفاق حيث أيده ١٤ عضوا وعارضه صخر حبش وعباس زكي فقط .

قبل مصادقة اللجنة المركزية لحركة فتح على الاتفاق عاشت الغالبية العظمى من كوادر فتح وقاعدتها حالة من البلبلة والارتباك والتردد في تحديد موقفها من الاتفاق . بعد المصادقة ، بدأت الأغلبية من كوادر فتح تتبنى الاتفاق وتدافع عنه . وفي الوقت الذي استمر فيه بعضها متحفظاً على الاتفاق أو معارضاً له ، راحت كوادر التنظيم والأجهزة ولقربون من أبو عمار بخاصة راحوا يشنون هجمات مباشرة ضد المعارضة الفتحاوية ، والمعارضة الأخرى ، تحت شعارات وحدة فتح ، واستقلالية القرار الفلسطيني ، والدفاع عن أبو عمار الرمز في مواجهة الأنظمة العربية وعملائها . ولم تتورع بعض الكوادر عن اتهام بعض أعضاء اللجنة المركزية لحركة فتح بالعمالة للدول العربية وبالعزل على شق فتح وأنها طامحة لورثة أبو عمار . وهذا السلوك ليس جديداً في حياة فتح وفي علاقاتها الداخلية والخارجية الفلسطينية والعربية . فالمعروف أن فتح عندما تتأزم العلاقات تتوحد في مواجهة الآخرين عرباً أو فلسطينيين . وينهش بعضهم بعضاً ، ويتصارعون على المكاسب ، حسب الولاءات الشخصية والعشائرية والمناطقية إذا كانت علاقاتها الخارجية هادئة وخالية من الصراعات . صحيح أن الخلافات والتباينات حول الاتفاق تواصلت داخل فتح ، إلا أنها بعد اجتماعات اللجنة المركزية وخلال التحضير لاجتماعات المجلس الثوري راحت تميل تدريجياً نحو الهدوء والفرز في المواقف . لا شك أن مصادقة قيادة فتح على الاتفاق بأغلبية كبيرة فاجأت المراقبين والدبلوماسيين . وصدمت المعارضة الفلسطينية التي راهنت على خلافات وانقسامات عميقة داخل فتح ، فلم تغفل سوى في

شق تنظيم فتح في لبنان . حيث تمرد أحد الكوادر العسكرية وأعلن رسمياً تمرده على القيادة ، وطالب بتنحية أو إقالة ياسر عرفات . وبغض النظر عن نوايا هذا الكادر الصغير ومن دفعه أو شجعه على التمرد ، إلا أنه قدم خدمة كبرى لأبو عمار وأجهزة فتح لشن الحملة الداخلية والخارجية دفاعاً عن أبو عمار وعن القرار الفتحاوي الفلسطيني المستقل . وفي الوقت الذي كانت فيه كوادر وقيادات فصائل المنظمة والمعارضة تخوض صراعاتها الداخلية مع بعضها ، كانت الأغلبية الساحقة من الشعب الفلسطيني داخل الأرض المحتلة وخارجها في حالة ترقب وانتظار . لقد مثلت الأغلبية الشعبية غير المنتمية للفصائل والمنظمات في تلك الفترة تياراً ثالثاً . ولعل نعته وتسميته (بأتباع توما) يعطي وصفاً دقيقاً لمواقفه ومطالبه . فهو في الوقت الذي لم يؤيد فيه الاتفاق علناً ، إلا أنه لم يعارضه . فهو يشك في النوايا الاسرائيلية ولا يثق في مواقفها ، وينتظر لمس ومشاهدة الممارسة والسلوك العملي الاسرائيلي على الأرض . وهو مع الاتفاق إذا أعطى مكاسب والمجازاة عملية ملموسة ، حتى ولو كانت بسيطة ، وضده على طول الخط إذا لم تتحقق الوعود المقدمة والنتائج المرجوة . موقفه التريث قبل الحكم النهائي ، وضد التسرع في إطلاق الأحكام والنعوت وخاصة التخوينية منها . مع المفاوضات ومع تواصلها لأنه لا يرى بديلاً جدياً لها . ومع الحل الذي يغير في حياته ويخلصه من الاحتلال . وتيار الأغلبية الشعبية خائف من الحاضر المضطرب ، وقلق على المستقبل والمصير . لأنه يرى بأم عينه أوضاع البيت الفلسطيني مهلهلة ويخشى من الحرب والاقتتال الداخلي . يسمع التهديد بالاغتيالات ويسمع تحميل هذا الفصيل لذاك مسؤولية الحرب الأهلية إذا وقعت . وهو في الوقت ذاته غير واثق من قدرة م . ت . ف . على النهوض بالمسؤوليات الكبيرة الملقاة على عاتقها . فهو يرى ويلمس ان ممارسات عدد من رموز المنظمة لا تبشر بالخير . يعرف حجم الأعباء والصعوبات لأنه يعيشها ، ويعرف أن التغلب عليها يحتاج شيئاً من التضحية ونكران الذات ، لكنه يرى طغيان العقلية الفصائلية المتزمته . الكل يدعي أنه وحده يملك الحقيقة ويدعي

أن موقفه هو الصحيح ، وما عداه كذب وافتراء . وهو يلمس تغليب الكثير من الكوادر والقيادات لمصالحهم الذاتية الحزبية والشخصية ، على حساب المصالح الوطنية العامة . وقد أخذ يشم رائحة الصراع على السلطة بين جميع القوى دون استثناء .

تبادل الاعتراف يسبق التوقيع على الاتفاق

بعد مصادقة حركة فتح على الاتفاق ارتفعت أسهم أبو عمار عند الادارة الأمريكية والدول الغربية الأخرى . وأعلنت الادارة الأمريكية الاستنفار في مكاتب الخارجية والبيت الأبيض وسفاراتها في المنطقة العربية وركزت حركتها في اتجاهين رئيسيين : الأول الدفاع عن المولود الجديد (الاتفاق) وحمايته من الأعداء الذين راحوا يتربصون به ويتوعدونه بالقتل والاغتيال . والثاني حث اسرائيل والمنظمة لتسريع الخطى والقفز عن التفاصيل للانتهاء من صياغة وثائق الاعتراف المتبادل . وفي حينها وجه الرئيس كلينتون رسائل الى تسعة من الملوك والرؤساء العرب من ضمنهم الرئيس الأسد والملك حسين والياس الهراوي والملك فهد وحسني مبارك يحثهم فيها على دعم الاتفاق ، ودعم ياسر عرفات ومنظمة التحرير لانجاح الاتفاق . وراحت الادارة الأمريكية تتبادل الاقتراحات والمعلومات مع قيادة المنظمة حول كل المسائل المتعلقة بالاتفاق بما في ذلك موعد التوقيع ومكانه . ولم تتردد في الحديث عن رغبة الرئيس كلينتون في أن يتم التوقيع في البيت الأبيض وانها تحبذ أن يكون ذلك في أسرع وقت ممكن وبما لا يتجاوز منتصف أيلول ١٩٩٣ وقبل الدخول في الأعياد الأمريكية والاسرائيلية القادمة .

ومنذ ذلك التاريخ أخذت زيارات السفير الأمريكي في تونس لمقار المنظمة ودوايرها تتكرر باستمرار . وبهذه الطريقة أعادت الادارة الأمريكية صلاتها وعلاقاتها المباشرة مع المنظمة بعد توقف دام عدة سنين قافزة عن كل الشروط التي وضعتها سابقاً . وفي حينها أكثر أبو عمار وعدد آخر من القياديين الفلسطينيين من التعليقات على الموضوع . البعض قال سبحة مغير الأحوال . . السفير الأمريكي لا يكتفي بزيارة أبو عمار مرة واحدة في اليوم ، وعندما لا تشبعه زيارتان يعرج في طريقه على مكتب أبو مازن أو مكتب ياسر عبد ربه . آخرون قالوا : ثبت باللموس أن الطريق الى واشنطن والبيت الأبيض تمر عبر تل

أبيب . وهناك من قال لا تنسوا هذا الاستنتاج الرئيسي والهام لا سيما أننا أمام مسيرة طويلة من المفاوضات ، ويخطئ كل من يعتقد لاحقاً أن الإدارة الأمريكية مستعدة لممارسة أية ضغوط جديدة على إسرائيل . إسرائيل قادرة على الضغط الآن وغداً على هذه الإدارة وليس العكس . وهذه الإدارة كما قال بيبكر مدينة للوبي اليهودي ، ومدينة لإسرائيل . تقبل ما تقبله إسرائيل وسوف ترفض ما يرفضه الإسرائيليون في المفاوضات اللاحقة . لاحقاً رفضت الإدارة الأمريكية التدخل في المفاوضات المتعلقة بتنفيذ اتفاق أوسلو ، ورفضت تحمل مسؤولياتها كراعية للمفاوضات وكشاهدة على التوقيع .

بعد الانتهاء من اجتماعات فتح الداخلية عقدت خلية أوسلو اجتماعاً ناقشت فيه التعديلات المقترحة على ورقة الاعتراف المتبادل . وكان واضحاً أن أبو عمار راغب في الانتهاء منها بسرعة ، وكان مستعداً للتساهل في بعض النقاط . فالمهم الاعتراف الإسرائيلي الرسمي بالمنظمة وتوقيع المنظمة على الاتفاق وما عداه تفاصيل . فاعتراف إسرائيل بالشعب الفلسطيني كشعب وله من يمثله يعني التسليم أجلاً أم عاجلاً بدولة فلسطينية ، والوصول الى جزء من الأرض يعني الانسحاب الإسرائيلي منها كلها أجلاً أم عاجلاً . هكذا كان رأي أبو عمار وهكذا ما زال حتى الآن . وهذه القناعة هي التي دفعت أبو عمار وخلية أوسلو الى عدم التدقيق في اتفاق أوسلو ، والقفز عن موضوع المستوطنات ، والمعتقلين ، والمباعدين ، والعديد من قضايا حقوق الإنسان . لقد كان بإمكان خلية أوسلو الإستفادة من خشية الإسرائيليين من انهيار عملية السلام ، في تحقيق بعض الأمور الإضافية الهامة . كان بالإمكان الإصرار على إزالة مستوطنة نتسريم الصغيرة مثلاً من قطاع غزة ، وكان بالإمكان عدم تأجيل قضايا المباعدين والمعتقلين ، وانتزاع نصوص محددة بشأن عودتهم وإطلاق سراحهم . لا سيما أن الغالبية الساحقة منهم ابعدوا او اعتقلوا بتهمة الانتماء للمنظمة والقيام بنشاطات سياسية ممنوعة في القانون العسكري المفروض على

الشعب الفلسطيني مثل رفع العلم الفلسطيني والتظاهر ضد الاحتلال ، لكن أبو عمار وخلية اوسلو اعتبروها تفاصيل صغيرة أمام الإعراف بالمنظمة والانسحاب من غزة وأريحا .

بعد إجتماع خلية اوسلو طار أبو عمار مباشرة الى صنعاء ومعه ياسر عبد ربه ،وهناك التقى الرئيس اليمني علي عبدالله صالح وأطلععه على الاتفاق ،وقبل مغادرته صنعاء باتجاه القاهرة صدر تصريح يمني ايد الاتفاق انطلاقا من حق القيادة الفلسطينية في تمثيل شعبها وفي توقيع الاتفاقات التي تخدم قضية شعبها .في القاهرة التقى ابو عمار مع الرئيس مبارك وبحث معه في الصيغة النهائية للاعتراف المتبادل وقبل مغادرة ابو عمار القاهرة طار عمرو موسى وزير الخارجية المصرية باتجاه تل أبيب حاملاً معه صيغة الاعتراف المتبادل بتعديلاته النهائية ، ومعه ثلاثة مطالب خاصة من ابو عمار ، هي :

(أ) إطلاق سراح دفعة كبيرة من المعتقلين (بضعة آلاف) .

(ب) عودة دفعة اساسية من المبعدين .

(ج) إزالة الحاجز الذي يفصل القدس عن الضفة الغربية ويعيق حركة الناس . وتخفيف الاجراءات الأمنية والعسكرية في بقية مناطق الضفة الغربية والقطاع . وخلال اليوم نفسه طار أبو علاء الى باريس للقاء مع الجانب الاسرائيلي بحضور الوزير النرويجي ولارسن وزوجته منى لاستكمال المفاوضات حول ورقة الاعتراف المتبادل . ومن هناك اتصل بخلية اوسلو ليقول بأن الجانبين الاسرائيلي والنرويجي منزعجان من كثرة الاتصالات وتعدد القنوات قاصداً القناة المصرية وبعض الاتصالات الأخرى التي تمت بواسطة أحمد الطيبي مع بعض الوزراء الاسرائيليين ، وخاصة حاييم رامون . وقال بأن الجانب الاسرائيلي يقترح يوم ٩ أيلول كموعداً للتوقيع على رسائل الاعتراف المتبادل وأن الوزير النرويجي يقترح أن يصل يوم ٩/٩ الى تونس ، لأخذ توقيع أبو عمار ثم يطير الى اسرائيل لأخذ توقيع رابين . وأن الجانب الأمريكي مصر على

أن يتم التوقيع على الاتفاق في البيت الأبيض ، وبحضور الرئيس كلينتون ، وأنه اتفق مع الوزير النرويجي على أن يكون التوقيع يوم ١٣/٩/١٩٩٣ وأن هذا التاريخ نهائي . وأضاف أن الجانب الاسرائيلي موافق من حيث المبدأ على تاريخ ٩/١٣ طلب أبو علاء إبلاغه وخلال ذات اليوم - إذا أمكن - بأسماء الوفد الفلسطيني الذي سيتوجه الى واشنطن . فالأمريكان بحاجة الى جواب سريع وفوري حتى يشرعوا في التحضير ، فهم بصدد دعوة العديد من رؤساء ووزراء خارجية دول العالم لحضور حفل التوقيع .

في حينها لم يكن بالامكان إجابة أبو علاء على أسئلته ، فأبو عمار ومعه ياسر عبد ربه في الجو في طريقهم من القاهرة الى تونس . وفور وصوله الى أرض المطار ، أبلغ أبو عمار بضرورة التوجه الى مقر أبو مازن للضرورة . في مكتب أبو مازن التأمت خلية أوصلو وانضم لها محسن ابراهيم وبشير البرغوثي . وبعد نقاش قصير تم الاتفاق على إبلاغ ابو علاء بالموافقة الفلسطينية المبدئية على التواريخ . أما قائمة أسماء الوفد وترتيبات السفر الى واشنطن فيطلب تأجيل تقديمها بضعة أيام . وأبلغ أبو علاء بضرورة البت نهائياً بالرسالة السرية التي وافق رابين على تسليمها للطرف النرويجي ، والمتعلقة بالحفاظ على وضع المؤسسات الفلسطينية في القدس . فلا بد من الانتهاء من صياغتها وتسليمها للجانب النرويجي . وطلب من أبو علاء التأكيد على الجانب النرويجي بضرورة أن يبحث مع الأمريكان في مسألة الدعم المالي للمنظمة . وإبلاغه أن المنظمة لا تملك ثمن تذاكر السفر الى واشنطن . وأرسلت الخلية لأبو علاء نسخة عن الصيغة النهائية والتعديلات المقترحة على ورقة الاعتراف المتبادل التي حملها عمرو موسى الى تل أبيب . وخلال ذات الاجتماع اتفقت خلية أوصلو على دعوة اللجنة التنفيذية لاجتماع للمصادقة على الاتفاق . وجرت مناقشات تفصيلية للمواقف المحتملة لكل عضو من أعضاء اللجنة التنفيذية . وظهرت خشية حقيقية من أن لا يتم الحصول على موافقة رسمية من التنفيذية ، أو أن

تكون الموافقة بأغلبية ضعيفة ، وأن يظهر ضعف التيار الذي يقود العملية . وفي نهاية الاجتماع اتفقت الخلية على أن يوقع أبو عمار الاتفاق بغض النظر عن موقف التنفيذ ، وأن يتم توزيع الأدوار في الاتصال مع أعضاء التنفيذية لضمان تصويتهم لصالح الاتفاق . وأن لا يتم الربط بين توقيع أبو عمار وبين مصادقة أو عدم مصادقة التنفيذية على الاعتراف المتبادل على اتفاق اوسلو .

في باريس ، تمسك الوفد الفلسطيني بإيراد نص يقول (اعتبار نصوص الميثاق التي تتعارض مع الاتفاق والتي تشير الى تدمير دولة اسرائيل نصوصا لاغية) وان يكون هناك نص آخر على نبد العنف والارهاب . حاول ابو علاء تعديل ما يطلبه الوفد الاسرائيلي . وبعد جهد طويل ونقاش عسير تم الاتفاق على الفصل بين النقطتين ، بحيث ترد الاولى في نص الرسالة التي سيوجهها ابو عمار الى رابين . اما الثانية المتعلقة بالعنف فترد في صيغة اخرى وفي رسالة يوجهها ابو عمار هولست وزير خارجية النرويج . وبهذا انتهت صيغة رسائل الاعتراف المتبادل . بعد الوصول الى هذه الصيغة يوم ٩٣/٩/٨ عاد ابو علاء من باريس الى تونس وكان قلقاً من عدم قدرة الجانب الفلسطيني على الالتزام بالمواعيد ، وكان متخوفاً من أن تؤدي رحلة عمرو موسى الى تعقيد الأمور بدلاً من تسهيلها .

مساءً أحضر ياسر عبد ربه نص رسائل الاعتراف المتبادل ، وقال : الأخ أبو عمار والأخ أبو مازن لم يعودا مهتمين بالنصوص ، الكل متعجل على ترسيم الاتفاق . وقال : بعد قليل سيتصل الطيبي من اسرائيل من عند الوزير حاييم رامون المقرب من رابين . وأضاف : يبدو أن رابين غير مطمئن ويريد أن يتأكد من النص ومن التزامنا ومن جاهزيتنا للتوقيع على الاتفاق . وسأناقش مع رامون اللمسات الأخيرة على رسالة الاعتراف المتبادل . قلت له أظن أن لا مجال الآن لاجراء تغييرات اساسية والوقت الآن ثمين ، وظالما حددت مواعيد فالمطلوب تسهيل الأمور . ولاحقاً بعد الانتهاء من كل الحفلة لا بد من جلسة لتقييم

الأمر . دقائق قليلة وحسب الوقت المحدد ، تحدث الطيبي ثم بدأ النقاش بين ياسر ورامون . في البداية أكد كل منهما للآخر على الأهمية التاريخية لما نحن مقدمون عليه ، ولهذا يفترض عدم التوقف طويلاً أمام التفاصيل ، أو أمام نص زائد هنا أو ناقص هناك . قال رامون : الأوضاع عندنا صعبة لكننا مصممون على المضي قدماً وسأل عن الأوضاع الفلسطينية ومتى سيجتمع المجلس الوطني الفلسطيني للمصادقة على الاتفاق؟ رد ياسر أوضاعنا صعبة . أنتم في إسرائيل تواجهون معارضة داخلية اسرائيلية ، ونحن نواجه معارضة فلسطينية وعربية . ورغم ذلك سنمضي قدماً . وأضاف : أمس صادقت فتح على الاتفاق والموافقة مضمونة في اللجنة التنفيذية . بعدها سيجتمع المجلس المركزي وبالإمكان القول أن موافقته مضمونة أيضاً . وراح ياسر يشرح موقع المجلس المركزي في سلم المؤسسات الفلسطينية ، وأن بإمكانه أن يقوم بمهام المجلس الوطني حين انعقاده . وأكد أن المجلس الوطني يمكن أن يعقد لاحقاً في دورة خاصة للمصادقة على الاتفاق . حاول رامون تثبيت موعد تقريبي لاجتماع المجلس الوطني وقال أن صاحبه رابين يستفسر حول هذه النقطة بالتحديد . أجابه ياسر أستطيع القول نيابة عن الرئيس عرفات ان المجلس الوطني سيجتمع خلال فترة أقصاها عام . وطلب عدم التوقف عند هذه النقطة وعدم ادراجها في النص . وشدد ياسر على أهمية أن يقدم رابين على بعض الخطوات العملية المساعدة ، من نوع إطلاق سراح دفعة كبيرة من المعتقلين ، وإعادة دفعة من المبعدين ، وقال : جميعهم من مؤيدي عملية السلام . وطالب بأن يزيل رابين الحاجز الذي يفصل القدس عن الضفة الغربية . في نهاية الحديث وعد رامون بأن يبذل جهوده مع رابين ، وأن ينقل له صورة عن المحادثة . أغلق ياسر سماعة التلفون وعلق قائلاً : رامون من المقربين لرابين ، وكلمته مسموعة . ومن حديثه يتضح أنه متابع للأمر أولاً بأول وأضاف : كنت سأحدث معه حول سفر رابين وابو عمار الى واشنطن . الأخ أبو عمار لديه رغبة شديدة في حضور حفل التوقيع على الاتفاق ، وهو مستعد للتوقيع مع بيريز . المهم أن يقع هو على الاتفاق ، وفي الحد الأدنى ان يكون

حاضرا في الاحتفال ، وأخشى أن يتأخر التوقيع بسبب هذه النقطة وليس بسبب قضايا تفاوضية . وأضاف :على كل حال معنا وقت لايجاد مخرج لهذه المسألة ، وأخشى أن تتحول مسألة من سيسافر ومن سيوقع الى مشكلة داخلية عندنا . غداً سنكتشف أن حاشية طويلة عريضة ترغب في السفر الى واشنطن . أبو عمار غير مرتاح لحديث الوكالات عن أبو مازن وبيريز كمرشحين للتوقيع ، أكثر من مرة قال ان أبو اللطف وزير الخارجية ، وبروتوكولياً لا يجوز أن يوقع أبو مازن . رفع ياسر السماعة من جديد وتحدث مع أبو عمار ووضعه في صورة محادثة مع رامون .

صباح يوم ٨ أيلول بدأت اللجنة التنفيذية جولة جديدة من الاجتماعات وسط أجواء مشحونة . غالبية أعضاء اللجنة قرأت الاتفاق من الصحف . ولزید من البلبلة والارباك وزعت الجبهة الديمقراطية نصاً مزوراً قالت إنه النص الأصلي للاتفاق ، وزعمت انها حصلت عليه من أوساط دولية وعربية . وقالت بأن هناك عدداً من الملاحق السرية ستنشرها لاحقاً . حتى ذلك الحين ورغم مرور اسبوع كامل على توقيع الاتفاق بالأحرف الأولى ، ورغم نشره في الصحف الاسرائيلية بقيت اللجنة التنفيذية كهيئة ، شبه صامتة . فلم يصدر عنها أي بيان لشعبها أو للعالم ولم توزع نص الاتفاق . قبل بدء اجتماعات التنفيذية كان المثات من مراسلي وكالات الأنباء ومحطات الاذاعة والتلفزيون يتلقطون الأخبار . ورغم الاجراءات الأمنية المشددة التي اتخذتها الحكومة التونسية حول مقر أبو عمار وعدد آخر من المقار القيادية ومنازل بعض القياديين الفلسطينيين ، إلا أن العديد من المراسلين حصلوا على صيد ثمين ، حيث وجدوا من أعضاء التنفيذية من يتبرع باعطائهم التصريحات ، وهناك من اندفع لتوضيح مواقفه . وفي حينها سلطت الأضواء على موقف أبو اللطف باعتباره من المعارضة في قيادة فتح ، ولأن صوته قد يكون حاسماً في اجتماع التنفيذية ، وموقفه قد يؤثر في مواقف أعضاء آخرين من اللجنة التنفيذية . من بداية الاجتماع افتعل أبو

عمار مشكلة مع مثل الجبهة الديمقراطية ، شتمه وأهانته أمام الجميع بسبب بعض التصريحات الصادرة عن تنظيمه من دمشق ، والتي تمس أبو عمار شخصياً ، وكذلك حول الاتفاق المزور ، وحول حديثهم عن تحويل أبو عمار مبلغ ٨٠٠ مليون دولار لحسابه الشخصي في القاهرة . وافتعال المشكلة لم يكن هدفه الرد . على التجريح الشخصي ، بل محاولة التأثير على مسار بحث ونقاش الاتفاق وتبرير عدم عرضه على التنفيذ من قبل . خلال شتمه لممثل الديمقراطية مرر أبو عمار ما يريد ، حين قال ، بعض الاخوان يأخذون علي عدم إطلاع التنفيذية على المفاوضات في اوسلو . بالله عليكم كيف تريدونني اطلاع التنفيذية وفيها جواسيس للأنظمة العربية ، وفيها من لا يتورع عن نشر كل ما يقال في الصحف التي تديرها المخابرات الأردنية والسورية . وفيها أناس بدون أخلاق ، ماهرون في فبركة الأخبار . وبالفعل نجح أبو عمار في تحقيق ما يريد ، فقد امتنع بعض الأعضاء عن الكلام خشية أن اتهامهم بالعمالة للمخابرات العربية وهذا ما كان يريده أبو عمار . والآخر طرح موقفه بكلمات مختصرة وآخرون طرحوها في صيغة استفسارات مجردة . على كل حال فضل أبو عمار أن تبدأ التنفيذية بمناقشة رسائل الاعتراف المتبادل وليس اتفاق اوسلو ، ليسحب ذرائع بعضهم في الاعتراض على الاتفاق ، فبعض أعضاء التنفيذية ضد اوسلو بحجة أنه سيشطب المنظمة ولأنه لا يشير لها بالاسم . أما الاعتراف المتبادل فهو بين المنظمة واسرائيل ، وفيه تقر اسرائيل وتعتزف بالمنظمة كممثل شرعي للشعب الفلسطيني ، مقابل ماذا على حد تعبير أبو عمار ، مقابل شيء قائم هو الاعتراف باسرائيل . وتغيير بعض نصوص الميثاق التي غيرناها عملياً في اعلان الاستقلال عام ٨٨ . ومقابل نبذ العنف والارهاب الذي نبذناه مجاناً قبل وبعد اعلان الاستقلال . وفي تلك الجلسة لم يتورع أبو عمار عن القول : يا اخوان الاتفاقات أوراق تحترم ونحن اعطينا انفسنا فرصة ومحطة احتياطية هي اقرار الاتفاق بصورة نهائية في دورة المجلس الوطني . وأنا لن أعقد المجلس الوطني إلا على أرض فلسطين . ومن الآن وحتى ذلك التاريخ 'يهونها الله' ، وخلالها

سنراقب سلوك القيادة الاسرائيلية ، وسنرى مدى التزامها بالاتفاق . فإذا التزموا ونفذوا الاتفاق وفقاً لمفهومنا نفذنا ، وإلا فأنا جاهز لأقول للمجلس الوطني ولكم هذه امانتكم اردھا إليكم دوغما نقصان . يومھا تعمد أبو عمار أن يحتزل فترة الاجتماع ، فكل ذهنه منصب على وصول وزير خارجية النرويج حاملاً معه الصيغة الرسمية لإعلان الإعتراف المتبادل . كان حاسماً في قراره بالتوقيع على الاتفاق سواء أقرته اللجنة التنفيذية أم رفضته . ولهذا فضل أن يتم التوقيع قبل التصويت عليه في اجتماع التنفيذية . فالدفاع عن مثل هذا السلوك والموقف أسهل بكثير من الدفاع عنه بعد الرفض مثلاً . ولهذا لقط أبو عمار قول أحد أعضاء التنفيذية أعطونا الاتفاق حتى نقرأه قبل التصويت عليه . وسؤال عضو آخر عن الملاحق السرية ، واعتراض ثالث على الملاحق الاقتصادية ، فاقترح أبو عمار رفع الاجتماع حتى مساء اليوم التالي لافساح المجال أمام الجميع لقراءة الاتفاق ، والتدقيق في نصوصه ونصوص ملاحقه . ويومها وزع الاتفاق على أعضاء التنفيذية بصورة رسمية علماً بأنه نشر في كل الصحف العربية والأجنبية منذ أكثر من عشرة أيام . ويومها حاول أبو علاء وحسن عصفور حجب المحضر المرفق المعتبر جزءاً من الاتفاق إلا أن أبو مازن أمر بتوزيعه على الجميع .

قبل غروب شمس يوم ٩ أيلول ٩٣ حطت الطائرة النرويجية الخاصة التي تقل وزير الخارجية في مطار تونس قرطاج . وكان في استقباله على أرض المطار ياسر عبد ربه وابو علاء وعدد آخر من الفلسطينيين ومعهم حشد كبير من الصحفيين . بعد استراحة قصيرة نقل الوزير النرويجي ومن معه الى بيت ابو عمار وجلس ينتظر اللحظة التاريخية التي ستتوج فيها جهود النرويج بالنجاح في ارساء اسس لصنع السلام في الشرق الاوسط وحل اعقد قضية دولية شهدها النصف الثاني من القرن العشرين . مع وصول الوزير النرويجي كانت اللجنة التنفيذية قد استكملت مناقشة رسائل الاعتراف المتبادل ، وكان ابو عمار قد اخذ موافقة

الاعلبية عليها . اما اعلان المبادئ فكان لازال مدرجا على جدول الاعمال . رفع ابو عمار الاجتماع لمدة ساعة ولم يبلغ الحاضرين بانه ذاهب للتوقيع . خرج ابو عمار من مكتبه في ياغورتا باتجاه بيته الواقع في ذات المنطقة ، وهناك التقى الوزير النرويجي وكان اللقاء حارا وعاطفيا ، وقبيل منتصف الليل بقليل من يوم ٩/٩/٩٣ وقع ابو عمار النسخة الاصلية التي كانت مع هولست . وحضر حفل التوقيع اعضاء خلية اوسلو والوفد النرويجي المرافق للوزير وكان من ضمنه لارسن وزوجته منى ، والتقطت الصور التذكارية . وبعد استراحة قصيرة توجه هولست والوفد المرافق له الى مطار تونس-قرطاج ومن هناك طار مباشرة الى اسرائيل لاختذ توقيع رابين . بعد التوقيع عاد ابو عمار لاستكمال اجتماع اللجنة التنفيذية بكل هدوء وبرودة اعصاب وكان شيئا لم يقع ، وكان الاتفاق لم يوقع . بعد مناقشة قصيرة رفع ابو عمار الاجتماع قائلا يكفي ما المحزنه في هذا اليوم ونستكمل الاجتماع صباح الغد . ويومها نام اعضاء التنفيذية ومعظمهم لا يعرف بأن الاتفاق صار في الطريق الى تل أبيب مع وزير خارجية النرويج . في اليوم التالي نقلت وكالات الأنباء نبأ وصول الوزير النرويجي الى اسرائيل ومعه نسخة موقعة من قبل أبو عمار . وقالت الوكالات من المنتظر أن يضم رابين توقيع الى جانب توقيع عرفات على وثيقة الاعتراف المتبادل . فعلاً وقع رابين الاتفاق واريخه ٩/٩/٩٣ . ولم يعرف اعضاء التنفيذية متى وقعه أبو عمار . وأظن أن بعضهم لا زال يعتقد أن توقيع أبو عمار تم بعد اجتماع التنفيذية . وعلى كل حال لم تكن هذه المرة الأولى التي تكون فيها التنفيذية آخر من يعلم ولا أظن أنها سوف تكون الأخيرة . فهذا الاسلوب أصبح تقليداً من تقاليد حياتها وعملها . الكل يشكو منه والكل ساكت عليه . الكل يتحدث ضده خارج الاجتماعات وخلف ظهر أبو عمار ، أما في الاجتماع وأمامه فالحديث يتغير .

وتعليقاً على الوضع الفلسطيني وعلى حالة اللجنة التنفيذية ، واللجنة

المركزية لحركة فتح ، والقيادة الفلسطينية صار زوار أبو مازن يسمعون منه الحكاية الطريفة التالية ، رداً على سؤال ماذا بعد والى متى ؟ تقول الحكاية : في قديم الزمان كان هناك حاكم ظالم مستبد . وكان كل أهل حكمه يشكون فيما بينهم ظلمه لهم واستبداده بهم . فجأة اقتنى الحاكم فيلاً وتركه يسرح ويمرح داخل المدينة على هواه . وشاءت الأقدار أن يكون الفيل شريراً ، فراح الفيل يحطم المحلات التجارية ويأكل بسطات الخضار ، ويعتدي على الناس ولا أحد يستطيع أن يردعه . مع الأيام تمادى الفيل أكثر فأكثر ، وازداد الناس ضجراً منه وقرروا التجمع لدراسة الموقف ، وما ينبغي اتخاذه من اجراءات . في الاجتماع ارتفعت أصوات كثيرة ومتنوعة . بعضهم طالب بخلعه ، والآخر طالب بذبح الفيل ، إلا أنهم في نهاية المطاف قرروا مجاهرة الحاكم ، ومفاتيحه ، وإنذاره بسحب فيله من شوارع المدينة ، وإلا ذبح الفيل وخلع الحاكم . واتفقوا على تعطيل الأشغال في اليوم التالي والتوجه بشكل جماعي الى قصر الحاكم الواقع خارج المدينة . وبالفعل تجمع الناس في الوقت المحدد وساروا جميعاً باتجاه القصر ، يقودهم خمسة من ذوي الرؤوس الحامية وأصحاب الألسن السليطة في نقد الحاكم . عند أطراف المدينة تراجع الحشد الى النصف . أصر باقي الناس على متابعة المسيرة ، بعد مسافة قصيرة انكمش الحشد الى اليمين ومع البدء في صعود تلة القصر تراجع الحشد الى الثمن ، ومع كل بضع خطوات كان الحشد ينكمش ويتقلص أكثر فأكثر ، وما إن بلغوا مشارف القصر حتى اقتصر الحشد على الخمسة ، ذوي الرؤوس الحامية والألسن السليطة . توقف الخمسة وتشاوروا فيما بينهم وقرروا متابعة الشوط حتى نهايته ، وأن يبلغوا الحاكم بأنهم موفدون من قبل كل أهل المدينة . وبالفعل تابعوا المسير وبلغوا باب القصر ، وهناك طلب منهم الحراس التريث والانتظار . جلسوا ينتظرون وتمنوا على أحد الحراس أن لا يطول انتظارهم ، وان يبلغ الحاكم بأن الوفد جاء لأمر عاجل . بعد دقائق قليلة أذن للوفد بالدخول ، نهضوا معاً وتوجهوا نحو البوابة يتقدمهم أكثرهم اندفاعاً وحماسة . دخل المندفع والتفت خلفه فوجد نفسه وحيداً . ففكر للحظات ماذا

سيقول . وبأسرع من البرق قرر ، ناداه كبير الياوران وأذن له بدخول قاعة العرش . وقف بين يدي الحاكم وقال : سيدي ومولاي أطل الله عمره ، ووسع رقعة حكمه . جئتك مثلاً لأهل المدينة ، الذين هم جميعاً لك محبوبون . وبأسلوب حكمك معجبون . ولسهرك الدائم على مصالحهم لك شاكرون . يصلون لك صباح مساء ويحمدونه لأنه ولاك عليهم . جئتك لأنقل لك تقدير أهل حكمك لأنشغالك في أمور الحكم وخدمة الناس . ولأنقل لكم تقديرهم وأعجابهم الشديدين ، وحبهم الكبير لفيلكم اللطيف الظريف . وهم جميعاً يتمنون عليك أن تصدر الأوامر باحضار فيلة للفيل كي يتزوجها ويكثر نسله الأصيل . كان أبو مازن يتوقف عند هذا الحد من الرواية فيسأله المستمعون وماذا كان رد الحاكم ؟ كان أبو مازن يرد ويقول : طبعاً الحاكم كان يتواضع ويقبل التبجيل ويعد بدراسة الاقتراح ويفتح دفتره الخاص ويدون فيه ما يريد والله وحده يعرف ما دون في الدفتر . . .

صباح يوم ٩/١٠ انشغل بعض أعضاء التنفيذية في البحث والتدقيق في نصوص اتفاق أوصلو والمخضر الملحق به تمهيداً لمناقشته ظهراً . ويومها أخذ بعض أعضاء التنفيذية الموضوع بكل جدية معتقدين ان بإمكانهم اجراء تغييرات وتعديلات على الاتفاق . وللمضي في اللعبة حتى نهايتها كلف أبو مازن حسن عصفور وبعض العاملين في المكتب ، بوضع كل الوثائق والمعلومات تحت تصرف أعضاء اللجنة التنفيذية . ظهراً عقد الاجتماع وأظنه كان من أقصر الاجتماعات التي عقدتها اللجنة التنفيذية . فأبو عمار مشغول وكل خلية أوصلو مشغولة في قصة السفر الى واشنطن . وفي حينها لم تتم أية مناقشة جدية للاتفاق حيث قيل لهم أن الموافقة على وثيقة الاعتراف المتبادل تتضمن الاقرار المسبق بالاتفاق . فوثيقة الاعتراف تستند في نصوصها الى الاتفاق وهي ملحق من ملاحقه . وفي حينها تباينت ردود الفعل داخل التنفيذية . المؤيدون لعملية السلام ارتاحوا من وجع الرأس! ووافقوا على اعتبار

موافقتهم على الاعتراف المتبادل موافقة على الاتفاق . أما المعارضون لعملية السلام فلم يتحمسوا لمناقشة تفاصيل الاتفاق ، فهو من وجهة نظرهم مرفوض جملة وتفصيلاً ، باعتباره مولوداً غير شرعي لانه ابن لعملية غير شرعية . أما اصحاب الموقف بين الموقعين فقد صمتوا بعد الاحتجاج على هذا الأسلوب من العمل ، ومن العلاقات داخل اللجنة التنفيذية . بعد هذا الاجتماع بأقل من ٤٨ ساعة أعلن كل من تيسير خالد ممثل الجبهة الديمقراطية وعبد الرحيم ملوح ممثل الجبهة الشعبية وعبد الله حوراني (مستقل) استقالاتهم بصورة شبه جماعية من اللجنة التنفيذية . وبهذا أصبح عدد المستقلين خمسة من اصل ثمانية عشر عضواً ، مجموع عدد اعضاء التنفيذية . ولم يكتف المستقلون بالاعلان عن استقالاتهم بل اتبعوها بمواقف تطعن في شرعية قرار الموافقة على الاعتراف المتبادل ، وعلى الاتفاق باعتبارهما مخالفتين للميثاق الوطني الفلسطيني . لم يأبه أبو عمار بالاستقالات ولم يتأثر بها وراح يقول حان وقت الفرز داخل الساحة الفلسطينية ، بين اصحاب القرار الوطني المستقل وبين أتباع النظام العربي . وفي الوقت الذي راح يتحدث فيه عن الأزمة التي واجهتها الشرعية الفلسطينية عام ٨٤ ، وكيف استطاع عقد الدورة السادسة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني في عمان ، راح أبو عمار يستنفر فتح قيادة وكوادر وقواعد دفاعاً عن القرار الفلسطيني المستقل . وحرص على تعزيز علاقته مع أبو اللطف بما في ذلك الاشادة بموقفه المعارض للاتفاق . وفي حينها تجاوب أبو اللطف مع أبو عمار وأخذ يبدل موقفه بشكل تدريجي خاصة بعد اللقاء الذي تم بحضوره مع الرئيس الأسد . والذي أكد فيه الأسد عدم رغبة سوريا في العمل على الاطاحة بالاتفاق . وبدأ أبو اللطف يسرب أقوالاً داخل الساحة الفلسطينية وفي أوساط حركة فتح ، بأن معارضته للاتفاق تمت بالاتفاق بينه وبين ياسر عرفات . وأنه أخذ بهذا المنحى كي يبقى على المعارضة ضمن الاطار . وبأن تصويته ضد الاتفاق في اجتماع اللجنة التنفيذية تم أيضاً بالاتفاق مع أبو عمار ، خاصة بعدما تأكد من أن الاتفاق يحظى بأغلبية . وأنه أراد أن يظهر ضعف الموافقة

الفلسطينية على الاتفاق فهذا أفضل لياسر عرفات ، لانه يقوي موقفه وموقعه عند الأمريكان وعند الاسرائيليين . ولم تقتصر تسريبات أبو اللطف على الساحة الفلسطينية بل مدها لتصل الى بعض الأطراف العربية والغربية . فخلال مروره بعمان في طريقه الى بغداد ، التقى أبو اللطف برئيس الوزراء الأردني الدكتور عبد السلام المجالي ، بحضور سفير فلسطين في عمان الطيب عبد الرحيم . ورداً على استفسار حول موقفه من الاتفاق وحول نقاط اعتراضه وحيثيات معارضته ، قال : موقفي تكتيكي ، وأخذته بعد ترتيب مسبق مع الأخ أبو عمار . وقبل مغادرته عمان استفسرت السلطات العراقية بصورة رسمية من أبو عمار ومن السفير الفلسطيني الطيب عبد الرحيم حول الصفة الرسمية لأبو اللطف وأبدوا رغبتهم في تأجيل الزيارة إذا كان أبو اللطف قادماً الى بغداد بصفته معارضاً للاتفاق . وفي حينها قال أبو اللطف للسفير : أبلغ العراقيين وأبلغ عزام الأحمد سفير فلسطين في بغداد بأنني قادم الى بغداد بصفتي وزير خارجية فلسطين الملزم بالتحدث بالموقف الرسمي للمنظمة . ارتاح العراقيون لهذا الجواب ، ورحبوا بالزيارة وأبلغوا أبو عمار وسفير فلسطين في عمان بأن موقفهم المعارض للاتفاق لا يعني دعم المعارضة . ولا يعني حشد القوى في مواجهة عرفات ، وفي مواجهة الاتفاق . وأكدوا أن معارضتهم مبدئية نظرية لا أكثر ولا أقل . وأنهم بسبب افكارهم القومية لا يستطيعون تأييد الاتفاق . وهذا الموقف العراقي أخذ في حينه العديد من الاعتبارات وأهمها وضعه الذاتي ، وسعيه لفك الحصار الدولي المفروض عليه منذ حرب الخليج . فقيادته كانت تعرف أن معارضة الاتفاق بقوة ، يعني تعقيداً أكبر للعلاقة المعقدة أصلاً والمتوترة جداً مع الادارة الأمريكية ومع الدول الأوروبية الداعمة للاتفاق .

قصة السفر الى واشنطن.. والتوقيع على الاتفاق

بعد مصادقة الحكومة الاسرائيلية واللجنة التنفيذية على اتفاق اوسلو وعلى وثيقة الاعتراف المتبادل ، انهالت الاتصالات الدولية والعربية على ابو عمار لتهنئته على هذا الانجاز التاريخي . واكثرت وسائل الاعلام في حينه من الحديث عن مركزية ومحورية دور أبو عمار في الحركة الفلسطينية ، وفي شق الطريق نحو السلام وقيادة الشعب الفلسطيني على هذا الطريق . ورغم ذلك كله فقد كانت عيون أبو عمار مركزة باتجاه واشنطن ، ولم يخف رغبته أمام عدد من المقربين في حضور احتفال التوقيع حتى لو لم يكن هو الذي سيوقع على الاتفاق . كان يبدأ الحديث في الموضوع بطرح سؤال استنكاري تشكيكي ، حول خلفيات وأبعاد ودوافع الحديث الاسرائيلي عن بيريز وأبو مازن كمرشحين للتوقيع . كان يقول أبو مازن ليس وزير خارجية فلسطين ومن الناحية البروتوكولية فان أبو اللطف هو المعني بالتوقيع . وإذا كان أبو اللطف لا يريد السفر ويرفض أن يغمس يديه في هذا الدنس ، فأنا لا أقبل أن تفرض علي الاسماء من الآخرين ولا أقبل لأخي أبو مازن أن يسميه الاسرائيليون . خلال مسيرة الثورة لم أقبل التدخل العربي في الشؤون الصغيرة لمنظمة التحرير . ومن الطبيعي أن لا أسمح لا لأمريكا ولا لاسرائيل أن تفرضوا علي أي انسان للتوقيع على الاتفاق ، حتى ولو كان هذا الانسان أخي وحبيبي أبو مازن . ولم يكن أبو عمار يخفي انزعاجه من تسليط الأضواء الدولية والعربية على أبو مازن ، باعتباره مهندس اتفاق اوسلو وباعتباره رجل السلام الحقيقي ، ورجل المهمات الدقيقة والصعبة ، وتصويره بأنه مهندس الرحلة الفلسطينية على هذا الطريق الوعر والشاق والطويل . ولم يتردد أبو عمار حينها في اتهام أمريكا واسرائيل بأنهما تعملان على تحضير البديل له . وعندما كان بعض المقربين ينبري للدفاع عن أبو مازن ، ويحاول تبسيط الموضوع والدفع باتجاه عدم جعل قصة من سيوقع قضية خلافية داخلية وخلافية مع الأمريكان واسرائيل ، كان أبو عمار يرد بسرعة أنتم طيبون

ونواياكم سليمة . في السياسة النوايا الطيبة لا تفيد . أما أبو مازن فكان موقفه : ليس مهماً من سيقع الاتفاق ، المهم أن يتم التوقيع ، أنا جاهز لأتحمل المسؤولية ، ولكن إذا كان أبو عمار يرغب في التوقيع رتبوا الموضوع مع الاسرائيليين ومع الأمريكان . موعد التوقيع حدد بعد ٤٨ ساعة والوقت ضيق .

بينما كانت المعارضة الفلسطينية ترفع من وتيرة معارضتها ، وتهدد بقطع الأيدي التي ستوقع على اتفاق (الذل والخيانة) حسب تعبيرها ، كان أبو عمار مطمئناً ، وكان يقول يا جبل ما يهزك ريح . وكان ذهنه مشغولاً في السفر الى واشنطن . تعرض ابو عمار في حياته للعديد من محاولات القتل والاغتيال الا انه كان في كل مرة يخرج منها سالماً . صحيح انه رجل قدرى الا انه مؤمن بقول الرسول (صلم) اعقل وتوكل ، ولهذا كان ابو عمار ولازال يولي مس آلة أمنه الشخصي اهمية استثنائية ، ويشرف عليها شخصيا . بعد حرب الخليج وقبل التوقيع بالاحرف الاولى على اتفاق اوسلو كان ابو عمار يعيش حالة قلق على امنه الشخصي لكنه بعد التوقيع صار اكثر اطمئنانا ، فخطر الاغتيال تقلص بعدما لم يعد مستهدفاً من قبل الامريكان والاسرائيليين . ولم تقلقه كثيراً تهديدات بعض الاطراف الفلسطينية . مع اقتراب موعد التوقيع بدأ بعض المقربين من أبو عمار الشغل على الموضوع ، وكان ياسر عبد ربه في تونس اكثرهم نشاطاً . أما في واشنطن فقد تولت حنان عشاوي ترتيب الموضوع مع الادارة الأمريكية .

مساء يوم ١٠ أيلول اتصل ياسر عبد ربه مع الدكتور أحمد الطيبي في اسرائيل . وابلغه أن ابو عمار يرغب بالسفر الى واشنطن . وهو جاهز للتوقيع أو لحضور احتفال التوقيع . وطلب منه أن يجري اتصالاته مع الاسرائيليين لاقناع رابين بالسفر الى واشنطن والتلاقي مع أبو عمار هناك . فاللقاء ضروري لأن الاتفاق تاريخي . وأضاف ياسر أن عدم سفر أبو عمار الى واشنطن سوف يخلق لنا ولصاحبنا المشترك (يقصد أبو مازن) إشكالات نحن في غنى عنها في مثل

هذا الظرف . وعدم حضور ابو عمار حفل التوقيع يعرض الاتفاق ذاته الى اخطار حقيقية فمن غير المستبعد مثلا ان يقول ابو عمار يوما ما انا لم اوقع ولم اشارك في التوقيع . بعد أقل من ساعتين اتصل الطيبي وقال ' بعد الاتصالات مع المعنيين هنا استطيع القول أن رابين موافق من حيث المبدأ وكلف حاييم رامون بالتأكد من الموضوع وفهم الدوافع والأسباب ' . واقترح الطيبي أن يتحدث ياسر عبد ربه مع رامون مباشرة . وافق ياسر وحددت الساعة العاشرة مساء بتوقيت تونس موعداً للمحادثة بين الرجلين . في الوقت المحدد اتصل الطيبي وتحدث عبد ربه مع رامون وكانت الخلاصة ، ان رابين مستعد للسفر الى واشنطن لحضور الاحتفال فقط . أما التوقيع فسيتولاه بيريز وفقا لقرار الحكومة ، ولا يمكن تغييره الان ولا داعي لتغييره . وسفر رابين مرهون بوصول دعوة رسمية من الأمريكان . وهو لا يرغب في المبادرة بالاتصال معهم بشأن هذا الموضوع . ويقول أعملوا اتصالاتكم ، ورتبوا الدعوة للرجلين (رابين وأبو عمار) وإذا لم نجتم أبلغونا مباشرة . أغلق ياسر الخط وقال لنبحث الخطة أبو عمار سيسافر الى واشنطن . قلت : وسفر ابو مازن ضروري . قال صحيح ولكن اخشى ان يعتذر . هناك اشكالية حول تشكيل الوفد نعمل على معالجتها . بعد المكالمات مع رامون عاد ياسر الى مكتب ابو عمار في ياغورتا .

لاحقا روى ياسر عبد ربه قصة تشكيل الوفد فقال : طيلة الليلة الماضية انشغلنا في سفر ابو عمار ورايين وفي تشكيل الوفد . بعد الحديث مع رامون تم الاتصال مع حنان عشاوي في واشنطن لتأمين الدعوتين لرايين وابو عمار وتم استدعاء السفير الأمريكي في تونس لذات الغرض . المهم تم تأمين الدعوتين وتقرر السفر يوم ١٢ / ٩ / ٩٣ . وتقرر تشكيل الوفد من خلية اوسلو ، والوفد الرسمي الموجود في واشنطن واخرين ، ولم تمر المسالة بسهولة فهناك كثيرون يرغبون في السفر . حاولنا اختزال الوفد قدر الامكان الا اننا بقي وفدا كبيرا وهذا الأمر أزعج الامركان و ازعج بعض الاخوان ايضا . قلت لنفسى اعان الله شعبنا ، من الان

بدأ الصراع على تشكيلات السلطة . مسكينة المعارضة الفلسطينية ، اظنهم الآن جالسين يدرسون خطواتهم التصعيدية بعد ان اقنعوا انفسهم ان عرفات وابومازن والوفد وخلية اوسلو يرجفون خوفا من تهديداتهم ، ومن بياناتهم العنصرية ، التي خونت القيادة الفلسطينية . اه لو يعرفوا على ماذا يدور الخلاف الان في اروقة تونس . مساكين هم في واد والآخرين في واد آخر . فكرت في الذهاب الى مكتب ابو عمار لاقول له : يا ابو عمار التوقيع على الاتفاق مناسبة لها وجهان . الاول مفرح ، لاننا فرضنا انفسنا على الاسرائيليين والامريكان ، ولان الاتفاق يشق طريق الامل امام شعبنا باتجاه الدولة . اما الوجه الآخر والذي يجب ان لا يغيب عن الذهن ، فهو ان التوقيع يتضمن التنازل عن اراضي وراثتها لنا الالباء والاجداد . ركبت السيارة وغيّرت وجهتي ، وتوجهت الى مكتب ابو مازن . المسافة من دائرة الاعلام الى مكتب ابو مازن لا تتجاوز خمس دقائق لكنها كانت كافية لاشرد مع نفسي . عدت للماضي ، وتذكرت بدايات الكفاح المسلح الفلسطيني داخل الارض المحتلة . تذكرت الاحلام والشعارات الكبيرة التي رفعناها والمغامرات غير المدروسة التي خضناها ، ومرحلة المراهقة السياسية التي مرت بها قيادة الثورة ، ودفع الشعب ثمنها . تذكرت شغلنا في الاغوار الاردنية وهضبة الجولان في سنوات ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، وتذكرت المظاهرات المسلحة التي نظمناها في شوارع عمان عام ٦٩ ضد موافقة عبد الناصر على مشروع روجرز . وكيف رفعنا الاعلام الحمراء فوق المساجد لنعبر عن هويتنا اليسارية . مر شريط العذاب المر . الخوف والموت الذي عاناه الناس والمقاتلون في الاغوار الاردنية ، وجنوب لبنان . تذكرت الصدام العنيف الذي خضناه مع الجيش الاردني في ايلول ١٩٧٠ . ومرت صور الحروب البشعة التي خضناها في لبنان عندما ازرننا فريقا من اللبنانيين ضد فريق آخر . تذكرت السجناء والمعتقلين ومرطابور طويل من الشهداء يتقدمهم ابو جهاد وابو الوليد وخالد نزال وغسان كنفاني وابو اياد وابو الهول . وسألت نفسي ، هل سيأتي يوم تراجع فيه القيادة الفلسطينية نفسها وتجربتها بموضوعية ؟ وتعترف لشعبها عن اخطائها

؟ وماذا سيكون رد فعل الشهداء لو انهم عرفوا بالاتفاق ؟ وعلموا حول ماذا يدور الصراع الان ؟ ماذا سيكون موقفهم ؟ هل يا ترى سينقسمون حول الاتفاق كما الساحة الفلسطينية منقسمة الان ؟ وهل لو عاد الشهداء سيعود كل منهم الى فصيله وتنظيمه ، ويلتزمون بمواقف فصائلهم وتنظيماتهم ؟ أم أن الموت حررهم من الفصائلية ومن العصبوية التنظيمية المقيتة التي شحناهم بها قبل الوفاة والاستشهاد ؟ تذكرت رواية الكاتب الجزائري الطاهر وطار ، 'الشهداء يعودون' وقلت حبذا لو يكتب الكتاب الفلسطينيون رواية (حوار صريح مع الشهداء) . تخيلتهم ينهضون من مقبرة الشهداء في حمام الشط في تونس . ومن قبورهم في محيط المخيمات في لبنان ، ومن تلال ووديان العرقوب وكل جنوب لبنان وسوريا . ومن مواقع غير متوقعة ممتدة من اقصى شمال فلسطين وحتى العريش ورفع على الحدود المصرية الفلسطينية . رأيتهم يحلقون في سماء تونس قادمين من كل الاتجاهات ، يهبطون زرافات ووحدانا في شارع ياغورتا ، يصرخون ب أعلى اصوات حناجرهم كفى ما فعلتموه بشعبنا ، كفى خلافات غير مبدئية ، كفى صراعات ذاتية ، اوقفوا كل الصراعات التي لا علاقة لها بفلسطين . حطموا مرياكم وانظروا لانفسكم من مريانا ومرايا الآخرين ترون حقيقة انفسكم ، وتعرفون اين كنتم حين تركناكم و أين اصبحتم الان ، والى أين ستصلون اذا بقيتم على حالكم التي تعيشون . واذا بقيتم متمسكين بمفاهيمكم وافكاركم السياسية والتنظيمية القديمة .

فجأة توقفت السيارة ، وقال السائق : وصلنا يا رفيق ، واضاف يظهر أنك مهموم . قلت صحيح . قال : العمل القيادي يسبب اوجاعا في الرأس ، الحمد لله أنني لست عضوا قياديا ولا استطيع أن أصل الى مرتبة قيادية . ولكن من يؤكد أن القياديين الكبار والوسط والصغار لا يحملون هم تامين الاكل لاولادهم ، ولا يعرفون هموم تامين اجرة البيت والتعليم ، فهذه امور مؤمنة لهم . انا اعرف الخوف من الجوع ومن تأخر الراتب اخر الشهر ، وكلها هموم تجعل الانسان قلقا

في نومه وتجلب له الكوابس . يبدو ان هذه الكوابس سوف تزداد بعد الاتفاق مع الاسرائيليين ، واضاف : اليوم مضى احد عشر يوما من الشهر ولم نتسلم الراتب الثاني . قلت انت على حق ، سمعت انهم سيصرفون الرواتب بعد عودة الوفد من واشنطن . امام غرفة ابو مازن كان مسؤول الحراسات واقفا مهموما ، بادرني بالقول : ابو مازن غاضب ويفكر في عدم السفر الى واشنطن ، ويبدو ان بعض الاخوان يخططون لذلك ، قلت له لا يا شحادة افتح الباب . هناك سوء فهم للموضوع ، فتح الباب وقال بصوت هامس ، على كل حال التوقيع يبقى من اختصاص فتح . دخلت الغرفة كان ابو مازن جالسا خلف مكتبه شارد الذهن ، وكان محسن ابراهيم يتجول في الغرفة ، بعد التحية والاستفسار عن آخر اخبار السفر الى واشنطن ، تخلص ابو مازن من الشرود وقال : كنت أفكر في احوالنا ، البعض يتصرف وكأننا ذاهبون الى حفلة عرس او مهرجان . أنا ذاهب الى واشنطن واقسم لكم أنني أشعر منذ الان بالقشعريرة . انا ذاهب لواقع على اعطاء اسرائيل ارضنا . مقتنع بالاتفاق لانه يؤسس لتحقيق الحلم في الدولة الفلسطينية المستقلة . اشتغلت على الاتفاق واخفيت الامر عن أعز الاصدقاء والمفكرين لأنني كنت أخشى الفشل . عدم التوصل الى اتفاق يعني في الوضع الدولي والعربي ووضعنا الراهن ضياع القضية ودمار جديد لشعبنا . على كل حال أحمد الله اننا توصلنا الى اتفاق . وأنا مقتنع ان مهمتي انتهت قمت بواجبي وخدمت شعبي وقضيتي اربعين عاما . لا أريد الدخول في معارك مع أحد ، لا حول التوقيع ولا حول أي قضية اخرى . اوضاعنا مهترئة ولا تتحمل صراعات . المطلوب دفشة واحدة ولكن باتجاه العبور الى فلسطين ، وبعدها لكل حادث حديث ، وكل انسان حر في نفسه . تركنا لابو عمار كل شيء . اعطيناه المنظمة وحركة فتح . من الان أقول لكم اذا دخلت القيادة الفلسطينية الى غزة فستنسى كل من يتبقى منها في الخارج ناهيك عن الشعب المنسي منذ سنين . أعان الله شعبنا على قيادته . تساءل محسن ابراهيم ، ما الذي وورطني معكم؟! انا لبناني وعندي من الهموم اللبنانية ما يكفي ويزيد

، عملت معكم وعاشتكم اكثر من ثلث قرن ، تدخلت بناء على طلبكم في كل قضاياكم السياسية والتنظيمية ، ولم يبقى فصيل واحد لم اتدخل والحمد لله في شؤونهم وبناء على طلبه ، اما الخلافات داخل المنظمة فحدث ولا حرج .
ويكفي اعراس المجلسين الوطني والمركزي واجتماعات المجلس الثوري لحركة فتح واجتماعات لجنتها المركزية . قلت له : ابا خالد .. صبرت الكثير فاصبر القليل ، بعد أقل من شهرين نعطيك تقاعد . قال لا أريد منكم شيئا سوى أن تنجحوا في بناء كيانكم وأن تحولوه الى دولة وأن لا تنسوا الغلابة اللاجئيين الموجودين في لبنان وغير لبنان . سابقي معكم حتى تعبر القيادة الى غزة وبعدها سلام عليكم . وناتيكم زوارا اذا استطعتم تأمين الدعوة لي ، واذا تعذر ذلك ناتيكم سواحا من جنوب لبنان . بعد هذه الدردشة نهضنا وتفرقنا ونحن مطمئنين على سفر ابو مازن الى واشنطن .

قبل السفر ب ٤٨ ساعة اعلنت السفارة الامريكية في تونس الاستنفار ، وعمل موظفوها ليل نهار لانجاز اجراءات دخول الوفد الى واشنطن . كالعادة تاخر الفلسطينيون في تقديم الاسماء والجوازات ، وبقي الكشف مفتوحا حتى صباح يوم السفر . ظهر يوم ٩٣/٩/١٢ غادر الوفد مطار تونس - قرطاج على متن طائرة خاصة قدمها الملك الحسن الثاني . وجرى له وداع تونسي رسمي حضره حشد كبير من الصحافيين ومن القيادات والكوادر الفلسطينية المقيمة في تونس . في واشنطن استقبل الوفد الفلسطيني بحفاوة اعلامية ورسمية . وبعد وصوله الفندق اكتشف الوفد ان نص الاتفاق لا يشير الى منظمة التحرير وانه لا زال يتحدث عن الوفد المشترك . انفع ابو عمار وطلب من ابو علاء التحرك لاجراء التغيير المطلوب واستبدال كلمة الوفد بمنظمة التحرير الفلسطينية وفي ذات الوقت استدعى الدكتور احمد الطيبي وطلب منه ابلاغ بيريز ورابين رسالة خلاصتها ان ابو عمار لن يوقع الاتفاق الا اذا تم التعديل . ذهب الطيبي وابلاغ بيريز ان ابو عمار يستعد للرحيل باتجاه تونس . رد بيريز : شنتنا لا زالت كما هي

ونحن اكثر جاهزية للرحيل من عرفات . عاد الطيبي ونقل لـ ابوعمار ما قاله بيريز ، عندها اصدر ابوعمار اوامره للطيارين بالتحرك فورا الى المطار . وبقيت مساومات اللحظة الاخيرة مستمرة حتى الساعة الاخيرة . خلال المساومات التقى بيكر مع ابوعمار وسأله عن الاشكال ، عندها قال : الاحتفال سيبدأ في الحادية عشرة ، وفي الحادية عشرة الا خمس دقائق سيرن جرس الهاتف لابلاغكم بالموافقة على التعديل قبل موعد التوقيع ببضع دقائق نقل الطيبي عبر الهاتف موافقة بيريز على ذكر المنظمة في الصفحة الاولى وفي نهاية الاتفاق ، وبهذا تم حل اشكال اللحظة الاخيرة .

قبل سفر الوفد ، واثناء وجوده على الطريق وحتى لحظة ظهوره في حديقة البيت الابيض كان الحديث في الاوساط الفلسطينية يدور حول لباس ابوعمار . هل سيخلع البدلة العسكرية والمسدس؟ وفي حينها راجت اشاعات صحافية سرعان ما تناقلها الفلسطينيون تقول عرفات سيقدم مسدسه هدية لرئيس كلينتون . بعض الفلسطينيين قالوا : يا فضيحتنا اذا تحدث ابوعمار بالانكليزية . اخرون قالوا الفضيحة الكبرى اذا مارس ابوعمار عادة التبويس في واشنطن . هل سيقبل ابوعمار راين؟ وهل سيقبل هيلاري وكلنتون وكل الرؤساء والوزراء الحاضرين ؟ . كيف سيقابل ابوعمار راين وماذا سيقول له ؟ اسئلة كثيرة ومتنوعة وتفصيلية طرحها الفلسطينيون على الكوادر والقياديين المقربين من ابوعمار . اما الاجابات فكانت تختلط بين الهزار والجد . وفي النهاية كان الكل يقول غدا ٩/١٣ ستظهر الاجابات الحقيقية والصحيحة .

في الثالثة من بعد ظهر يوم ٩/١٣/٩٣ حسب التوقيت المحلي لمدينة تونس كان الفلسطينيون يتحلقون حول اجهزة التلفزيون . وذات الشيء فعلت معظم العائلات التونسية ، واكدت الاتصالات التلفونية بين العائلات الفلسطينية المنتشرة في اوربا والاردن وسوريا ولبنان والاراضي المحتلة ان الفلسطينيين في انحاء المعمورة فرضوا على انفسهم حظر تجول ، ولزموا بيوتهم في مواجهة

شاشات التلفزيون . في بعض مدن الضفة الغربية وقطاع غزة نزل الناس الى الشوارع ومعهم اجهزة التلفزيون . تظاهروا وهتفوا لفلسطين ، ورفعوا الالف الاعلام الفلسطينية امام عدسات المصورين ، واجهزة البث التلفزيوني التي راحت تنقل الصور تارة من حديقة البيت الابيض وتارة اخرى من غزة وثالثة من اريحا ورابعة من تونس وخامسة من عمان . ومع اقتراب موعد الخطاب تركز البث من حديقة البيت الابيض وانشدت عيون الفلسطينيين الى الطاولة والحضور الفلسطيني والاجنبي . معلقو البث التلفزيوني تحدثوا عن كامب ديفيد ، وحاولوا المقارنة بين الاحتفالين . الطاولة هي ذاتها التي وقع عليها السادات وبيغن اتفاقات كامب ديفيد عام ٧٩ ، في حينها كان كل العرب غائبين ، وكان السوفيات يزمجرون غضبا . اما الان فمعظم العرب حاضرون ، والسوفيات يعتبرون من اصحاب الاتفاق وعلى المنصة الرئيسة موجودون . كان الرئيس كلينتون شخصا في تلك الفترة في أمس الحاجة للاحتفال بمثل هذا الانجاز . ولذا عمل مع اركان البيت الابيض على المجاحه . كان بحاجة له للرد على تهمة فشل سياسته الخارجية وخاصة في البوسنة والهرسك والصومال . وللتغطية على السياسة الاقتصادية المتهمة بالفشل ولهذا ضغط الرئيس كلينتون على كل الأطراف العربية لارسال مبعوثين للمشاركة في الاحتفال . ودعا له ما يزيد على أربعين دولة . كما دعا له كل رؤساء الولايات المتحدة السابقين . الجميع استجاب للدعوة بما في ذلك سوريا ولبنان والأردن الذين لم يكونوا مرتاحين لهذا التفرد من منظمة التحرير . دول الخليج استجابت للدعوة وحضرت الاحتفال رغم القطيعة القائمة بينها وبين قيادة منظمة التحرير حينها علق بعضهم على الموضوع وقال : ما أقسى العرب على العرب . التصالح بينهم وبين اسرائيل أسهل من تصالحهم مع بعضهم البعض . المراقبون السياسيون توقعوا ان يشاهدوا هولست وزير خارجية النرويج على المنصة باعتباره عراب الاتفاق ، الا ان منظمي الاحتفال خشوا منه ان يسرق الاضواء عن الرئيس الامريكي ويغطي على الدور الامريكي المحدود اصلا في التوصل الى هذا الاتفاق . في حينها

سوي الموضوع بظهور هولست مع عمرو موسى من ذات الوجهة والطريق التي ظهر منها كلينتون ورايين وعرفات ، ولم يسمح له بالوقوف على المنصة لحظة توقيع الاتفاق .

كان الاحتفال كما تناقلته وكالات الأنباء مهيباً من جميع النواحي . مع بدء الكلمات انشدت الحواس ، وتجمعت كلها في السمع والبصر . كلمة (٤٣) بيريز كانت طبيعية ومنطقية ، خالية من العنتريات ، مفعمة بالاحلام حول المشاريع الاقتصادية في الشرق الاوسط . كلمة أبو مازن (٤٤) مرت بسلام . كتبها بنفسه والقها بالعربية ، وكانت مختصرة ومعبرة تتناسب مع طبيعة الاحتفال . الكلمات الاخرى ، كلينتون ، كريستوفر ، كوزيريف لم ينشد لها الفلسطينيون كثيراً . عند إعطاء الكلمة لرايين (٤٥) عادت الحواس للانشداد . كانت كلمته قوية وفيها كثير من العنجهية ، قلب الحقائق ، وزور التاريخ . جعل الإسرائيلي القاتل والمحتل ضحية . وجعل الفلسطيني المقتول والمسلوب الحقوق والرازع تحت الاحتلال قاتلاً . الفلسطينيون توقعوا أن تكون كلمة أبو عمار (٤٦) قوية ، توقعوها أن تكون ككلمة حيدر عبد الشافي في مدريد . توقعوا أن يخرج أبو عمار عن النص ليرد على خطاب رايين بعدما جعل من الجاني ضحية ، ومن المظلوم ظالماً ، وصور المَعدَّب 'بفتح الذال' معذباً 'بكسر الذال' .

ولدت بداية خطاب أبو عمار ارتياحاً في نفوس السامعين والمتفرجين . كان يقف على المنصة واثقاً هادئاً رزيناً . لم يُقبل أحداً ، ولم يؤد حركات التحية التي يقوم بها أمام الجمهور الفلسطيني والعربي . كان يرتدي بدلة المراسم العسكرية . لم يكن ممكناً التحقق من المسدس ، فالبدلة تغطي الوسط وما دونه . الكل ارتاح لأنه بدأ خطابه باللغة العربية . الآن سيُرد ، بعد قليل سترد الجمل القوية ، عذابات الشعب الفلسطيني وتضحيات الشهداء ، الظلم التاريخي الذي لحق بالشعب الفلسطيني ، من المؤكد أنه أبقاها حتى نهاية الخطاب . هكذا قال واعتقد المتفرجون والمستمعون الفلسطينيون في تونس وأظنهم في الساحات

الأخرى . تحدث عن السلام فأطنب . وتحدث عن حاجة الشعب الفلسطيني للمساعدات الاقتصادية . أكد أكثر من مرة التزام منظمة التحرير بالاتفاق ، وعزمها على التقيد بكل ما ورد فيه . أشاد بالرئيس كلينتون وبالإدارة الأمريكية وشكر الراعيين والنرويج . في نهاية الخطاب خرج عن النص وكرر شكر الرئيس كلينتون بالإنجليزية ثلاث مرات . وعند هذا الحد انتهى الخطاب . ثم كانت المصافحة التاريخية مع رابين ، المبادرة للمصافحة كانت من أبو عمار ، رابين مد يده بتثاقل ودون أن يتسم . كان الخطاب سثا ، ضعيفا لكن الأمور مرت والحمد لله بسلام . هكذا كان التعليق ، الكل قال : خطاب ضعيف وكاتبه مهزوم معنويا . الجميع استذكر خطاب د . حيدر عبد الشافي في مدريد ، والإباء والشموخ الفلسطيني الذي أظهره للعالم . العرفاتيون الأصليون ، حملوا الحاشية المرافقة مسؤولية ضعف الخطاب وعدم تناسبه مع الحدث . قالوا أبو عمار لا يكتب خطابات ، أبو عمار يضيف جملة هنا أو آية قرآنية هناك . غير العرفاتيين قالوا المسؤولية يتحملها الجميع بمن في ذلك أبو عمار ، هذه أول مرة وهذا أول خطاب لا يذكر فيه أبو عمار الشهداء . . ! ابن أحد الشهداء من المرافقين لأبو عمار قال : ' ولو . . . نسي أبو عمار الشهداء ' . . الآن تذكرت أبي وتذكرت أنني ابن شهيد . ومثله قالوا ذات الكلمات . بعد انتهاء الحفل بقي الخطاب موضوع تعليق . الجميع سأل نفسه وسأل الآخرين : من يا ترى كتب الخطاب؟ البعض قال : من المؤكد نبيل شعث ، أو حنان عشراوي . أصدقاء حنان دافعوا عنها وقالوا مستحيل ، لغة حنان أقوى ، وحنان قوية ، داخليا ، وقوية في مواجهة الغرب والأمريكان . آخرون قالوا اذن أحد الفلسطينيين الأمريكان . البعض تساءل أين كان ياسر عبد ربه لحظة كتابة الخطاب؟ أين كان أكرم هنية؟ وما هو دور أبو مازن وأبو عمار؟

مع توقف أجهزة التلفزيون العالمية والمحلية عن البث المباشر لوقائع الاحتفال ، تفرق الفلسطينيون من حول أجهزة التلفزيون . والراديو فكوا الحصار والاقامة

الجبرية التي فرضوها على أنفسهم لبضع ساعات .

لاحقاً وبعد عودة الوفد من واشنطن فوجئ الجميع بأن ياسر عبد ربه هو كاتب الخطاب . ونال مواجهة وخلف الظهر ، شتائم كثيرة وانتقادات لاذعة . ولم يستطع ياسر الدفاع عن الخطاب ، كما لم يدافع عنه أحد حتى الآن ، وسماه البعض بالخطاب اليتيم ، الذي فقد أمه وأباه .

بعد عودتهم من واشنطن ، راح الأعضاء الأساسيون في الوفد يروون وقائع الاجتماعات ، واللقاءات التي تمت هناك . وأبرز ما روي ، قولهم أن كيسنجر قال على مائدة الغداء لبعض أعضاء الوفد الاسرائيلي ، وعلى مسمع من بعض الفلسطينيين ، كيف وافقتم ومررتم اتفاقا كهذا ؟ أنتم صنعتُم الدولة الفلسطينية بأيديكم . وستقوم هذه الدولة خلال أقل من ثلاث سنوات وأضاف أنا متأكد لو أن غولدا مثير حية لعلقتكم على المشانق من أرجلكم ..

وروي عن بيكر أنه قال : أنا فوجئت ببعض ما ورد في الاتفاق ، وبالتحديد بما قدمه الاسرائيليون للفلسطينيين . لو كنت لا زلت وزيراً لقبلت للفلسطينيين أقل مما ورد فيه . ونصح الفلسطينيين بالتمسك بالاتفاق وعدم التفريط به والتعجيل في تنفيذه قدر المستطاع .

اما أركان الادارة الأمريكية من المعنيين بشؤون الشرق الأوسط من الطائفة اليهودية فقد تقاطعت مواقفهم مع مواقف كيسنجر . كل هذه الروايات رواها أعضاء الوفد داخل وخارج الاجتماعات الرسمية . أما في الاجتماعات الفلسطينية فأبرز ما قيل ، وما سجل في المحاضر هو تأكيد الرئيس كلينتون على دعمه للاتفاق سياسياً واقتصادياً ، والانفتاح الأمريكي الرسمي على م . ت . ف . اما الاسرائيليين فقد نقل عن بيريز تاكيده التزام على اسرائيل بالاتفاق وضرورة الاسراع في تنفيذه . وقدّم وعوداً كثيرة بشأن القيام بخطوات في مجال بناء الثقة ، مثل اطلاق سراح المعتقلين ، وعودة المبعدين ، وتخفيف الاجراءات الأمنية العسكرية على الأرض . لكنه أجّلها كلها الى ما بعد

المصادقة النهائية من الكنيست على الاتفاق في ٢٠ ايلول ١٩٩٣ .

لاحقاً ، تبين أن وعود بيريز كانت وعود عرقوب . فلم ينفذ منها شيئاً ذا قيمة . أما بشأن العلاقة بين أبو مازن وأبو عمار فقد كان واضحاً أن التوتر الذي نشأ قبل السفر بقي قائماً . لا بل زاد ، وأخذ شكل مقاطعة شخصية ، فقد قاطع أبو مازن الاجتماعات . ووجد بعض من يعيشون على صراعات وخلافات كهذه فرصتهم لصبوا الزيت على النار ، وراحوا يلعبون على التناقضات . ولم يتوقف تحريض ابي عمار ضد أبو مازن منذ ذلك التاريخ وحتى الان .

بعد عودته من واشنطن وجد أبو عمار بعض الدول العربية التي أزرتة في معركته السياسية ودعمت الاتفاق مثل مصر وتونس والمغرب غاضبة وعاتبة ومتوترة من عدم ذكرها في الخطاب الفلسطيني الذي ألقاه في حديقة البيت الأبيض . رؤساء هذه الدول ووزراؤها أرسلوا عبر المعتمدين الفلسطينيين عندهم ، عتبههم الشديد ، واعتبروا عدم ذكرهم كمساهمين في رعاية عملية السلام وفي صناعة الاتفاق ، نكراناً للجميل ، وطمساً لجهودهم التي بذلوها . ولهذا حرص أبو عمار على إجراء الاتصالات اللازمة ، وكتابة الرسائل ، والإدلاء بالتصريحات الاعلامية لامتصاص التوتر ، وتعويض النقص الذي وقع في الخطاب . بعضهم رضي بالترضية التي قدمها أبو عمار والاخر تظاهر بالرضى لكنه لم ينس الموضوع حتى الان .

بعد العودة من واشنطن لم تطل إقامة ابو عمار في تونس ، بقي خمسة أيام فقط ، لكنها كانت كافية لعقد اجتماع للجنة التنفيذية ناقشت فيه الوضع اللاحق ، والمهام اللاحقة بعد اتفاق أوسلو . الكل أجمع على أن الوضع الفلسطيني الداخلي ، والعلاقات الفلسطينية العربية والدولية ، قد دخلت مرحلة جديدة تماماً . ولا بد من وضع تصور فلسطيني متكامل لطبيعة المرحلة الجديدة ومهامها . وخلص الاجتماع الى تشكيل لجنة خاصة من اللجنة التنفيذية ، لوضع مثل هذا التصور ، ووضع المهمات المطلوبة في صيغة اقتراحات

تفصيلية وعملية . وعند تسمية أعضاء اللجنة تعتمد أبو عمار أن لا يسمى نفسه فيها ، ولهذا خرج بعض العارفين ببواطن الأمور بانطباع أنه لا يريد لهذه اللجنة أن تعمل . وأظن أنها لم تجتمع منذ تسميتها وحتى الآن . فأبو عمار لم يكن في وارد تفعيل اللجنة التنفيذية بعد التوقيع على الاتفاق ، فقد عاد من واشنطن ومعه الدعم والاسناد الأمريكي والغربي ، وهو يعرف أكثر من سواء معنى هذا الدعم في الوضع العربي . ويعرف حجم القوة التي نالها من حضور الاحتفال ، ومن اللقاء مع كلينتون ورايين . قبل السفر الى واشنطن لم يأبه بالمعارضة ولم تهزه استقالات أعضاء التنفيذية . بعد العودة أصبحت التنفيذية واللجنة المركزية لحركة فتح ومعها القيادة الفلسطينية لا تعني له شيئاً سوى الحفاظ على بعض تشكيلات الشرعية الفلسطينية . ولم يتوقف الأمر مع أبو عمار عند هذا الحد ، بل راح يعمل على فرط خلية أوسلو . وبدأ يعمل على الامساك بمفرده بكل خيوط المفاوضات . بدأ التحرك بإشاعة أجواء بأن هناك مفهومين ، وتفسيرين لاتفاق أوسلو . تفسير اسرائيلي وتفسير فلسطيني ، وراح يغمز من قناة أبو مازن وأبو علاء ، باعتبارهما يرفضان التفسير الفلسطيني . كان يقول ان اتفاق أوسلو يعطيني السيادة كاملة على غزة وأريحا وعلى المعابر المؤدية اليهما ، والممر الامن بينهما . تحدث عن بناء مطارين ، واحد في أريحا والآخر في القطاع ، تحدث عن اذاعة وتلفزيون ، وسيطرة كاملة على الأرض والجو وبحر غزة . تحدث عن بناء محطات بنزين ونقاط استراحة على الممر بين غزة وأريحا ، باختصار كان يتحدث عن دولة مستقلة . حتى أن البعض ظن أن أبو عمار لا يريد الالتزام باتفاق أوسلو ويفكر في حرق كل المرحلة الانتقالية والانتقال للنهائية مباشرة . وفي الوقت الذي كان فيه أبو مازن وخلية أوسلو يضغطون باتجاه التحضير للمفاوضات الجديدة ، والتي ستبدأ بعد شهر ، كان أبو عمار يتهرب من التحضير ، ويتهرب من مجرد التشاور وتبادل الآراء . وفي حينها ساد اعتقاد في الأوساط القيادية الفلسطينية بأن أبو عمار لا يريد لأحد سواه أن يفاوض . وأنه يعتقد بأن توليه المفاوضات مباشرة يضعف موقع أبو مازن وأبو علاء . كان يريد أن يفهم

الأمريكان والاسرائيليون بأنه صاحب السلطة المطلقة ، وصاحب القرار . لم يكن يريد لأبو مازن ولا لأبو علاء متابعة المفاوضات . فما نالاه من سمعة وقوة من مفاوضات أوسلو قد تغريان الأمريكان والاسرائيليين ، وتدفعانهم للاستغناء عن ياسر عرفات . هكذا اعتقد أبو عمار ، وعلى هذا الأساس راح يتصرف . وظن أن بإمكانه حل كل القضايا العالقة عبر صفقة يعقدها مع رابين .

يوم ٢٠ ايلول طار أبو عمار ومعه ياسر عبد ربه الى عمان للاجتماع مع الملك حسين . وفي الوقت الذي كان يجتمع فيه مع الملك حسين كان الكنيست الاسرائيلي يناقش الاتفاق . وقبل مغادرته عمان صادق الكنيست بأغلبية بسيطة على الاتفاق . في عمان تعمد الملك حسين أن يخرج بنفسه الى المطار لاستقبال أبو عمار . ونظم له استقبلاً حاشداً جمع فيه كل الوزراء والأمراء وكل رجال السلك الدبلوماسي بهدف طي صفحة الأيام القليلة التي تشنج فيها الأردن من تفرد المنظمة ومن توصلها للاتفاق من خلف ظهره . علماً بأنه كان شريكها في وفد مشترك . وكان يأمل النهوض بالعلاقة الفلسطينية الاردنية على أسس جديدة قابلة للنمو والتطور . كانت اللقاءات ودية ودافئة ، وكانت النتائج ايجابية ، هكذا قال عنها الطرفان . وفي حينها اتفق أبو عمار والملك حسين على تشكيل العديد من اللجان الثنائية لتنسيق المواقف ، وتوحيد العمل في مجال المفاوضات ، وعلى الصعيد الأمني ، والاقتصادي ، والاعلامي ، وعلى صعيد قضايا النازحين واللاجئين .

خلال الزيارة بادر الأردن لتسمية مندوبين في كل اللجان وتمنى على الجانب الفلسطيني أن لا يتأخر في تسمية مثليه . وفي حينها أكد أبو عمار للملك حسين بأنه سيرسل له الأسماء خلال ٤٨ ساعة وشدد على أن اللجان يجب أن تجتمع خلال مدة أقصاها اسبوع . من عمان طار أبو عمار الى شرق آسيا واستغرقت رحلته الى هناك عشرة أيام . وخلال وجوده في الصين أعد أبو مازن وياسر عبد ربه وأبو علاء قائمة بأسماء اعضاء اللجان التي اتفق على تشكيلها

وأرسلت له عبر الفاكس ليضيف عليها من يشاء ، ويشطب من يشاء ، ويوقع عليها . إلا أن أبو عمار تجاهل الموضوع كلياً . وبعد عودته من رحلته الطويلة واصل تجاهل الموضوع . وبعد انتظار اسبوع واسبوعين وثلاثة أسابيع أدرك الأردن ، أن أبو عمار ليس في وارد التنسيق الجدي قبل أن تتضح معالم العلاقة المستقبلية مع اسرائيل . ولم يتردد أبو عمار في الحديث عن عدم فهمه لدوافع الأردن من الاستعجال . ولم يتردد في ايصال رسالة غير رسمية للأردن خلاصتها أنه يفضل التريث في عقد اتفاق مع الأردن الى ما بعد الاتفاق مع رابين على تنفيذ اتفاق اوسلو . وبهذا خيم التوتر من جديد على العلاقة بين الأردن ومنظمة التحرير .

المعركة الفلسطينية الداخلية تشتد

بعد مصادقة الكنيست الاسرائيلي يوم ٢١-٢٢/٩/١٩٩٣ أصبحت م. ت. ف. مطالبة بخطوة مماثلة ، فالاتفاق نص على ضرورة مصادقة الهيئات التشريعية للطرفين خلال فترة أقصاها شهر من تاريخ توقيعه بالأحرف الأولى . في الكنيست الاسرائيلي احتدم الصراع بين اليمين الاسرائيلي بقيادة الليكود وبين اليسار بقيادة حزب العمل ، وبلغ حد الاتهام بالخيانة الوطنية ، والمطالبة بانتخابات وطنية جديدة ، وعرض الاتفاق على استفتاء شعبي . وكشفت بعض القوى اليمينية عن عنصريتها بشكل سافر ، فقد طعن بعضها بشرعية قرارات الكنيست التي تؤخذ بأغلبية الأصوات العربية ، وطالبت بعدم احتساب أصوات العرب عند التصويت على الاتفاق . أما القوى الأكثر تطرفاً فقد طالبت بحرمان العرب في اسرائيل من دخول الكنيست . وهددت باستخدام العنف واللجوء الى السلاح لتعطيل تطبيق الاتفاق . وصدر تصريح عن زعيم تكتل الليكود قال فيه أن الليكود سيلغي الاتفاق في حال تسلمه للسلطة . إلا أنه عاد وموه موقفه إثر اتهامه بأنه ينسف قواعد وأسس الديمقراطية التي بنيت عليها دولة اسرائيل ، واتهم بأنه يحرض على حرب أهلية اسرائيلية . ولم تتوقف قوى اليمين الاسرائيلي عند حدود التصريحات ، وإنما نزلت الى الشوارع في اسرائيل والأراضي الفلسطينية المحتلة ، وفي الجولان . وراحت تستعرض قواها الشعبية والعسكرية ، وصعد المستوطنون تحركاتهم العسكرية الاستفزازية والاجرامية ، وراحوا يتجولون في مدن وقرى الضفة الغربية ، ويقتلون من طالته ايديهم من اطفال وشيوخ ونساء . حقاً لقد فجر الاتفاق صراعاً فكرياً سياسياً داخل اسرائيل ، وفي حينها عاد قادة حزبي العمل وميرتس وفتحوا ملفات حملاتهم الانتخابية ، ونفضوا الغبار عن شعاراتهم ومواقفهم التي على اساسها خاضوا الانتخابات الاسرائيلية الأخيرة ، وتمكنوا وقتها من الفوز بالسلطة . في معرض الرد على حملة اليمين ضد الاتفاق ركز حزب العمل على اتفاقات

كامب ديفيد التي وقعها الليكود مع المصريين . وتباهى رابين وتفاخر بأنه حصل على اتفاق بشأن الحكم الذاتي الانتقالي أفضل مما اتفق عليه بيغن مع السادات . وأنه لم يفكك أية مستوطنة ولم يمس أمن أي مستوطنة بينما فكك الليكود مستوطنة ياميت في سيناء . وحمل رابين بيغن مسؤولية قبوله في اتفاقات كامب ديفيد مسألة عودة النازحين ، وبالتالي إيرادها في اتفاقات أوسلو . وقال عنها أنها وضعت بنصها الحرفي كما وردت في اتفاقات كامب ديفيد دون زيادة أو نقصان . أما بيريز فراح يتوسع في الحديث عن المكاسب الاقتصادية التي ستجنيها إسرائيل من التعاون الاقتصادي الاقليمي . وأبرزت وسائل الاعلام الاسرائيلية وصحافة العمل الملاحق الاقتصادية للاتفاق . وعاد اليسار وأبرز حرصه على نقاء اسرائيل كدولة يهودية ، وبين ان ما يدعوله الليكود سينهي اسرائيل كدولة يهودية ، ويحولها الى دولة ثنائية القومية . وأسهمت أحزاب الائتلاف الحكومي في الحديث عن الديمقراطية الاسرائيلية . وبالغ رابين في الحديث عن الأمن ، وأظهر بعض النصوص الواردة في الاتفاق والتي تصون أمن الاسرائيليين وحرية حركتهم في الضفة والقطاع خلال المرحلة الانتقالية . كما تطرف في الحديث عن مستقبل الجولان وعن السلام مع سوريا ، وذات الشيء فعل بشأن مستقبل القدس . وفسر الاتفاق على أنه ينهي منظمة التحرير ، وينهي الانتفاضة ، ولم يتورع عن إطلاق بعض التصريحات في هذا الاتجاه . فقد تساءل أكثر من مرة عن مغزى استمرار عرفات في الاحتفاظ بالمكاتب والسفارات المنتشرة في انحاء العالم . ولخص موقفه بالقول وعدتكم بالأمن والسلام وهذا الاتفاق هو ترجمة امينة للوعد .

وعلى الضفة الأخرى للاتفاق فالمعركة الداخلية الفلسطينية لم تكن أقل احتداماً . وظهرت وقائع الصراع الفلسطيني الداخلي تركزه على تراشق الاتهامات بالخيانة الوطنية والاستسلامية . وغاب الصراع الفكري السياسي الحقيقي والمفيد . فلا المعارضون للاتفاق خاضوا المعركة من هذا الباب ولا

المؤيدون فتحوه بصورة جدية ومعمقة . ولم تتمكن المعارضة من طرح البرنامج البديل . ولم يحسن المؤيدون إظهار الابعاد التاريخية للاتفاق ، وانعكاساته المستقبلية على القضية وعلى الشعب الفلسطيني . كان التراشق الاعلامي والحرب الكلامية السمة البارزة للصراع . فلا المعارضة استطاعت تحريك الشارع الفلسطيني بصورة جدية وقوية ضد الاتفاق ، ولا يلجأ أصحاب الاتفاق لاستنهاض الشارع الفلسطيني وتحريكه للدفاع عن الاتفاق . وبقي الصراع محصوراً على أعلى المستويات . أدواته الأساسية البيانات الحزبية ، الفردية والجماعية ، ونشرات المنظمات التي لا يقرأها إلا الأعضاء في أحسن الأحوال .

كانت الاستقالات من اللجنة التنفيذية أقوى وآخر خرطوشة أطلقتها المعارضة ضد الاتفاق ، إلا أنها لم تجرح الاتفاق ، ولم تشمل عمل الشرعية الفلسطينية . ولعل أهم ما برز خلال الصراع الفلسطيني الداخلي بعد التوقيع على الإتفاق وكان أكثره تأثيراً ، هو بروز حماس كقوة معارضة جدية . فقد قبلت القوى اليسارية والعلمانية خوض الصراع ضد الاتفاق وضد القيادة الفلسطينية وضد المؤيدين للاتفاق تحت قيادة ومظلة حماس^(٤٧) ، ووافقت على السير تحت برنامجها وشعاراتها . لقد جنت حركة حماس أرباحاً صافية من هذا التحالف ومن التفاف القوى الوطنية والعلمانية حولها ولم تخسر شيئاً . أثرت في مواقفهم وسياساتهم ولم تتأثر بهم . وكانت النتيجة أن حماس قوية وكبرت أكثر فأكثر ، أما المنظمات الفلسطينية الأخرى فقد ضعفت أكثر فأكثر ، وبرزت داخلها قضايا خلافية^(٤٨) جديدة اضافة للخلافات التي كانت تنخر اجسامها . وبجانب تراشق الاتهامات بالخيانة والتفريط والاستسلام فتحت المعارضة النار على عرفات والإتفاق ، من خلف متاريس نصوص الميثاق الوطني الفلسطيني ، وقرارات المجلس الوطني الفلسطيني . والنصاب في اللجنة التنفيذية . الخ من القضايا الفقهية القانونية والدستورية غير المعروفة للشارع ولا تعني له شيئاً . فإذا كانت المعارضة ترى فيها سلاحاً فتاكاً إلا ان هموم الناس

لا تعالجها النصوص . ووقتها طعنت المعارضة في شرعية القيادة الفلسطينية ،
 وشرعية قراراتها ودعت الى انتخابات وطنية عامة فوراً ، لتشكيل المجلس الوطني
 الفلسطيني . وشطحت بعيداً مع أفكارها غير الواقعية حين طالبت الأمم
 المتحدة ، والدول الأوروبية ، والراعيين ، بالإشراف على هذه الانتخابات أو على
 إجراء استفتاء سريع لكل الشعب الفلسطيني حول الاتفاق . ونسيت أو تناسيت
 أن هناك احتلالاً ، وأن الشعب الفلسطيني مشئت في أكثر من مائة دولة من
 دول العالم . ودعت الى مؤتمرات شعبية فلسطينية في كل أماكن تواجد الشعب
 الفلسطيني ، تتوج بمؤتمر شعبي مركزي ، ولم تسأل إذا كان بإمكانها إيجاد بلد
 عربي واحد يقبل باحتضان مثل هذا الاجتماع . طالبت بالديمقراطية والاحتكام
 لها في البت في مصير الاتفاق ولم تتذكر أن إحدى مشكلاتها الداخلية ، هي
 وكل الفصائل الأخرى ، وسبب ضمور أحجامها وضعف وجودها في صفوف
 الشعب . الخ هي غياب الديمقراطية في علاقاتها الداخلية وفي علاقاتها مع
 الناس . حقاً لقد خاضت المعارضة معركتها ضد الاتفاق بذات الطرق
 والأساليب القديمة . وكأن الحركة الوطنية الفلسطينية لازالت تعيش في
 السبعينات ومنصف الثمانينات . أغفلت وتغافلت عن كل التطورات الكبرى
 التي شهدتها العالم والمنطقة . قرأت الاتفاق والأوضاع بطريقة إرادية ، ذاتية
 ومحلية وحزبية ضيقة ، لا علاقة لها بحسابات موازين القوى الدولية والاقليمية
 والمحلية ، وبعبدة عن مصالح الناس العاديين وتفكيرهم . اما الفصائل والقوى
 التي أيدت الاتفاق ، (المستقلون ، وفتح ، وحزب الشعب ، وفدا ، وجبهة
 النضال الشعبي) فقد خاضت معركتها بصورة دفاعية سلبية ، وعلى ذات
 الأرضية التي وقفت عليها المعارضة . أهملت دور الناس العاديين في الدفاع عن
 الاتفاق وعن الشرعية الفلسطينية ، ولم تحاول تشغيل قواها الذاتية في هذا
 الاتجاه . وركزت جهودها باتجاه إثبات أن الشرعية موجودة رغم خروج المعارضة .
 بعد مصادقة الكنيست الاسرائيلي على الاتفاق جاء دور مصادقة

المجلس المركزي الفلسطيني ، وفي حينها لم تأخذ اللجنة التنفيذية باقتراح المعارضة دعوة المجلس الوطني للاجتماع . ولم يكن الخوف من الفشل في الحصول على أغلبية أصوات المجلس الوطني سبباً في ذلك ، فمن يعرف الأوضاع الفلسطينية من داخلها ويعرف تركيبة المجلس الوطني يستطيع القول أن موافقة اللجنة المركزية لحركة فتح على الاتفاق وتأييد غالبية الدول العربية له ، كانا كفيلين في تلك الفترة بتأمين النصاب لدورة جديدة للمجلس الوطني وتأمين أغلبية ساحقة لصالح دعم الاتفاق ومباركته ، خاصة إذا تم توسيع المجلس بتسمية ال ١٨٦ عضواً من الداخل . ونتائج المعركة التي شهدتها أروقة قصر المؤتمرات في الجزائر عام ٨٨ حول الاعتراف بالقرار ٢٤٢ وحول إعلان الاستقلال دليل -كاف لتأكيد أن المجلس الوطني لو دعي في حينها لوافق على الاتفاق .

لقد اجتهد بعض اقطاب الاتجاه المؤيد للاتفاق ورأوا أن المصلحة الوطنية تفرض عدم توريط المجلس الوطني الفلسطيني مبكراً في المصادقة على الاتفاق ، وانتظار مسار وتطور العلاقات الفلسطينية-الاسرائيلية والكيفية التي سينفذ بها الاتفاق . ورأت أن مصادقة المجلس المركزي كافية وتلبي الحاجتين الشرعية والسياسية . ولهذا شرع ابوعمار بعد عودته من رحلته الآسيوية في التحضير لاجتماعات المجلس المركزي الفلسطيني . ووفقاً للتقاليد الفلسطينية فالتحضير يبدأ باجتماعات للقيادة الفلسطينية ، واجتماعات هذه الهيئة تقصر أو تطول وفقاً للظروف ، ولا اعتبارات عديدة لا علاقة لها إطلاقاً لا بجدية المناقشات التي تجري فيها ، ولا بتحضير جدول أعمال المجلس المركزي بصورة دقيقة تساعد على اختزال الزمن ، أو اختزال المداخلات والمناقشات في اجتماعات المجلس . وحضور اجتماعات القيادة الفلسطينية يخضع أيضاً لاعتبارات عديدة ، لا علاقة لها بتعميق المناقشات وتوسيعها ، ولا بشمولية التمثيل . فتارة يكون الحضور واسعاً ويصل العدد حتى الأربعين وتارة أخرى يكون العدد قليلاً ولا يتجاوز

السبعة . الموضوع المطروح ، والمواقف الاقليمية والدولية ، ووقت أبو عمار ، كلها عوامل لها تأثير في نوعية وحجم الحضور .

كانت أنظار العالم في تلك الفترة مشدودة باتجاه تونس ومقر أبو عمار بالذات . اعداد مراسلي الصحف ووكالات الأنباء وشبكات التلفزيون زادت بعد التوقيع على الاتفاق في حديقة البيت الأبيض ، وبرزت للجميع كثافة تواجد رجال الاعلام الاسرائيليين ، بعضهم جاء لينقل الأخبار لقرائه ومشاهديه ومستمعيه ، والآخر جاء ليلمع صورة القيادة الفلسطينية بعامة وصورة ياسر عرفات بخاصة ، وليزيلوا التشويه الذي ألحقوه هم أنفسهم بها . فالأوامر من البيت الأبيض صدرت بهذا الاتجاه حسب تعبير بعضهم . آخرون جاؤوا بصفة مراسلين صحافيين وإعلاميين لكن مهماتهم كانت أقرب الى الاستخبارية ، وجمع المعلومات التي لا تقال لأجهزة الاعلام . ولهذا حرص أبو عمار فور وصوله الى تونس مساء يوم ٩/٢٦ قادماً من تركيا آخر محطة في جولته الآسيوية على دعوة القيادة الفلسطينية لاجتماع عاجل .

اجتماعات القيادة الفلسطينية تبدأ وتنتهي دون جدول أعمال محدد ، النمنطة في المواضيع سمة من سمات اجتماعاتها . تبدأ الجلسة بموضوع وسرعان ما ينتقل النقاش لموضوع آخر . من حق كل من يحضر أن يطرح ما يراه مناسباً إضافة للمسألة المطروحة . ويستطيع كل من يقرأ محاضرها (إن وجدت) أن يلاحظ عدم الترابط في المداخلات . قراراتها كثيرة لكنها مدونة في دفتر الجيب الذي يحمله أبو عمار والدفاتر الخاصة ببعض الحاضرين . قراراتها أحياناً وعندما يريد أبو عمار ملزمة للجنة التنفيذية وأحياناً أخرى تكون دردشة ووجهات نظر وجلسة لتبادل الآراء .

اجتماع يوم ١٩٩٣/٩/٢٦ بدأ بعشرة وانتهى بستة عشر . لم يكن لا أبو مازن ولا ابو علاء من بين الحاضرين . غياب أبو علاء مبرر فهو غير موجود في تونس ، حيث غادر الى عمان لاتمام مناسبة اجتماعية خاصة ، وفي حينها لم يتورع أبو

عمار عن التلطيش حول الموضوع كالقول : طبعاً المناسبات الاجتماعية أهم من كل الاجتماعات الفلسطينية ... أما أبو مازن فقد كان موجوداً في تونس إلا أنه تعمد التغيب عن الاجتماع . فالأزمة مع أبو عمار زادت بعد التوقيع ولم تتراجع . وأبو مازن يعتبر هذا النمط من الاجتماعات «اجتماعات القيادة الفلسطينية» مضیعة للوقت . 'وهمروجة' لا ينتج عنها شئ سوى تبادل الخطب . في العادة كان أبو مازن يحضر افتتاح كل جلسة من جلسات القيادة الفلسطينية . يبقى نصف ساعة أقل أو أكثر قليلاً ثم يغادر الى مكتبه . فهو مقتنع بأن كتابة بعض السطور عن تاريخ الثورة اكثر فائدة ، وأفضل من حضور اجتماعات كهذه . في السابق كان غياب أبو مازن عن اجتماعات كهذه يثير تساؤلات مازحة . أما غيابه عن هذه الجولة فقد أثار تساؤلات جدية خاصة وأن الأزمة بينه وبين أبو عمار أصبحت معروفة للجميع .

بدأ أبو عمار الاجتماع بالحديث عن رحلته الآسيوية ، وكيف استقبل في هذا البلد وكيف ودع في ذاك . تحدث عن التعب من الطيران وقلة النوم وانعدامه لعدة أيام . ثم قال يا إخوان نحن بحاجة الى اجتماع للمجلس المركزي ، الكنيسة الاسرائيلي صادق على الاتفاق ، ونحن لا يجوز أن نتأخر أكثر . وأضاف : أعتقد أن يوم ١٠/١٠ يوم مناسب ومعقول . ويومها ، وخلال الاجتماع ودون مقدمات تذكرت هجوم الجيش الاسرائيلي قبل ٣٧ عاماً على بلدي قليلية^(١) في ١٠/١٠/١٩٥٦ . دونت موعد المجلس المركزي في دفترتي ودونت بجانبه : وفي مثل هذا اليوم وقبل ٣٧ سنة هاجم الجيش الاسرائيلي قليلية بالدبابات والطائرات ، ونسف أبارها الارتوازية ، وقتل العشرات من خيرة شبابها ، الذين كانوا منخرطين في الحرس الوطني . وكتبت أيضاً ، ويومها بكت أمني كثيراً على الشهداء من أقاربها ومن أقارب أبي . وتذكرت كيف قضت عدة أيام تتنقل بين بيوت العزاء وكيف كنا نبحت عنها ، ونلحقها نحن أبناءها الصغار من دار الى دار خلال ذات النهار . وحتى هذه اللحظة لا زال الهجوم

على قلقيلية ، ومنظر الشهداء يثير في نفسي شعوراً خاصاً . كلما تذكرت الهجوم داهمني شريط سينمائي يمر أمام عيني أسرع من البرق . منظر الشهداء في الخنادق قرب الملعب البلدي ، منظر سرايا البوليس بعدما نسفت وتحولت الى كومة حجار ، كنا نلعب فوقها بين قضبان الحديد وحيطانه شبه النائمة . منظر أبار الماء التي نسفت . والتي درنا حولها نحن الأولاد بترأ بعد بئر . منظر جنازير الدبابات والخطوط التي تركتها في الشارع الرئيسي للبلدة ؛ والتي مشينا عليها بأقدامنا الخافية أو شبه الخافية ومنظر نعوش الشهداء يوم جمعت وصفت في المسجد الوحيد في البلدة ، الملاصق حائطه لحائط دارنا ، ومنظر كل نساء وأولاد البلدة ، وكل رجالها ، وهم يمشون خلف النعوش نحو المقبرة . لا زلت أتذكر ذاك الولد صديقي في الصف وابن جارنا الذي قتل اليهود أباه في ذاك الهجوم . وأتذكر ما قاله لنا نحن أصحابه الصغار 'أبوي قتلته اليهود . ومن يقتله اليهود يذهب الى الجنة عند الله فوراً . كل الناس تقول لأمي حرام البكاء على الشهيد ، قلت لأمي لماذا تبكين وتمزقين ثيابك طالما أن أبوي ذاهب الى الجنة عند الله . أمي تصلي وتصوم وتحب الله ، لكنها زعلانة من الله لأنه أخذ أبوي . عندما أرى الله في المنام أو في الجنة سأقول له أنا زعلان منك ، لأنك أخذت أبوي' . أحد الأولاد قال له لا تسلم على الله عندما تراه . آخر قال : لازم كل أهل قلقيلية يبطلوا الصيام والصلاة لله ، ويغلقوا الجامع للأبد ، لأن الله سمح لليهود بقتل أهل البلد ونسف بيار المياه التي يشرب منها الناس . خلال ذاك الاجتماع بقي ذهني مشدوداً للماضي ولم أعد أسمع كلمات الحاضرين . سرحت مع الذكريات ومع الماضي البعيد والقريب . مرت الأحداث من أمامي كشريط سينمائي كان يتحرك بسرعة تفوق سرعة البرق . شاهدت بساتين وأراضي قلقيلية الواقعة غرب خط سكة الحديد والتي أصبحت جزءاً من أرض إسرائيل . شاهدت نفسي وأصحابي أبناء الإعدادية وكيف كنا نقطع مسافة ال ١٠٠ متر ، التي تفصل سكة الحديد ، التي كانت تسيير عليها القطارات الإسرائيلية ، عن آخر شجرة جوافا من شجرات عمي . وكيف كنا نجمع الحجارة

ونضعها على السكة . وكيف كنا ننتظر غيار زيت بوابير الماء (موتورات السحب) لنحمله في علب صغيرة ونسكبه على خط السكة على أمل أن نتمكن من زحلقه القطار الإسرائيلي الذي كان يمر عدة مرات يومياً من أمام بلدتنا . شاهدت صورة قريب أُمي الذي فقد عقله بعدما أصبحت كل بيارته الكبيرة ضمن حدود دولة إسرائيل ، ولم يبق له منها سوى بضع شجيرات قليلة . وتواصل عرض مناظر فقر البلدة وجمع عجم التمر وبيعه للأفران ، واستشهاد العديد من ابنائها من أجل لقمة العيش . ومرت مناظر أهالي البلدة وهم يرحلون عنها في حرب ٦٧ ، هائمين على رؤسهم في (خلات) الزيتون بعدما طاردتهم الطائرات الإسرائيلية وقذائف مدفعتها .

بعدها مرت مشاهد طويلة عن الثورة ، فجأة مع ارتفاع صوت أبو عمار توقف الشريط ، وعدت بذهني الى الاجتماع . والآن أسأل نفسي هل سيمحو الاتفاق هذه الذكريات؟ وماذا بشأن أراضي قليلية الواقعة غرب السكة الحديد والتي أخذها الاسرائيليون ، هل ستعود؟ وماذا بشأن القرعان^(٥٠) وكل اللاجئين الذين سكنوا قليلية وسكنوا المخيمات في العديد من الدول العربية هل سيعودون؟ وهل ستحل قضيتهم بصورة عادلة ومرضية؟ . استرجعني كلام أبو عمار وهو يقول : الأخوان في الشعبية والديمقراطية سيقاطعون اجتماع المجلس المركزي ، على كل هم الخاسرون وهم أحرار . حسبناهم ، عددهم مع اصدقائهم ومن يلتقون معهم في الموقف من ١٧-١٨ من مجموع ١٠٧ . ثم انتقل مباشرة للحديث عن اجتماع مجلس الجامعة العربية ، وقال العراق يا إخوان تحفظ على الإتفاق لكنهم لم يصدرُوا بياناً ضده ، حزب البعث العراقي أخذ موقفاً . السوريون عاكسوناً في اجتماعات الجامعة العربية ، الشرع حاول الخروج عن الأصول ، حاول فرض نفسه على الجلسة التي تحدثت فيها . طلب إلقاء كلمة بعدي وهذا بروتوكولياً لا يجوز . أنا رئيس دولة ، والوزراء يتحدثون بعد خروج الرئيس . الشرع امتثل لعمر وموسى وعصمت عبد المجيد ، ولكن بعدها فقننا

خطابا سياسيا سيثا . صباح الأحمد كان لثيماً في تصرفاته . وعلى كل حال البيان الذي صدر عن الاجتماع كان جيداً ، ولو أردنا أخذ بيان أقوى لأخذناه . ولكن يجب أن تفهموا أن هناك تعليمات أمريكية بتأييد الاتفاق انضبط لها العرب . تدخل أبو اللطف وقال : الكويتي رفع تحفظه ، والشرع في النهاية قال لم نعارض الاتفاق ولم نوافق عليه . قرأ أبو اللطف البيان الصادر عن مجلس الجامعة العربية ، وأضاف : البعض حاول أن يزاود علينا في موضوع الانتفاضة . قلت لهم الانتفاضة مستمرة ما دام هناك احتلال . تدخل أبو عمار وقال : للأمانة يا أخوان أن أبو اللطف كان بأسلاً في الدفاع عن الاتفاق ، رغم أنه ضده . وأنا أود أن أشكره وأحييه على هذا الدور ، هذه هي الديمقراطية الفلسطينية ، معارضة داخل البيت ، ودفاع أمام الآخرين يا حبذا لو أن نايف حواتمه وجورج حبش يتعلموا من الفتحاوي اليميني أبو اللطف . . . الشعبية والديمقراطية يهتمون فتح بأنها لا تملك ديمقراطية ، أظن أن الديمقراطية عندهم عامة وطامة الجميع ، سامحهم الله ، مساكين . .

واصل أبو عمار الكلام ، وقال ، كما تعرفون قبل زيارتي الآسيوية ، زرت الأردن . للأمانة الآسيويون استقبلونا استقبال الرؤساء . والملك حسين أرسل لنا طائرته الخاصة ومن المطار الى الاجتماع يا اخوان . من البداية الملك قال لي : دعنا نتجاوز ما حصل . وكما تعرفون أخوكم أبو اللطف زار عمان قبلي لم أعد اذكر التاريخ . تدخل أبو اللطف وقال يوم ١٦/٩/١٩٩٣ . فتح أبو عمار دفتره وقال مفيد يا أبو اللطف لو وضعت أخوانك في صورة اللقاء مع رئيس الوزراء الاردني .

تناول أبو اللطف الكلام وقال ثبتنا مع رئيس الوزراء إزالة الشكوك . الأردن يقبل ما يقبل به الفلسطينيون (يقصد الاتفاق) . اتفقنا على تشكيل لجان للأمن والحدود والأرض والمياه ، وأن يتفرغ أعضاء اللجان لمهامهم . في الاعلام اتفقنا على أن يكون الخط حسب ما يتفق عليه . تنسيق ثنائي قبل التنسيق مع

العرب . قلت لهم لنا مصالح مشتركة بغض النظر عن الفدرالية أو الكونفدرالية . أحد الحاضرين كتب ورقة ومررها على المجاورين ، قال فيها وفي ذلك الاجتماع خلع أبو اللطف لباس المعارضة ، وقال للأردنيين موقفي المعارض للاتفاق تكتيك اتفقت عليه مع أبو عمار . صمت أبو اللطف ، فتدخل أبو عمار وقال أنا ذاكرتي ضعيفة ، حبذا يا ياسر (عبدربه) لو تضع إخوانك في صورة لقاء اتنا مع الأردنيين . أنت هربت من مرافقتي الى آسيا لكنني سعدت والله برفقة أبو العبد بشير (البرغوثي) . علق بشير وقال بصوت منخفض للمجاورين له ، ' توبة تنذكر ولا تنعاد' .

تحدث ياسر وقال حصل لقاء ثنائي خاص بين الملك وأبو عمار وهو الأهم . تدخل أبو عمار وقال ، الملك كان متخوفاً منا ومتأثراً من الاتفاق . طمأنته وقلت له يا جلالة الملك عندنا قرار بالكونفدرالية في المجلس الوطني من ٨٣ وحتى ٩٣ ، ونحن ملتزمون به . بعد هذا الكلام ارتاح الملك وانفجرت الجلسة وقال على بركة الله يا أبو عمار . وأبدى الإستعداد لتقديم التسهيلات والمساعدات المطلوبة . لأول مرة أشرك الملك الأجهزة والوزراء في الاجتماعات ، طلبنا منهم مساعدتهم في التدريب . أنا اعتبرت خطوة إشراك المخابرات محاولة لاستعادة الثقة ، والملك أعطى رئيس المخابرات أمراً بالتعاون . الإيرانيون مع جبريل مع الشقاقي عندهم قرار باغتيال قيادات فلسطينية . ذات المعلومات قدمها حكم بلعوي . الملك عرض الاستفادة من عناصر المخابرات الاردنية . في الحديث مع فيصل (الحسيني) فيصل طلب إرسال ١٦ عنصراً الى عمان للتدريب على أعمال الحراسات الخاصة . الملك قال لرئيس الأركان ومساعديه : دربوهم ضمن الحراسات الملكية الخاصة . ثم التفت نحو ياسر وطلب منه إكمال الحديث . قال ياسر بعد اللقاء الخاص بحثنا بحضورهما (الملك وأبو عمار) قضايا التنسيق الثنائي ، لمسنا رغبتهم في استعجال عمل اللجان . عقد اجتماع للجنة المشتركة بدون حضور أبو عمار . رئيس الوزراء طرح ضرورة التوصل الى اتفاق ثنائي مباشر

حول المرحلة الانتقالية ، والاتفاق على بعض النقاط التي لها علاقة بتطبيق اتفاق أوسلو . العناوين التي قدمت من الجانب الأردني ، مفيدة وصحيحة لتنظيم العلاقة مع الكيان الفلسطيني . اتفقنا على لقاء آخر نحضر له خلال عشرة أيام لبحث ما يتعلق بغزة واريحا ، والخيارات والبدائل والمعلومات . نقطة أخرى كانت محل نقاش هي موضوع النازحين لمسنا شيئاً من التحفظ الأردني على بحثها في اللجنة الرباعية التي وردت في اتفاق أوسلو . الجماعة متحسسون من الموضوع لأنه يسهم مباشرة ولأنهم لم يكونوا طرفاً في تقرير وجود هذه اللجنة . ولأن الموضوع لم يبحث ثنائياً معهم حتى الآن . الجماعة قالوا مباشرة إنهم لا يقبلوا أن تفرض عليهم قضية لم يشاركوا في تقريرها من البداية . الموضوع بقي معلقاً ، لكن الدكتور العناني (وزير أردني) قال لجريدة الحياة اللندنية ان الأردن لن يوافق على المشاركة في الرباعية . تدخلت أم جهاد (زوجة خليل الوزير أبو جهاد) وقالت عندي سؤال حول موضوع أبو الزعيم (عطا الله عطا الله) ما صحة الأخبار بأنه سيعمل مسؤولاً عن الأمن والشرطة الفلسطينية؟ إذا كان الخبر صحيحاً فهذه مصيبة . رد أبو عمار مباشرة وقال أنا قرأت الخبر يا أم جهاد في الصحف مثلي مثلك لا أكثر ولا أقل . إلا أن أم جهاد قالت : سمعت أنه موجود في تونس ، فلم يعلق أبو عمار . . . وبالفعل كان أبو الزعيم في تونس وقد حضر بناءً على ترتيب من أبو عمار حيث كان يفكر بإسناد مهمة أساسية له في مفاوضات طابا .

ساد الصمت للحظات . نظر أبو عمار الى ساعته فوجد أن الوقت مبكر ١١,٣٠ ليلاً . أحد الحاضرين قال الليلة كفاية ، والأخوان أخذوا ما يكفيهم من معلومات تشغلهم يومين أو ثلاثة . تدخل نصر يوسف عضو اللجنة المركزية لحركة فتح وقال يمكن إعطاء الإخوان بعض المعلومات عن الاجتماعات التي عقدناها في عمان بشأن الشرطة . رد أبو عمار آسف يا نصر نسيت الموضوع ، تفضل يا أبو يوسف والموضوع مهم يا أخوان ، رجاء الاستماع جيداً حتى لا يقول

لي أحد منكم هل هناك شغل على تحضير الشرطة . الشغل يا أخوان ماشي على كل الجبهات حتى ولو كنت مسافراً في الصين . بعض الأخوان يفكر أنني نائم عن بناء وتجهيز الشرطة ، ولا يصدقونني عندما أقول الشغل جاري على قدم وساق والشرطة جاهزة للعبور .

بدأ نصر يوسف الحديث بالقول فعلاً الشرطة جاهزة للعبور ، وبانتظار أمر الحركة ، واستكمال التجهيزات . قاطع أبو عمار نصر وقال اسمعتم ما قاله قائد الشرطة ، كرر ما قلته يا نصر بالله عليك كرر حتى يسمعك جميع اخوانك ، وحتى يصدقوا أخاك المظلوم أبو عمار .

تابع نصر الحديث وقال بعد الاجتماع الذي عقدته لجنة الشرطة والأمن الوطني بحضور الأخ أبو عمار ، شكلنا لجنة فرعية من الأرض المحتلة ، هناك حماسة كبيرة للعمل في الشرطة . حتى الآن وصلنا من الداخل ما يزيد على أربعين ألف طلب انضمام للشرطة ، شكلنا لجنا للساحة الأردنية من اللواء العملة ، والعميد قدسية عن قوات بدر ، والعميد الحاج اسماعيل عن قوات الأقصى في العراق ، وأسد بغداد ملحقنا العسكري في عمان . التقينا في عمان مع مساعدي رئيس الأركان الأردني ، ناقشنا تدريب القوات . بحثنا نقل قوات الأقصى من العراق الى الأردن ، وتجميع الموجود في الساحة الأردنية والبدء في التدريب . الموجود الحالي لقوات بدر ٣٠٪ وقرر الملك رفعها بناءً على حديث مع الأخ أبو عمار الى ١٠٠٪ . وهذا يعني أن عددها سيصل الى ٣٠٠٠ . موجود قوات الأقصى في العراق أكثر من ٨٠٠ من حملة الوثائق المصرية والجوازات الأردنية ، عدا الفلسطينيين من سوريا ولبنان وبقايا العرب . موجود في اليمن أكثر من ٦٠٠ ضابط وجندي ممن تنطبق عليهم الشروط والمواصفات . هذا بالإضافة لموجود الجيش في مصر ، والذي سيصل الى ١٥٠٠ بعد رفع ملاكاتها . ويمكن القول أن موجود ليبيا وتونس والجزائر والسودان لا يقل عن ١٥٠٠-١٧٠٠ من حملة الوثائق المطلوبة . بالاجمالي الموجود العام من حملة الوثائق المطلوبة

يتراوح بين ٧٥٠٠-٨٠٠٠ كلهم عسكر جاهزون للنزول وبانتظار أمر الحركة يا أخ أبو عمار .

قال أبو عمار أنا عارف يا نصر وواثق من حديثك ، المهم أن يصدقوك (يقصد المجتمعين) . قال نصر أنا مسؤول عن كل كلمة قلتها ، ولكن القوات يا أخوان بحاجة الى سكن في غزة وأريحا . وبحاجة الى تجهيزات مدنية وعسكرية وأليات وموازنات . عندنا مشكلة كبيرة . بعض القوات لم تستلم رواتبها من خمسة شهور ، وسبعة شهور ، وبعضها منذ ثلاثة شهور . حلوا هذه المشاكل والناس جاهزة للتحرك والعبور .

فوجئ الجميع بحديث نصر حول الترتيبات التي تحدث عنها . لا أحد عنده علم بالموضوع . واضح أنها ترتيبات فتحاوية خاصة . أبو عمار رتب كل شئ دون أن يسأل أياً من حلفائه في المنظمة أو أخوانه في اللجنة المركزية لحركة فتح . خلال حديث نصر كان ياسر وسمير غوشة ينظران في وجوهي بعضهما البعض منفعلين ، وذات الشئ فعل أعضاء اللجنة المركزية لحركة فتح . مررت ورقة صغيرة لياسر عبد ربه كتبت فيها ، إما أن تتحدث أو سأحدث . هذا احتقار واستصغار للآخرين . صاحبنا لا حليف له ، ولم يعد يسأل بعد الإتفاق وبعد رحلة واشنطن عن أحد . رد ياسر انتظر سأحدث . بعد انتهاء نصر يوسف من الكلام ، علق ياسر قائلاً ، أفهم أن هذه ترتيبات خاصة بفتح . فهم أبو عمار مغزى تعليق ياسر ، فرد قائلاً ، موضوع الشرطة ليس نهائياً ولم يبت به حتى الآن . حاول أبو عمار امتصاص رد فعل ياسر وسمير غوشة . إلا أن ياسر أضاف : الحاصل كل طرف يعمل لوحده ، ولا وجود لهيئة للشرطة متفق عليها . رفع أبو ماهر غنيم عضو مركزية فتح يده وطلب الكلام ، وقال : قبل الحديث عن الشرطة وترتيبات العبور ، هناك قضايا أساسية لا بد من بحثها . وإلا نكون كمن يضع العرب أمام الحصان . نحن مقبلون على مسائل مصيرية ، والمسألة لا تحتل الارتجال والعفوية في الشغل . تحدثنا عن ضرورة وجود لجان تضع تصوراً ، نفاجأ

الآن بخطوات وترتيبات قبل أن تجتمع أية لجنة . قلتهم شكلت لجنة من التنفيذية ، نحن في فتح بحاجة الى لجان فتحاوية . الآن تتشكل قوات ، ونسمع كلاماً ونرى أشياء تدخل في نطاق التطبيع مع اسرائيل . أنا لا أفهم أن يدعو اتحاد طلاب فلسطين طلاب اسرائيل من حزب العمل لزيارة تونس ، واللقاء مع قيادة منظمة التحرير . وافقنا على اتفاق أوسلو ، ولكن أنا شخصياً لم أوافق نتيجة انهيار ، أنا لست منهجاً والحمد لله . ليس مسموحاً لأحد العبث بمستقبلنا ، قلت للطلاب إذا حصلت الزيارة فأنا سأصفي الطلاب الاسرائيليين وسأصفي من دعاهم . نحن في فتح لا بد من أن يكون عندنا تصور خاص بنا . لا بد من تقديم تصور للمجلس المركزي . سمعنا وقرأنا كلاماً بأن أبو عمار أعطى أوامر بوقف العمليات العسكرية هل هذا صحيح ؟ . قاطعه صخر حبش . وقال ، صقور فتح حلوا أنفسهم بناء على تعليمات أرسلت لهم . أكمل أبو ماهر غنيم حديثه وقال ، هذه أمور تحتاج الى نقاش وأقترح اعتبار القيادة الفلسطينية في حالة انعقاد دائم من الآن ولإشعار آخر ، ولحين الانتهاء من وضع تصور كامل حول كل القضايا التي تحدثنا عنها في اجتماعات القيادة الفلسطينية .

كان واضحاً أن أبو عمار لم يرتج لمداخلة أبو ماهر ولا لكل الجوّ الذي ساد الاجتماع . لكنه لم يشأ أن يعمل اشكالات مع احد ، فهو يريد ان يمرر المجلس المركزي بسلام وبعدها لكل حادث حديث . سأل أبو عمار أبا ماهر هل انتهيت ؟ فقال صحيح . أخذ أبو عمار الكلام . وقال ، ليسمح لي الأخوان الرافعون أيديهم طلباً للكلام . رغم أن الوقت مبكر (كانت الساعة حوالي منتصف الليل) إلا أنني مرهق ومتعب . ولم أتم منذ عدة أيام وكذلك أخي أبو العبد بشير . في آخر لقاء مع الأتراك كدت أغفو من التعب والنعاس . ولهذا أقترح رفع الاجتماع حتى الحادية عشرة صباحاً ، وأرجوكم أن تفكروا في من سيسافر في ١ تشرين الاول الى واشنطن . جاءني رسالة من الرئيس كلينتون يتحدث فيها عن موضوع التنمية في الأراضي المحتلة . للأمانة الرجل صدق

معنا ، وعد فأوفى أولاً بوعده . حضر لاجتماع اقتصادي خاص لتمويل مشروع الحكم الذاتي لخمس سنوات ، عمل اتصالاته ودعا أكثر من أربعين دولة . في رسالته طلب مني لإرسال وفد مقرر . أرسلنا وفد خبراء من زهدي الطرزي ، محمد اشتية ، وسمير عبد الله . لا بد من عضو تنفيذية يأخذ معه الدكتور يوسف الصايغ كخبير . حضور كلينتون غير أكيد ولكن حضور كريستوفر مؤكد ولهذا لا بد من عضو تنفيذية .

صباح يوم ١٩٩٣/٩/٢٧ عقدت القيادة الفلسطينية اجتماعها الثاني بالحضور السابق مع زيادة ثلاثة ، منهم ممثل الجبهة العربية المرتبطة بالعراق .

بدأ أبو عمار الحديث قائلاً ، يا أخوان من الآن وحتى اجتماع المجلس المركزي على القيادة الفلسطينية أن تبقى في حال انعقاد دائم كما قال أخي أبو ماهر . أرسلت وراء اخوانكم من الداخل للمشاركة في هذه الاجتماعات المصرية . وفي اجتماعات المجلس المركزي . يا إخوان أماننا ورشة طويلة عريضة تبدأ بالمال ، لأن لا الشرطة ولا سلطة بدون مال ، وتنتهي بأدق تفاصيل السلطة . الموضوع الرئيسي الذي يحتاج الى حك دماغ منا جميعاً هو الجسم القيادي للسلطة الفلسطينية . وكيفية تشكيله . لا وقت عندنا 'كلها شهرين' . علينا الدخول للمجلس المركزي بتصور حول تشكيل السلطة ، وأجهزتها ، ومهامها . لنأخذ قراراً من المجلس . هل اللجنة التنفيذية هي السلطة نبقىها كما هي؟ هل نضيف للتنفيذية عدداً من الداخل؟ كيف نضيفهم دون مجلس وطني؟ هل نشكل سلطة من خارج المنظمة؟ وبعد قيام السلطة ما هو دور المنظمة؟ كيف نحل التعارض بين السلطة والمنظمة؟ أسئلة كثيرة وكبيرة تحتاج الى اجابات . والمسألة يا اخوان لا تحتل الخطأ إطلاقاً أرجوكم أن تقدروا خطورة المسألة .

بهذه المداخلة القصيرة والمركزة من أبو عمار ، صار واضحاً أن أبو عمار يريد من المجلس المركزي قراراتين . الأولى المصادقة على الاتفاق . والثاني قرار بتشكيل

السلطة الوطنية . الخبراء في تفكير أبو عمار قالوا أبو عمار ليس في وارد تشكيل السلطة الآن . هو يريد أن يضع القرار في جيبه وينتظر التطورات . والهدف من فتح الموضوع هو توسيع دائرة المؤيدين للاتفاق داخل مؤسسات وأطر المنظمة وخارجها ، وتعزيز موقعه الشخصي . فالحديث عن تشكيل السلطة يفتح شهية المستورزين والطامحين في الحصول على موقع قيادي أو وظيفة في السلطة ، وهم كثيرون (مستقلون وقيادات وكوادر تنظيمات) . جميعهم يعرفون أن الوصول الى الوزارة والحصول على وظيفة هامة أو صغيرة ، يحتاج الى رضی أبو عمار . فهو صاحب السلطة وصاحب القرار يهبها لمن يشاء ويمنعها عن من يشاء . وهذا الوضع ليس جديدا ، كان سائدا قبل الاتفاق وقبل اللقاء مع كلينتون ورايين فكيف سيكون بعد ذلك . وكان معمولا به ايام كانت القيادة الفلسطينية تضم ابو اياد وجورج حبش وابو جهاد وابو الهول فكيف سيكون بعدهم ؟

بعد مداخلة أبو عمار غرق الاجتماع الثاني للقيادة الفلسطينية في مناقشة تشكيلة الجسم القيادي . وبرز من النقاش الأولي ميل واضح باتجاه الحفاظ على منظمة التحرير باعتبارها الممثل للشعب الفلسطيني داخل وخارج الأراضي المحتلة ، وان تكون مرجعية للسلطة الوطنية في كل الاحوال فالسلطة التي ستقوم في غزة وأريحا ، ستكون مهامها في المرحلة الانتقالية محصورة في إدارة الوظائف والمجالات التي نص عليها اتفاق أوسلو . واتفاق أوسلو بالكاد عالج أوضاع غزة وأريحا ، ومسائل محدودة في بقية الضفة . اما القضايا الاساسية فهي مؤجلة للمرحلة النهائية . ولذا فالمصلحة الوطنية تقتضي الحفاظ على المنظمة ، باعتبارها السلطة العليا لكل الشعب . وباعتبارها البيت الفلسطيني الذي يتسع للجميع ، مؤيدين ومعارضين لعملية السلام ، ولها مكاتب وسفارات في معظم دول العالم . لم يحاول أبو عمار تنظيم النقاش فراح كل واحد يدلي بدلوه ، وطرح فكرة تشكيل حكومة انتقالية مؤقتة . وبرزت أفكار وآراء اخرى عديدة ومتنوعة ، منها أن نصر على تسميتها بالسلطة الوطنية

الفلسطينية المستقلة . وان تكون من الداخل فقط ، ولا يدخلها اعضاء اللجنة التنفيذية . راي آخر قال من التنفيذية أساساً مع إضافات محدودة من الداخل . رأي ثالث قال من الكفاءات والتكنوقراط الفلسطيني من الداخل بالأساس مع إضافات محدودة من الخارج . رأي رابع قال يشكلها الأخ أبو عمار وفقاً للمعطيات والظروف ووفقاً لما يراه مناسباً . بينت المناقشات والمداخلات أن البحث سيطول ، ولهذا حاول بعض المعنيين بمتابعة الأمور العملية والسياسية المباشرة توجيه النقاش باتجاه القضايا العملية المباشرة ، التي هي بحاجة الى قرارات وتحضيرات . فطرحوا موضوعين أساسيين ، الأول تشكيل الوفود الفلسطينية للمفاوضات الخاصة بغزة وأريحا أولاً . والوفد الذي سيكلف بمفاوضات المرحلة الانتقالية التي ستجري في واشنطن . أما الموضوع الثاني فهو تشكيل جسم فلسطيني أو هيئة ما تعنى بشؤون التنمية والإعمار وتلقي المساعدات من دول العالم تتابع مع السلطة الفلسطينية كل قضايا المشاريع التنموية . وكان مفهوماً للمطلعين على الدواخل الفلسطينية أن القيادة سوف تواجه مشكلات جديدة عند تشكيل الوفود . فمعظم الذين اشتغلوا فيها من الداخل والخارج اعربوا بصورة أو بأخرى بعد اوسلو ، عن عدم رغبتهم بالاستمرار في المشاركة في المفاوضات فهم قبل اوسلو كانوا مأزومين من إدارة العملية ، ومن طريقة التعامل معهم . فجاءت مفاوضات اوسلو والاتفاق الذي تمخض عنها لتزيد أزمته وتصميمهم على ترك المفاوضات . وبجانب مشكلة المفاوضات ، لم يكن واضحاً لأحد كيف ستدار المفاوضات . فلجنة متابعة المفاوضات التي كان يترأسها أبو مازن انتهت قبل اوسلو . وخلية اوسلو انتهت مع التوقيع على الاتفاق . فهل سيعاد إحياء لجنة المفاوضات القديمة ؟ أم أن خلية اوسلو ستتابع الموضوع ؟ أم أنه لم يعد وارداً في ذهن أبو عمار لا هذه ولا تلك . لا أحد كان يعرف ما الذي يريده أبو عمار ، إلا أن الحكمة الشعبية القائلة ، المكتوب يُقرأ من عنوانه ، تشير الى أن أبو عمار يريد الامساك شخصياً بالمفاوضات ، ويحبذ أن يقودها مباشرة وجهاً لوجه مع رابين . وإذا لم ينجح

فالحد الأدنى إبعاد أبو مازن وأبو علاء عنها . وذات الشيء ينطبق على موضوع التنمية الاقتصادية . فكل من يعرف أبو عمار جيداً ، يدرك أنه لم يتساهل أيام الثورة في مسألة الامساك بثلاثة أمور أساسية العسكر والمال والاعلام فهو يعتبرها مصدر القوة ومنبع القرار . ويدرك أكثر بأنه في مرحلة الدولة والسلطة ، لن يسمح لأحد بتولي أي من هذه الأمور الثلاثة . ورغم قول أحد المهتمين بمتابعة المفاوضات : «أخ أبو عمار لا بد من التفكير جدياً في موضوع الوفد وفي خطط التفاوض ، وللعلم ، الاسرائيليون أعلنوا رسمياً عن تشكيل عشر لجان للتفاوض مع الفلسطينيين . وكل لجنة لها خبراء ومستشارون» إلا أن أبو عمار قفز عن الموضوع كلياً . وقال : يا اخوان المسألة الملحة هي من سيسافر الى واشنطن لحضور الاجتماع الاقتصادي الذي دعا له الرئيس كلينتون ، أعني على أخي أبو اللطف أن يسافر . لاعرف اذا كان الرئيس كلينتون سيحضر لكني متأكد من حضور كريستوفر . الاجتماع سيعقد على مستوى وزراء الخارجية . سيحضره أكثر من ثلاثين وزيراً من أهم وزراء العالم . رد أبو اللطف أرجوك أخ أبو عمار اعذرني من هذه الرحلة ، والبركة في الاخوان الآخرين من التنفيذية والمركزية . اجابه أبو عمار يا ريت يا أبو اللطف فأنا وضعي الآن مثل وضع الرسول محمد في معركة أحد ، وبعدما نزل من الجبل . ألا ترى الاستقلالات يا أبو اللطف ، ألا تقرأ وتسمع الحملة على أخوك أبو عمار ، واتهامه بالخيانة الوطنية . الرسول بعد هزيمة أحد تخلى عنه أقرب المقربين ، وبعض عتاة المسلمين كفروا وارتدوا . والبعض طالبه بالتخلي عن الدعوة ، ووقتها لم يبقَ مع الرسول يا أبو اللطف إلا الخلفاء وذوي الايمان العميق . أنت ترى الردة الآن . الواقعي صار متطرفاً . ومن نظر للحل السياسي صار ضده . ويزاود في مسألة الكفاح المسلح . ويتهم من أطلق الرصاصة الأولى ، ومن قدم جيشاً من الشهداء من خيرة قادته وكوادره بالخيانة الوطنية . على كل حال هذا امتحان من الله . وأترك لكم يا أخوان القرار أنا واحد منكم ولي صوت واحد مثلي مثلكم . . . تناوب العديد من الحضور فتحاويين ومستقلين ومن التنظيمات الأخرى على الحديث في

الموضوع . الجميع كان يختم حديثه بمناشدة أبو اللطف الاستجابة والسفر الى واشنطن . إلا أن أياً من المتحدثين لم يكن اصراره على ذهاب أبو اللطف نابعا من منطلق الحرص على سمعة المنظمة ، وعلى بروتوكولات اللقاءات والاجتماعات الدولية . كل من تحدث في الموضوع تحدث فيه لأمر في نفس يعقوب . الأغلبية كانت تريد شطب معارضة أبو اللطف للاتفاق ، وإظهار الوجه الآخر لموقفه . آخرون كانوا يريدون أن يدخل أبو اللطف على خط المفاوضات وخاصة الاقتصادية نكاية بهذا أو ذاك . وهناك من كان يهدف الى تخريب علاقات أبو اللطف مع المعارضة ومع السوريين . وفي حينها توالى الكلمات بذات الاتجاه واشتد الضغط على أبو اللطف من كل الاتجاهات . . عندها طلب الكلمة وقال ، سأبدأ كلامي بجملة Rega.Rega وأظن أن هذه الجملة اصلها عبري . صبركم علي قليلاً ، لا تستعجلوا في دفشي . صحيح أنا حضرت اجتماع وزراء الخارجية العرب ودافعت عن الاتفاق ، وتحدثت مع الأردنيين والعراقيين عن حسنات الاتفاق ، إلا أنني يا أخوان لازلت في قرارة نفسي معارضاً له . لم أهضمه ، لم أستوعبه . دعوني أتوازن وأوازن موقفني بالتدريج . اصبروا علي ، بإمكانكم التمني على أبو مازن أو على أخي ياسر عبد ربه . أخي أبو مازن غائب وزعلان . أخي ياسر موجود وراضي وكفيل بالمهمة . تدخل ياسر وقال ارجوك يا ابو اللطف أرجوكم يا اخوان اعذروني . رد أبو اللطف سأقول لكم ما في نفسي وأمري لله : أنا لن ألتقي مع أي من الوزراء الاسرائيليين إلا بعد أن يلتقيهم بعض وزراء خارجية الدول العربية وأنتم تعرفون من أقصد في كلامي ودون أن اسميهم . وكان معروفا للجميع انه يقصد فاروق الشرع وزير الخارجية السوري .

بعد هذه المداخلة الصريحة من أبو اللطف ، تحول الضغط باتجاه ياسر عبد ربه . ولم يتردد أبو عمار في حسم الموضوع كعادته . تقدم من ياسر ، أمسك برأسه ووضعه بين يديه وقبله ، وقال ياسر لا يرفض لي طلباً . بعد هذه الحركة

صمت ياسر وأسدل الستار على موضوع السفر الى واشنطن . ولاحقاً سافر ياسر ، وسفره هذا سبب له بعض الاشكالات وخاصة مع أبو علاء . وقبل رفع الجلسة الثانية من اجتماعات القيادة الفلسطينية . قال أبو عمار ، نتابع الاجتماع في المساء وأظن أننا متفقون أن لا تراجع عن أن م . ت . ف . هي مرجعية مجلس التنمية والاعمار الفلسطيني . وعند تشكيله نضع الترتيبات القانونية والضرورية لاحكام الامساك بهذا المجلس . المال يا إخوان ليس لعبة ، المال يا اخوان يرفع سلطة ويسقط سلطة . وأنا لا أقبل لأحد ، عربي أو اوروبي أو امريكي أو اسرائيلي ، السيطرة على الاقتصاد الفلسطيني ، أو اللعب فيه . المجلس أو مهما كان اسمه ، تشكله القيادة الفلسطينية وهي التي تشرف على عمله ونشاطه . وأنا لا أسمح بأن يكون هناك صندوقان ، الصندوق القومي وصندوق آخر خارج سلطة وسيطرة القرار الفلسطيني .

مساء يوم ٢٧ تابعت القيادة الفلسطينية اجتماعاتها ، وكان الحشد الصحافي يزداد في تونس . والأضواء الدولية تتسلط أكثر فأكثر على اجتماعاتها . والتصريحات الفلسطينية الرسمية والخاصة تزداد أكثر فأكثر . في اجتماع المساء توبع نقاش مسألة تشكيل مجلس للتنمية والاعمار . وقدم بعض من يملك معلومات إضافية معلوماته . جميع المعلومات بما فيها التي يملكها أبو عمار تؤكد أن الأمريكان والبنك الدولي يصران على استقلال هذه السلطة عن السلطة السياسية ، وأن تكون همزة وصل بين قيادة المنظمة والجسم القيادي الجديد ، وبين الدول المانحة للمساعدات والقروض . وكل المداخلات التي أدلى بها صبت بذات الاتجاه . لا أحد يريد للصندوق القومي أن يشرف على المساعدات وعلى تمويل المشاريع في غزة وأريحا . لا أحد يثق في دور الصندوق القومي . فالاعتقاد السائد أن وضعها في الصندوق القومي يعني تعرض قسم منها للتبذير والسرقة ، بطريقة أو -بأخرى . ويعني تبديد الباقي على المحاسيب وانتعاش حركة النصابين . ورغم موضوعية النقاش ومنطقية مواقف البنك

الدولي والدول المانحة ، إلا أن أبو عمار بقي مصراً على موقفه .بعد منتصف الليلة تم رفع الاجتماع واتفق على استكمال البحث والنقاش مساء اليوم التالي .

مساء يوم ٩/٢٨ عقدت القيادة الفلسطينية اجتماعها الثالث بذات الحضور ، لاستكمال البحث في ذات المواضيع . تركيبة الجسم القيادي الجديد وعلاقته بالمنظمة ، وموضوع مؤسسة التنمية . في بداية الاجتماع قال أبو عمار ، اخوانكم من الداخل سيصلون غداً بعد الظهر . ولهذا نتابع اليوم البحث والنقاش ولكن اسمحوالي تأجيل تثبيت التوجهات النهائية الى اجتماع نعقدّه مساء الغد ، يحضره اخواننا القادمون من الداخل . المسائل المطروحة يا اخوان كبيرة ، وتهتم مجموع الشعب الفلسطيني . صحيح من حقنا اتخاذ القرار ، ولكن واجبنا سماع اراء اخواننا من الداخل . وأمرهم شورى فيما بينهم . وأضاف كم كنت أتمنى لو أن حماس ، والشعبية ، والديمقراطية ، مشاركون في هذه الاجتماعات ، لكنهم للأسف اختاروا الحظن العربي . الدكتور حيدر عبد الشافي ، اجتمع مع الشعبية والديمقراطية . اتصل بي قبلها وقلت له أتمنى لك التوفيق يا دكتور . لكن معلوماتي تقول بأن التعليمات صدرت لهم من دمشق بمقاطعة الاجتماعات . سامحهم الله ، سيأتي يوم يندمون فيه على مواقفهم وسيحاسبهم شعبهم . الحظن العربي يا اخوان حظن شقيق ، لكنه للأسف غير حنون على الفلسطيني . كم لسعنا الأفاعي ونحن فيه . وكم هز البرد عظامنا فيه دون أن نجد الغطاء . ما أحوج العرب اليوم الى صلاح الدين . أريد أن أقول لكم ، العرب عربان ، عرب رفضوا أو يرفضون الدفع للشعب الفلسطيني ولمنظمة التحرير ، ولكنهم سيدفعون لكم للسلطة الفلسطينية القادمة ولخطة التنمية والاعمار التي سيقورها الامريكان والغرب لكم ، وعرب اخرون يقفون معكم بلكنهم فقراء لا يملكون ما يقدمونه لكم . لخطة التنمية والاعمار التي سيقورها الغرب والأمريكان لكم ، سيدفعون ما لا يقل عن ٣٠٪ من مجموع المبلغ الذي سيقوره اجتماع واشنطن . سعود الفيصل سيكون حاضراً يا ياسر .

التقى معه . وسلفاً لست متفائلاً . الأمير بندر قال لاخوانكم في واشنطن ، السعودية مستعدة لدفع مليار دولار لترميم وإعمار الأماكن المقدسة في القدس . قلت لهم أهلاً وسهلاً . عندنا إمكانية الحصول على رخصة لبناء مساكن في القدس ، كلفة الرخصة وحدها أكثر من ٧ مليون دولار . اخوكم فيصل الحسيني حاول لكنه لم يجد حتى الآن من يدفع له قيمة الرخصة ، فمن سيدفع قيمة المساكن . أنا لا أريد مساعدات . كل ما نريده هو أن يتقدموا لعمل استثمارات عقارية في القدس . فليشتروا بيوتاً في المستوطنات ، لينبؤوا شققاً ويؤجروها لنا . فليشتروا بعض الأراضي المعروضة للبيع . سامحهم الله . . أو أقول لكم لا سامحهم الله ، وسامح الله اخواني في المعارضة الذين يراهنون على العرب .

كان أبو عمار يتحدث والكل ينصت بانتباه . صحيح أن موقفه من العرب مكرر ، ومعظم الحاضرين سمعه مرات ومرات وبذات التعابير تقريباً ، إلا أن الأجواء التي خلقها اتفاق اوسلو أعطت للحديث نكهة خاصة . بعد هذه الخطبة الموجزة ، قال أبو عمار ، أنا أسف يا أخوان لقد خرجت بالاجتماع عن المواضيع الأساسية ، سامحوني ودعونا نعود لمواضيعنا .

رغم دعوته الحاضرين الى الحديث إلا أن أياً منهم لم يبادر الى طلب الكلام . معظمهم تكلموا في الاجتماعين الأول والثاني ، ومن لم يتكلم ليس لديه جديد يضيفه . أحد الحاضرين قال ، أقترح يا أخ أبو عمار أن نرفع الاجتماع . أظن أننا إذا تكلمنا سنكرر انفسنا . وغداً سيحضر اخواننا من الداخل ، ولا بد من الحديث أمامهم ليسمعوا آراءنا . كما لا بد من الاستماع لهم . ولهذا نؤجل حديثنا اليوم حتى لا نكرره اليوم ونكرره غداً ، ونأخذ استراحة الليلة . رد أبو عمار معك حق ولكن 'بعد بكير' ، على كل حال إذا اردتم أن تترأخوا فأنتم احرار . أنا عندي عمل كثير . دعونا نسمع بقية الآراء وبعدها نرفع الاجتماع . بعدها تحدث من لم يتحدث . كان حديثهم مكرراً وهم انفسهم لم يكونوا متحمسين للكلام . أما المستمعون فكان بعضهم يحث

المتحدثين بأصوات مرتفعة على الاختزال . . أجل نفسك . . وفر صوتك . . خير الكلام ما قل ودل . وعندها رفعت الجلسة .

مساء يوم ٩/٢٩ التأم القيادة الفلسطينية وبلغ عدد الحاضرين ما يزيد على الثلاثين منهم سبعة من الداخل هم د. حيدر ، حنان عشاوي ، نبيل قسيس ، صائب عريقات ، عزمي الشعيبي ، غسان الخطيب ، وفضل طهوب ممثل جبهة النضال الشعبي الفلسطيني . أما التمثيل السياسي فقد كان خمسة من التنفيذية ، اثنان من هيئة رئاسة المجلس الوطني ، اثنان من حزب فدا ، ٤ من حزب الشعب ، ٢ من جبهة النضال ، ٢ من جبهة التحرير (أبو العباس) ، ١ من الجهاد الاسلامي (الشيخ أسعد التميمي) ، ١ من الجبهة العربية (بعث عراقي) وثلاثة مستقلين فقط . هم الدكتور حيدر ، ونبيل قسيس ، وأبو زهدي الناشيبي ، والباقي من حركة فتح . وفي اليوم التالي توسع الاجتماع وانضم له ستة من المستقلين منهم ، جمال الصوراني عضو اللجنة التنفيذية ، ومدير الصندوق القومي في عمان . ورئيس اللجنة القانونية في المجلس الوطني وقانونيون آخرون . واثنان من فتح هما فيصل الحسيني وأحمد عبد الرحمن .

بدأ أبو عمار الاجتماع بالقول : مطلوب من هذه القيادة قرارات مصيرية . هذا هو الاجتماع الرابع - يا اخوان . نحن بصدد عقد المجلس المركزي . أمس أبلغني الرئيس اليمني علي عبد الله صالح موافقة الآخرين (يقصد المعارضة) ، على عقد لقاء فلسطيني تمهيدي في صنعاء يوم ٢٥ من الشهر القادم . كنت أتمنى أن يحضروا المجلس المركزي . ونحن يا دكتور (حيدر) لم نتخذ بعد أية قرارات أو توجهات بانتظار وصولكم . بحثنا أولاً في مسألة تشكيل السلطة الوطنية ، ومسألة التنمية الاقتصادية . وتحدثنا في بعض الأمور الملحة بالنسبة للشرطة . والأمر متروك لكم ، والأفضل أن نسمع رأي اخواننا القادمين من الداخل أولاً . بعد هذه المقدمة القصيرة ؛ تناوب القادمون من الداخل على الكلام وأبرزوا في مداخلاتهم المواقف التالية : الحديث عن الشرطة بالطريقة الجارية يخيف الناس ،

ولا بد من تخفيفه لصالح الحديث عن التنمية الاقتصادية ، وعن الصحة ، والتعليم ، والسكن ، والطرق ، والمعتقلين . . وسواها من القضايا المباشرة التي تهم حياة الناس . ضرورة إزالة كل ما ينمي الفتوية ، والاكتثار من الحديث عن الوحدة الوطنية وما يقويها ويمتتها ، بما في ذلك الحديث عن الشرطة . ولعل طرح فكرة الخدمة الوطنية في الشرطة يساهم في ذلك . عدم الغرق في التفاؤل الزائد . والاتزان في الكلام ، وعدم التناقض في إطلاق التصريحات ، والانتباه من إحباط الشارع الفلسطيني . فتصريحات كل القادة الفلسطينيين موضع مراقبة ومتابعة شعبية يومية . فالمعركة طويلة والمفاوضات القادمة هي الأصعب . والشيطان يكمن في التفاصيل . وبالمقابل من الضروري عدم اغراق الشارع الفلسطيني في التشاؤم . وهذا يتم فقط من خلال مصارحة الناس بما تحقق أو يمكن أن يتحقق من الاتفاق ، وما لم نستطع تحقيقه في هذه المرحلة . وهذا يتطلب تشكيل لجنة لوضع تصور متكامل للمرحلة المقبلة ، بما في ذلك الموقف الاسرائيلي المحتمل في المفاوضات اللاحقة . ضرورة التفكير منذ الآن بأفضل السبل لدمج الخارج مع الداخل ، في كل المجالات ، وعلى كل المستويات . بدءاً من السلطة الوطنية وحتى أدنى مؤسسة . مراعاة الكفاءة والاختصاص والخبرة ونبد الفتوية الفصائلية عند تشكيل السلطة ، أو المؤسسات وعند تشكيل اللجان ووفود المفاوضات . والعمل على حشد كل الكفاءات الفلسطينية في مختلف انحاء العالم ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب . اشراك اللجنة التنفيذية في السلطة مباشرة مع المحافظة على منظمة التحرير الفلسطينية والحفاظ على كيانه وإبقائه واضح المعالم والحدود ، وأن تبقى المنظمة هي المرجعية للسلطة الجديدة . العمل منذ الآن على تشكيل لجنة خاصة بموضوع القدس . تعمل قدر المستطاع من أجل الحفاظ على هويتها العربية ، وتعزيز المؤسسات الفلسطينية الموجودة فيها . وشدد القادمون من الداخل على مسألة الديمقراطية في العلاقة مع الناس ، وفي العلاقات الداخلية بين القوى والفصائل . وقالوا بوضوح ان التفرد بالقرار يتعارض مع الديمقراطية . والفتوية تتعارض مع الديمقراطية .

وأسلوب العمل القيادي الفلسطيني في مرحلة الثورة لا يتناسب مع المرحلة الجديدة ، ويتعارض مع الديمقراطية التي ننشدها لشعبنا . وشددوا على أهمية بناء سلطة للبناء والاعمار مستقلة عن السلطة السياسية . وأن تكون من الداخل والخارج . مقياسها الامانة والاخلاص ، والخبرة والكفاءة . وانتقدوا الفساد المستشري في المنظمة ، وانتقد بعضهم صراحة تفرد أبو عمار بالقرار ، وسكوت اللجنة التنفيذية على هذا التفرد . كما انتقدوا تصريحات صدرت عن حكم بلعاري وأخرى عن بسام أبو شريف حول التعاون الأمني الفلسطيني - الاسرائيلي ضد المعارضة الفلسطينية . وانفرد الدكتور حيدر في الحديث عن الأمل بمشاركة المعارضة . ودعا الى التريث ريثما تتضح نتائج لقاء اليمن الذي تحدث عنه أبو عمار . وأبدى رغبته في المشاركة في اللقاء مع المعارضة في حال انعقاده .

كان واضحاً للجميع أن القادمين من الداخل هم الأكثر جرأة في النقد . وبلغ نقدهم للأوضاع ولأسلوب العمل القيادي وللثوية حد ازعاج أبو عمار وآخرين . انفردوا بالحديث عن الديمقراطية ، وعن القضايا التي تهم الناس . وأظهروا أنهم الأكثر قرباً من قضايا الجماهير وأنهم حساسون لمواقف وآراء الناس العاديين . بعضهم كان طامعاً وطامحاً في السلطة ، إلا أنهم كانوا متأثرين برأي الشارع ، وحريصون على نيل رضا . كل القادمين من الداخل دون استثناء وبغض النظر عن انتماءاتهم التنظيمية لم يكونوا راضين عن الاتفاق ، ورغم ذلك لم يعارضوه . طرحوا ملاحظاتهم الأساسية عليه وناقشوا تخوفاتهم بمسؤولية وموضوعية . ركزوا على كيفية تحويل الاتفاق الى نقطة انطلاق نحو الأفضل . لم يكونوا مرتاحين لتبسيط الأمور من قبل القيادة في الخارج . وأبدوا انزعاجهم ، وحذروا من خلق أجواء سلامية زائفة مع الاسرائيليين . قالوا ، ما توصلنا اليه ليس سوى اعلان مبادئ ، وهناك فرق كبير بين الاعلان عن النوايا وبين الوصول الى سلام حقيقي عادل وشامل . المسافة كبيرة والطريق طويل ، حتى نصل الى

محطة السلام الحقيقية الأولى . وشددوا على التعامل بمرونة مع المحيط العربي ، وحذروا من العزلة التي يمكن أن تصاب بها المنظمة ، إن هي أدارت العلاقات مع الأردن وسوريا على قاعدة مساواتها مع إسرائيل ، أو التسابق معها على العلاقة مع إسرائيل .

كان القادمون من الداخل هم الأكثر واقعية ، والأكثر حذراً من السلوك الاسرائيلي القادم . وأظهروا أنهم الأكثر خبرة بالعقلية الاسرائيلية ، وأساليب الاحتلال . في ذلك الاجتماع كرر بعض الحاضرين من أعضاء القيادة في الخارج ذات المواقف التي طرحوها في الاجتماعات السابقة . ولاحقاً جاءت وقائع الحياة لتثبت صوابية مواقف أهل الداخل . ولتؤكد أنها الأكثر دقة . وكالعادة وفي مداخلة أخيرة لخص أبو عمار حصيلة النقاش ، بضرورة تشكيل لجنة من الاجتماع مهمتها وضع تصور ، وخطة عمل للمهام الملحة والمباشرة . وشكلت في حينها من أبو زهدي النشاشيبي رئيساً ونبيل قسيس ، أحمد عبد الرحمن ، غسان الخطيب ، صائب عريقات ، تيسير عاروري ، عزمي الشعيبي ، حنان عسراوي ، محمد صبيح ، وممدوح نوفل كاعضاء . أما بشأن المسائل الأخرى ، فقال ، يا اخوان هناك قراءتان للاتفاق . قراءة فلسطينية وأخرى اسرائيلية . حتى الساعة الحادية عشرة من صباح يوم التوقيع ٩/١٣ شيء وبعد هذه الساعة شيء آخر ، خاصة بعدما نجحنا في وضع اسم المنظمة ضمن الاتفاق ، وفي صدر الصفحة الأولى وفي آخر الصفحة الأخيرة . وروى أبو عمار كيف نسي بعض الاخوان سامحهم الله . وضع اسم م . ت . ف . وكان يقصد بذلك أبو مازن وأبو علاء . وروى كيف أصر هو على وضعها منذ اللحظة الأولى لوصوله الى الفندق . وروى كيف أصدر أوامره للطيارين بالعودة الى المطار لاشعار الأمريكان والاسرائيليين بجدية تهديداته . ثم راح يستعرض تاريخ تطور الموقف الفلسطيني من السلام ، ومن العلاقة مع إسرائيل والأمريكان . قال : في القرآن ناسخ ومنسوخ . وميثاقنا عمره ثلاثون عاماً ولم يتجدد . نحن تجاوزناه منذ عام

١٩٧٤ في النقاط العشر ، وتجاوزناه في قرار إعلان الدولة والاستقلال . في عام ٨٨ قلت عنه (كادوك) . في السابق أعطينا غروميكو القرار ٢٤٢ وجلب لنا البيان المشترك مع فانس . المصريون والسوفيت جلبوا لنا الوفد المشترك بعد حرب ٧٣ . لكن الأسد رفض صيغة الوفد المشترك لأنه كان لا يريد اشراكنا في المفاوضات . كان يريد الابقاء على حالة الاحرب والاسلم . نحن عندنا انتخابات في اتفاق اوسلو ، وعندنا قرار فلسطيني باستكمال عضوية المجلس الوطني الفلسطيني من الداخل . والعدد المطلوب ١٨٦ ، وبامكاننا انتخاب هذا العدد . نحن بحاجة الى مؤسسة مالية لانهم (أي الأمريكان والممولين) لن يدفعوا للصندوق وعندنا مع الاسف الشديد من يشاركهم الرأي ويحرضهم على ذلك . ما سيقدمونه بعضه مساعدة وبعضه قروض . علينا ايجاد صيغة ما ، شرط أن لا يتم تجاوز المنظمة . لا زلت أدفع في لبنان مخصصات ما يزيد عن ١٥ ألف عنصر ميليشيا . . من أين سأدفع لهم؟ هل نقبل تجاوزنا في الموضوع المالي؟ إصراري على ذهاب أبو اللطف اسبابه ودوافعه سياسية . تسلمت رسالة من كلينتون ، ولأول مرة رئيس أمريكي يخاطبني بوثائق رسمية كرئيس للمنظمة . قبل التوقيع على الاتفاق كان الخوف والحذر ضروريين . بعد التوقيع لا داعي للحذر والخوف . كيف سنتحرك على الأرض . نحن سنستلم السلطة كاملة في غزة وأريحا ، ومنقوصة في بقية الضفة . قلت لكريستوفر سنقيم جسماً حاكماً من الداخل والخارج ، دنيس روس ميع الكلام . أنا أعتبر صمت كريستوفر موافقة ، بغض النظر عما قاله دنيس روس اليهودي . حكومة مؤقتة رفضوها سابقاً وأظهروا سيرفضونها اليس كذلك يا حنان . على كل حال علينا استمزاغ رأي الأمريكان والأوروبيين والروس . قلت للرئيس زين العابدين : ارجوك جس لنا نبض الأمريكان لا بد من عمل جسم قيادي جديد وإذا لم نعمل هذا الجسم ، فاللجنة التنفيذية مضطرة لتحمل المسؤولية . أخشى أن يأتي يوم ١٣/١٠ وأقول أنا لست جاهزاً لإستلام السلطة . على كل حال دعونا نرفع الاجتماع لحين انتهاء لجنة وضع التصور من عملها لنعود بعد ذلك للاجتماع

وندخل بعدها مباشرة للمجلس المركزي .

من هذه المداخلة وما سبقها من مداخلات صار واضحاً أن أبو عمار يخفي في رأسه شيئاً ما . الواضح أنه يريد احكام سيطرته على إدارة المفاوضات وعلى مجال التنمية والإعمار . وحديثه عن ١٠/١٣ وعدم الجاهزية يظهر أنه غير متعجل ولا يريد لهذه المفاوضات أن تصل الى نتائج . . هل يعتقد أبو عمار أن بإمكانه من خلال اللقاء مع رابين معالجة الأمور والتوصل الى اتفاقات أفضل؟ هل يعتقد أن بإمكانه فرض التصور والمفهوم الفلسطيني الذي تحدث عنه ، والمخالف في بعض جوانبه للاتفاق ؟ أم أنه يريد إفهام رابين والأمريكان بأنه صاحب السلطة ، وصاحب القرار وأن التفاوض المباشر معه هو أقصر الطرق وأسهلها في التوصل الى اتفاق يرضي الجانبين؟

بعد الاجتماع دارت مناقشات خلف الكواليس . بعض العارفين بأبو عمار ، قالوا ، أبو عمار يفكر بالقفز عن المرحلة الانتقالية حتى لو تأخر تنفيذ اتفاق اوسلو . أبو عمار بدأ يصعد فوق الشجرة . بدأ يرفع سقف مطالبه وأضافوا نخشى أن يأتي يوم يهبط دفعة واحدة ودون مقدمات من أعلى الشجرة الى الأرض . آخرون قالوا لا ، أبو عمار يريد اتفاق اوسلو ولكنه يريد شطب وإبعاد كل من شارك في صنع هذا الاتفاق خاصة من برزوا علانياً وسياسياً . آخرون قالوا : أبو عمار لم يقرأ لاتفاق اوسلو ، ومعظم حديثه عن غزة وأريحا يتناقض مع نصوص الاتفاق .

قبل الخروج من مكتب أبو عمار تساءل أعضاء لجنة صياغة التصور عن موعد اللقاء ومكانه . واقترح بعضهم أن يكون في الحادية عشرة من صباح اليوم التالي وفي مكتب أبو مازن . كان هدفهم إشراك ابو مازن في النقاش ، وأخذ رأيه في عدد من المواضيع . كما كان قصدهم ممارسة ضغط جماعي على أبو مازن ، لمتابعة مهامه وإشرافه على المفاوضات اللاحقة ، والقول لأبو عمار بصورة غير مباشرة لا غنى لنا ولك عن أبو مازن . صباح يوم ١٠/٢ بدأ أعضاء اللجنة

بالتجمع في مكتب العلاقات القومية داخل غرفة أبو مازن . أدرك أبو مازن هدف أعضاء اللجنة . ولم يخيب آمالهم ، شاركهم في الاجتماع وكان رأيه : أبو عمار أخذ قراره بالتفرد بالمفاوضات . أبو عمار حساس ، ويعتقد أن كل الناس تطمع في السلطة وتطمع في مكانه . أنا أعرف أبو عمار جيداً اشتغلت معه ثلاثين عاماً . أبو عمار يعتقد أن أبو مازن يسعى لخلافته . ويعتقد أن تسليط الأضواء الدولية والعربية على أبو مازن أو أي شخص آخر يعني تأمر العالم عليه . ويتهم من يتم تسليط الأضواء عليه بأنه ضليع في المؤامرة . منذ الآن ابلغكم قراري . لا طموح لي بمنصب في دولتكم ، أو سلطتكم ، أعتبر نفسي أدت الأمانة وقمت بواجبي ، غامرت بحياتي عن قناعة من أجل شعبي . لن أقيم في دولة فلسطين ولن أدخل معكم . سأودعكم وأقول وفقكم الله بقيادة ياسر عرفات . سأودع أبو عمار في القاهرة وسأقول له جملتين الأولى يا أبو عمار اعمل انتخابات ، وابن مؤسسات ووزع المسؤوليات على اخوانك . وثق بهم ولا تخف منهم ، كفى تفرداً واحتكاراً للسلطة . فمثل هذا السلوك لا يبني دولة ، عدا أنك قد أصبحت فعلياً اختيار . بعض الاخوان يعرفون أنني توصلت بعد حرب الخليج لدى العديد من القادة العرب كي يفتحوا على ابو عمار . مع الأمريكان والأوروبيين كنا نقول ولا زلنا ، لا نستطيع متابعة المسيرة السلمية بدون أبو عمار . ورغم ذلك أبو عمار يتهمني بأنني أحضر نفسي كي أكون البديل . لا أريد أن احبطكم . كل جهودكم ستذهب سدى . كل اقتراحاتكم لن يقرأها أبو عمار . ورغم ذلك من الضروري وضع التصور ووضع الخطة فقد يأتي يوم نستفيد منها . أبو عمار في رأسه موال ويريد أن يغنيه ، لن يتراجع عن مواله إلا بعد الاصطدام . القيادة الاسرائيلية والعقلية الاسرائيلية تختلف عن الزعماء العرب وعن طريقة تفكيرهم . أبو عمار يعتقد أنه بتبويس اللحى سيقنع رابين باعطائه دولة . سيضيع وقت طويل قبل أن يقتنع أبو عمار بنهج العمل الذي أدعوله وندعوله جميعاً . أي نهج العمل المنظم والقائم على الدور الجماعي والمستند الى عمل مؤسساتي .

قبل دخول أعضاء اللجنة في بحث القضايا المكلفين بها ، جرى نقاش مع أبو مازن . ضغط فيه كل أعضاء اللجنة على أبو مازن لمتابعة عمله . قالوا له الاستنكاف يا أبو مازن لا يحل المشكلة . الاتفاق ينص على تشكيل لجنة ارتباط عليا ولجنة الارتباط تم تفصيلها لك ولبييريز . الحرد يعقد الأمور أكثر . أنت وقّعت على الاتفاق ، والاتفاق ما زال كلاماً على الورق . أنت لم تعط شعبك حتى الآن سوى كلام على الورق . والكلام لا يطلق سراح آلاف المعتقلين ، ولا يعيد المبعدين ، ولا يوقف الاستيطان ولا يحرر الأوطان . أمامنا عمل كبير وكثير ودورك رئيسي لا بد من متابعته وليس من حقك الهرب . أنت أدري الناس بعقلية أبو عمار ولهذا أنت أقدر الناس على معالجة الموضوع معه . وعلى إيجاد طريقة للتعايش معه والعمل معه . تركه يعمل بمفرده ، الله وحده يعلم الى أين سيقودنا . رد أبو مازن بالقول هذا موضوع معقد وقد يطول نقاشه . دعونا نبدأ بتحضير التصور المطلوب . شخصياً سأحضر المجلس المركزي وسأدافع عن الاتفاق ، سأقول قناعتني كاملة .

خلال نقاش مسألة السلطة الفلسطينية الجديدة أجمعت اللجنة على : أن (أ) ان تكون اللجنة التنفيذية والقيادة الفلسطينية مرجعية السلطة ، وأن تتشكل من الداخل والخارج ، وعلى اساس الخبرة والكفاءة ومراعاة التمثيل السياسي .

(ب) أما بشأن مشاركة أعضاء من التنفيذية فيها فكان هناك رأيان . رأي وهو الأكثرية : أن يبقى الثقل الرئيسي للتنفيذية خارج السلطة ، وأن يدخلها عدد محدود من أعضاء التنفيذية ، لا يزيد على الثلث .

(ج) أما رأي الأقلية ، فقد دعا الى عدم دخول أي عضو من التنفيذية في السلطة ، وأن يقتصر تشكيلها على التكنوقراط الفلسطيني المعروف بانتمائه السياسي ، وولائه المطلق لمنظمة التحرير . واتفق أن ترفع اللجنة كلا الرأيين لاجتماع القيادة الفلسطينية . وأن توصي بالأخذ بالرأي الأول .

- (د) أن يسمى الجسم القيادي الجديد «السلطة الوطنية الفلسطينية» ، وأن تتم إقامتها على الأرض التي سيتم الإنسحاب منها .
- (هـ) الحرص على إبقاء كيانية م . ت . ف . واللجنة التنفيذية بارزة .
- (و) أن يؤكد المجلس على أن هذه السلطة مؤقتة وانتقالية لحين إجراء الانتخابات . وأنها تنفيذية للوظائف المسندة لها وليست تمثيلية لا للشعب داخل الوطن ولا للشعب الموحد ككل . وأن تكون وظائفها شاملة لكل المجالات - صحة - تعليم - صناعة - زراعة - مالية . . . الخ باستثناء الدفاع والخارجية . وأن تبقى هاتان المهمتان مرتبطتين باللجنة التنفيذية مباشرة .
- (ز) وضع برنامج خطة عمل لهذه السلطة وللتنفيذية للفترة الإنتقالية المحددة وأن تعرض الخطة والبرنامج على المجلس المركزي للمصادقة عليهما .
- (ح) اقترحت اللجنة المشروع فوراً في إعادة النظر في قوانين ونظم العمل ، باتجاه فلسطينها ، وتكييفها مع متطلبات تطوير المجتمع الفلسطيني ودمقرطته . مع مراعاة الثبات والقانونية عند وضع النظم والقوانين الجديدة وأن يعهد بمثل هذه المهمة الى لجنة قانونية خاصة .

أما بشأن قضايا المفاوضات فقد رفعت اللجنة التوصيات التالية :

- (١) إعادة تشكيل لجنة متابعة المفاوضات على نحو موحد من الداخل والخارج ، وبحيث تتمكن من متابعة كل فروع المفاوضات ، متعدد ، ثنائي غزة - أريحا ، ثنائي ، مرحلة إنتقالية . وأن تعمل على قاعدة مجموعات متابعة لكل فرع من فروع المفاوضات ، وأن تثبت لها سكرتاريا دائمة في الخارج والداخل .
- (٢) تكليف لجنة متابعة المفاوضات بالعمل الفوري على تشكيل الوفود ، ولجان التفاوض الوارد ذكرها في اتفاق أوسلو . والشروع في وضع أوراق العمل وخطط التفاوض على أن تكون جاهزة خلال فترة اقصاها عشرة أيام ، (أي قبل أسبوع من بدء المفاوضات) وأن تعرض على اللجنة التنفيذية للمصادقة عليها .
- (٣) تكليف لجنة متابعة المفاوضات بوضع التصورات والخيارات والبدائل

بشأن اماكن التفاوض في ضوء الحديث الإسرائيلي عن طابا ، وفي ضوء الرغبة الأمريكية والإسرائيلية في نقل بعض المفاوضات الى المنطقة .

٤) تكليف لجنة متابعة المفاوضات بتقديم تصور حول طبيعة وشكل العلاقة ، بين الوفد الفلسطيني لمفاوضات المرحلة الإنتقالية مع الوفود العربية الأخرى ، والعمل على إزالة الشكوك والتوترات القائمة مع الأطراف العربية المتفاوضة .

٥) تشكيل لجنة قانونية استشارية ثابتة يكون مقرها بجوار لجنة متابعة المفاوضات واللجنة التنفيذية أي بقرب مركز صنع القرار .

٦) تشكيل لجنة خاصة تعنى بشؤون القدس من كل الجوانب ، المؤسسات ، المقدسات ، السكان ، الخدمات . . . الخ . .

٧) إعادة النظر في مهام وتشكيل الطواقم الفنية بما يمكنها من خدمة كل الوفود المتفاوضة ، وبناء مؤسسات السلطة الوطنية على نحو أفضل ، هذا وقد أرفقت لجنة وضع التصور هيكلية بتشكيلة الوفود المتفاوضة واللجان المساعدة اقترحت أن تتم دراستها لاحقا في لجنة متابعة المفاوضات .

بعد انتهاء اللجنة من اعمالها ، اعتبرت أنها قامت بواجبها . وأكد كل أعضائها أن تطبيق مشروعها ولو بنسبة ٥٠٪ يساعد على تنظيم العمل الفلسطيني ولو لبضعة شهور . إلا أن أبو مازن عاد ليقول يا خوفي أن تتبخر كل توصياتكم ومقترحاتكم الجميلة ، بعد آخر جلسة يعقدها المجلس المركزي . وهنا انبرى القادمون من الداخل للقول إذا تبخرت هذه التوصيات يصبح من المؤكد أننا مقبلون على فوضى كاملة تقود الى مصائب كبرى على أكثر من صعيد ، والله وحده يعلم ويقدر نتائجها . ثم راحوا يتحدثون عن مسؤولية الفصائل ، ومسؤولية ممثليها في اللجنة التنفيذية ، ومسؤولية كل عضو من اعضاء التنفيذية وفي مركزية فتح . وتساءلوا حول دور أعضاء التنفيذية وعدم مكاشفتهم لأبو عمار ، وعدم القول داخل الاجتماعات ما يقال خارجها . وعندها دعا أبو مازن

الجميع للجلوس في صالون الإستقبال وروى لهم قصة «الفيل بدو فيلة يا سلطان». وختتم حديثه بالقول هذه أضعف لجنة تنفيذية ، وأضعف لجنة مركزية للحركة فتح ، وأضعف قيادة فلسطينية . والمعارضة الفلسطينية ضعيفة وأضعف مما كنا نعتقد . معارضتها ضعيفة وحركتها باهتة . أما قيادة الداخل فهي والحمد لله مفككة ، صوتها ضعيف ، ودورها أجهض بسرعة ، (بختها) قيادة الخارج ، والفصائلية نخرتها وشلت دورها الموحد . بعض القاديين من الداخل قالوا صحيح (انصبغنا) . بعض الحاضرين من الخارج قالوا كلنا ساهمنا يا أبو مازن في ضيعهم ، وفي اضعاف دورهم ، ومن منا لم يساهم في ذلك ولم يفعلها فليرم الآخرين بحجر . قال أبو مازن هذا ممكن وقد يكون صحيحا . ويا خوفي أن نفشل في بناء دولتنا رغم نجاحنا في بناء كل دول الخليج .

في اليوم التالي حملت اللجنة اقتراحاتها وتوصياتها وذهبت لاجتماع القيادة الفلسطينية . تلا أبو زهدي النشاشيبي عضوا للجنة التنفيذية التوصيات . خلال نقاشها برز شبه اجماع على ضرورة مشاركة بعض أعضاء التنفيذية في السلطة وبهذا حسم الخلاف حول هذه النقطة . لا سيما وأن معظمهم إن لم يكونوا جميعاً مستوزرين . وأقلهم شأناً لم يكن قادراً على تصور نفسه خارج السلطة ، وخارج دائرة الإهتمام . والكل يعرف أن دخول أبو عمار في السلطة يعني انتهاء التنفيذية من الزاوية العملية . أما بشأن السلطة الوطنية ، وتشكيلها وعلاقتها مع التنفيذية والمجلس الوطني الفلسطيني ، وعلاقتها بالمجلس الانتقالي المؤقت والمفترض انتخابه ، فقد تعددت الآراء وتباينت المواقف . هناك من قال هذا موضوع هام وخطير وكبير ، ويجب عدم الاستعجال في أخذ القرار فيه ، ولا بد من أخذ بعض الآراء العربية . كما لا بد من جس نبض بعض الدول الكبرى . آخرون قالوا لا بد من دراسة نتائج قرار كهذا وخطوة كهذه على الاتفاق مع اسرائيل . فأى قرار نتخذه يجب أن يصب في صالح تنفيذ الاتفاق ، مع الحرص على عدم الخروج عن الاتفاق . بعض الحاضرين تساءلوا هل سيدخل أعضاء

التنفيذية الانتخابات وهل يحق لهم ذلك؟ البعض شدد وأكد على ضرورة التمسك بالانتخابات وضرورة اجرائها في الوقت المحدد لها في الاتفاق . آخرون قالوا الانتخابات فتنة واجراؤها يخلق لنا اشكالات بين الداخل والخارج ، وبين المجلس الوطني الفلسطيني ومجلس الحكم الذاتي . وسيصبح عندنا أعضاء مجلس وطني منتخبون وأعضاء آخرون غير منتخبين . . وظهر أن الأساسيين من قيادة فتح ، المشاركين في الاجتماع ، ضد الانتخابات خلال المرحلة الانتقالية كلها . وشاركهم الرأي عدد من أعضاء القيادة المقيمين في الخارج . أما القادمون من الداخل فقد أجمعوا على ضرورة الانتخابات . صحيح أن في الموضوع إشكالية ما ، وإن المعارضين على إجراء الانتخابات قد استخدموا بعض الحجج المنطقية ، لكن الصحيح أيضاً أنهم اخفوا خشيتهم على مراكزهم وعلى ضياع سلطتهم وفقدانها وخشيتهم من بروز سلطة فلسطينية ما منتخبة تستمد شرعيتها من ثقة الشعب وليس فقط من قوة الفصيل الذي تنتمي له أو من التاريخ القديم الذي ساهمت في صنعه . ولعل تشديد القادمين من الداخل على إجراء الانتخابات ، وقول بعضهم من أمثال فيصل الحسيني وحيدر عبد الشافي بأن الجسم الذي سينتخب سيكون هو الأساس ، لأنه على الأرض أولاً ، ولأنه منتخب ثانياً ، وقول بعضهم عندنا مؤسسات وعلى رأسها اناس أكفاء لا بد من بقائهم على رأس أعمالهم باعتبارهم خبراء ، أخاف جماعة الخارج أكثر ودفعهم نحو التشدد في رفض الانتخابات . .

باختصار كان الصراع نظرياً يدور حول بناء السلطة ، وحول أفضل الأشكال التي يجب أن يقوم عليها من أجل خدمة الشعب والقضية ، إلا أنه واقعياً وعملياً كان يخفي صراعاً حقيقياً مبكراً حول السلطة وحول المواقع التنظيمية والشخصية فيها . القانونيون هم أيضاً أدلوا بأرائهم ، قرأوا الاتفاق من زواياه القانونية ، رئيس اللجنة القانونية في المجلس الوطني قال : اعتراف اسرائيل بالمنظمة وعدم اشتراطها إلغاء الميثاق ككل وحصر الإلغاء في بعض بنوده ،

يعني في القانون الدولي اعترافاً ببقية الميثاق واعترافاً بقرارات المجلس الوطني . وهذا يعني أنها تقر بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وبوحدة الشعب ، وبحقوق اللاجئين . الدكتور المزاوي خبير قانون استدعي من لندن ليدلي برأيه . وفعلاً حضر واستمع للمناقشات ، وعندما طلب منه ابو عمار أن يقول رأيه قال جملة واحدة بالعربية : قررروا ما تريدونه بالسياسة وما ترونه مناسباً ، ونحن جاهزون لتقديم الفتوى القانونية اللازمة . وقال أيضاً جملة أخرى بالانجليزية Horses for courses ، وأيد ما قاله زميله أنيس القاسم رئيس اللجنة القانونية في المجلس الوطني ، بضرورة أن يكون للسلطة نظامها الأساسي ، والذي منه يتم الانطلاق في تنظيم الأوضاع الدستورية والقانونية للحكم الذاتي الانتقالي . وفي ذلك الاجتماع طال النقاش وتشعب ، وكادت الجلسة أن تتحول الى دردشة والى أسئلة يطرحها هذا الحاضر أو ذاك . عندها اختزل أبو عمار البحث ولخص حصيلة الاجتماع بالقول لا زال معنا بعض الوقت لاجراء المزيد من المشاورات والاتصالات بشأن السلطة . ولا تنسوا أننا كلفنا الرئيس زين العابدين بجس نبض الأمريكان ، وحتى الآن لم تتلق جواباً ومن الخطأ بروتوكولياً أن نتخذ القرار النهائي قبل أن نبلغ الرئيس التونسي . أما بشأن الدستور والنظام الأساسي ، أنا لست قليلاً ، لقد كلفت بعض الناس ووضعوا مشروعاً وهذا الشغل والله قمت به قبل الاتفاق . على كل حال سأحيله للدكتور أنيس وللجنة القانونية في المجلس الوطني ، ولهم القرار والخيار . المهم أن تشتغل اللجنة على الدستور والنظام الأساسي للحكم . المباشر والمهم هو تشكيل لجنة الارتباط العليا لأنها من المفترض أن تجتمع خلال أيام قليلة . واقترح أبو عمار أن يترك له وللتنفيذية أمر تشكيلها خلال ٤٨ ساعة وختم الجلسة بالقول اجتماع المجلس المركزي يا اخوان يوم ١٠/١٠ ومن الآن وحتى ذلك التاريخ نقول : قررنا من حيث المبدأ تشكيل السلطة الوطنية الفلسطينية ، والتشكيل الرسمي يتطلب قراراً من المجلس المركزي . وأضاف أريد أن أقول لكم ، في لبنان أخذت اتفاقاً صغيراً^(٥١) وكبرته حتى أصبح دولة سميت دولة الفاكاهاني ،

والكل يعرف أنني حكمت لبنان من خلال اتفاق القاهرة الصغير البسيط الذي جلبه لنا المرحوم جمال عبد الناصر ولا أريد ان استرسل في الحديث حول هذا الموضوع ،هدفنا كان وسيبقى خلق وبناء الدولة الفلسطينية . لكن أبو عمار نسي أن رابين يختلف عن الرئيس اللبناني الأسبق سليمان فرنجية . ولبنان كشعب وكنظام يختلف عن إسرائيل . وظروف اتفاق القاهرة عام ٦٩ ، تختلف عن ظروف اتفاق أوسلو عام ١٩٩٤ .

المجلس المركزي يصادق على الاتفاق بدون صراع

على أبواب اجتماعات المجلس المركزي امتلأت فنادق العاصمة التونسية بالوفود الصحافية ، الأجنبية والعربية . وكان الوفد الصحافي الاسرائيلي اكبرها . الجميع مهتم بنقل وقائع جلسات المجلس المركزي ، فالاتفاق الفلسطيني والاسرائيلي الذي وقع في البيت الأبيض كان ولا زال يحتل صدارة الأحداث الدولية . ولم يؤثر تصاعد الاشتباكات في البوسنة ، وتطورات الوضع في ^(٥٧) جنوب أفريقيا على الاهتمام العالمي المتزايد باتفاق أوسلو . وخلال ذات الفترة امتلأت الضيافات الفلسطينية في تونس بأعضاء المجلس المركزي القادمين من الساحات الأخرى ، وبالمراقبين المدعويين لحضور هذا الاجتماع الهام . ولإظهار تأييد الشعب الفلسطيني في مختلف اماكن تواجده للاتفاق ، وللتغطية الكاملة على مقاطعة المعارضة الفلسطينية للاجتماع ، دعا ابوعمار فلسطينيين من مختلف الساحات . من داخل اسرائيل دعا فلسطينيين من النقب والمثلث والجليل ، كلهم جاؤوا في إطار وفد الحزب العربي الديمقراطي ، وتحت قيادة عضو الحزب في الكنيست الاسرائيلي ، طلب الصانع وهو فلسطيني من بدو النقب . كما وصل الى تونس وفد موسع من الضفة والقطاع ، كلهم من كوادر فتح ، ومن الشخصيات الوطنية المحسوبة على فتح وعلى أبوعمار بالذات ، وحضور الشبيبة الفتحاوية كان هو الأبرز . كما وصل أيضاً مراقبون من الأردن ولبنان وبلدان المهجر . وفي حينها جرت اقاويل وأحاديث كثيرة حول الكلفة المالية لحشد هذا العدد الكبير . عدد أعضاء المجلس ١١٠ ، والمدعوون زادوا عن ٢٠٠ ، والمنظمة مفلسة ، وبعض العاملين في مؤسساتها المدنية والعسكرية لم يستلموا رواتبهم منذ بضعة شهور . وأسر الشهداء في لبنان يعانون الأمرين ، يشحذون الملح ، ويكادوا ان يموتوا من الجوع . وكلفة المدعويين لن تقل عن ربع مليون دولار . وقد تصل الى ما يقارب نصف مليون دولار .

قبل يوم ١٠/١٠ جرى نقاش وراء الكواليس الفلسطينية حول مكان عقد الدورة ،واقترح البعض ان يكون في عمان ، فالكلفة هناك اقل ، ومن عمان يمكن نقل وقائع الاجتماع مباشرة على الهواء ، بحيث يستطيع اهل الأرض المحتلة مشاهدته ومتابعته أولاً بأول وساعة بساعة . إلا أن أبو عمار رفض الفكرة . وقال إذا كان لا بد من البث المباشر فأنا سأستأجر ساعات من الأقمار الصناعية أو أعقده في القاهرة .

مساء يوم ١٠/١٠ بدأ الأعضاء والمراقبون والمدعوون بالتوافد الى مدرسة القدس (الفلسطينية) ، الواقعة في إحدى ضواحي العاصمة التونسية . دخل الأعضاء واحتلوا مقاعدهم المخصصة لهم ، ووجدوا امامهم ملفات يتضمن كلا منها جدول الأعمال ووثائق الاتفاق كاملة ، بما في ذلك المحضر الملحق الذي اعتمد كجزء من الاتفاق . ورقة وحيدة لم توزع ولم تقرأ ولم تنشر حتى الآن . هي تلك السطور القليلة التي سلمها الاسرائيليون الى هولست وزير خارجية النرويج ، والتي تقول لا مساس في المرحلة الانتقالية بوضع المؤسسات الفلسطينية الموجودة في القدس . الكل لاحظ حضور شفيق الخوت فهو الوحيد من المستقلين الذي لم يقاطع الاجتماع . عند وصوله مدخل مدرسة القدس سلطت الأضواء عليه ، وانهارت عليه أسئلة كثيرة من الصحفيين ومراسلي وكالات الأنباء . ولاحظ الصحفيون العرب الجانب حضور أبو مازن . وتعرض هو الآخر لأضواء اعلامية قوية ، بعضها كان باعتباره صانع اتفاق أوصلو ، وبعضها الآخر بسبب حضوره ، فالأزمة القائمة بينه وبين أبو عمار كانت مدار الحديث في تونس ومعروفة لكل الصحفيين ومراسلي وكالات الأنباء العربية والعالمية .

في مجال تسريب الأخبار وانتشار المعلومات هناك تشابه بين الفلسطينيين والاسرائيليين . هكذا قال معظم أعضاء الوفد الصحافي الاسرائيلي . والكل استغرب كيف تمكنت القيادتان الاسرائيلية والفلسطينية من كتم سر أوصلو .

كل مراقب للتسريبات عند هذا الطرف أو ذاك ، يعتقد أن هناك تسابقاً بين الجانبين على الفوز في هذا المضمار . اخبار اجتماعات التنفيذية ، ومركزية فتح ، وكل اللجان السياسية والاقتصادية والتنظيمية . الخ . تكون في الشارع ، وفي المكاتب ، ومدار حديث المنازل في تونس بعد أقل من أربع وعشرين ساعة . وبعدها تنشر في الصحف والمجلات كل حسب درجة اهتمامه بها . وذات الشيء يحصل مع اجتماعات مجلس الوزراء الاسرائيلي ، واجتماعات الأحزاب الحاكمة وغير الحاكمة في اسرائيل . هذه الظاهرة لها حسناتها ولها سلبياتها ، حسناتها عند الاسرائيليين أكثر منها عند الفلسطينيين . فهي عندهم تساعد في تنشيط الرقابة والديمقراطية على عمل المؤسسات . أما عند الجانب الفلسطيني فاستخدامها لا يتعدى التندر بها ، وتشريحها ، وقضاء بعض الوقت في التعليق عليها . في هذا المنزل أو ذاك المكتب .

قبل وصول أبو عمار الى قاعة الاجتماع ، جلس أبو الأديب عضو اللجنة المركزية لحركة فتح ، ونائب رئيس المجلس الوطني الفلسطيني ، على منصة الرئاسة . وجلس بجانبه فقط محمد صبيح عضو هيئة رئاسة المجلس . فقد جرت العادة أن يترأس الشيخ المسائح رئيس المجلس الوطني اجتماعات المجلس المركزي . كل الحاضرين وكل المراقبين والصحافيين لاحظوا غياب عمامة سيدي الشيخ عبد الحميد السايح . حقاً لقد كان وجوده مميزاً دائماً . رجل قارب التسعين وكان ولا زال يعمل بحيوية ونشاط . كان يدير الجلسات بلا كلل . يسهر الليل كما يسهره أبو عمار ، ويرفع صوته ويضرب على الطاولة إذا لزم الأمر . عاصر العثمانيين في فلسطين ، وعاصر البريطانيين والاسرائيليين الأوائل والأردنيين وكل القيادات الفلسطينية التي تعاقبت على قيادة العمل الوطني والمنظمة ؛ ولم يزهق ولم يمل . استقالة الشيخ السائح من رئاسة المجلس الوطني ، وبالتالي المركزي ، قديمة سبقت كل الاستقالات . أسبابها ودوافعها كما تناقلتها وكالات الأنباء والصحافة الأردنية والعالمية ، لا تختلف في الجوهر

مع الدوافع والأسباب التي ساقها أعضاء التنفيذية الذين استقالوا بعد اوسلو . هم ركزوا على التنازلات الفلسطينية في اتفاق اوسلو . أما هو فقد ركز على التنازلات في المفاوضات قبل الاتفاق . وكل المستقلين اجمعوا على إظهار الفردية ، والمحسوبية وسوء إدارة أعمال الصندوق القومي ، وعدم الاشراف في صنع القرار ، وعدم معرفة ما يدور في السياسة والمال والتنظيم . الخ . . كأسباب أخرى . أما غياب تيسير قبعة المساعد الثاني لرئيس المجلس الوطني فلم يثر انتباه الأعضاء ولا المراقبين ولا الصحفيين . بعد وصول أبو عمار قاعة المجلس ، افتتح أبو الأديب الجلسة بدعوة الجميع الى الوقوف دقيقة صمت إكراماً وإجلالاً لأرواح الشهداء ، دخل بعدها في تثبيت النصاب . بعد حصر العدد ثبت غياب ٢٧ عضواً وحضور ٨٣ . ولم يمر موضوع العضوية دون تعليق من أبو عمار حيث قال : الحضور كما توقعنا ، هناك يا اخوان خمسة أو ستة على الطريق ، وهناك مرضى ارسلوا لي اعتذاراتهم مع أصواتهم ، ساقراها عليكم عند التصويت على القرارات الأساسية . بعد تثبيت شرعية الجلسة ، رحب أبو الأديب بالضيوف والمراقبين ، وشدد على ضرورة الالتزام بوضع بطاقات العضوية في أماكن بارزة . وضرورة جلوس الجميع في الأماكن المخصصة لهم . بعدها مباشرة أعطى الكلمة لأبو عمار ، قائلاً كما جرت العادة نبدأ بكلمة رئيس اللجنة التنفيذية ، ثم نستمع للضيوف من اخواننا ومن الأشقاء . أما المراقبون فلهم الحق في المشاركة في المناقشات ، مثلهم مثل الأعضاء دون احتساب اصواتهم .

بدأ أبو عمار كلامه بالحديث عن مدلولات ومعاني وجود ممثلين عن الشعب الفلسطيني ، من المثلث وبئر السبع والنقب والجليل . قال المطروح هو المصادقة على إعلان المبادئ . وهذا أمر خطير ، يمس وجود ومستقبل الشعب الفلسطيني كله . ولهذا هم هنا ليشاركونا الرأي . ثم انتقل الى الحديث عن المفاوضات . وتعتمد الاشادة بصورة مبالغ فيها بدور الوفد الفلسطيني الذي قاده الدكتور حيدر

عبد الشافي . لدرجة أن بعض العارفين ببواطن الأمور قالوا هذه لحظات وداع الوفد وشطبه نهائياً ، هذا إذا قبلوا هم الاستمرار . تحدث عن الاتفاق ، وقال فيه نواقص كثيرة ، ولكن الماركسيين نسوا أن كل الاتفاقات هي نتاج لموازن قوى . هم لم يأخذوا كل ما يريدونه ونحن لم نأخذ كل ما نريد . ولا تنسوا أن قريش وجدت في كلام الله نواقص . واستعرض أبو عمار تاريخ العلاقة مع الأمريكان ، ومسار التسوية في المنطقة على مدار سنوات . وذكر الحاضرين بأن المنظمة كانت مستهدفة للشطب على مدار ربع قرن . لكنها الآن باتت حقيقة سياسية موجودة ، ضمن الخارطة السياسية للمنطقة . ومن يتواجد على الخارطة السياسية يتواجد على الخارطة الجغرافية . وطمأن الجميع بأن الدولة قادمة . وختم مداخلته الطويلة والتي معظمها كان مكرراً بالنسبة لمعظم الحاضرين ، وخاصة الأعضاء العاملين المتواجدين في تونس ، بالقول أنا وأخي وحبيبي أبو مازن ، ندعوكم للموافقة على الاتفاق . والتاريخ هو الذي سيحكم علينا أجمعين . ثم تلى آية قصيرة من القرآن ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض﴾ وأضاف هذا وعد الله لكم ولأهلنا داخل وخارج الوطن المحتل .

بعد مداخلة أبو عمار مباشرة أعطيت الكلمة للسيد طلب الصانع ، وهو عضو في الكنيست الاسرائيلي ، ولهجته تدل على أنه من بدو بئر السبع القاطنين جنوب فلسطين . شاب في منتصف الأربعينات . عند إعطائه الكلمة صفق الحاضرون له طويلاً ، لا سيما وأنه كان أول مرة يزور فيها تونس ، يلتقي القيادة الفلسطينية . عبد الوهاب الدراوشة وجه مألوف للقيادة ، أما طلب فهو جديد عليها . بدأ طلب خطبته بانفعال وحماسة . واختار لها شعراً حماسياً «إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر» . . الأيام بعدت بيننا وفرقتنا عن بعضنا البعض لكننا بقينا فلسطينيين ، ونهتف سجل أنا عربي . حاولوا صهينتنا لكننا قاومنا بصمت . نحن في مرحلة من المراحل اتهمنا بالخيانة لكن

وطنيتنا وفلسطينيتنا عبرت عن نفسها بقوة . نحن وفد قدم إليكم من الحزب العربي الديمقراطي ، من النقب والجليل والناصرة والمثلث وعكا وحيفا والخليل . . مدن الآباء والأجداد . قاطعه أبو عمار ليقول أنتم شجرة الزيتون المباركة . بعد المقدمة الحماسية هدأ طلب من حدة كلامه ، وتحدث عن المزايا التي يوفرها الاتفاق للنضال الفلسطيني من أجل الدولة والعودة . . قال غزة وأريحا أولاً والكل يعرف ، بما في ذلك الكنيسة الاسرائيلي أن القدس ثانياً . لم يطل الخطيب في الكلام ، اختزل وختم كلامه بالاشادة بموقف القيادة الفلسطينية ، وبحكمتها وشجاعتها ، على اتخاذ القرار بالتوصل الى اتفاق سلام . ودعا الحاضرين الى المصادقة على الاتفاق .

بعد كلمة طلب الصانع همس أبو عمار في أذن أبو الأديب ، فأعطى الكلمة لأبو جريس (الياس فريج) رئيس بلدية بيت لحم . معظم الحاضرين استغربوا الأمر لأن أبو جريس ليس ضيفاً . مثله مثل حيدر عبد الشافي وفيصل الحسيني وحنان عشراوي ، ومثل كل القادمين من الضفة والقطاع . هو عضو مثلهم ، وهو قادم مع آخرين . فوجئ أبو جريس كما فوجئ الآخرون ، إلا أنه وجدها فرصة ليرد لأبو عمار التحية . . أكرمه أبو عمار بالكلمة فرد أبو جريس بالاشادة بخصائل أبو عمار . هنأه على الانجاز التاريخي ، وأشاد بحكمته . قال هذا أهم اجتماع فلسطيني منذ ٥٠ سنة ، عاصرت كل العهود ، وعشت كل مراحل القضية أكثر من نصف قرن . من خبرتي أقول لكم أن الاتفاق سيوصلنا للدولة ، وبأقرب مما يتصور الكثيرون . ناشد الجميع الموافقة على الاتفاق . قال الشعب لم يقرأ النصوص ولم يهتم بها ، فهو بحسه الوطني اعتبره أكبر انتصار . عمت الفرحة جميع الضفة والقدس وغزة . وقامت المظاهرات ، ورفعت الأعلام ، وهذا أكبر وأهم استفتاء شعبي على الاتفاق ، وعلى قيادتكم للمسيرة يا أبو عمار . بعد هذه المداخلات اتضح للحاضرين هدف أبو عمار من تخصيص أبو جريس بالكلمة . فالى جانب ما قاله أراد أبو عمار أن يبرز للعالم من خلال

الحشد الاعلامي ، الوجود المسيحي في فلسطين . وأن يقول أن هذا الوجود معزز
مكرم ، وكلمته مسموعة ، وموقعه في السلطة محفوظ . قبل الانتفاضة كان أبو
جريس والجعبري وحنا سنيورة وآخرون من أمثالهم موضع هجوم من الفصائل
اليسارية التي كانت تعتبرهم يمينيين ورجعيين و كثيراً ما ورد اسم أبو جريس
في بيانات المقاومة الفلسطينية ، كنموذج ومثال للرجعية المعادية للمنظمة . في
الفترة الأولى من عمر الانتفاضة هوجم أبو جريس ، وجرت عدة محاولات
للاعتداء عليه . في مرحلة المفاوضات لمع نجم أبو جريس ، وراح أبو عمار يحاول
استثمار علاقته مع الدول الأوروبية . لا شك أن إعطاء الكلمة لأبو جريس
وتغيير القوى اليسارية موقفها منه تعبير عن المنحى الواقعي الذي سارت فيه
الاضواء الفلسطينية . ومؤشر على المسافة التي قطعتها على هذا الطريق .

بعد كلمة أبو جريس ثبت أبو الأديب جدول الأعمال . وفتح الباب
للاستفسارات . بعدها دخل المجلس في مناقشة الاتفاق . ابرزت
المناقشات وجود ثلاثة اتجاهات . الاتجاه الرئيسي الأول هو المؤيد للاتفاق وهو
الأغلبية . بعضه مؤيد عن وعي وعن قناعة بعملية السلام ، وعن فهم للواقع
المحلي والاقليمي والدولي . بعضه الآخر مؤيد لأن أبو عمار والرئيسيين من
قيادة فتح مع الاتفاق . وهؤلاء يعرفون أن مخالفة رأي أبو عمار ثمنه ليس
بسيطاً . أقله تقليص البجحة والامتيازات . أما الاتجاه الثاني فيضم المترددين
بين تأييد الاتفاق وبين معارضته . بين ثقافتهم القومية والدينية والحزبية السابقة
والتي لا زالت راسخة في العقول ، وبين الواقع وما يمكن أن يعطى للفلسطينيين
في هذه المرحلة . فهم يفضلون التريث ، وبعضهم يفضل الحفاظ على النقابة ،
والطهارة الثورية . والابتعاد عن التلوث بالدنس . بعض هذا التيار أقرب في قلبه
وعقله ولسانه الى المعارضة . إلا أنه اختار لنفسه هذا الموقع لأن أذاه عند أبو
عمار والقيادة أقل من الأذى الذي ينتج عن المعارضة الصريحة والمباشرة . ولأنه
لا يرى بديلاً عملياً . أما الاتجاه الثالث فهو المعارض للاتفاق ، وهو الأقلية .

وزنه الحقيقي أكبر بكثير من الموجود في المجلس . لكن غياب أقطابه الرئيسيين ، وقواه الأساسية أضعف ثقله داخل المجلس ، ولم يُقوِّه في الشارع الفلسطيني . أعضاء الشعبية والديمقراطية غابوا . كذلك أبرز المستقلين المعارضين ، أمثال محمود درويش ، وعبد الله حوراني ، وخالد الحسن ، وعصام عبد الهادي . من الداخل لم يأت أي صوت معارض للاتفاق بسبب اختيارهم موقف الاستنكاف أسوة بقيادة المعارضة الموجودة في الخارج . ولم يخل هذا الاتجاه أيضاً من وجود بعض الأفراد ، الذين اختاروا المعارضة لإرضاء لهذا النظام العربي أو ذاك .

لقد أكبر معظم أعضاء المجلس حضور (أبا نادر) شفيق الحوت . وقدروا له موقفه واحترموه . استمعوا له جيداً عندما عرض وجهة نظره . ودافعوا عن حقه في متابعة كلامه دون مقاطعة عندما قاطعه أبو عمار أكثر من مرة . صفقوا له قبل الكلام ، وكان التصفيق أقوى في نهايته . هذا الاحترام والتقدير لم ينله أي من المعارضين الآخرين ، الذين تحدثوا أمثال ناصيف عواد ، ممثل جبهة التحرير العربية ، وأحمد صدقي الدجاني ، وصالح البرغوثي . مواقف المعارضين كانت معروفة قبل الاجتماع . وفي الاجتماع سجلوا انتقاداتهم ومآخذهم على الاتفاق . إلا أن السمة الطاغية على مواقفهم كانت دفاعية وليست هجومية ، وثرغتهم الأساسية كانت غياب المشروع البديل . لم يقدموا اقتراحات عملية ، سوى حديث عن تصعيد الانتفاضة ، والانتظار ريثما تتغير موازين القوى . والاعتماد على أن لا تسوية في المنطقة دون تسوية القضية الفلسطينية .

مواقف المؤيدين للاتفاق هي الأخرى كانت معروفة قبل الاجتماع . وفي الاجتماع نظموا افكارهم وتوزعوا الأدوار فيما بينهم ، وأكمل بعضهم بعضاً . ايدوا معظم ملاحظات المعارضة ، وبعضهم أضاف عليها . قالوا هذا ما استطعنا انتزاعه ولا ندعي أنه كامل ، لكنه في الوقت نفسه ليس بقليل ، ويصلح كأساس للبناء . من أبرز من دافع عن الاتفاق كان أبو مازن وياسر عبد ربه وأبو علاء وبشير البرغوثي إضافة لأبو عمار . اصوات المراقبين كانت كلها لصالح

الاتفاق . ولعل كلمة شبيبة فتح التي ألقاها أحمد غنيم القادم من الداخل ، كانت أكثر الكلمات تأثيراً في الحاضرين ، تكلم بانفعال وصدق ومن الأعماق ، شاب وفي ربيع الشباب . عكس بايمان عزيمة شبيبة فلسطين على الامساك بالاتفاق كورقة وكسلاح ، يستخدمونه في نضالهم من أجل تحقيق أحلام وطموحات الأجيال الفلسطينية ، في العودة وتقرير المصير وبناء الدولة . قال بصوت جهوري واثق من نفسه ومن شعبه . أن تقود يعني أن تتصدى للقرارات الصعبة . الشعب لم يقرأ الاتفاق لكنه خرج الى الشارع دعماً وتأييداً له . لولا الانتفاضة لما كان هذا الاتفاق . ولما سمعكم العالم ، ولما جلس معكم العدو . أحسنوا قطاف الثمار ولا تتركوها تضيق سدى . سنحاصر المستوطنين والمستوطنات ، اقتصادياً وبشرياً ، وسنرحلها حتى لو لم ينص الاتفاق على رحيلها . سنفرض حقائق جديدة على الأرض توصلنا للدولة والسلام .

كلمة اخرى أثرت في الحاضرين وشدت انتباههم . هي كلمة أبو مازن وخاصة جملتها الأخيرة التي ختم بها الكلام حيث قال : «الاتفاق قاسم مشترك بين مواقف عدوين . يحمل في بطنه دولة مستقلة ، وقد يتحول الى تكريس للاحتلال لسنوات أخرى . وهذا يتوقف على أمرين ، الأول كيف سندير المفاوضات القادمة . أما الثاني وهو الأهم كيف نبني المؤسسات . عقل الثورة غير عقل الدولة . علينا أن نفكر بعقل جديد ، ونلبس أثواباً جديدة . ساهمنا في بناء دول الخليج والأردن وسوريا ، فهل نحن قادرون على بناء دولتنا؟ . هل سننجح؟ . أقول لكم صراحة يدي على قلبي ...

بعد استكمال المناقشات والتي استغرقت مدة يومين كاملين كانت خلالهما كل الأبصار السياسية والدولية مشدودة نحو الاجتماع أقفل النقاش وتم التصويت أمام عدسات التلفزيون . وكانت النتيجة ٦٣ مع الاتفاق ،

٨ ضده وهم : شفيق الحوت ، أحمد صدقي الدجاني ، صالح البرغوثي ، عبد المجيد التايه ، محمد ملحم ، أبو العباس ، ابراهيم العتر ، نادر اسعد التميمي .

وامتنع تسعة عن التصويت ، وتغيب ثلاثة عند التصويت .

وبهذا صادق الفلسطينيون والاسرائيليون رسمياً على الاتفاق . وصارت العبرة في التنفيذ . ومنذ ذلك التاريخ وحتى الآن لم يعد الاتفاق ملكاً لمن صاغوه ، ولا لمن وقعوا عليه ، ولا لمن صادقوا عليه . بل أصبح ملكاً للمجتمع الدولي عامة ولللقوى الدولية الكبرى خاصة . وأظنه وجد لينفذ بغض النظر عن الصيغ والأشكال التي سينفذ فيها . وبعد المصادقة على الاتفاق أقر المجلس بأغلبية ٦٨ صوتاً ومعارضة ٣ وامتناع واحد^١ الموافقة على إقامة السلطة الوطنية الفلسطينية على كل الأراضي الفلسطينية المحررة والتي سيتم الانسحاب منها^٢ . ويفوض المجلس اللجنة التنفيذية ، وفقاً لقرار المجلس الوطني الفلسطيني ، تشكيل هذه السلطة من الداخل والخارج وأن تكون م . ت . ف . مرجعيتها وأن يرأسها رئيس اللجنة التنفيذية^٣

القسم الثالث

إتفاق أو سلو والمستقبل

بعد هذا العرض لوقائع قصة أو سلو، وبعد الإدلاء بهذه الشهادة أعتقد أن من حق القاضي، (والقاضي هنا هو القارئ، والتاريخ، ومستقبل الأجيال (اللاحقة) أن يسأل كل الأسئلة التي تمكنه من إصدار حكمه العادل والنزيه، في القضية المعروضة عليه. لا سيما أنها تمسه مباشرة، وتقرر له وضعه الحالي ومستقبله ولسنوات طويلة. ومن الطبيعي أن يكون واجب الشاهد الإجابة بأمانة عن كل الأسئلة. لا سيما وأنه صاحب وجهة نظر، وغير محايد. وتبرع عن قصد بالإدلاء بشهادته. ولعل السؤال الرئيس المطروح هو: وماذا عن المستقبل؟ هل هذا الإتفاق قادر على البقاء وعلى التعمير طويلاً؟ أم أن عمره قصير وسيتوفاه الله عما قريب؟ وهل يقرب أهله والمشرفين على ولادته، من تحقيق اهدافهم التي حددوها لأنفسهم عندما دخلوا المفاوضات؟. وهل هذا الإتفاق سيوصل الفلسطينيين والإسرائيليين الى سلام عادل وشامل ودائم أم الى تسوية مؤقتة وقصيرة الأمد؟

انطلاقاً من المقولة السياسية بأن الأمور تقاس بنتائجها وخواتيمها، فإن تقييم المستقبل البعيد للإتفاق الفلسطيني - الإسرائيلي الآن مغامرة فكرية، وعملية ليست هينة، وقد يكون من السابق لأوانه إعطاء مواقف جازمة بشأن النتائج النهائية له على المدى البعيد، على اوضاع اصحابه وعلى المنطقة ككل. لا سيما وأنه لم يبلغ من العمر عاماً واحداً، وفيه الكثير من الأمراض الخطرة. ومنطقة الشرق الأوسط منطقة المفاجآت. منطقة متقلبة، دور الحاكم الفرد فيها لا زال هو الحاسم. وعلى كل حال، إذا كان تقويم الكائنات الحية يظل ناقصاً إذا لم يتابعها المرء طوال مراحل حياتها، فإن تقويم مستقبلها المباشر والقريب ممكن. وقد يكون دقيقاً إذا بني على أسس موضوعية مجردة من الرغبات

الذاتية والمواقف المسبقة .

بغض النظر عن كل الآراء المؤيدة ، أو المعارضة للإتفاق أو المتحفظة عليه ، المتفائلة أو المتشائمة أو المتشائلة (حسب تعبير أميل حبيبي) ، فالشرق الأوسط دخل بعد الإتفاق الفلسطيني - الإسرائيلي أعتاب مرحلة جديدة تختلف نوعياً عن كل المراحل التي مرت به . ولا يمكنه أن يعود الى ما كان عليه قبل بدء عملية السلام في مدريد عام ٩١ ، أو قبل توقيع اتفاق اوسلو . وبغض النظر عن المستقبل البعيد ، فالإتفاق بحد ذاته نقطة فاصلة بين حقبة قديمة عاشتها المنطقة وأخرى جديدة لا زالت في طور التشكل والتكوين . ومسار حركة التاريخ يؤكد ، أن انتقال الشعوب من حقبة تاريخية الى أخرى نوعية جديدة ، يستوجب المرور في مرحلة أو مراحل انتقالية يتخللها جذب وصراع ، قد يطول وقد يقصر ، بين الماضي القديم فكراً وأدوات ، وبين الجديد القادم بفكره ، والقادر على خلق أدواته ، وإيجاد كل المستلزمات الضرورية لفرض الذات . والمؤكد حتى الآن أن اتفاق اوسلو هز أوضاع الفلسطينيين والإسرائيليين هزة عنيفة . وساهم بفعالية في دفع المفاوضات الأردنية - الإسرائيلية خطوات الى الأمام . وساعد في تمكين الطرفين الأردني والإسرائيلي من التوصل الى الإتفاقات التي توصلوا لها حتى الآن .

وإذا كانت مسارات المفاوضات السورية اللبنانية - الإسرائيلية ، لا زالت متعثرة فالواضح أن الإتفاق الفلسطيني - الإسرائيلي ، والأردني - الإسرائيلي ، وما تبعهما أو قد يتبعهما من خطوات عملية هنا أو هناك ، سوف تساهم في تسريع تلك المفاوضات . والشيء ذاته سوف يكون فعلها في المفاوضات المتعددة الأطراف ، التي يشارك فيها أكثر من أربعين بلداً من بلدان العالم من ضمنها ١٦ دولة عربية . ومهما تأخر الإتفاق السوري - الإسرائيلي أو اللبناني - الإسرائيلي ، فالمؤكد أن ملفات الحروب في الشرق الأوسط قد أغلقت منذ تاريخ الإتفاق الفلسطيني - الإسرائيلي والى إشعار آخر ، وطويت معها ملفات حالة

اللاحرب واللاسلم التي بنيت عليها بعض الإستراتيجيات المتصارعة في المنطقة ، وان تقدم المفاوضات التطبيقية اللاحقة ، سيرغم أطراف الصراع على أحداث تغيرات جذرية على استراتيجياتهم الأمنية ، والعسكرية ، والسياسية ، والإقتصادية ، هذا إذا لم يكونوا قد غيروها حتى الآن ، وعلى فتح ملفات جديدة ، لعلاقات جديدة . حدها الأدنى تجميد التفكير في حل الخلافات بالوسائل العسكرية ، طيلة العقد القادم على الأقل . أما بشأن الإجابة عن الأسئلة المباشرة المتعلقة بمستقبل الإتفاق ومنها :

هل الإتفاق قادر على الحياة وعمره طويل؟

إن الإستقصاء الدقيق لظروف ولادة اتفاق أوسلو ، وبأوضاعه الحالية ، وبالظروف المحيطة به الآن ، يؤكد أنه ولد بشكل شبه طبيعي في ظروف خاصة وبإشراف دولي خاص لم يفرض قسراً على الطرفين من قبل جهة ثالثة ، بل تم التوصل اليه بين الممثلين الشرعيين لهما . ووقع من قبلهما بمحض إرادتهما ، ودون إكراه من أي طرف آخر . صحيح أنه وجد منذ لحظة ظهوره للحياة من يعارضه عند الطرفين ، ومن يهدده بالقتل والإغتيال ، إلا أن الأغلبية من الفلسطينيين والإسرائيليين تقبلوه عند الولادة ، ووفروا له ، هم والعديد من القوى الدولية والإقليمية عناية فائقة ، ورعاية عالية ، وحماية قوية ، ومناخاً ملائماً . مكنته من النمو بتسارع شديد ، وتبعته اتفاقات تفصيلية^(٥٣) أخرى . وفرض ذاته على وقائع الحياة اليومية عند الفلسطينيين والإسرائيليين وكل أهل المنطقة . والإتفاق منذ توقيعه في حديقة البيت الأبيض يوم ١٣/٩/٩٣ لم يعد ملكاً خاصاً لمن صاغوه أو وقعوه أو صادقوا عليه . وهو لم يكن أصلاً نتاج جهودهم وحدهم . بل نتاج موازين قوى دولية وإقليمية ومحلية فلسطينية عربية - إسرائيلية . وأصبح بعد توقيعه ملكاً للمجتمع الدولي عموماً ولللكوى الدولية الكبرى على وجه الخصوص . مثله مثل كل الإتفاقات الدولية الكبرى التي عرفها التاريخ ، وخاصة تاريخ القرن العشرين . ويتأمل مواقف ومصالح الدول الكبرى على المدى المباشر والقريب ، وخاصة موقف الولايات المتحدة ومصالحها الشرق اوسطية .

يمكن استنتاج أن اتفاق إعلان المبادئ وما تلاه من اتفاقات أخرى ستحظى بالمستوى ذاته من الرعاية والعناية الدولية اللتين حظيت بهما كل عملية السلام منذ انطلاقتها وحتى الآن . فظروف الوفاق الدولي وانتهاء الحرب الباردة ، وولادة النظام الدولي الجديد ، التي ولد في ظلها اتفاق أوسلو ، مرشحة للإستمرار في السيطرة على العلاقات الدولية لسنوات طويلة قادمة . والأمر ذاته

يمكن قوله عن موازين القوى ، التي دفعت بطرفي الصراع الى التوصل له والقبول به ، والتوقيع عليه . ومن غير المتوقع على مدى عقد من الزمن على الأقل بروز متضررين دوليين من الإتفاق الفلسطيني - الإسرائيلي ، أو من نتائجه التي تحققت حتى الآن ، وتلك التي يمكن أن تظهر في الأعوام القليلة القادمة . ولا شك في ان انتهاء حالة الحرب بين الفلسطينيين والعرب من جهة ، وإسرائيل من جهة أخرى سيخلق حالة من الإستقرار النسبي ، تتيح لكل الدول الصناعية الكبرى توسيع استثماراتها في عموم منطقة الشرق الأوسط . والواضح أن الولايات المتحدة صاحبة مبادرة السلام وراعية المفاوضات ، كانت وستبقى المستفيد الأكبر من الإتفاق الفلسطيني الإسرائيلي ، من بين كل الدول الكبرى التي شاركت في رعاية عملية السلام ، ودعمت الإتفاق . فالإدارة الأمريكية بإطلاقها مبادرة السلام في ٦ آذار ، وتنظيمها دور التجمعات الدولية في العملية ، عززت دورها وموقعها القيادي المقرر في الوضع الدولي . وأعطته صيغته العملية الملموسة ، وبخاصة في علاقاتها مع روسيا وأوروبا والصين واليابان . فقد كانت المفاوضات الفلسطينية - الإسرائيلية والعربية - الإسرائيلية ، في الثنائيات ومتعددة الأطراف ، ميدان ترويض وتعويد للقوى الدولية والإقليمية على الانضباط ، في إطار نظام علاقات دولية جديد ، تقوده الولايات المتحدة الأمريكية بصورة منفردة . وبما أن اتفاق أوسلو ثبت تواصل المفاوضات الفلسطينية - الإسرائيلية خمس سنوات أخرى على الأقل ، فالثابت أن الشرق الأوسط ، ومفاوضات السلام ، ستبقى ميداناً رئيسياً تواصل الإدارة الأمريكية فيه مزيداً من الترويض والتعويد للقوى الدولية والإقليمية على الانضباط والالتزام بما تقرره لها في إطار النظام الدولي الجديد . وسيصبح الشرق الأوسط ميداناً دولياً تستعرض فيه الولايات المتحدة هيمنتها وهيبتها وقدراتها ، وتعزز منه وفيه نفوذها مثل دول أمريكا اللاتينية تقريباً .

والإتفاق الفلسطيني - الإسرائيلي وما تلاه من اتفاقات أخرى جعل من

الولايات المتحدة الأمريكية شريكاً في عملية السلام بمراحلها اللاحقة . وفرض على طرفي الإتفاق التزامات محددة تجاه هذا الشريك ، وارتباطاً أقوى به . أما الإتفاقات اللاحقة على المسارات الأخرى العربية - الإسرائيلية ، فالواضح أنها تسير في الإتجاه ذاته . وإذا كان الإتفاق الفلسطيني - الإسرائيلي ، وبعده الأردني - الإسرائيلي ، قد عززا النفوذ السياسي والإقتصادي للإدارة الأمريكية في المنطقة ، فالمقدر للإتفاق السوري - الإسرائيلي القادم ، تعزيز الحضور العسكري للولايات المتحدة ، لا سيما وأن كلا الطرفين السوري والإسرائيلي يرحب بمثل هذا الحضور .

وبالتدقيق في الوجه الآخر للإتفاق الفلسطيني - الإسرائيلي ، أي سلبياته على الأطراف المشاركة والراعية ، فالواضح أن محصلته الإجمالية ، ربح صاف للولايات المتحدة حيث لم يلحق بها خسائر تذكر . وهذه النتيجة سوف تحفزها على مواصلة رعاية الإتفاق ، والإستمرار في رعاية كل المفاوضات اللاحقة ، لتواصل حصد المزيد من المكاسب والأرباح ، بما فيها توظيف الإمكانيات الإقتصادية للشرق الأوسط ، وخاصة بترولها ، في خدمة استراتيجيتها الإقتصادية وفي صراعها مع القوى الإقتصادية الصاعدة دولياً ، مثل اليابان وأوروبا الموحدة . وتذكر الإدارة الأمريكية أن موت إتفاق اوسلو ، أو فشل المفاوضات اللاحقة ، ستكون لهما انعكاسات سلبية واسعة على صعيد مصالحها في المنطقة ، وعلى موقعها ودورها المقرر في الوضع الدولي الجديد . ولهذا من المتوقع أن تبذل الولايات المتحدة كل جهد ممكن لحماية الإتفاق ، والحفاظ على سلامته ، وإطالة أمد حياته ، وتحويله الى حقائق مادية على أرض الشرق الأوسط . وأعتقد أن المصالح الوطنية والقومية العليا للشعب الفلسطيني وللشعوب العربية الأخرى تفرض على أصحاب القرار التحرر من العقد التي تحكمتم في العلاقة الفلسطينية والعربية - الأمريكية ، واعتماد المصالح كأساس لهذه العلاقة ، وفي مقدمتها تحرير الأرض ، واسترداد الحقوق المغتصبة . فالمبادئ

وحدها في هذا الزمن ، لا تحرر الأوطان ولا تعمرها .

صحيح أن حياة اتفاق اوسلو وطول عمره ليسا مرهونين بالموقف الأمريكي فقط ، أو بمواقف الأطراف الدولية الأخرى التي رعتة وساندته ، وأن مواقف أهل الإتفاق الأصليين-أطراف الصراع المباشر- حاسمة في ذلك ، لكن الصحيح أيضاً أن القيادتين الإسرائيلية والفلسطينية لم تبديان حتى الآن مواقف يفهم منها تراجع عن الإتفاق ، أو رغبة ما في قطع وتعليق المفاوضات التي يتطلبها تنفيذ الإتفاق . وكلا الطرفين ليس في وضع يمكنه من التصادم المباشر مع الإدارة الأمريكية والقوى الدولية الأخرى المستفيدة من الإتفاق . وليس مرثياً على المدى المباشر والقريب وقوع تطورات نوعية تمكن أياً من الطرفين من اتخاذ مثل هذا الموقف ، إلا إذا أراد أحدهما الإقدام على خطوة انتحارية نتيجتها معروفة سلفاً . ومن المعروف أن صعود حزب العمل للسلطة جاء على انقاض الليكود ، بعد ما تصادم شامير مع الإدارة الأمريكية ، وبعد أن اصطدم بالإنتفاضة ، وبالمواقف الواقعية في السياسة الفلسطينية . ومهما كان مفهوم راين للإتفاق الذي وقعه مع الفلسطينيين ، فالواضح أن دور حزب العمل ومستقبل الإئتلاف الحكومي في إسرائيل ، ومستقبل راين نفسه ، باتا مربوطين ومرهونين الى حد كبير بمصير ومستقبل اتفاق اوسلو . فقتل الإتفاق وفشله يعني عند الناخب الإسرائيلي فشل البرامج التي على اساسها انتخب راين وكتلة العمل . والشيء ذاته ينطبق على ميرتس وباقي أطراف الإئتلاف الحاكم في إسرائيل . ولا أحد يستطيع أن ينكر أن الإتفاق أعطى لإسرائيل مكاسب استراتيجية ، ناهيك عن المكاسب المباشرة التي حققتها دولياً ، وفي المنطقة . بدءاً من الإعتراف بوجودها مروراً بفك الحصار الذي كان مضروباً عليها ، وانتهاء بالخروج بسلام من مستنقع غزة .

والتدقيق في مواقف المعارضة الإسرائيلية من اتفاق اوسلو ، وفي سلوكها على مدى عام ، يبين أنها أضعف - بما كان يعتقد راين والمحللون الاجتماعيون

والسياسيون الإسرائيليون . ويؤكد تواصل صعود الفكر السياسي الواقعي في المجتمع الإسرائيلي ، وعلى حساب الفكر القومي والديني الجامد والمتطرف . ولعل اتهام^(٥٤) شامير بعد سقوطه في الانتخابات الشعب الإسرائيلي بالتعب من النضال لتحقيق الأهداف والمبادئ الأصلية للحركة الصهيونية يؤكد هذا الإستخلاص .

أما الطرف الفلسطيني في اتفاق اوسلو ، فالمعروف أنه دخل عملية السلام عام ٩١ لأنه لم تكن لديه أية خيارات أخرى ، وقبل بشروطها المجحفة كي يتجنب التصادم مع الإدارة الأمريكية ومع إرادة المجتمع الدولي . وعلى أمل فك الحصار السياسي والإقتصادي الذي ضرب حول م . ت . ف . بعد حرب الخليج . وعلى أمل تحسين الشروط أيضا من داخل العملية ، وانتزاع ما يمكن انتزاعه من حقوقه المغتصبة . وفي حينها لم يكن أحد من قيادة م . ت . ف . بمن في ذلك أبو عمار وكل أعضاء خلية أوسلو يتوقع أن يتطور مسار المفاوضات ليصل الى درجة التفاوض المباشر بين المنظمة وحكومة اسرائيل ، أو اعتراف إسرائيل بالمنظمة كممثل للشعب الفلسطيني وتوقيع اتفاقات معها . أما دخول سبعة آلاف من مقاتلي الثورة وكوادرها تحت اسم الشرطة ، فكان حلما مستحيل التحقيق ، لم يخطر على بال أحد من أعضاء القيادة الفلسطينية . قبل اوسلو حاول الجانب الفلسطيني أكثر من مرة التمرد على قواعد وأسس العملية . فكر في التعليق والإنسحاب من المفاوضات ، إلا أن محاولاته وأفكاره اصطدمت بانعدام البدائل والخيارات . وعاد للإنضباط قابلاً ببعض الخطوات الشكلية التي كانت تقدم له كترسيات . والآن بعد اتفاق اوسلو وما تلاه من اتفاقات فرعية ، يمكن القول أن عامل إنعدام البدائل والخيارات لا زال قائماً . وأصبح تنفيذ الإتفاق مرا إيجابيا على الفلسطينيين السير فيه حتى بدء مفاوضات المرحلة النهائية والوصول الى اتفاق جديد . وأعتقد أن كل محاولات الخروج على نصوصه ، والتلكؤ في تنفيذها ليس سوى ضياع للوقت وهدر للطاقات .

أما الحديث عن إلغاء الإتفاق أو اسقاطه فهو حديث غير واقعي ، وخارج عن الزمان وغير مستوعب لطبيعة المرحلة ، وطبيعة التطورات الدولية والإقليمية التي وقعت بعد انهيار الإتحاد السوفييتي وتفكك منظومة البلدان الاشتراكية ، وبعد حرب الخليج ، وغير مستوعب لأوضاع وحالة أهل الضفة والقطاع بعد ٢٧ عاماً من الإحتلال منها ثماني سنوات إنتفاضة . وهو أيضاً حديث قائم على حسابات خاطئة لموازين القوى المحلية والإقليمية والدولية . واستخدام لمقياس قديم في حساب أوزان نوعية جديدة . وأظن أن المراهنة على موت الإتفاق بسبب الأمراض التي يحملها في روحه وجسده تعني الإنتظار سنوات طويلة ، إن لم تكن مراهنة خاسرة تماماً . فالإتفاق قادر على التعايش مع أمراضه لا سيما وأن هناك من هو حريص على إبقائه على قيد الحياة وتزويده بالعلاج .

وينخطيء من يعتقد أن إغتيال ياسر عرفات مثلاً وبعض من شاركوه في صنع اتفاق اوسلو يعني اغتيال الإتفاق . أو أن سقوط رابين في الإنتخابات الإسرائيلية القادمة يعني سقوط الإتفاق . بإمكان اليكود تعطيل تنفيذه ، وتأخير مفاوضات المرحلة النهائية ، إلا ان الغاءه شيء اخر . فهو لم يكن تعبيراً عن رغبة ذاتية لهذا القائد أو ذاك الحزب ، بل هو انعكاس للتحويلات التي وقعت في الفكر السياسي الفلسطيني والإسرائيلي ، وفي العلاقات الدولية . ناهيك عن كون الإتفاق بات ملزماً للشعبين ، وليس ملكاً لهما وحدهما . وأعتقد أن تواصل المفاوضات العلنية والسرية ثلاث سنوات ، والوصول بها الى اتفاق اوسلو وما تلاه من إتفاقات ، مكن عملية السلام في الشرق الأوسط من مراكمة قوة دفع ذاتية ، وهي ومعها قوة الدفع الخارجية كافيتان لإبقاء الإتفاق وكل عملية السلام على قيد الحياة ، ولحين التوصل الى اتفاقات جديدة والى وقائع جديدة أو وقوع تطورات دولية وإقليمية من حجم تلك التي وقعت قبل بدء عملية السلام . واعتقد ان الجهود التي تبذلها المعارضة الفلسطينية الآن لإسقاط الإتفاق وإلغائه فيها هدر لبعض الطاقات الفلسطينية . وتضييع لوقت

ثمين . واظن أن توظيفها باتجاه تقليص سلبيات الإتفاق على القضية وتقليل مضاره ، وتوسيع وتطوير منافعه هو الأجدى والاكثر واقعية . وان زجها كقوة معارضة في تأسيس واستنهاض مقومات حكم فلسطيني عصري وديمقراطي هو الأنفع للصالح الوطني العام وصالح الأجيال اللاحقة وصالح مستقبل المعارضة ذاتها .

طريق المفاوضات طويل وقضاياها معقدة

لعل من المفيد تحت هذا العنوان استذكّار بعض المواقف الفلسطينية والعربية التي سادت عشية افتتاح مؤتمر مدريد . في حينها ظهر تقديران متناقضان . الأول بسط الأمور ، وصغر الصعوبات ، وتصور أن هناك مشروعاً أمريكياً متكاملًا معداً سلفاً ، وستفرضه إدارة بوش على كل الأطراف قبل الدخول في الانتخابات الأمريكية نهاية عام ٩٢ . وتوقع أصحاب هذا التقدير نتائج وحلولاً سريعة . أما الرأي الآخر فقد مضى بعيداً في تشاؤمه ، لدرجة أنه لم يستطع رؤية المتغيرات الدولية ، والظروف النوعية الجديدة التي احاطت بمبادرة الرئيس بوش وبتحركات الوزير بيكر آنذاك . وتوقع فشل المفاوضات بعد جولة أو جولتين ، وبعد الإنهاء من احتفالات ومهرجانات مدريد . والآن وبعد ثلاث سنوات من المفاوضات أعتقد أن جميع الأطراف الفلسطينية المؤيدة والمتحفظة والمعارضة لعملية السلام تقرر بأن طريق المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية طويل ووعر ، سيستمر المشي عليه خمس سنوات كحد أدنى . والامر ذاته ينطبق على المفاوضات العربية - الإسرائيلية ، السورية واللبنانية والأردنية . ومن يدقق في رسالة الدعوة الى مؤتمر مدريد وكتب التطمينات التي أعطاها الوزير بيكر لأطراف الصراع يجد أن مهندس العملية - بيكر لم يخدع أحداً . فقد نصت تلك الرسائل على أن المفاوضات على المسار الفلسطيني - الإسرائيلي سوف تتم على مرحلتين ، انتقالية ونهائية . وتستغرق خمس سنوات . هذا إذا لم يلجأ أي من الأطراف الى تضییع بعض الوقت كما فعل رابين منذ التوقيع على اتفاق اوسلو وحتى الآن .

بعد التوقيع على اتفاق اوسلو في حديقة البيت الأبيض يوم ٩٣/٩/١٣ اعتقدت القيادة الفلسطينية بناء على قراءة خاصة لنصوص الاتفاق والمبالغة في المراهنة على الكلام الإسرائيلي الشفوي ، أن ١٣/نيسان ٩٤ سيكون يوماً فاصلاً

في حياة الشعب الفلسطيني وسيدونه التاريخ باعتباره يوماً مشهوداً سينتهي ٢٧ عاماً من الإحتلال لأجزاء من الأرض الفلسطينية ويتحرر فيه ما يقارب المليون فلسطيني من الإستعمار الصهيوني وتقوم فيه نواة أول سلطة فلسطينية في التاريخ . في حينه كان رد فعل الشارع العربي عموماً ، والفلسطينيين المكتوبين بنار الإحتلال خصوصاً هو الترقب والحذر والإنتظار ولخصوا الموقف بجملة واحدة «العبرة في التنفيذ» مشككين في نوايا إسرائيل . لاحقاً جاءت الأحداث ووقائع تنفيذ إتفاق اوسلو لتؤكد عمق خبرة أهالي الضفة والقطاع بالإحتلال ، ولتين صحة ودقة تقديراتهم . فقبل نيسان ٩٤ أطلق راين تصريحات علنية قال فيها «لا تواريخ مقدسة» . وبعدها مرت أيام شهر نيسان على الشعب الفلسطيني ، تماماً كما مرت الأيام الأخرى من عمر الإحتلال . ولم يسجله التاريخ كيوم مميز . لكنه سجل خلاصة مفيدة ، لكل الشعوب المناضلة من أجل الحرية والإستقلال واسترداد حقوقها المغتصبة ، جوهرها أن موازين القوى لا تتحكم فقط بصياغات ونصوص الإتفاقات ، بل وتقرر تفسيرها وتنفيذها . خاصة إذا لم يحسن اصحاب الحق إدارة المفاوضات ، ولم يحسن مفاوضوهم استثمار كل الأوراق القوية المتوافرة بين ايديهم . ولا يستطيع أشد المدافعين عن اتفاق اوسلو ، انكار أن الصفقة التي عقدت في أوسلو قسمت المرحلة الإنتقالية الى مرحلتين . الأولى غزة أريحا ، ومعها خمس سلطات مدنية في الضفة الغربية . والثانية إعادة انتشار قوات الجيش الإسرائيلي لاحقاً في بقية الضفة ، وتسلم باقي السلطات هناك مقابل الإعتراف بالمنظمة كممثل للشعب الفلسطيني .

وإذا كان من التجني التقليل من قيمة الإعتراف بالمنظمة ، فمن غير الموضوعي عدم الإعتراف بأن تجزئة المرحلة (٥٥) الإنتقالية وتجزئة نقل السلطة قد أطالت أمد المفاوضات ، حول هذه المرحلة وحول قضاياها المحددة . وان التسرع في صياغة الإتفاق ، والقبول بالنصوص الغامضة قد أعطى لاحقاً للجانب الإسرائيلي

فرصة تجاوز التواريخ المثبتة في الإتفاق ذاته . ومنذ توقيع بروتوكولات القاهرة وحتى الآن بينت المفاوضات أن رابين يعمل^(٥٦) بكل السبل على اطالة أمد المفاوضات حول المرحلة الثانية من اتفاق أوسلو . وتأخير المفاوضات حول قضايا المرحلة النهائية ، المستوطنات ، الحدود ، اللاجئين ، القدس ، الترتيبات الأمنية ، العلاقة مع الآخرين ، الى ما بعد الإنتخابات الإسرائيلية المقررة في صيف ١٩٩٦ . وحديث رابين عن عدم قيام السلطة الفلسطينية بواجباتها في منع الإرهاب ، وحديثه عن ضرورة تأمين الأموال اللازمة للإنفاق على السلطات المدنية المنقولة قبل نقلها ، وعن إختبار قدرة الشرطة الفلسطينية . . الخ . . ليست سوى مقدمات لخلق الذرائع والمبررات لتأجيل تنفيذ ما نصت عليه البروتوكولات .

واعتقد أن الإقتراب من موعد الإنتخابات الإسرائيلية سيزيد من هذا الحديث الذرائعي . وان رابين والغالبية الساحقة من قيادة حزب العمل بدأوا يعملون منذ الآن ، على أساس عين على الإنتخابات للفوز فيها ، وعين على إتفاق أوسلو . وإذا كان من المتعذر التنبؤ الآن بنتائج الإنتخابات الإسرائيلية القادمة وبالسياسة التفاوضية التي ستنتهجها الحكومة الإسرائيلية فالواضح منذ الآن أن التنافس بين الليكود والعمل على صوت الناخب الإسرائيلي قد بدأ مبكراً . وليس مستبعداً أن يقود مثل هذا التنافس الى الدعوة لإنتخابات برلمانية إسرائيلية مبكرة ، خاصة إذا شعر حزب العمل بأن نتائج الإنتخابات المبكرة سوف تكون لصالحه . وأيضاً إذا كانت نتائج المفاوضات على المسار السوري الإسرائيلي تتطلب اجراء استفتاء لأخذ رأي المواطن الإسرائيلي حول الموضوع ، وبغض النظر عن النتائج التي قد تسفر عنها أية إنتخابات مبكرة أو عادية ، وبغض النظر عن الحكومة الجديدة - عمالية أو ليكودية ، أو تشكيلة ائتلافية جديدة ، فالؤكد أن المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية حول المرحلة الإنتقالية ، (وليست النهائية) سوف تتواصل على أساس صيغة اتفاق أوسلو ، وما تلاها من

اتفاقات . فهذه الاتفاقات أصبحت بعد مصادقة الكنيست الإسرائيلي عليها ملزمة لدولة اسرائيل . وأعتقد أن حزب الليكود لن يكرر الخطأ الذي ارتكبه شامير حين تصادم مع الإدارة الأمريكية عام ٩٢ ومع ارادة المجتمع الدولي حول الموقف من عملية السلام . ناهيك عن أن الليكود ليس ضد منح الفلسطينيين حكماً ذاتياً بالمفهوم الليكودي .

وجدير بالذكر أن فكرة تأسيس المفاوضات الفلسطينية - الإسرائيلية على أساس المرحلتين - الإنتقالية والنهائية ، هي فكرة ليكودية ورثها حزب العمل بعد تسلمه السلطة . ومن يدقق في المبادئ الأساسية التي تضمنها اتفاق اوسلو وبروتوكولات القاهرة حول المرحلة الإنتقالية ، يجدها قريبة جداً من تلك التي وردت في مبادرة شامير التي أعلنها في أيار ٨٩ . باستثناء مسألة الاعتراف بالمنظمة . فحزب العمل بقي حتى الإنتخابات الإسرائيلية يعتمد فكرة الخيار الأردني في حل المسألة الفلسطينية . وحسم أمر هذا الخيار حين قرر رفع الحظر عن الإتصال مع منظمة التحرير . بعدها دخل المفاوضات السرية مع المنظمة في اوسلو . ولهذا يخطيء كل من يعتقد أن سقوط رابين ونجاح نتنياهو في عام ٩٥ أو سيؤدي الى سقوط اتفاق اوسلو ، أو الى توقف المفاوضات الفلسطينية - الإسرائيلية حول الشق الثاني من اتفاق اوسلو أو حول المرحلة الإنتقالية . وهذا الإستنتاج لا يعني إطلاقاً أن وقوع مثل هذا التبدل لن يضيف أية تعقيدات على مسيرة المفاوضات وخاصة المتعلقة بقضايا المرحلة النهائية . إن فوز الليكود يعني تحويل المرحلة الانتقالية الى مرحلة نهائية ، وهذا الأمر يؤدي الى تعطيل قطار السلام في منتصف الطريق .

وإذا كانت طريق المفاوضات حول أوسلو وحول المرحلة الإنتقالية طويلة وشائكة وقد تمتد الى ما بعد عام ٩٦ ، فالمفاوضات حول قضايا المرحلة النهائية : - القدس ، اللاجئين ، المستوطنات ، الحدود ، والترتيبات الأمنية - هي الأصعب وهي الأكثر تعقيداً . ومن يدقق في مواقف الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي من

هذه القضايا الكبرى أو في الحدود الدنيا التي يمكن أن تنزل لها ، يمكنه القول أنها قد لا تنتهي خلال الثلاث السنوات المحددة لها^(٥٧) في رسالة الدعوة وفي اتفاق أوسلو ، هذا إذا استمر حزب العمل في السلطة ، واستمرت المفاوضات على النهج الذي سارت عليه حتى الآن . أما في حال عودة الليكود للسلطة فستمتد المفاوضات فترة أطول ، فالحكومة الإسرائيلية الحالية ، وحزب الليكود يعتبران القدس خطأ أحمر . وجوهر موقف حزب العمل لا يختلف عن موقف الليكود من الترتيبات الأمنية ومن حل قضية اللاجئين . واعتقد أن قبول حزب العمل إدراج مسألة القدس على جدول أعمال المفاوضات حول المرحلة النهائية ، وقبوله في اتفاق أوسلو مشاركة أهل القدس في الانتخابات لا يعني تغييراً جوهرياً في موقف حزب العمل ، فالواضح حتى الآن ، أن رابين وقادة حزب العمل ليسوا في وارد أحداث تغيير جوهري في مواقف الحزب باتجاه الإقتراب من الموقف الفلسطيني ، وبخاصة على أبواب الانتخابات البرلمانية . أما بشأن مصير المستوطنين والمستوطنات . فموقف^(٥٨) رابين من الموضوع وإصراره على بقاء مستوطنة نتسريم في قلب قطاع غزة ، وإصراره على عدم ترحيل المستوطنين من الخليل بالرغم من المجزرة الفظيعة التي ارتكبت هناك ، يؤكد أن المفاوضات حول هذا الموضوع سوف تكون شائكة وطويلة أيضاً .

أما القيادة الفلسطينية فالواضح أن قدرتها على التنازل في القضايا الكبرى محدودة ، ومجال المناورة المتاح لها ضيق جداً ، واعتقد أنها في حال حشرها بين خيار الوصول إلى حلول غير مقبولة وطنياً وشعبياً أو تأجيل الاتفاق حولها إلى إشعار آخر سوف تختار الخيار الثاني . فبقاء قضية القدس مثلاً معلقة وبدون حل ، (وعاصمة أبدية) لإسرائيل بالأمر الواقع ، أسهل عليها وخير لها من تكريس الأمر في إتفاق لاتستطيع اقناع شعبها به . والشيء ذاته ينطبق أيضاً على بقية قضايا المرحلة النهائية . ويخطيء في التقدير كل من يعتقد أن قبول المنظمة تأجيل البحث في موضوع القدس ، وبقية قضايا المرحلة النهائية ،

يمكن أن يؤدي الى تراجع فلسطيني عن حقوقه فيها . ويخطئ اكثر كل من يعتقد ان فرض مثل هذا التراجع يوصل الى سلام حتى لو قبلت به القيادة الفلسطينية مكرهة .

أما بشأن المفاوضات العربية الإسرائيلية فالواضح أنها هي الأخرى سوف تتواصل ، وقد تستغرق بضع سنوات . وما حصل من تأخير في التوصل الى اتفاقات ما بين السوريين واللبنانيين والإسرائيليين ، لا يعني بالضرورة وصول مفاوضاتهم الى طريق مسدود ، ولا توقفها عند الحدود التي تقف عندها الآن . وبالمقابل فإن توصل الأردن وإسرائيل الى اتفاق حول انتهاء حالة الحرب بين الطرفين وتوقيعها على معاهدة سلام لا يعني أن مفاوضات الطرفين بلغت نهايتها او ان تعقيدات تاريخ النزاع لم تعد تؤثر عليهما . ان الظروف والعوامل والمتغيرات الدولية والإقليمية والمحلية ، التي دفعت بسوريا ولبنان وإسرائيل للمشاركة في عملية السلام لا زالت قائمة . وما طرأ عليها منذ مؤتمر مدريد وحتى الآن جاء في صالح استمرار المفاوضات ، وتواصل عملية البحث عن السلام وليس العكس . فالإتفاق الفلسطيني - الإسرائيلي ، عجل في الوصول الى الإتفاق الأردني الإسرائيلي ، والإتفاقان معاً يسرعان ظهور اتفاقات على المحورين السوري واللبناني . وكل ذلك سوف يسرع المباحثات والمفاوضات الجارية في (متعددة الأطراف) ، وتزيد من عدد الدول العربية المشاركة فيها . صحيح أن المفاوضات الفلسطينية-الإسرائيلية قامت على أساس المرحلتين الإنتقالية والنهائية ، وأنها الأعقد والأصعب لكن من الخطأ تماماً تبسيط وتصغير قضايا الخلاف على محاور المفاوضات الأخرى ، اوالتصور بأنها سوف تختتم خلال فترة زمنية قصيرة . فمعالجة قضايا الخلاف حول الحدود ، والأرض ، والإنسحابات ، والأمن ، والمياه ، والتسليح ، وتطبيع العلاقات ، سوف تحتاج الى جولات طويلة من المفاوضات الأردنية - الإسرائيلية ، والسورية - الإسرائيلية ، واللبنانية - الإسرائيلية . وقد تستغرق في مجملها بضع سنوات . ولعل تجربة

المفاوضات المصرية-الإسرائيلية وتطبيق اتفاقات كامب ديفيد نموذجاً لذلك . وأعتقد أن أوضاع كل الأطراف ليست ناضجة الآن للوصول الى اتفاقات كاملة شاملة ، وليست مهياة لتنفيذ التطبيع الكامل والانسحاب الشامل ، وبخاصة من الجولان . في ضوء ذلك كله ، أظن أننا لا نستطيع الأمور ولا نجازف في التحليل إذا استخلصنا أن دول وشعوب المنطقة سوف تعيش عامها القادم ، وبضعة أعوام بعده تحت وطأة المفاوضات ، ووطأة تفاعلاتها المتنوعة في كل محطة من محطاتها . هذا إذا فاز حزب العمل في الانتخابات الإسرائيلية القادمة . أما في حال فوز الليكود فالمفاوضات سوف تتعقد أكثر فأكثر . وسوف تدخل عملية السلام في منعرج جديد بله قواعده وقوانينه خاصة .

سلام شامل أم تسوية؟

منذ ما قبل مؤتمر مدريد وحتى الآن ، والحديث جار في الأوساط السياسية الفلسطينية والعربية والدولية حول النتيجة النهائية لعملية السلام . والسؤال المطروح بصورة دائمة هو ، هل العملية بأسسها وقواعدها التي وضعها مهندسها الأساسي بيكر ، قادرة على الوصول بالشرق الأوسط الى سلام شامل وعادل ونهائي؟ أم أن طاقاتها الذاتية وقوة الدفع الخارجية التي تغذيها ، تكفي فقط لنقل أوضاع المنطقة من حالة الحرب ، وحالة الاحرب واللاسلم ، الى محطة من محطات التسويات الطويلة شبه الدائمة ، أو المؤقتة قصيرة الأمد؟

قبل إتفاق اوسلو كان بارومتر الحديث يميل لصالح التشاؤم . وكان التقدير أن العملية بالكاد قادرة على التواصل لمجرد التواصل . وأنها إذا استطاعت البقاء على قيد الحياة وسارت امورها بصورة طبيعية وفق التوقيتات الزمنية المحددة لها في رسالة الدعوة وكتب التطمينات ، فإنها قد توصل في أحسن الأحوال الى تسوية مؤقتة غير قابلة للحياة . بعد توقيع اتفاق وسلو تراجع التشاؤم لصالح التفاؤل . ومنذ توقيع بروتوكولات القاهرة وبعد دخول الشرطة والسلطة الفلسطينية الى غزة وأريحا وحتى الآن ، نلاحظ أن ميزان حرارة التفاؤل والتشاؤم غير مستقر . وأظنه سيبقى ولفترة طويلة متقلبا تبعاً لمسيرة المفاوضات بين الطرفين ، ووفقاً لطبيعة العلاقة السائدة بينهما في هذه الفترة أو تلك .

والتباين الحاصل في صفوف الباحثين ، والمفكرين ، والسياسيين ، حول آفاق عملية السلام الجارية ونتائجها النهائية أمر طبيعي وموضوعي . فقطار السلام الشرق اوسطي يسير وسط حقول الغام . وحمولته ثقيلة ومتنوعة الصنوف والأشكال بما في ذلك قضايا قابلة للإشتعال وبعضها قابل للإنفجار . والشرق الأوسط ، كما هو معروف ، كان ولا زال مسرحاً وميداناً للمفاجآت .

وفي سياق البحث عن الجواب الأكثر موضوعية ، والأكثر ثباتاً ، والأقرب الى الدقة والصواب ، أظن أن لا خلاف على أن الوصول الى تسوية طويلة شبه ثابتة ، لصراع معقد عمره سبعة عقود من الزمن ، أمر شائك وبالح الصعوبة والتعقيد ، لا سيما أنه دار ويدور حول الوجود والحدود ، وتخللته حروب ودمار وتهجير ، وقتلى بمئات الألوف وتولدت عنه احقاد وأشكال متنوعة من الكراهية لا حصر ولا عد لها ، وبنيت عليه ثقافات ومعتقدات عدوانية تشربها أكثر من جيل من أجيال هذا الطرف او ذاك .

وبغض النظر عن أمنيات ورغبات مهندس العملية ، بوصول القطار الشرق أوسطي الى محطة السلام العادل والشامل والدائم ، فالواضح أن الوصول لمثل هذه المحطة يحتاج الى عملية أخرى غير التي بدأها بيكر عام ١٩٩١ ، وبأسس وقواعد غير التي قامت عليها عملية البحث عن السلام التي انطلقت من مدريد في ٣٠ تشرين اول ٩١ . وإذا كان مهندس العملية ورعاتها قد راهنوا على Process عمليتهم في توليد قواعد وأسس جديدة لعملية أخرى ، فمن الآن وحتى ذلك الحين لا نظلم أحداً إذا قلنا ، أن مؤتمر السلام الذي انطلق من مدريد وفقاً لمبادرة الرئيس بوش ، وبجهود الوزير بيكر قادر فقط على الوصول بشعوب ودول المنطقة الى نوع من أنواع التسويات المؤقتة في أحسن الأحوال ، وغير قادرة على صنع سلام عادل شامل ودائم ، يرثه جيل بعد جيل .

التسوية الطويلة أو القصيرة الأمد ، يمكن فرضها فرضاً على الأطراف ، وبخاصة على الطرف الأضعف . كما يمكن الوصول لها بالتراضي عبر تنازلات متبادلة ، وعبر مساومات متنوعة ، ويمكن التفاوض حولها لفترات زمنية طويلة في أوضاع غير متكافئة ، كما يجري الآن بين م . ت . ف . وإسرائيل ، وعلى قواعد وأسس مجحفة بأحد الطرفين ، كالتي وردت في رسالة الدعوة الى مدريد . أما السلام الحقيقي الشامل والدائم ، فله قواعده ومرتكزاته التفاوضية المختلفة . فلا يمكن للسلام الحقيقي أن يقوم بالإكراه والإلزام ، بل بالتراضي

المبني على القناعة ، وبالتفاوض حوله من مواقع متكافئة بين الطرفين بحيث لا يشعر أي منهما أنه مجبر على تقديم تنازلات غير مقتنع بتقديمها . أو القبول بحل لا يلبي حقوقه في حدودها الدنيا . فالوصول الى حلول غير مقنعة وغير عادلة يؤدي الى تسويات مؤقتة ، تهدئ الصراع وتسكنه لفترة ، لكنها تبقي النار متقدة تحت الرماد . وتعرف القيادة الإسرائيلية ، ويعرف الراعي الأمريكي - القطب الوحيد - ويعرف كل المهتمين باستقرار أوضاع الشرق الأوسط ، أن الفلسطينيين قبلوا الدخول في عملية البحث عن السلام في الشرق الأوسط على أسس لم تكن مرضية لهم ، ولم يكونوا مقتنعين بها . وأنهم تفاوضوا في واشنطن وأوسلو في ظروف غير مريحة ، ومن مواقع غير متكافئة .

ولا نكشف سراً إذا قلنا أن الاتجاه الواقعي في منظمة التحرير الذي قاد المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية ، وتوصل باسم الشعب الفلسطيني الى اتفاق أوسلو وملاحقه وبروتوكولاته ، مقتنع بأن اتفاق أوسلو لا يوصل الى سلام عادل ، ولا يوصل حتى الى تسوية شاملة مقبولة لأنه لا ينص على دولة ، ولا يعالج القضايا الجوهرية للصراع . وأن هذا الاتجاه يرى في اتفاق أوسلو محطة أولى ، اختبارية تمهد الأجواء للانتقال الى محطات تفاوضية أخرى ، تكون فيها ظروفهم أفضل وأوضاعهم أحسن .

وهم منذ أوسلو ، وبغض النظر عن الطريقة التي أداروا فيها المفاوضات ، لم يخذعوا أحداً ، ولم يخذعوا أنفسهم . كانوا ولا زالوا يؤمنون بالسلام العادل والشامل ، ولكنهم معارضون ومؤيدون مقتنعون أن المفاوضات الجارية ، بأسسها وبالأساليب المتبعة فيها ، لا توصل الى سلامهم المنشود ، وأنها قد توصل الى تسوية طويلة ، تفتح نافذة أو باباً على السلام الذي يلبي لهم حقوقهم الوطنية المشروعة ، وفي مقدمتها حقهم في الحرية وفي تقرير المصير وفي بناء دولتهم المستقلة مثلهم مثل كل شعوب الأرض . وإذا كان من غير المنطقي مطالبة رابين وحزب العمل والمؤتلفين معهم في الحكم ، بكشف أوراقهم الإستراتيجية دفعة

واحدة ، ووضعها منذ الآن على طاولة المفاوضات ، فمن غير المنطقي أن تكون البداية -اتفاق اوسلو- أقل مما ورد في قرارات^(٥٩) مؤتمر حزب العمل ذاته . وأقل مما توصل له المصريون^(٦٠) مع بيغن قبل أكثر من خمس عشرة سنة .

لا شك أن من حق رابين والمفاوض الإسرائيلي اتخاذ ما يراه مناسباً وضرورياً من مواقف داخل وخارج غرف المفاوضات ، لكن ليس من حقه أن يبني مواقفه وممارساته على حساب الكرامة الوطنية الفلسطينية ، إذا كان حقاً يريد التأسيس لسلام حقيقي وشامل ودائم مع الفلسطينيين . وليس من حقه ايضاً تجاهل ما قدمه الفلسطينيون من أجل السلام منذ بدء المفاوضات وحتى الآن . فقد أقروا بحق إسرائيل في الوجود فوق الأقسام الأساسية من ارضهم . واعترفوا رسمياً بوجودها . ناهيك عن قبولهم الدخول في المفاوضات على أسس مجحفة . وقبولهم بالخضوع لفترة اختبار مدتها خمس سنوات ، وأن تحل قضاياهم على مرحلتين . الخ . وبهذه التقديرات يكون الشعب الفلسطيني قد دفع مقدماً رسوم وضريبة السلام . وأعتقد ان التمهيد للسلام العادل والشامل يتطلب من شعب إسرائيل وقيادته أن يعترفوا أولاً بأن الفلسطينيين قدموا ما عليهم ، وأن يبادروا ثانياً الى تقديم الرسوم والضريبة المطلوبة منهم . فمن هنا تبدأ رحلة السلام الحقيقي . أما استمرار رابين وحزب العمل في النظر الى إعادة بعض الحقوق للفلسطينيين (الإنسحاب ، ووقف الإستيطان وإنهائه ، والإعتراف بالحدود) على أنها تنازلات ، فاعتقد أن هذا لا يمت للسلام بصله ، وينطلق من ذات العقلية العدوانية التوسعية التي تحكم في السياسة الإسرائيلية منذ عام ٤٨ وحتى الآن . اما التلكؤ الجاري في تنفيذ اوسلو فالواضح انه يفقد المفاوضات والاتفاقات وكل عملية السلام مصداقيتها ويعرضها لمخاطر عديدة . والسلام الحقيقي لا يبنى على رغبة طرف واحد فقط ، أو وقوع تغيير في التفكير عند هذا الطرف وحده . ولا يمكن أن يتم قبل تخلي أغلبية شعب إسرائيل عن الأحلام المبنية على اوهام تاريخية ، مثل فكرة إسرائيل الكبرى ، وأرض

إسرائيل التاريخية . وانكار وجود الأغيار ومن ضمنهم الشعب الفلسطيني .

اعتقد ان من حق إسرائيل أن تطالب الفلسطينيين والعرب بالإعتراف بها وتطبيع العلاقات معها ، وبالأمن والأمان على مصيرها ومستقبلها ، إلا أن هذا المطلب يبقى مطلباً تعجيزياً ولا يمت للسلام بصلة إذا استمرت القيادة الإسرائيلية في رفض الإعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير ، وفي احتلال أراض عربية ، ورفضت تحديد وترسيم حدودها مع جيرانها ، واستمرت في اعتبار الأمن هو الحدود ، وإذا لم تتم تصفية الماضي بمأسه . وتصفية الماضي تتطلب الوصول الى مصالحة تاريخية بين الشعبين ، تبدأ بإعتراف القيادة الإسرائيلية بمسؤوليتها عن الظلم التاريخي والجرائم الفظيعة التي ارتكبت بحق الشعب الفلسطيني ، وعدد من الشعوب العربية الأخرى منذ عام ٤٨ وحتى الآن ، وينتهي بحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين حلاً عادلاً . والمطالبة بهذا النوع من الإعتراف حق مشروع للشعب الفلسطيني وله ضروراته النفسية والمعنوية . ألم تطالب القيادة الإسرائيلية ، وقيادات اليهود في العالم دولة المانيا ، بالإعتراف بجرائمها التي ارتكبتها النازية في الأربعينات ضد اليهود؟ ان تاكيد عدالة المطلب الإسرائيلي واليهودي من الدولة الألمانية ، يفرض التاكيد على حق الشعب الفلسطيني في مطالبة إسرائيل والصهيونية العالمية بالإعتراف بانها الحقت به ظلماً تاريخياً .

وأظن أن مثل هذا المطلب الفلسطيني يفترض توجيهه أيضاً للحكومة البريطانية ، باعتبارها وريثة للمسؤولية عن وعد بلفور^(٦١) ١٩١٧ ، وباعتبارها دولة الإنتداب على فلسطين ، ومسؤولة بنسبة أو أخرى عن تهجير مئات الألوف من الفلسطينيين من ديارهم ، وعن خلق مشكلة اللاجئين . وأظن أن لاختلاف بين الفلسطينيين والإسرائيليين ، على أن قضية اللاجئين هي جوهر ما اصطلاح على تسميته بالقضية الفلسطينية . وأن عدم حلها يعني بقاء الصراع قائماً ، وبقاء السلام مؤجلاً الى إشعار آخر . وإذا كانت فكرة عودتهم الى ديارهم ومدنهم

وأرضهم مرفوضة إسرائيلياً وبالملطق ، فالحد الأدنى الذي يمكن أن يكون مقبولا هو تطبيق قرار الامم المتحدة رقم ١٩٤ والذي نص على العودة أو التعويض عن الممتلكات وعن الخسائر المادية والمعنوية التي لحقت بهم . وبناء دولة ينتمون لها ، مع حرية العيش فيها أو خارجها .

وبتدقيق موضوعي في مسار المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية منذ اتفاق وسلو وحتى الآن يتبين أن المواقف الإسرائيلية شكلاً ومضموناً لا تمت للسلام بصلة ، ولا تساعد على الوصول الى تسوية ثابتة . فتطبيقات اتفاق أوسلو وبروتوكولات القاهرة تكاد تكون أقرب لإملاء المواقف الإسرائيلية على الجانب الفلسطيني . والتوقيعات الزمنية الواردة في الاتفاق بشأن تسليم المعابر ، والممر من بين غزة وأريحا ، والوجود الدولي في غزة وأريحا ، والانتخابات ، وانسحاب القوات الإسرائيلية من المدن والقرى والمخيمات وطرق الضفة الغربية . الخ . . لم تحترم على الإطلاق . ناهيك عن تعمد المساس بالكرامة الوطنية الفلسطينية يومياً في هذه القضية^(٦٢) التفصيلية أو تلك . وبغض النظر عن رأي القيادة الإسرائيلية لزاء هذه المسائل ، وتفسيرها لها فقناعة قطاعات واسعة من الشعب الفلسطيني أن القيادة الإسرائيلية تعمل على إفشال التجربة ، وإظهار الفلسطينيين بأنهم غير قادرين على حكم أنفسهم بأنفسهم ، وغير قادرين على بناء سلطة عصرية ، والنهوض بالسلطات الممنوحة لهم . بهدف تأجيل وتأخير تنفيذ بروتوكولات القاهرة . ومهما كان راين بارعاً في التستر على حقيقة موقفه من إجراء الانتخابات ، ومن إعادة انتشار الجيش الإسرائيلي في الضفة الغربية ، وانسحابه من المدن والقرى والمخيمات ، فالواضح أنه يتهرب من إخلاء مدينة الخليل من المستوطنين . فالإنسحاب العسكري من مدينة الخليل يعني سحب المستوطنين منها . ويحاول التهرب من خوض معركة تعريف حدود بلدية القدس . فالإنسحاب من المناطق المأهولة في الضفة يطرح قضية القدس الموسعة أو الكبرى أو بحدودها القديمة المعروفة . فالقدس عند راين وحكومته هي

القدس الغربية ، والشرقية ، وكل المساحات الكبيرة التي ضمت لها . أما الفلسطينيين فهم يصرون على تعريف حدود بلدية القدس على أنها تلك التي كانت قائمة في عام ٦٧ ويرفضون أي تغيير في حدودها البلدية من جانب واحد . وموقفهم هذا يتلاقى مع موقف الإدارة الأمريكية (النظري)^(١٣) المثبت في رسالة التظلمات التي قدمها بيكر للفلسطينيين . ومع قرارات مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة .

لا شك أن وجود مثل هذه القناعات عند الفلسطينيين وتكريسها في أذهانهم ، سوف تدفعهم الى التباطؤ في تنفيذ بعض ما التزموا به في الإتفاقات مثل إلغاء بعض بنود ميثاق منظمة التحرير^(١٤) . والى تنفيذ بعض المسائل المتفق عليها بصورة شكلية . والنتيجة الوحيدة لمثل هذه المواقف والمواقف المضادة ، هي تعميق الشكوك في النوايا وانعدام الثقة بين الطرفين ، وبالتالي دفع كل تفكير بالسلام الحقيقي الى زوايا النسيان . وأعتقد أن التصريحات المبكرة والمواقف المتطرفة التي يطلقها راين وبعض اركان حكومته حول قضايا المرحلة النهائية لا تخدم إطلاقاً عملية البحث عن السلام ، بغض النظر عن أغراض إطلاق مثل هذه التصريحات . فهي تبعث القلق في نفوس الفلسطينيين ، وتزيد من شكوكهم في النوايا الإسرائيلية ، وتحشر ياسر عرفات وأعضاء السلطة وتخرجهم ، وتضعف من قدراتهم على إقناع الجمهور الفلسطيني بأهمية الوصول الى سلام مع الإسرائيليين .

والحديث الإسرائيلي عن القدس باعتبارها عاصمة إسرائيل الأبدية يعني عند الفلسطينيين والعرب إبقاء الصراع الفلسطيني العربي الإسلامي - الإسرائيلي صراعاً أبدياً ، وقتلاً مبكراً لفكرة التعايش ، ولا يساعد في الوصول حتى الى تسوية مؤقتة . وإذا كانت الحكومة والأحزاب الإسرائيلية الأساسية تعتبر القدس الموحدة جزءاً من إسرائيل وعاصمتها الأبدية ، فقرار ٢٤٢ الذي سينفذ في المرحلة النهائية يعتبر القسم الشرقي منها جزءاً من

أراضي الضفة الغربية المحتلة . والمكانة الخاصة التي تحظى بها القدس عند الفلسطينيين والعرب والمسلمين ، تجعل صعباً أن لم يكن مستحيلاً على أي قائد فلسطيني حالي أو لاحق ، أن يقبل ويوقع على بقاء القدس الشرقية جزءاً من إسرائيل وعاصمة أبدية لها .

وإذا كان التعايش والسلام لا يمكنهما أن يتحققا مع بقاء القدس العربية مضمومة لإسرائيل فلا مناص من تراجع إسرائيل عن موقفها وإيجاد حل آخر يقبله الفلسطينيون . وإذا كانت فكرة تدويل المدينة وجعلها عاصمة للطرفين مرفوضة إسرائيليّاً وبالطلق . فالحل الوحيد الممكن أن يكون مقبولا فلسطينياً هو مدينة موحدة وعاصمة للدولتين ، إسرائيل في الغربية وفلسطين في الشرقية . ولها بلديتان ، واحدة عربية وأخرى إسرائيلية ، مع بناء مجلس بلدي موحد . وكل حديث عن فصل السيادة الدينية على الأماكن الإسلامية والمسيحية عن السيادة الجغرافية والسياسية ، هو هروب من البحث عن حل جدي لأعقد قضية خلافية بين الطرفين . والتي بدون حلها لا يمكن الوصول الى تسوية ولا الى سلام .

وبجانب القدس واللاجئين تقف قضية المستوطنات عقبة ثالثة في طريق التسوية والسلام . وتخطىء القيادة الإسرائيلية إن هي اعتقدت أن إخلاء أو إنهاء وجود بعض المستوطنات (السياسية) ، وإبقاء بعضها^(١٥) الآخر (الأمنية) يعالج الاشكال . فالمستوطنات بغض النظر عن تصنيفها هي رمز من رموز الاحتلال . وهي التجسيد العملي لإحتلال أراضي الغير والسيطرة عليها بالقوة . ومحاولة التمسك بهذا الرمز ، وبذلك السلوك العدواني ، تعقد وتعطل عملية البحث عن التسوية والسلام . وحل مشكلة المستوطنات يمكن أن يكون عبر عملية مقايضتها ببعض أملاك اللاجئين الفلسطينيين والمسماة الآن أملاك الغائبين . على أن تتم المقايضة بالتراضي . أما المستوطنون فيمكن تخييرهم بين الرحيل والعودة الى إسرائيل ، وبين كونهم مواطنين إسرائيليين يعيشون في بلد

آخر غير بلدهم وتطبق عليهم القوانين الفلسطينية الخاصة بالأجانب .

بعد هذا العرض الموجز والسريع لمتطلبات التسوية والسلام الفلسطيني - الإسرائيلي ولنوعية القضايا التي تواجههما ، أعتقد أن الإستخلاص الفوري للقارئ سيكون ان القصة طويلة جداً ومعقدة جداً . والوصول الى تسوية شبه دائمة يحتاج الى جهد كبير من القوى المؤمنة حقاً بالسلام . أما الوصول الى سلام حقيقي دائم وشامل فسيبقى مرهوناً بنوعية التسوية والحلول التي يتوصل لها الطرفان في مفاوضات الحل النهائي ، ونسبة تسارع عملية التحول الجارية في الفكر السياسي للطرفين باتجاه الواقعية السياسية .

لقد أظهرت نتائج الإنتخابات الأخيرة في إسرائيل ، والإعتراف المتأخر بمنظمة التحرير وبعض حقوق الشعب الفلسطيني ، تنامي الفكر السياسي الواقعي في إسرائيل بشكل بطيء ومحدود . وأعتقد أن ثلاث سنوات من المفاوضات ، والتوصل الى اتفاق وسلو ، وما تلاه من تطورات ، اسهمت وتسهم أكثر فأكثر في تعميق وتوسيع هذا الفكر في صفوف المجتمع الإسرائيلي . وبإمكان قوى السلام الإسرائيلية زيادة حركتها في الشارع الإسرائيلي متسلحه بما قدمه الفلسطينيون من أجل السلام حتى الآن . وإذا كان من الضروري عدم الوقوع في الوهم حول قدرات القوى الواقعية الإسرائيلية وحول تطورها اللاحق ، فلا بد لهذه القوى أن تعي ، حجم وطبيعة القضايا الفكرية والأخلاقية والسياسية التي سوف تواجهها ان أجلاً أو عاجلاً . والشئ ذاته ينطبق على القوى الدولية الراغبة في رؤية شرق أوسط خال من النزاعات ، والراغبة في صنع السلام والإستقرار فيه وفي العالم .

وعند الحديث عن السلام والتسوية بين الفلسطينيين والإسرائيليين لا يمكن تجاهل الإشارة الى إحتمال فوز الليكود في الإنتخابات الإسرائيلية القادمة ونتائج هذا الإحتمال على مسار عملية السلام . وأعتقد أن وقوع مثل هذا الإحتمال يمثل نكسة قوية لعملية البحث عن السلام ويؤجل الوصول الى

تسوية ، ويعطل امكانية الوصول الى سلام حقيقي وعادل وشامل .وقد يزعج المنطقة كلها في صراعات جديدة مدمرة . وإذا كانت هذه النتيجة مرثية سلفاً ، فواجب قوى السلام الإسرائيلية والفلسطينية ، والعربية والدولية بذل كل جهد ممكن من الآن كي لا تقع مثل هذه المفاجأة ، وكي لا يحصل مثل هذا الانقلاب المضاد .

دولة فلسطينية.. وتطبيع علاقات

منذ بداية انطلاقتها اصطدمت عملية السلام بوجود خمسة شعوب في أربعة كيانات (فلسطينيون ، وسوريون ، وأردنيون ولبنانيون وإسرائيليون) متصارعة منذ أكثر من أربعين عاماً على الوجود والحدود . في حينها حاولت القيادة الإسرائيلية بزعامة الليكود ، الهروب من المشاركة في عملية السلام . إلا أن رياح المتغيرات الدولية وريح الإنتفاضة ، فرضتا على شامير وحكومته الإنخراط فيها . ولما لم يستطع الهروب حاول تجنب الجلوس مع ممثلين عن الشعب الفلسطيني في غرفة واحدة وجهاً لوجه . ويومها قال «اليوم غرفة وغداً مدينة وبعدها دولة مستقلة» . والآن وبعد عامين من رحيل شامير واعتكافه عن العمل السياسي يمكن القول ان نبوءة شامير قد أوشكت على أن تتحقق . وبغض النظر عن قناعاتها الحقيقية فالقيادة الإسرائيلية أقرت في اتفاق اوسلو (نظرياً) بوجود الكيان الخامس^(٦٦) للشعب (الزائد) . ويوم ١٣/٩/٩٣ احتفل العالم في حديقة البيت الأبيض ، تحت يافطة توقيع إتفاق إعلان مبادئ السلام بين إسرائيل ومنظمة التحرير . وحقيقة الإحتفال أنه كان احتفالاً بالنجاح الجديد الذي حققته الإدارة الأمريكية في الشرق الأوسط ، وبميلاد الكيان الفلسطيني . فالجديد في الإحتفال كان وجود ممثلي الشعب الفلسطيني وجديد الإتفاق كان الإعلان عن قيام سلطة فلسطينية انتقالية على جزء من الأرض الفلسطينية (غزة واريحا) يعيش عليها ما يقارب المليون فلسطيني . وفي ذلك الإحتفال تعهدت الولايات المتحدة ومعها اربعون دولة برعاية هذا الكيان . أما ما عداه فكان تكراراً لأمر قديم ، وتثبيتاً لقضايا موجودة عملياً منذ سنين طويلة ، فالإعتراف الفلسطيني بدولة إسرائيل لم يصف الى الواقع شيئاً جديداً . وحضور ممثلي الدول الأخرى لم يكن جديداً ، فكلهم من الزوار الدائمين أو شبه الدائمين للولايات المتحدة . وبعد انسحاب الوجود المدني والعسكري الإسرائيلي ، من

أكثر من ثلثي قطاع غزة ومدينة أريحا ، ودخول سبعة آلاف شرطي وكادر فلسطيني ، وقيام السلطة الفلسطينية البديلة لسلطة الاحتلال أصبح الكيان الفلسطيني حقيقة مادية قائمة على جزء من الأرض الفلسطينية .

وإذا كان من الضروري تعريف هذا الكيان وتسميته باسمه الحقيقي ، فهو الآن (دولة فلسطينية) في غزة وأريحا . ودولة غزة - أريحا هذه اعتقد أنها قابلة للنمو والتطور الى دولة فلسطينية مستقلة وذات سيادة . وان سرعة نموها وثبات تطورها مروهنة بالدور الذاتي الفلسطيني اولا وبالموقف الاسرائيلي والعربي والدولي ثانيا . وان نعتها الآن بأبشع النعوت ، هزيلة ، ناقصة السيادة ، دولة مسخ ، أو تابعة سياسياً واقتصادياً وأمنياً لإسرائيل . . الخ . لا يلغي حقيقة أنها موجودة . ولا يمس حتمية تطورها اللاحق ، طال الزمن أو قصر ، الى دولة ، خاصة وأن مطلب الدولة المستقلة كان وسيبقى هدفا للشعب الفلسطيني ، وما وقع من اتفاقات بين إسرائيل ومنظمة التحرير لم يُلغ هذا الخيار ، ولم يقفل الطريق أمامه . وهناك ما يزيد على مائة دولة تعترف^(٦٧) بدولة فلسطين الأم الشرعية لدولة غزة . والحرص الدولي على صنع السلام وبناء الاستقرار في الشرق الأوسط لا زال مستمراً وليس هناك ما يعطل استمراره لسنوات . وباستعراض سريع لقائمة الدول في العالم نجد أن العديد ممن كان مستعمراً قد مر في مرحلة الحكم الذاتي قبل الوصول الى الاستقلال ، ونجد أيضاً عدداً آخر تنطبق عليه بصيغة أو أخرى بعض هذه النعوت أو كلها . علماً بأنها دول معترف بها وبسيادتها . والتدقيق الموضوعي الهادئ والمجرد من الأحكام المسبقة ، بمجريات المفاوضات الفلسطينية - الإسرائيلية منذ اوسلو وحتى الآن ، يظهر أن الصراع يدور ليس حول وجود هذا الكيان ، وإنما حول حدوده ، وصلاحياته الراهنة ، ومستقبله اللاحق ، وطبيعة علاقاته مع جيرانه . وبالرغم من ذلك فإن بقايا الفكر الصهيوني العنصري الإستعماري العدوانى التوسعي تحاول جاهدة تأخير حركة التاريخ وإعادة عقارب ساعة الزمن الى الوراء .

إن استمرار بقايا هذا الفكر بصورة مؤثرة في القرار السياسي في إسرائيل سوف يجعل طريق التعايش والسلام بين الشعبين طويلاً ومعقداً ومؤملاً . وقد يجعل طريق تطور دويلة غزة وأريحا الى دولة مستقلة طريقاً دموياً ، خاصة إذا واصل حزب العمل السير على ذات النهج الذي اتبعه منذ أوصلو وحتى الآن . وايضاً اذا عاد حزب الليكود الى الحكم في إسرائيل . وهذا التفكير الإسرائيلي العنصري التوسعي الإستعماري هو المسؤول تاريخياً عن نشوء جبال من الحقد والكراهية والعداوة بين الشعبين . فهو الذي أخر الاعتراف الإسرائيلي بوجود شعب اسمه الشعب الفلسطيني قرابة خمسين عاماً ، وبوجود ممثل شرعي لهذا الشعب . وهو ذاته الذي يبعث النشوة الآن في نفوس بعض القادة الإسرائيليين كلما نجحوا في طعن الكرامة الوطنية الفلسطينية . وهو الذي حقن الشعب الفلسطيني بالعداوة وبالحقد ضد إسرائيل وأوصله الى الإنتفاضة . وبقايا هذا الفكر هي التي تربك الآن رابين ، والحكومة الإسرائيلية في قيادة معركة السلام وتسبب لهم الإنفصام في المواقف .

فرايين والعديد من أركان حزب العمل وأركان الحكومة ، يؤكدون بمناسبة وبدون مناسبة مواقفهم المعروفة «لا لدولة فلسطينية مستقلة» ولا يقدمون بديلاً مقبولاً للشعب الفلسطيني . وبذات الوقت رفضوا هم أنفسهم اعتماد بعض الخيارات التي يطرحها الليكود ، وأحزاب اليمين المتطرف مثل : الضم والإلحاق ، الترانسفير ، وبقاء الوضع على ما كان عليه قبل أوصلو . باعتبارها خيارات تجلب في المدى البعيد الكوارث والدمار على دولة إسرائيل ، وباعتبارها خيارات لا تنهي الصراع ، وتضع إسرائيل في مواجهة العالم .

وأعتقد أن قادة حزب العمل يدركون ، أنهم منذ اعتمادهم قناة أوصلو للتفاوض مع ممثلي الشعب الفلسطيني ، أقفلوا الطريق أمام أي دور عربي في حل المسألة الفلسطينية ، وأنهم بتوقيع اتفاق أوصلو وبالاعتراف بمنظمة التحرير كممثل للشعب الفلسطيني ، دفنوا الخيار العربي كطريق ووسيلة لإنهاء الصراع

الفلسطيني - الإسرائيلي واعتمدوا الخيار الفلسطيني كطريق لحل الصراع .

ويعرف قادة حزب العمل والمفكرون في إسرائيل أن منح الفلسطينيين حكماً ذاتياً محدوداً أو واسعاً لا ينهي الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي وإنما يبقى ناره متأججة تحت الرماد . فالحكم الذاتي كحل نهائي للقضية الفلسطينية رفضته القيادة الفلسطينية ورفضه الشعب الفلسطيني في كيب ديفيد ، وخلال الإنتفاضة ، ولا زال مرفوضاً حتى الآن ، واعتقد أنه سيبقى مرفوضاً في المستقبل . لأنه يبقى على الإحتلال بصيغة أو أخرى . والشعب الفلسطيني لا يجد فيه الحرية والإستقلال والسيادة الوطنية التي يطمح لها ، ومن أجلها تحقيقها تحمل صنوف الألم والعذاب وقدم تضحيات جسيمة .

وإذا كانت الخيارات الخمسة المذكورة (الضم واللاحاق ،الترانسفير ،الخيار العربي ، الحكم الذاتي ،وبقاء الوضع الحالي) بعضها مرفوض من قبل حزب العمل ، وبعضها الآخر يرفضها الفلسطينيون ، فلا يبقى أمام حزب العمل إلا أن يختار أحد أمرين أحلاهما مر في نظر كثير من الإسرائيليين : الأول ، تجميد الأوضاع تحت سقف الحكم الذاتي بصيغته القائمة الآن أو المحسنة قليلاً ، وتعطيل كل امكانية لتحويل دولة غزة والحكم الذاتي الى دولة مستقلة . واعتماد هذا الخيار ممكن إسرائيلياً ، لكن ثمنه سوف يكون باهظاً على إسرائيل والفلسطينيين وكل شعوب المنطقة . فسيقتل عملية السلام في منتصف الطريق وسيؤجج الصراع بين الشعبين الفلسطيني والإسرائيلي ، وستمتد نيرانه بالتدريج الى - كل الدول والشعوب المحيطة بفلسطين حتى لو كان بينها وبين إسرائيل معاهدات أو اتفاقات سلام . وسيعيد الأوضاع الى اسوء ما كانت عليه قبل انطلاق عملية السلام ، وستكون العداوة أكبر والحقد والكراهية أعمق . وسيؤدي الى إضعاف ميث للإتجاهات الواقعية عند الطرفين وفي المنطقة ككل ، ويقوي التطرف والتعصب ، بكل أشكاله الديني والقومي والوطني ، ويساعده في السيطرة على أوضاع المنطقة وتولي دفة قيادتها لسنوات طويلة

وزجها بالتالي في صراعات دموية ، طائفية ، ودينية ، وعرقية ، يصعب التكهن بنتائجها منذ الآن . واختيار القيادة الإسرائيلية لهذا الخيار يعني السباحة والتجديف عكس تيار الوفاق الدولي الدافع بقوة باتجاه حل النزاعات ذات الأبعاد الدولية .

وإذا كانت عملية السلام أوجدتها القوى الدولية لتستمر ، ولتحقق كل اوبعض الأهداف المرسومة لها ، واتفاق أوسلو وجد لينفذ ، فلن يكون سهلاً على حكومة إسرائيل تحمل المسؤولية أمام شعبها والعالم ، عن النتائج والآثار المدمرة التي يحملها هذا الخيار . وتبني مثل هذا الخيار يعني أيضاً خلط الأوراق من جديد داخل إسرائيل وداخل حزب العمل ذاته . ومن يدقق في مواقف رابين وأركان حزب العمل والحكومة ، يرى تبايناً في المواقف ، فهناك من هم مع هذا الخيار ، وهناك من هم مع دولة فلسطينية مستقلة . أما رابين فالواضح أنه متردد ومتنقل بين الخيارين ، فهو من جهة يرسى بقصد أو بدون قصد مقومات الدولة الفلسطينية المستقلة ، ويعمق العداوة بين الشعبين والقيادتين من جهة أخرى . اعترف بالشعب الفلسطيني كشعب ، ويرفض الاعتراف بحق هذا الشعب في تقرير مصيره . تفاوض مع المنظمة ووقع اتفاقات معها ، ويعطل في ذات الوقت قدرتها على تعزيز نفوذها ودورها في صفوف شعبها . وافق على تشكيل جيش فلسطيني قوامه تسعة آلاف رجل مسلح الآن ، وسيصير أكثر من عشرين ألفاً عند تنفيذ الشق الثاني من إتفاق أوسلو ، ويرفض إطلاق سراح المعتقلين وإعادة المبعدين . . الخ . . وبغض النظر عن الخيار النهائي الذي سيرسو عليه موقف رابين ، وعن حقيقة قناعته بقيام الدولة الفلسطينية المستقلة ، فالثابت أن الإستمرار في التفاوض ، وفي تنفيذ إتفاق أوسلو ولو بالتقسيط وعلى دفعات متأخرة ، ونجاح السلطة في دويلة غزة وأريحا في النهوض بمهامها ، وتقديم المفاوضات على المحاور العربية الأخرى كلها عوامل تساعد على إبعاد خيار تجميد الأوضاع تحت سقف الحكم الذاتي عن التفكير الإسرائيلي ، وتقربه من

التعاطي الجدي مع خيار الدولة المستقلة .

إن تشجيع المواطن والمفكر وصانع القرار في اسرائيل ، على تقبل فكرة التعايش في دولتين متجاورتين مهمة فلسطينية من الدرجة الأولى . فلا يمكن لرايين ولا لأي حكومة اسرائيلية الأخذ بخيار الدولة الفلسطينية كحل نهائي للصراع ، إلا إذا توافرت أغلبية شعبية (٥١٪) إسرائيلية تؤيد مثل هذا الخيار . وإذا كانت استطلاعات الرأي العام تشير الى حدوث تنامي في الفكر الواقعي في إسرائيل وتزايد نسبة المؤيدين لقيام الدولة الفلسطينية وللسلام مع العرب ، فطمأنه المواطن الإسرائيلي على أمنه ومستقبله من قبل الفلسطينيين والعرب يقوي تيار السلام في اسرائيل ، ويضعف مواقف القوى الإسرائيلية المعارضة لقيام دولة فلسطينية مستقلة .

وبالمقابل فإن رفض القيادة الإسرائيلية اتخاذ خطوات عملية وجدية يفهمها الفلسطينيون على أنها تؤدي مستقبلاً الى دولة ، يقود الى توليد شعور بالإحباط واليأس عندهم من عملية السلام . وإبقاء المواطن الإسرائيلي قلقاً على أمنه ، وخائفاً من قيام دولة فلسطينية معادية له ، ومن استمرار المقاطعة العربية مفروضة عليه تؤدي هي الأخرى الى ذات النتيجة . إن تبديد هذا الخوف وذاك القلق الفلسطيني الاسرائيلي المتبادل يتطلب عملاً مضنياً ، وبذل جهود كبيرة من قبل قوى السلام من الطرفين . كما يتطلب خطوات عملية امنية وسياسية واقتصادية وإعلامية شجاعة من قيادات الطرفين العربي والإسرائيلي . فلغة السلام تختلف عن لغة الحرب . والعلاقات الأمنية والاقتصادية في حالة الحرب ، تختلف عنها في حالة انتهاء حالة الحرب ، وفي حالة التوجه لصنع السلام العادل والشامل والحقيقي .

قبل ثلاث سنوات وافق القادة الفلسطينيون والإسرائيليون والعرب على الدخول في عملية السلام كتكتيك لإعتبارات دولية وإقليمية ، ولإنعدام الخيارات الأخرى . وكانوا متشككين في امكانية تحقيق خطوات جدية على

هذا الطريق . والآن وبعد تحقيق ما تحقق أصبحوا جميعاً أسرى لهذه العملية ومتورطين في تفاصيلها ، وبعضهم انتقل للتعاطي معها كاستراتيجية . وأعتقد أن مصلحة الجميع ، ومستقبل المنطقة ، ومستقبل الأجيال عند الطرفين العربي والإسرائيلي تفرض على الطرفين تحويل مسألة صنع السلام في المنطقة الى استراتيجية ثابتة ، وأن يوفر كل مقومات ومستلزمات تحقيقها بأقل زمن ممكن ، وبأقل قدر ممكن من الدماء والعذاب والدمار .

لا شك أن المقومات الأساسية لقيام الدولة الفلسطينية على الأرض الفلسطينية متوافرة وموجودة ، منذ زمن طويل ، وزادت بتسارع كبير بعد اتفاق أوسلو ، وسوف تزيد في المستقبل . فعلى أرض الضفة والقطاع والقدس يعيش الآن ما لا يقل عن مليونين ونصف المليون من الفلسطينيين ، ويتوقع لهم أن يصبحوا أكثر من ثلاثة ملايين حتى نهاية هذا القرن . لا سيما وأن نصف مليون نازح يفترض أن يعودوا خلال أربع أو خمس سنوات حسب اتفاق أوسلو . والفلسطينيون داخل الوطن وخارجه يزيدون الآن على ٦ ملايين وكلهم موحد حول هدف الدولة المستقلة ، ولهم الآن كياناتهم الخاصة بهم على جزء من أرضهم ، وكيانهم له سلطة وله شرطة وجيش . ناهيك عن امتلاك الشعب والكيان للقضايا الرمزية الأساسية ، علم ، ونشيد ، وجواز سفر ، ومعها اعتراف ما يزيد على مائة دولة من دول العالم بدولة فلسطينية . لا شك أن التسريع في ترسيم حضورها وحدودها ، دولياً وعربياً وإسرائيلياً ، وتطبيع علاقاتها مع جيرانها ، مسائل أساسية لا زالت بحاجة الى جهود فلسطينية كبيرة وعمل قيادي مضمّن . وذات الشيء ينطبق على توفير المقومات الإقتصادية وبناء المؤسسات الضرورية للدولة . والواضح أنه بمقدار ما يسرع الفلسطينيون في إنجاز هذه المسائل يعجلون في قيام دولتهم المستقلة على كل أرض الضفة والقطاع ، ويقللون من عذابات وآلام شعبهم ، وعكس ذلك صحيح تماماً . وأعتقد أن الخبرات والإمكانات الذاتية للشعب الفلسطيني كافية لإنجاز المطلوب بحدوده الدنيا وفي الوقت المطلوب ،

شريطة أن تحسن قيادة المنظمة وسلطة حكم الذاتي حشد وتوظيف هذه الإمكانيات والطاقات . وأظن أن الظروف والأوضاع العربية والدولية القائمة ناضجة تماماً لمساعدة الفلسطينيين على إنجاز المهام المطلوبة ، ولبناء دولتهم المستقلة . وهي لم تكن في يوم من الأيام ، وعلى امتداد خمسين عاماً ، مواتية كما هي مواتية الآن . ومن المؤكد أن اعتماد الديمقراطية كناظم لعلاقات المجتمع الفلسطيني بعضه ببعض ، واعتمادها الآن كناظم لعلاقة السلطة الفلسطينية وقيادة المنظمة مع الشعب وقواه الوطنية ، يساعد في إنجاز عملية الحشد المطلوبة للطاقات الفلسطينية ، ويشجع العديد من دول وشعوب العالم على مؤازرة الفلسطينيين في تحقيق هدف إقامة الدولة وفي بنائها . وفي هذا السياق تحتل مسألة إجراء إحصاء وتعداد شامل للشعب الفلسطيني ، وإجراء انتخابات لممثلي الشعب ومجلس السلطة الوطنية موقعاً حاسماً . فالقيادة الفلسطينية التشريعية والتنفيذية المتولية الآن مقاليد السلطة الفلسطينية انتزعت شرعيتها عبر النضال ، وكرستها من خلال التفاف الشعب الفلسطيني حول المنظمة وحول الإنجازات التي حققتها . ولكنها بالتأكيد بحاجة الآن لتجديد شرعيتها بأخذ رأي الشعب مباشرة . ومن حق الشعب أن يقول كلمته الآن ، وأن يختار قيادته بصورة ديمقراطية ومباشرة .

ويخطيء كل من يعتقد أن حديث عدد من الدول الكبرى عن نشر الديمقراطية في العالم كاف لبناء نظام ديمقراطي فلسطيني . فهذه الدول مستعدة للتعامل مع أكثر الأنظمة ديكتاتورية إذا كان في ذلك مصلحة لها . وليس عسيراً سوق عشرات الأمثلة على ذلك . وأعتقد أن مبادرة منظمة التحرير والسلطة الوطنية الفلسطينية ، فوراً نحو تطبيع علاقاتها مع كل الدول العربية دون استثناء أمرٌ ضروري ، وحيوي لتحويل دويلة غزة وأريحا إلى دولة مستقلة ، ولترسيم حدود هذه الدولة .

فليس من مصلحة فلسطينية أن تكون دويلة غزة الآن طرفاً في محاور عربية .

أو تكون هناك دولة عربية واحدة ضد قيام دولة فلسطينية . وقيام علاقات متينة مع العرب يساعد في تثبيت فكرة الدولة دولياً ، ويسرع في فرضها كحقيقة سياسية وجغرافية في المنطقة . وفي توفير قدر أكبر من المقومات الاقتصادية لها . وفي هذا السياق أعتقد أن على القيادة الفلسطينية التحرر من عقدة النقص والشعور بالإضطهاد التي تحكمتم في سلوكها مع العرب خلال سنوات مضت ، وأن تتخلص من هاجس الخيارات العربية البديلة . ومن هاجس الخوف على استقلالية القرار الفلسطيني .

فبعد اتفاق اوسلو ، وبعد قيام دولة غزة وأريحا أصبح بإمكان القيادة الفلسطينية التحرك براحة ، ودون عقد ، ودون شعور بالإضطهاد ودون خوف . فهذه الإنجازات الفلسطينية أرسيت نوعاً من التكافؤ النسبي في العلاقات الفلسطينية - العربية . ولعل من المفيد تكرار القول أن نضال الشعب خلال ثلاثين عاما ، منها ست سنوات انتفاضة ، اقنع إسرائيل والولايات المتحدة باسقاط الخيارات العربية ، وتكرس الخيار الفلسطيني كخيار وحيد ونهائي لحل النزاع الفلسطيني - الإسرائيلي ، وعندما تيقنتا بأن الخيار الفلسطيني هو الخيار الواقعي والممكن عبره إنهاء الصراع .

وفي سياق الحديث عن العلاقات الفلسطينية العربية ، تخطىء القيادة الفلسطينية ان هي اعتقدت أن تطبيع علاقاتها مع اسرائيل وتطويرها يمكن أن تغنيها عن إقامة علاقات متينة مع العرب . فنصف الشعب الفلسطيني يعيش الآن في الدول العربية ، وأظن أن قسما من هذا النصف أو معظمه سيبقى يعيش خارج فلسطين حتى ولو حمل الجنسية الفلسطينية . ومن حق هذا القسم من الشعب أن يشعر بالإطمئنان والاستقرار ، وأن لا يجد نفسه مضطراً لدفع ثمن توتر في العلاقة بين سلطته وهذا البلد العربي أو ذاك . ويجب على السلطة الفلسطينية أن لا تحشره بين خيارين الحرص على مصالحه حيث يقيم أو مساندة مواقف سلطته . وليس من مصلحة للفلسطينيين في أن تتحول قضية

اللاجئين ، وقضية القدس ، وقضية النازحين الى قضايا فلسطينية صرفة ، ناهيك عن كون ذلك مستحيلاً .

وإذا كانت ثورة جياح غزة تمثل الآن الخطر الحقيقي والمباشر على السلطة الفلسطينية ، فالواضح أن لا غنى عن البعد والعمق العربي في حلها أو التخفيف من احتمال انفجارها كحد أدنى . فمهما تطورت العلاقات الفلسطينية - الإسرائيلية فسقفها معروف (احتلال ومحتل) أقله من الآن ولخمس سنوات ، وتحت هذا السقف يستحيل إيجاد حلول لمشكلات غزة . وغني عن القول أن تقوقع السلطة الفلسطينية على ذاتها ، وانعزالها عن محيطها العربي يضعف موقفها التفاوضي مع إسرائيل . ومن المفيد التذكير بأن ما تم حتى الآن بين الفلسطينيين والإسرائيليين هو خطوة على طريق الألف ميل ، خطوة باتجاه الحل ، وليس حلاً نهائياً ، ولا سلاماً شاملاً . وأعتقد أن التصرف تجاه قيام الكونفدرالية بين الأردن وفلسطين من منطلق الخوف من الخيار الأردني ، أو الخوف على استقلالية القرار الفلسطيني ليسا سوى أوهام ، ومؤشر على عدم استيعاب للمتغيرات الدولية ، ولمعاني وأبعاد اتفاق أوسلو والإعتراف الإسرائيلي بالمنظمة . وبالمقابل فإن محاولة فرض صيغة كونفدرالية فوقية على الشعبين لن تكون مقبولة من كليهما ، وأظن أنها لن تعمر طويلاً ، وقد تكون مصدر إشكالات لاحقة .

وإذا كانت الكونفدرالية الفلسطينية الأردنية مصلحة وطنية وقومية فلسطينية - أردنية مشتركة ، فالحجاز هذه المصلحة يجب أن يتم بناء على اختيار طوعي للشعبين ، وبناء على قناعة عميقة بأنها الصيغة الوحيدة القادرة على تحويل التداخل والترابط الاجتماعي والاقتصادي والثقافي الفلسطيني - الأردني الى مصدر قوة عربية ، وأن بقاء الوضع على ما هو عليه الآن وبدون صيغة ملزمة ، تنظم العلاقة بين السلطتين الأردنية والفلسطينية قد يكون على المدى البعيد مصدر متاعب للشعبين وللوضع العربي برمته . إن تواجد ما يزيد على ٢,٥ مليون

فلسطيني على أرض الأردن ، وانخراطهم في النسيج الاقتصادي والسياسي والإجتماعي والثقافي الأردني يجعل من الكونفدرالية قدراً لا مفر منه . لا سيما وأن قسماً كبيراً من هذا العدد أو معظمه سيبقى في الأردن ، وهو الآن ولاحتمالاً سيبقى محكوماً لأمرين : الأول مصالحه الاقتصادية والحياتية وعلاقاته الإنسانية والإجتماعية التي بناها على أرض الأردن . والثاني ، تطلعه نحو تحرير أرضه وشعبه من الاحتلال الصهيوني ، وطموحه في الانتماء لدولة فلسطينية مستقلة . واعتقد أن كل محاولة من أي طرف كان لفرض أحد الأمرين على الفلسطينيين في الأردن ، وجعلهما أمرين متعارضين ومتناقضين لن يكون من الناحية الإستراتيجية في مصلحة أحد . ولهذا إذا كانت الكونفدرالية قدراً وليس خياراً ، فالواجب الوطني والقومي يفرض الشروع في وضع الأسس الكفيلة بإنجاح هذا القدر المحتتم . واعتقد أن شروع الفلسطينيين والأردنيين بإقامة هذا المشروع يجعل من تحويل دويلة غزة أريحا الى دولة مستقلة متحدة كونفدرالياً مع الأردن وليس العكس . فالواضح أن مثل هذا التوجه مرغوب دولياً ويمكن أن يكون مقبولا إسرائيلياً .

ومن البداهة القول ان إسرائيل لن تسلم بسهولة في تحويل دويلة غزة وأريحا الى دولة مستقلة . ومن الطبيعي أن تعمل القيادة الإسرائيلية على تأجيل هذا الشر أطول فترة زمنية ممكنة . وأن تسعى لأن تكون هذه الدولة في حال قيامها ضعيفة وتابعة ، وغير قادرة على أن تصبح في المستقبل دولة معادية لإسرائيل أو مصدر تهديد لها . وأن تسعى للحصول على ضمانات أكيدة وصياغة كل هذه الضمانات في اتفاقات ومواثيق رسمية مضمونة دولياً . فالمسألة بالنسبة لإسرائيل هي مسألة مصير ومسألة حياة أو موت . والواضح منذ الآن أن هذا الإستحقاق قد لا يمر بسلام داخل المجتمع الإسرائيلي . فوجود ما يزيد على مائة وثلاثين مستوطنة في الضفة والقطاع ، وما يزيد على مائة وعشرين ألف مستوطن على أراضي الضفة والقطاع قد يفرض على القيادة الإسرائيلية الدخول

في مواجهات محدودة مع المتطرفين من المستوطنين ومع الأحزاب اليمينية التي تحرضهم وتساندهم . وإذا كانت مصلحة إسرائيل ومستقبل السلام والتعايش بين الشعبين تفرض على القيادة الإسرائيلية التسريع في تجاوز هذه المرحلة الإنتقالية من حياتها ، ومن علاقاتها مع العرب والفلسطينيين ، فالمصالح الوطنية والقومية الفلسطينية والعربية تتقاطع مع هذا الهدف . وأعتقد أن الدخول في البحث عن صفة تاريخية عربية - إسرائيلية تنفذ على مراحل متفق عليها أصبح ممكناً بعد إتفاق أوسلو ، وبعد قيام السلطة الفلسطينية على أرضها ، وأظنه بات أقصر الطرق الموصلة الى السلام الحقيقي وأقلها ألماً وعذاباً للطرفين . وقاعدة الإنطلاق نحو هذه الصفة يمكن أن يكون هكذا : تعيد إسرائيل للعرب كامل أرضهم وحقوقهم بما في ذلك حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم في إطار دولة مستقلة ، مقابل أن يضمن العرب جميعاً حق إسرائيل في الوجود ، وأن يضمنوا امنها ، ويطبّعوا العلاقات معها . وأعتقد أن توصل الأطراف العربية الى اتفاقات ثنائية مع إسرائيل يجعل البحث والوصول الى مثل هذه الصفة التاريخية أمراً واقعياً وليس خيالياً . وإذا كان إصرار إسرائيل على التعاطي مع العرب بالمفرق على امتداد السنوات الثلاث الماضية قد حقق أهدافه ، وكان له ضروراته ومبرراته من وجهة النظر الإسرائيلية ، فأظن أن التوصل للإتفاقات الثنائية يفقده مبرره ، لا سيما وأن القضايا المطروحة للبحث والنقاش بعد هذه الإتفاقات قضايا يتداخل فيها الخاص بهذا البلد أو ذاك بالمشترك والذي يهم الجميع ، من نوع اللاجئين ، والنازحين ، والعلاقات الإقتصادية ، وقضايا البيئة ، والحدود ، والمياه ... الخ ..

وأعتقد أنه من الآن وحتى قبول الشارع الإسرائيلي بقيام دولة فلسطينية الى جانب دولة إسرائيل ، وقبول الشارع العربي تطبيع العلاقات مع إسرائيل ، سيمضي وقت طويل ، وستدفع شعوب المنطقة ثمن كل تأخير . فميلاد الدولة الفلسطينية ، وتطبيع العلاقات العربية الإسرائيلية قدره أن يمر في مخاض دموي مؤلم وعسير .

هوامش

(١) عند انفجار الإنتفاضة كان رابين وزيراً للدفاع في حكومة الوحدة الوطنية وكان في زيارة للولايات المتحدة الأمريكية . ورداً على أسئلة بعض الصحفيين حول الإنتفاضة قال هذه حركة شعب أقوى من سابقاتها ، وستنتهي بعد عدة أيام . وفي حينها رفض نصائح بعض الخبراء والمستشارين بقطع الزيارة والعودة الى تل أبيب . أما قيادة المنظمة فلم تكن على علم بما يعتمر في نفوس الناس في الضفة والقطاع قبل يوم ٨٧/١٢/٧ . وبعد هذا التاريخ راح كل فصيل يفكر بمفرده في كيفية إدامة الإنتفاضة بضعة أسابيع قليلة حداها الأقصى تاريخ احتفال الفصيل بذكرى انطلاقته . فتح حتى ٨٨/١/١ ، والجبهة الشعبية حتى ٨٨/١/١٣ ، والجبهة الديمقراطية حتى ٨٨/٢/٢٢ . ومن الجدير ذكره أن معظم الفصائل ترددت في الأيام والأسابيع الأولى من الإنتفاضة في زج كوادرها في الإنتفاضة خشية اعتقالها . وأن حركة حماس التحقت بالإنتفاضة بعد عدة شهور .

(٢) كانت تلك الرسالة من الرسائل القليلة التي جرى التكتم عليها . ولأحفاً أكد أبو عمار أنه لم يعرف بها إلا بعد وقت طويل وقال لو عرفت مضمونها لشجعت الحكومة الأردنية على التعاطي معها .

(٣) في مناقشات القيادة الفلسطينية اختلطت المواقف داخل الفصائل وبدأت تظهر ملامح تيار واقعي يضم قيادات وكواد من كل الفصائل ، يقابله تيار متحفظ . وفي تلك الاجتماعات تأججت الخلافات داخل الجبهة الديمقراطية وظهرت للعلن . ويمكن القول أن الموقف من قرارات المجلس الوطني عجلت بوقوع الإنشقاق داخل هذا الفصيل ، وفي تشكيل جبهة المعارضة .

(٤) تضمنت المبادرة موقفاً فلسطينياً جديداً خلاصته الإعراف بالقرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ كأساس لحل النزاع ، وإدانة الإرهاب ، وبدولتين شعبين . وهذا الموقف يتعارض مع بنود ميثاق م.ت.ف. وفي حينها تحفظت الجبهة الشعبية

وبعض كادرات فتح على قرار المجلس وخاصة الفقرة المتعلقة بالقرار ٢٤٢ . راجع نص المبادرة .

(٥) أواخر عام ١٩٨٨ وجه اندرسون وزير خارجية السويد دعوة لأبو عمار لزيارة استكهولم للقاء مع عدد من ممثلي المنظمات اليهودية الأمريكية برئاسة ريتاهاوزر وفي حينها كان رأي بعض أعضاء القيادة الفلسطينية «مش حرزانة» واقترحوا إرسال عضو لجنة تنفيذية . في حينها أصر أبو عمار بشكل غريب على الذهاب واصطحب معه ياسر عبد ربه ومحمود درويش . في اللقاء اصطدم أبو عمار مع ريتاهاوزر ومن معها وانسحب من الاجتماع تاركاً ياسر ومحمود يقارعوهم . في المساء فوجئ أبو عمار حسب قوله بأندرسون وهو يقدم له رسالة من شولتس تتضمن مشروع علاقة وحوار مباشر بين منظمة التحرير والإدارة الأمريكية شرط موافقة المنظمة على القرار ٢٤٢ ، وبند العنف والإرهاب ، وحق إسرائيل في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها . لاحقاً وافقت المنظمة على المبادرة . وبعدها بدأ الحوار الفلسطيني الأمريكي في تونس يوم ١٦ / ٨٩ / ١٢ .

(٦) اصدرت الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية بيانات ضد الحوار الفلسطيني الأمريكي واتهموا عرفات والقيادة الفلسطينية بالتنازل والتساق مع الحلول الأمريكية . وذات الشيء فعلت بقية الفصائل المحسوبة على دمشق . وحملت بعض الأحزاب اللبنانية الموالية لسوريا وليبيا على الحوار ، وعلى القيادة الفلسطينية .

(٧) نصت مبادرة بيكر على ما يلي : ١- تفهم الإدارة الأمريكية أن مصر لا تنوب عن الفلسطينيين وسوف تتشاور معهم حول كل الموضوعات التي تهمهم وتمس حياتهم ٢- ان مصر وإسرائيل وافقتا على إجراء حوار فلسطيني - إسرائيلي في القاهرة ٣- ان إسرائيل سوف تشارك في المباحثات على أساس اقتراح ١٤ أيار (مبادرة شامير) الخاصة بإجراء

الانتخابات وطبقاً للمشروع الإسرائيلي . وتفهم أن الفلسطينيين سوف يكونون أحرار في إثارة موضوعات تعبر عن رأيهم في أسلوب وكيفية إجراء الانتخابات والمفاوضات ونجاح عملية التفاوض . ٤- ان إسرائيل سوف تشترك في حوار مع الفلسطينيين بعد أن تشعر بارتياحها للقائمة التي تضم أسماء الوفد . ٥- سيدعو بيكر وزير خارجية الولايات المتحدة كل من الدكتور عصمت عبد المجيد وزير خارجية مصر آنذاك - أمين الجامعة العربية حالياً - ونظيره موشي أرينز وزير خارجية إسرائيل في تلك الفترة للإجتماع في واشنطن خلال أسبوعين .

(٨) حسب رواية قياديين في جبهة التحرير الفلسطينية . والمعروف أن معسكرات التدريب الأساسية لتنظيم أبو العباس كانت موجودة في العراق وليبيا . وكان لأبو العباس علاقات قوية مع النظامين الليبي والعراقي وكان يتلقى مساعدات مالية ولوجستية .

(٩) بناء على تنسيق امريكي مصري تقدمت الحكومة المصرية بنقاطها العشر كأساس لبدء حوار فلسطيني - اسرائيلي . كررت فيها نقاط بيكر الخمس ، وأضافت بعض النقاط لصالح شامير . ورغم ذلك رفض شامير المبادرة المصرية ، ورفضه هذا أعفى القيادة الفلسطينية من اشكالات داخلية .

(١٠) نجح الاتحاد السوفيتي في تعزيز مواقعه في الشرق الأوسط ، ووثق علاقته مع العراق في معاهدة صداقة وتعاون مشترك وقعت في ٩/٤/٧٥ ، سبقتها معاهدة مع اليمن الديمقراطي في ٢٥/١٠/٦٩ ، وتلتها معاهدة مع سوريا ٨/١٠/١٩٨٠ .

(١١) ناقشت القيادة الفلسطينية الموقف مرات عديدة وخلال النقاش ظهرت آراء طالبت بإدانة إحتلال اراضي الغير بالقوة إلا ان أصحاب هذا الرأي كانوا أقلية وكان على رأسهم أبو مازن وأبو إياد . وفي حينها راهن أبو عمار على إمكانية الوصول الى حل عربي للأزمة وقام بتحركات ونشاطات عديدة . وحتى

ما قبل بدء العمليات الحربية بأيام قليلة كان أبو عمار يعتقد أن الأزمة ستحل بالطرق الدبلوماسية . وتجدر الإشارة الى أن الشخصيات الوطنية داخل الأراضي المحتلة اصدرت بياناً أكثر توازناً من بيانات القيادة الفلسطينية ، إدانة إحتلال العراق لأراضي الكويت بالقوة . وأعتقد أن علاقة الحكومة الكويتية مع المنظمة قبل الأزمة أثرت على قرار المنظمة وموقفها ، وكذلك المساعدات المالية التي كان العراق يقدمها للمنظمة (٥٠ مليون سنوياً) .

(١٢) حددت مبادرة الرئيس بوش أسس السلام في الشرق الأوسط بما يلي :
١- الأرض مقابل السلام . ٢- تطبيق القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ من خلال المفاوضات . ٣- تحقيق الحقوق السياسية المشروعة للشعب الفلسطيني . ٤- ضمان الأمن والسلام لدولة إسرائيل .

(١٣) بعد توقف حرب الخليج مباشرة ، وبعد أقل من شهر على الإعلان عن مبادرة بوش ، توجه بيكر لزيارة دول المنطقة . وخلال زيارته الأولى حصل على موافقة سوريا والأردن على المشاركة في مؤتمر للسلام في الشرق الأوسط ، وفي حينها تأخر شامير في الإعلان عن الموقف الإسرائيلي . أما قيادة المنظمة فقد غرقت حينها في مناقشات حول هل نسمح لشخصيات الداخل باللقاء مع بيكر أم نقاطع اللقاء . وبعد عدة اجتماعات وافقت القيادة الفلسطينية على السماح لوفد الداخل باللقاء وذلك بناء على اقتراح تقدم به الدكتور جورج حبش الأمين العام للجنة الشعبية من خمس نقاط وهي : ١- تستمر وبعنفوان كافة النشاطات الجماهيرية في نفس يوم وساعة اللقاء مع بيكر . ٢- لا يجوز الكلام بشكل عام . على الشخصيات أن تقول نلتقي معك بناء على تكليف من م.ت.ف . ووفقاً لتعليمات الأخ أبو عمار . ٣- الوفد لا تحدده القنصلية الأمريكية بل نحدده نحن مثلما حددنا الوفد الذي التقى الترويك . ٤- يحمل الوفد مذكرة رسمية . ٥- بعد اللقاء يعقد مؤتمر صحفي يعلن فيه مضمون المذكرة .

(١٤) عقد مؤتمر مدريد على أسس تم تحديدها في رسالة الدعوة التي وجهت للأطراف - راجع نص رسالة الدعوة - كما أعطيت للأطراف رسائل تطمينات أمريكية تتضمن رؤية الولايات المتحدة للقضايا التي لم يستطع تثبيتها في رسائل الدعوة . نظم المفاوضات في صيغتين الأولى ثنائية بين أطراف الصراع وثبت لهما راعين -أمريكا والاتحاد السوفيتي- الثانية متعددة الأطراف ضمت بالإضافة للدول المتورطة في الصراع المباشر ما يقارب الأربعين دولة أخرى . منها دول السوق الأوروبية المشتركة - كندا واليابان .

(١٥) كان أبو عمار يخشى حصول تقدم في المفاوضات ، فالتقدم قبل دخول المنظمة مباشرة على خط المفاوضات يعني التقدم باتجاه شطبها ، ولهذا كانت مواقفه تتناغم مع المواقف الإسرائيلية المتطرفة وكان يضغط باتجاه المشاركة المباشرة أو فتح قنوات سرية مع المنظمة . ويسجل لأبو عمار أنه نجح في إخفاء حقيقة موقفه حيث كان يغلفها بمواقف تبدو وكأنها متصلة في وجه الأمريكان والإسرائيليين وتمسكة بالثوابت الوطنية .

(١٦) في سياق تنظيم الدور الفلسطيني في المفاوضات شكلت القيادة الفلسطينية لجنة سميت «لجنة متابعة المفاوضات برئاسة محمود عباس(أبو مازن) ، ضمت في عضويتها عددا من أعضاء اللجنة التنفيذية هم : ياسر عبد ربه ، شفيق الحوت ، سليمان النجاب ، عبد الله حوراني ، سمير غوشة ، وعدداً آخر من خارج اللجنة التنفيذية هم أبو علاء ، حكم بلعاوي ، نبيل شعث ، أحمد عبد الرحمن ، أكرم هنية ، حسن عصفور ، وممدوح نوفل . اسندت لها رسمياً مهمة متابعة كل قضايا المفاوضات وقضايا الوفد . ومع تطور المفاوضات توسعت المشاركة في اجتماعات اللجنة فكثيراً ما يشارك فيها كل من فاروق القدومي ، محمود درويش ، أبو ماهر غنيم ، وصخر حبش . ولاحقاً اعتبر الاخوة أعضاء اللجنة القيادة في الداخل أعضاء في اللجنة . وتجدر الإشارة الى أن أبو عمار كان يحرص على المشاركة في معظم اجتماعات اللجنة وكان يترأس

اجتماعها وفي مثل هذه الحالة كان اسم اللجنة يتحول من لجنة متابعة المفاوضات الى اللجنة العليا لمتابعة المفاوضات .

(١٧) مفاوضات الرواق : في الجولة الأولى - واشنطن . أصطدم الموقف الفلسطيني مع الموقف الإسرائيلي حول وجود مسار فلسطيني مستقل عن المسار الأردني . وفي حينها أصر الجانب الإسرائيلي على اجراء كل المفاوضات في إطار الوفد الأردني - الفلسطيني المشترك وفي غرفة واحدة . ورفض التفاوض مع الفلسطينيين كوفد مستقل وفي غرفة مستقلة . وبالمقابل أصر الطرف الفلسطيني في البداية على التعامل معه كوفد مستقل وعلى وجود مسار مستقل وغرفة مستقلة للمفاوضات الفلسطينية-الإسرائيلية ، فكانت النتيجة إجراء مفاوضات تمهيدية في رواق وزارة الخارجية الأمريكية وعلى أريكة ، استمرت فترة جولتين كاملتين . ولهذا سميت فلسطينياً وفي اجهزة الإعلام الدولية بمفاوضات الرواق ، وأحيانا كان يقال عنها مفاوضات الأريكة نسبة للأريكة التي كان يجلس عليها رؤساء الوفود الثلاثة : الأردني ، الفلسطيني ، والإسرائيلي .

(١٨) القيادة الفلسطينية : هيئة فلسطينية اعتبارية غير رسمية ، وغير منتخبة ، تجتمع بناء على دعوة من أبو عمار ، تضم في العادة الأمناء العامون لفصائل الثورة الفلسطينية + أعضاء اللجنة التنفيذية + عضو أو عضوين قياديين من كل فصيل . قراراتها من الناحية النظامية غير ملزمة للهيئات التشريعية والتنفيذية الفلسطينية ، إلا أنها في بعض الأحيان تعتبر ملزمة للجنة التنفيذية . خاصة إذا رغب أبو عمار في ذلك . وكثيراً ما لجأ أبو عمار لهذه الهيئة وتعامل معها كبديل للجنة التنفيذية . بدأ العمل بهذه الصيغة في عام ١٩٧٧ ، وكثيراً ما برز دورها كهيئة قيادية على أبواب المجلس الوطني الفلسطيني ، وخلال الأزمات التي واجهتها المنظمة .

(١٩) قبل وبعد افتتاح مؤتمر مدريد للسلام في ٣١ تشرين اول ٩١ شهدت العلاقات الأمريكية - الإسرائيلية توتراً متزايداً حول الموقف من : أسس

وشروط المشاركة في المؤتمر، الإستيطان في المناطق المحتلة، الممارسات الإسرائيلية ضد الفلسطينيين، وضمانات القروض. فشامير في البداية لم يكن يرغب بالمشاركة في المؤتمر، ولاحقاً فرض شروطه للمشاركة، وطالب الإدارة الأمريكية بضمانات قروض قيمتها عشر مليارات دولار لإستيعاب المهاجرين الجدد. وفي حينها وافقت الإدارة على تقديم الضمانات إلا أنها لم تقدمها طيلة عهد شامير، واستغلت الحاجة الإسرائيلية الماسة للضمانات للضغط على شامير قبل وخلال فترة الإنتخابات الإسرائيلية. ويكاد يكون هناك اجماع على أن التوتر في العلاقة الإسرائيلية الأمريكية وعدم تقديم ضمانات القروض ساهم في إضعاف الموقف الإنتخابي لليكود وبالتالي خروجه من السلطة.

(٢٠) التقى أبو مازن مع ممثلي الأحزاب الثلاثة، واقترح عليهم صيغة قائمة موحدة بين الديمقراطي والتقدمي، فائض أصوات مع راكاح. في الإجتماع وافق معياري على الإقتراح إلا أنه عاد وتراجع. فخسر الدعم المادي والمعنوي من المنظمة ولم ينجح معياري في انتخابات الكنيست ولا أي من أعضاء حزبه.

(٢١) أدانت الإدارة الأمريكية اللقاء واعتبرته عملاً يضر بعملية السلام. أما شامير فقد أعلن أنه سيأمر باعتقال كلا من فيصل الحسيني وحنان عشراوي عند عودتهما للضفة، وسيقدم كل من حضر التحقيق، إلا أنه عاد وتراجع علناً عن موقفه.

(٢٢) راجع قرارات مؤتمر حزب العمل الذي انعقد على أبواب الإنتخابات الإسرائيلية صيف ١٩٩٢ والتي نشرت في حينها في الصحافة الإسرائيلية والعربية.

(٢٣) نشأت علاقة ثقة بين بيكر وعدد من أعضاء الوفد الفلسطيني المفاوض. وبالرغم من كل الإنتقادات الفلسطينية له، إلا أن القيادة الفلسطينية كانت تحترم بيكر حيث تولد عندها قناعة بأن الرجل صادق في مواقفه، وغير

راض عن مواقف شامير من عملية السلام ، وعارض بيكر علناً استمرار شامير في الإستيطان .

(٢٤) لاحقاً ، وبعد التوقيع على اتفاق اوسلو ، عين لارسن منسقا لهيئات ومؤسسات الأمم المتحدة في الشرق الأوسط .

(٢٥) خلال حصار القوات الإسرائيلية لمدينة بيروت صيف ٨٢ ، جرت مفاوضات فلسطينية - امريكية حول انسحاب قوات وقيادة المنظمة من بيروت ، وفي حينها قاد فيليب حبيب مبعوث الرئيس الأمريكي للشرق الأوسط المفاوضات بالواسطة حيث قام شفيق الوزان رئيس وزراء لبنان آنذاك وصائب سلام بدور الوسيط . وأسفرت المفاوضات عن اتفاق حول الخروج الفلسطيني من بيروت وتضمن الإتفاق تعهداً من الإدارة الأمريكية بأن تتولى القوات المتعددة الجنسية حماية المخيمات في بيروت وجنوب لبنان . لاحقاً اقتحمت القوات الإسرائيلية ٩/١٦ مخيم صبرا وشاتيلا ووقعت المجزرة الشهيرة .

(٢٦) شارك في اللقاء أبو مازن ، أبو علاء ، سليمان النجاب ، صخر حبش ، محسن ابراهيم ، ياسر عبد ربه ، ممدوح نوفل ، وأحمد خالدي المرسل من قبل الوفد المفاوض في واشنطن بالإضافة لأبو عمار .

(٢٧) مارتن انديك : مدير شؤون الشرق الأدنى وجنوب آسيا في مجلس الأمن القومي الأمريكي .

(٢٨) بعد وصول حسن عصفور ومعه الأسئلة التقاه ياسر عبد ربه على انفراد وسجل معظم الأسئلة بحجة التفكير في الإجابة عليها . وفي لقائنا الثاني قرأ ياسر بعض الأسئلة وتداولنا في الإجابات حولها . بعض الأسئلة كان عاما ويتعلق بالقدس والإستيطان والحدود ، أما الأسئلة التفصيلية فكانت كلها تدور حول الامن ومسائل قانونية وخاصة قواعد السلوك للأفراد والآليات وطرق معالجة الأخطاء والمخالفات وحدود صلاحيات كل طرف .

(٢٩) دعا أبو عمار القيادة الفلسطينية لإجتماع خاص لمناقشة موضوع غزة وركز على نقطتين : الأولى بلدية غزة وكيفية التعامل مع حماس والثانية وضع 'عوجة حفير' وهي منطقة جغرافية فلسطينية كانت تحت السيطرة المصرية قبل عام ٦٧ ومفصولة عن قطاع غزة .

(٣٠) بعد توقيع اتفاق اوسلو تم قتل أسعد الصفطاوي ضمن تصفيات فلسطينية داخلية وقد حزن أبو عمار وتأثر لمقتله وفتح له بيت عزاء في تونس . ورغم التحقيقات التي جرت إلا أن القاتل بقي شبه مجهول .

(٣١) جريدة القدس اللندنية : صحيفة يومية تصدر من لندن تمولها م . ت . ف ، وهي معروفة بأنها ناطقة باسم المنظمة . ويشرف أبو عمار مباشرة على توجيه خطها السياسي . خلال حرب الخليج وبعدها بفترة كلف أبو عمار عبد الله حوراني بمتابعتها وكان التكليف على كل حال شكليا .

(٣٢) خلال أزمة الخليج تدهورت علاقة المنظمة عامة وأبو عمار خاصة مع السعودية ودول الخليج الأخرى . وبسبب موقفه من الحرب استطاع أبو مازن المحافظة على علاقاته القديمة . وبعد جهد كبير نجح أبو مازن في تأمين زيارة للسعودية في ذكرى انطلاقة فتح ٩٣/١/١ . وخلال وجوده في السعودية شنت جريدة 'القدس' حملة قوية ضد السعودية وقام أبو عمار بزيارة مفاجئة لبغداد . وفي حينها اعتبرت خطوة أبو عمار تخريب مقصود على زيارة أبو مازن والتي فسرها بأنها تأتي في سياق تحضير البديل لأبو عمار .

(٣٣) فريخ أبو مدين : نقيب المحامين سابقاً في قطاع غزة محسوب على حركة فتح ، عمل كعضو في الوفد الفلسطيني الى مفاوضات واشنطن . عين مؤخراً وزيراً للعدل في السلطة الوطنية الفلسطينية .

(٣٤) وجهت لدرعي تهمة التلاعب بأموال الدولة واختلاسها لحساب المدارس الدينية التابعة لحزب شاس وقد ثبتت محكمة العدل العليا التهمة ،

وأصبح الوزير مطالب بالاستقالة أو أن يقوم رئيس الوزراء بإقالته . وفي حينها أعلنت شاس بأنها ستسحب من الحكومة في حال اقالة الوزير . وعلى كل حال فان هذا ما حصل لاحقاً . أقيل الوزير وانسحبت شاس من حكومة رابين .

(٣٥) عملية عدنان ياسين : عمل عدنان في مكتب م . ت . ف . في تونس فترة ربع قرن . ووصل الى رتبة نائب السفير . وكان خدوما في تعامله مع الجميع . يهتم في تلبية متطلبات القيادة والكوادر ، شراء سيارات وتجهيز بيوت . قبل التوقيع على اتفاق أوصلو بأيام قليلة شكى أبو مازن من آلام في ظهره . وعندما بلغ الخبر الى عدنان ، سارع الى زيارة مكتب أبو مازن ، وقال له عندي كرسي خاص أعتقد أنه مفيد لمن يعاني من آلام في ظهره سأرسله لك مع لمبة ضوء لطاولة المكتب . لم يعترض أبو مازن على الموضوع . وذات يوم كان أبو مازن مسافراً الى المغرب أحضر عدنان الكرسي والضوء . بعد بضعة أيام حضر الأمن التونسي الى مكتب أبو مازن ، وطلب القيام بكشف لاسلكي على المكتب لأنهم يعتقدون بأن أجهزة تصنت زرعت في المكتب . وبعد إجراء المسح المطلوب وبأجهزة عصرية متطورة كشفوا الأجهزة المزروعة وسحبوا اللمبة والكرسي . ولاحقاً تبين أن الأمن التونسي كان يراقب تحركات عدنان ياسين .

(٣٦) النسخة الأصلية من إعلان المبادئ تمت صياغتها من قبل الوفد الإسرائيلي ، وقام الطرف الفلسطيني بإدخال بعض التعديلات عليها . والنص النهائي لإعلان المبادئ لا يختلف كثيراً عن النسخة الأصلية . والحق يقال بأن هولست لعب دوراً في صياغة هذه الأوراق لصالح الفلسطينيين . لنص إعلان المبادئ الذي تم الاتفاق عليه يوم ٩٣/٨/١٧ .

(٣٧) راجع نص إعلان المبادئ وبروتوكولاته .

(٣٨) راجع نص رسالة الدعوة الى مؤتمر مدريد .

(٣٩) اتصل خير الله خير الله معي وأبلغني بما تناقلته وكالات الأنباء

واستفسر إذا كان بالإمكان أخذ تعليق خاص لجريدته من أبو مازن . توجهت الى مكتب أبو مازن ونقلت له رأي خير الله ، إلا أن أبو مازن حذّر إصدار تصريح رسمي بإسمه وطلب مني كتابة التصريح وبالفعل كتب التصريح وتم تنقيله الى خير الله كتصريح خاص لجريدة 'الحياة' اللندنية .

(٤٠) جبهة الإنقاذ :إطار فلسطيني غير رسمي لا علاقة له بمنظمة التحرير . تشكل بعد قرار المجلس الوطني الفلسطيني بالمشاركة في عملية السلام وضم الفصائل المعارضة لعملية السلام ، باستثناء حركة حماس . مقره دمشق ، وهو امتداد لجبهة الرفض الفلسطينية ، ولاحقاً تطور الى ما يسمى بتجمع القوى العشرة المعارضة لعملية السلام .

(٤١) بتاريخ ٩/٩/٩٣ صرح فاروق الشرع وزير خارجية سوريا بأن سوريا ورغم ملاحظاتها على الطريقة التي تم التوصل فيها الى اتفاق إعلان المبادئ بين منظمة التحرير وإسرائيل إلا أن سوريا لن تقف حجر عثرة في طريق تطبيق الاتفاق . ولاحقاً وبعد اتصالات أمريكية مصرية ومصرية سورية استقبل الرئيس الأسد يوم ٥ ايلول في مقر اقامته الصيفية في اللاذقية وفداً فلسطينياً برئاسة أبو عمار وعضوية أبو اللطف وياسر عبد ربه . وفي اللقاء قال الرئيس الأسد : لنا ملاحظات على الاتفاق وعلى طريقة التوصل له ورغم ذلك لن نقف في طريقهم لتنفيذه . وتحدث عن قيمة وجود معارضة فلسطينية للاتفاق .

(٤٢) عقدت المعارضة الإسرائيلية اجتماعاً موسعاً بعد الإعلان عن الاتفاق وشكلت لجنة لمتابعة التحرك والنشاط ضد الاتفاق وضد الحكومة وعهدت لشارون مهمة السكرتاريا .

(٤٣) راجع نص خطاب بيريز ، نشر في حينها في الصحافة .

(٤٤) راجع نص خطاب أبو مازن ، نشر في حينها في الصحافة .

(٤٥) راجع نص خطاب رابين ، نشر في حينها في الصحافة .

(٤٦) راجع نصخطاب أبو عمار ، نشر في حينها في الصحافة .

(٤٧) شكلت فصائل جبهة الإنقاذ مع حماس جبهة القوى الوطنية والإسلامية (جبهة القوى العشرة) ، احتلت فيها حماس موقعاً قيادياً مرموقاً ، وحاولت فرض شروطها السياسية والتنظيمية على الآخرين ، وصدرت عدة بيانات باسم هذا التجمع لغتها كانت (حماسية إسلامية) . وعند طرح تشكيل هيئات لهذا التحالف طالبت حماس بثلاث الهيئات القيادية الأولى ، واقترحت أن تأخذ الفصائل التسعة الثلث الثاني ، وأن يعطى الثلث الثالث لمستقلين تشارك حماس في تسميتهم .

(٤٨) بعد اوسلو ظهر تيار واقعي داخل الجبهة الشعبية ، عارض اتفاق اوسلو لكنه دعا الى ممارسة الدور المعارض من داخل أطر م. ت. ف. . وعارض الانسحاب من المنظمة . كما دعا الى ضرورة العمل من اجل وحدة القوى الديمقراطية الفلسطينية ، واعتبر شعار إسقاط الإتفاق شعار غير واقعي ولا يطرح بديلاً واقعياً . وذات الشيء حصل داخل الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين . لاحقاً تطورت الخلافات داخل هذين التنظيمين وأدت الى استقالات وانسحاب كوادر أساسية . كما عكست نفسها على أوضاع حزب الشعب الديمقراطي الأردني (حشد) التابع للجبهة الديمقراطية ، وذات الشيء حدث داخل حزب الوحدة الشعبية (حوش) التابع للشعبية .

(٤٩) قلقيلية : مدينة من مدن الضفة الغربية تقع على الخط الأخضر ، تبعد عن البحر المتوسط ١٤ كلم . في عام ٦٧ شنت القوات الإسرائيلية هجوماً ضدها ، قصفتها بالطائرات والدبابات ودمرت أجزاء منها ، وأرغمت كل أهلها على الرحيل منها ومنعوا من العودة لها مدة طويلة ، وقامت الجرافات الإسرائيلية بجرف مساحات واسعة من مبانيها حيث كانت تفكر بتدميرها تدميراً كاملاً .

(٥٠) القرعان : مجموعات من اللاجئين أرغموا على الرحيل من ديارهم في عام ٤٨ ولجأوا الى مدينة قلقيلية ، وهم في معظمهم من قرى المثلث المجاورة

للقليقية . سمو بالقرعان لأنهم كانوا يقصون شعر أولادهم قصة خاصة .

(٥١) في عام ٦٩ وبعد تصادم بين الجيش اللبناني ومجموعة فدائية فلسطينية ، جمع الرئيس الراحل عبد الناصر الرئيس اللبناني وممثلي الحكومة اللبنانية ، مع ممثلي منظمة التحرير في القاهرة . وفي حينها مارس الرئيس عبد الناصر ضغوطاً شديدة على الحكومة اللبنانية لتسهيل العمل الفدائي الفلسطيني من جنوب لبنان . وتم التوصل الى اتفاق عرف باسم إتفاق القاهرة التزمت بموجبه الحكومة اللبنانية بعدم التعرض للعمل الفدائي من أراضيها ، وبالسماح لبضع فئات من الفدائيين بالتواجد على أراضيها . لاحقاً بعد عام ٧٠ أصبح المثات الوفا . وأقامت م . ت . ف . دويلة داخل الدولة اللبنانية .

(٥٢) خلال فترة توقيع اتفاق أوسلو انتهى عملياً التمييز العنصري في جنوب افريقيا ، وأجريت هناك انتخابات فاز فيها نيلسون منديلا كرئيس للجمهورية . وفي حينها اهتمت وكالات الأنباء العالمية بذلك الحدث .

(٥٣) بعد اتفاق إعلان المبادئ الذي تم التوصل له في أوسلو ، توصل الفلسطينيون والإسرائيليون الى عدة اتفاقات تفصيلية هي اتفاق دافوس ، والقاهرة رقم ١ ، والقاهرة رقم ٢ ، ورقم ٣ . كلها مشتقة من اتفاق أوسلو ، وكيفية تنفيذه .

(٥٤) عزا شامير سقوطه في الانتخابات الى تعب شعب إسرائيل من الكفاح من أجل أرض إسرائيل الكبرى ، وبقيّة المبادئ والأهداف التي رسمتها الحركة الصهيونية للدولة اليهودية ، محاولاً الهروب من الإعتراف بأن كثيراً من هذه المبادئ والأهداف ليست واقعية ، وأن رياح الوفاق الدولي لا تسير في صالحها .

(٥٥) في اتفاق أوسلو وافق الفلسطينيون على تجاوز أحد أسس عملية السلام ، فرسالة الدعوة ورسالة التطمينات الأمريكية تنص على أن المرحلة

الإنتقالية وحدة واحدة ، تبدأ من تاريخ الإتفاق على نقل السلطة من الإحتلال للفلسطينيين ، وتنتهي عند الإتفاق على قضايا المرحلة النهائية ، وتبدأ المفاوضات حول المرحلة النهائية تبدأ مع بداية السنة الثالثة من تاريخ الإتفاق على نقل السلطة .

(٥٦) بعد توقيع بروتوكولات تنفيذ اوسلو في القاهرة ٩٤/٥/٤ ، بدأ المفاوضات الإسرائيلي بالمطالبة في تنفيذ بعض ما ورد في هذه البروتوكولات منها : ترتيبات المعابر ، والطريق الأمن بين غزة وأريحا ، وإطلاق سراح المعتقلين ، والوجود الأجنبي ومسألة إجراء الإنتخابات في الضفة الغربية ، وإعادة انتشار الجيش الإسرائيلي هناك .

(٥٧) حددت رسالة الدعوة التي وافق عليها شامير مدة مفاوضات المرحلة النهائية بثلاث سنوات فقط . لاحقاً أكد اتفاق أوسلو مع حزب العمل على هذه المدة الزمنية .

(٥٨) في مفاوضات اوسلو رفض رابين المساس بوضع المستوطنات بما في ذلك وضع مستوطنة نتسريم الواقعة في قلب قطاع غزة وعلى الطريق الرئيس بين رفح وغزة ، علماً بأن عدد مبانها لا يتجاوز السبعين منزلاً ، وذات الشيء فعل بالنسبة لمستوطني الخليل والذين لا يتجاوز عددهم الأربعمئة منهم ٢٠٠ طالب . لقد ابتز رابين الفلسطينيين بالإستييطان ، وهم مع الأسف الشديد خضعوا لهذا الإبتزاز ، ولم يحاولوا انتزاع أو تفكيك أو تفريغ مستوطنة واحدة . علماً بأن أحد المفاوضين الإسرائيليين قال في مفاوضات واشنطن إذا وافقتم على استلام غزة بشكل منفصل فنحن جاهزون لإخلاء مستوطناتها في ليلة واحدة . والكل يعرف أن بعض أركان الليكود لم يكونوا متمسكين بالإستييطان في قطاع غزة .

(٥٩) على أبواب الإنتخابات الإسرائيلية عقد حزب العمل مؤتمراً أقر فيه الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني ، ووقف الإستييطان في الضفة

والقطاع ، لكن هذه المواقف تبخرت بعد استلام السلطة .

(٦٠) ورد في اتفاقات الحكم الذاتي الملحقة باتفاق كامب ديفيد : انسحاب القوات الإسرائيلية من المناطق وحل حكومتها العسكرية ، ونصت أيضاً على تسليم الفلسطينيين ١٣ سلطة مدنية ، بينما نص اتفاق اوسلو على خمس سلطات فقط .

(٦١) في ٢ تشرين ثاني ١٩١٧ أعطى وزير خارجية بريطانيا آنذاك وعداً بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين وبموجب هذا الوعد عملت الحكومة البريطانية على تشجيع هجرة اليهود الى فلسطين . وقامت باعتبارها دولة الإنتداب بكل ما يلزم لتنفيذ هذا الوعد ، مما أدى الى تهجير مئات الألوف من الفلسطينيين .

(٦٢) يعتمد الجيش الإسرائيلي المرور باستمرار من وسط مدينة أريحا دون مبرر وبشكل استفزازي ، كما يعتمد اظهار السلطة الفلسطينية ورئيسها ياسر عرفات في مظهر من لا سلطة له وقد بلغ الامر إرغامه على إخراج بعض الرسميين الفلسطينيين الذين عبروا معه ، وعدم الإستجابة لبعض مطالبه الصغيرة من نوع دخول بعض الكوادر الأساسية ، وإطلاق سراح الشيخ أحمد ياسين . ومضايقة أبو مازن ووزراء آخرين على الحواجز والمعابر .

(٦٣) الموقف الرسمي للإدارة الأمريكية ازاء القدس كان ولا زال ضد إجراء أي تغيير في حدودها البلدية التي كانت قائمة في عام ٦٧ ، طبعاً مع بقائها مدينة موحدة . وهذا الموقف مثبت في رسالة التطمينات التي قدمها بيكر للفلسطينيين وبعلم شامير . أما مجلس الأمن فقد أصدر الكثير من القرارات أدان فيها التغييرات التي قامت بها إسرائيل في المدينة .

(٦٤) في رسائل الإعتراف المتبادل تعهد أبو عمار بإلغاء بعض بنود ميثاق المنظمة التي تتعارض مع اتفاق اوسلو والتي تنص على تدمير دولة إسرائيل .

(٦٥) قبل استلامه السلطة أكثر رابين من تصريحاته حول المستوطنات وقسمها الى مستوطنات أمنية ومستوطنات سياسية . وفي حينها دعا الى التمسك بالمستوطنات الأمنية ، أما السياسية فقال لا ضرورة لها . بعد استلامه السلطة وخلال مفاوضات اوسلو بلغ هذا الموقف ، وذات الشيء فعل عندما وقعت مجزرة الحرم الإبراهيمي الشريف .

(٦٦) بعد الإتفاق على خروج م . ت . ف . من بيروت عام ٨٢ ، ألقى بشير الجميل ، رئيس الجمهورية اللبنانية آنذاك خطاباً شهيراً قال فيه : أن الفلسطينيين شعب زائد في المنطقة . وكان في موقفه يحاول التلاقي و التقاطع مع مواقف عتاة الصهاينة اللذين ينكرون وجود شعب اسمه الشعب الفلسطيني .

(٦٧) بعد الإعلان عن قيام دولة فلسطين في تشرين ثاني ٨٨ ، اعترفت مائة وأربع دول بدولة فلسطين . ومنذ ذلك التاريخ وحتى الآن تقيم هذه الدول علاقات دبلوماسية مع دولة فلسطين من خلال م . ت . ف . وبعد قيام سلطة الحكم الذاتي في غزة وأريحا استمر الإعتراف بدولة فلسطين ، ولا زالت سفارات دولة فلسطين قائمة .

الوثائق الملحقه

- ١- اتفاق اعلان المبادئ (اتفاق اوسلو) الذي تم التوصل له في اوسلو .
- ٢- نص المحضر الملحق باتفاق اوسلو .
- ٣- رسالة بيريز إلى وزير خارجية النرويج (هوسلت) حول مؤسسات القدس .
- ٤- رسالة هوست إلى ابو عمار حول رسالة بيريز بشأن مؤسسات القدس .
- ٥- رسائل الاعتراف المتبادل بين منظمة التحرير وحكومة اسرائيل :
 - رسالة أبو عمار إلى رابين .
 - رسالة رابين إلى ابة عمار .
- ٦- رسالة ابو عمار إلى هوسلت حول التطبيع ورفض العنف .
- ٧- مسودة اتفاق إعلان المبادئ صيغة ٩/٨/١٩٩٣ .
- رسائل الاعتراف المتبادل بين منظمة التحرير وحكومة اسرائيل :
 - رسالة أبو عمار إلى رابين .
 - رسالة رابين إلى ابة عمار .
- ٨- النقاط العشر التي اعدّها ابو مازن لمفاوضات اوسلو .
- ٩- نموذج عن الأسئلة التي طرحها زعفر في اوسلو .
- ١٠- النقاط الست التي وافق عليها كريستوفر في اللقاء مع الحسيني في القدس .

- ١١- نموذج من مراسلات الوفد مع ابو عمار حول مفاوضات الرواق.
- ١٢- نموذج من رسائل متابعة المفاوضات برئاسة أبو مازن مع الوفد في واشنطن.
- ١٣- أجزاء من محضر اجتماعات القيادة الفلسطينية بمشاركة حماس.
- ١٤- محضر اجتماع القيادة الفلسطينية حول اللقاء الأول مع بيكر.
- ١٥- قرار المجلس المركزي حول المشاركة في مؤتمر مدريد.
- ١٦- خارطة غزة اولاً اعدھا مركز جافي في تموز ١٩٩٣.

وثيقة (١) نص إعلان مبادئ (اتفاق اوسلو) حول ترتيبات الحكومة الذاتية الانتقالية

إن حكومة دولة إسرائيل وفريق منظمة التحرير الفلسطينية (في الوفد الأردني - الفلسطيني إلى مؤتمر السلام في الشرق الأوسط) (الوفد الفلسطيني) ، ممثلاً الشعب الفلسطيني ، يتفقان على أن الوقت قد حان لإنهاء عقود من المواجهة والنزاع ، والإعتراف بحقوقهما المشروعة والسياسية المتبادلة، والسعي للعيش في (ظل) تعايش سلمي، وبكرامة وأمن متبادلين، ولتحقيق تسوية سلمية عادلة ودائمة وشاملة ومصالحة تاريخية من خلال العملية السياسية المتفق عليها. وعليه ، فإن الطرفين يتفقان على المبادئ التالية :

المادة I

هدف المفاوضات :

إن هدف المفاوضات الإسرائيلية - الفلسطينية ضمن عملية السلام الحالية في الشرق الأوسط هو ، من بين أمور أخرى ، إقامة سلطة حكومة ذاتية انتقالية فلسطينية، المجلس المنتخب (المجلس) للشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة ، لفترة انتقالية لا تتجاوز الخمس سنوات ، وتؤدي إلى تسوية دائمة تقوم على أساس قراري الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ .

من المفهوم أن الترتيبات الانتقالية هي جزء لا يتجزأ من عملية السلام بمجملها وإن المفاوضات حول الوضع الدائم ستؤدي إلى تطبيق قراري مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ .

المادة II

إطار الفترة الانتقالية :

إن الإطار المتفق عليه للفترة الانتقالية مبين في إعلان المبادئ هذا .

المادة III

الانتخابات :

- ١- من أجل أن يتمكن الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة من حكم نفسه وفقاً لمبادئ ديمقراطية ، ستجري انتخابات سياسية عامة ومباشرة وحرّة للمجلس تحت إشراف ومراقبة دولية متفق عليها ، بينما تقوم الشرطة الفلسطينية بتأمين النظام العام .
- ٢- سيتم عقد اتفاق الصيغة المحددة للانتخابات وشروطها وفقاً للبروتوكول المرفق كملحق ١ ، بهدف اجراء الانتخابات في مدة لا تتجاوز التسعة أشهر من دخول إعلان المبادئ هذا حيز التنفيذ .
- ٣- هذه الانتخابات ستشكل خطوة تمهيدية انتقالية هامة نحو تحقيق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ومتطلباته العادلة .

المادة IV

الولاية

سوف تغطي ولاية المجلس أرض الضفة الغربية وقطاع غزة باستثناء القضايا التي سيتم التفاوض عليها في مفاوضات الوضع الدائم . يعتبر الطرفان الضفة الغربية وقطاع غزة وحدة ترابية واحدة ، يجب المحافظة على وحدتها وسلامتها خلال الفترة الانتقالية .

المادة ٧

الفترة الانتقالية ومفاوضات الوضع الدائم:

- ١- تبدأ فترة السنوات الخمس الانتقالية فور الانسحاب من قطاع غزة ومنطقة أريحا .
- ٢- سوف تبدأ مفاوضات الوضع الدائم بين حكومة اسرائيل وممثلي الشعب الفلسطيني في أقرب وقت ممكن ، ولكن بما لا يتعدى بداية السنة الثالثة من الفترة الانتقالية .
- ٣- من المفهوم ان هذه المفاوضات سوف تغطي القضايا المتبقية ، بما فيها ، القدس ، اللاجئين ، المستوطنات ، الترتيبات الأمنية ، الحدود . العلاقات والتعاون مع جيران آخرين ، ومسائل أخرى ذات الاهتمام المشترك .
- ٤- يتفق الطرفان على ان لا تجحف او تخل اتفاقيات المرحلة الانتقالية بنتيجة مفاوضات الوضع الدائم .

المادة VI

النقل التمهيدي للصلاحيات والمسؤوليات

- ١- فور دخول إعلان المبادئ هذا حيز التنفيذ و(فور) الانسحاب من قطاع غزة ومنطقة أريحا ، سيبدأ نقل للسلطة من الحكومة العسكرية الإسرائيلية وإدارتها المدنية إلى الفلسطينيين المحولين بهذه المهمة ، كما هو مفصل هنا .
- سيكون هذا النقل للسلطة ذا طبيعة تمهيدية إلى حين تنصيب المجلس .
- ٢- مباشرة بعد دخول إعلان المبادئ هذا حيز التنفيذ والانسحاب من قطاع غزة ومنطقة أريحا ، وبقصد النهوض بالتنمية الاقتصادية في

الضفة الغربية وقطاع غزة ، سيتم نقل السلطة للفلسطينيين في المجالات التالية : التعليم والثقافة ، الصحة ، الشؤون الاجتماعية ، الضرائب المباشرة والسياحة . سيشرع الجانب الفلسطيني ببناء قوة الشرطة الفلسطينية ، كما هو متفق وإلى أن يتم تنصيب المجلس ، يمكن للطرفين أن يتفاوضا على نقل للصلاحيات ومسؤوليات اضافية حسبما يتفق عليه .

المادة VII

الاتفاق الانتقالي

١- سوف يتفاوض الوفدان الإسرائيلي والفلسطيني على اتفاق حول الفترة الإنتقالية (الاتفاق الإنتقالي) .

٢- سوف يحدد الاتفاق الانتقالي ، من بين أشياء أخرى ، هيكلية المجلس ، وعدد أعضائه ، ونقل الصلاحيات والمسؤوليات من الحكومة العسكرية الاسرائيلية وإدارتها المدنية إلى المجلس ، وسوف يحدد الاتفاق الانتقالي أيضاً سلطة المجلس التنفيذية وسلطته التشريعية طبقاً للمادة IX المذكورة أدناه ، والأجهزة القضائية الفلسطينية المستقلة .

٣- سوف يتضمن الاتفاق الانتقالي ترتيبات سيتم تطبيقها عند تنصيب المجلس -لتمكنه من الاضطلاع بكل الصلاحيات والمسؤوليات التي تم نقلها إليه مسبقاً وفقاً للمادة VI المذكورة أعلاه .

٤- من أجل تمكين المجلس من النهوض بالنمو الاقتصادي ، سيقوم المجلس فور تنصيبه ، إضافة إلى أمور أخرى ، بإنشاء سلطة فلسطينية للكهرباء ، سلطة ميناء غزة البحري ، بنك فلسطيني للتنمية ، مجلس فلسطيني لتشجيع الصادرات ، سلطة فلسطينية للبيئة ، سلطة

فلسطينية للأراضي، وسلطة فلسطينية لإدارة المياه، وأية سلطات أخرى يتم الاتفاق عليها وفقاً للاتفاق الانتقالي الذي سيحدد صلاحياتها ومسؤولياتها.

٥- بعد تنصيب المجلس سيتم حل الإدارة المدنية وانسحاب الحكومة العسكرية الاسرائيلية .

المادة VIII

النظام العام والأمن :

من أجل ضمان النظام العام والأمن الداخلي للفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة سينشئ المجلس قوة شرطة قوية ، بينما ستستمر إسرائيل في الاضطلاع بمسؤولية الدفاع ضد التهديدات الخارجية ، وكذلك بمسؤولية الأمن الاجمالي للاسرائيليين بغرض حماية أمنهم الداخلي والنظام العام .

المادة IX

القوانين والأوامر العسكرية :

١- سيخول المجلس سلطة التشريع ، وفقاً للاتفاق الانتقالي ، في مجال جميع السلطات المنقولة إليه .

٢- سيراجع الطرفان بشكل مشترك القوانين والأوامر العسكرية السارية المفعول في المجالات المتبقية .

المادة X

لجنة الارتباط المشتركة الاسرائيلية - الفلسطينية :

من أجل تأمين تطبيق هادئ لإعلان المبادئ هذا ولاية اتفاقيات لاحقة تتعلق بالفترة الانتقالية ، ستشكل ، فور دخول إعلان المبادئ هذا حيز التنفيذ ، لجنة ارتباط مشتركة اسرائيلية - فلسطينية من أجل معالجة القضايا التي تتطلب

التنسيق وقضايا أخرى ذات الاهتمام المشترك ، والمنازعات .

المادة XI

التعاون الاسرائيلي - الفلسطيني في المجالات الاقتصادية :

إقراراً بالمنفعة المتبادلة للتعاون من أجل النهوض بتطور الضفة الغربية وقطاع غزة واسرائيل ، سيتم انشاء لجنة اقتصادية اسرائيلية - فلسطينية ، من أجل تطوير وتطبيق البرامج المحددة في البروتوكولات المرفقة كملحق III وملحق IV بأسلوب تعاوني ، وذلك فور دخول إعلان المبادئ هذا حيز التنفيذ.

المادة XII

الارتباط والتعاون مع الأردن ومصر :

سيقوم الطرفان بدعوة حكومتي الأردن ومصر للمشاركة في إقامة المزيد من ترتيبات الارتباط والتعاون بين حكومة اسرائيل والممثلين الفلسطينيين من جهة ، وحكومتني الأردن ومصر من جهة أخرى للنهوض بالتعاون بينهم . وستتضمن هذه الترتيبات انشاء لجنة مستمرة ستقرر بالاتفاق الأشكال (modalities) للسماح للأشخاص المرحلين (displaced) من الضفة الغربية وقطاع غزة في ١٩٦٧ ، بالترافق مع الاجراءات الضرورية لمنع الفوضى والاخلال بالنظام ، وستتعاطى هذه اللجنة مع مسائل أخرى ذات الاهتمام المشترك .

المادة XIII

إعادة تموضع (redeployment) القوات الاسرائيلية :

١- بعد دخول إعلان المبادئ هذا حيز التنفيذ ، وفي وقت لا يتجاوز عشية انتخابات المجلس ، سيتم إعادة تموضع القوات العسكرية الاسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة بالإضافة الى انسحاب القوات الاسرائيلية الذي تم تنفيذه وفقاً للمادة XIV.

٢- عند إعادة موضعة قواتها العسكرية ، ستسترشد اسرائيل بمبدأ وجوب إعادة تموضع قواتها العسكرية خارج المناطق المأهولة بالسكان .

٣- وسيتم تنفيذ تدريجي للمزيد من إعادة التموضع في مواقع محددة بالتناسب (commensurate) مع تولي المسؤولية عن النظام العام والأمن الداخلي من قبل قوة الشرطة الفلسطينية وفقاً للمادة VIII أعلاه .

المادة XIV

الانسحاب الاسرائيلي من قطاع غزة ومنطقة أريحا :

ستنسحب اسرائيل من قطاع غزة ومنطقة أريحا ، كما هو مبين في البروتوكول المرفق في ملحق II .

المادة XV

تسوية المنازعات

١- ستتم تسوية المنازعات الناشئة عن تطبيق أو تفسير إعلان المبادئ هذا، أو أية اتفاقيات لاحقة تتعلق بالفترة الانتقالية ، بالتفاوض من خلال لجنة الارتباط المشتركة التي ستتشكل وفقاً للمادة (X) أعلاه .

٢- إن المنازعات التي لا يمكن تسويتها بالتفاوض يمكن ان تتم تسويتها من خلال آلية توفيق يتم الاتفاق عليها بين الاطراف .

٣- للاطراف ان تتفق على عرض المنازعات المتعلقة بالفترة الانتقالية ، والتي لا يمكن تسويتها من خلال التوفيق ، على التحكيم ، ومن أجل هذا الغرض وبناء على اتفاق الطرفين ، ستتشئ الاطراف لجنة تحكيم .

المادة XVI:

التعاون الاسرائيلي - الفلسطيني فيما يتعلق بالبرامج الاقليمية:

يرى الطرفان أن مجموعات العمل في المتعدد أداة ملائمة للنهوض بخطة مارشال وبرامج اقليمية وبرامج أخرى ، بما فيها برامج خاصة للضفة الغربية وقطاع غزة ، كما هو مشار إليه في البروتوكول المرفق في الملحق (IV).

المادة XVII:

بنود متفرقة:

- ١- يدخل اتفاق المبادئ هذا حيز التنفيذ بعد شهر واحد من توقيعه .
 - ٢- جميع البروتوكولات الملحقة باعلان المبادئ هذا والمحضر المتفق عليه المتعلق به سيتم اعتبارها جزءاً لا يتجزأ من هذا (الاتفاق) .
- ابرم في واشنطن ، يوم الثالث عشر من ايلول (سبتمبر) ١٩٩٣

عن منظمة التحرير الفلسطينية

عن حكومة اسرائيل

الشاهدان

الفدرالية الروسية

الولايات المتحدة الامريكية

وثيقة (٢)

المحضر المتفق عليه لاعلان المبادئ حول ترتيبات حكم الذات الانتقالية

أ- تفاهمات واتفاقات عامة :

أية صلاحيات ومسؤوليات يتم نقلها إلى الفلسطينيين وفقاً لاعلان المبادئ قبل تنصيب المجلس ستخضع لنفس المبادئ المتعلقة بالمادة IV، كما هو مبين في المحضر المتفق عليه أدناه .

ب- تفاهمات واتفاقات محددة :

المادة IV

من المفهوم أن :

- ١- ولاية المجلس ستمتد على أرض الضفة الغربية وقطاع غزة ، باستثناء تلك المسائل التي سيتم التفاوض عليها في مفاوضات الوضع الدائم : القدس ، المستوطنات ، المواقع العسكرية والاسرائيليين .
- ٢- ستسري ولاية المجلس فيما يخص الصلاحيات والمسؤوليات والمجالات والسلطات المنقولة إليه المتفق عليها .

المادة VI

من المتفق عليه ان يكون نقل السلطة كما يلي :

- ١- يقوم الجانب الفلسطيني بإبلاغ الجانب الاسرائيلي بأسماء الفلسطينيين المفوضين الذين سيتولون الصلاحيات والسلطات

والمسؤوليات التي ستنتقل الى الفلسطينيين وفقاً لإعلان المبادئ في المجالات التالية : التعليم والثقافة ، الصحة ، الشؤون الاجتماعية ، الضرائب المباشرة ، السياحة وأية سلطات أخرى متفق عليها .

٢- من المفهوم ان حقوق والتزامات هذه المناصب لن تتأثر .

٣- ستستمر كل من المجالات الموصوفة أعلاه في التمتع بالتخصيصات الموجودة في الميزانية وفقاً لترتيبات يتم الاتفاق عليها من الطرفين . وستأخذ هذه الترتيبات بالاعتبار التعديلات الضرورية المطلوبة من أجل تضمين الضرائب التي تتم جبايتها من مكتب الضرائب المباشرة.

٤- فور تنفيذ إعلان المبادئ سيباشر الوفدان الاسرائيلي والفلسطيني على الفور مفاوضات حول خطة مفصلة لنقل السلطة على المناصب السابقة وفقاً للتفاهات المذكورة أعلاه .

المادة VII

كما سيتضمن الاتفاق الانتقالي ترتيبات للتنسيق والتعاون .

المادة VII

انسحاب الحكومة العسكرية لن يحول دون ممارسة اسرائيل للصلاحيات والمسؤوليات غير المنقولة إلى المجلس .

المادة VIII

من المفهوم أن الاتفاق الانتقالي سيتضمن ترتيبات للتعاون والتنسيق بين الطرفين في هذا الخصوص. كما انه من المتفق ان يتم انجاز نقل الصلاحيات والمسؤوليات الى الشرطة الفلسطينية بطريقة ممرحلة ، كما هو متفق عليه في الاتفاق الانتقالي .

المادة X

من المتفق انه فور دخول إعلان المبادئ حيز التنفيذ ، سيقوم الوفدان الاسرائيلي والفلسطيني بتبادل أسماء الأفراد المعينين من الطرفين كأعضاء في لجنة الارتباط الاسرائيلية - الفلسطينية المشتركة .

كما انه من المتفق ان يكون لكل طرف عدد متساو من الأعضاء في اللجنة المشتركة وستتخذ اللجنة المشتركة قراراتها بالاتفاق ، ويمكن للجنة المشتركة ان تضيف تقنيين وخبراء آخرين ، حسب الضرورة . وستقرر اللجنة المشتركة وتيرة ومكان ، أو أماكن، عقد اجتماعاتها .

ملحق II

من المفهوم انه ، لاحقاً للانسحاب الاسرائيلي ، ستستمر اسرائيل في مسؤوليتها عن الأمن الخارجي وعن الامن الداخلي والنظام العام للمستوطنات والاسرائيليين .

ويمكن للقوات العسكرية وللمدنيين الاسرائيليين ان يستمروا في استخدام الطرقات بحرية داخل قطاع غزة ومنطقة أريحا .

ابرم في واشنطن ، يوم الثالث عشر من ايلول (سبتمبر) ١٩٩٣

عن حكومة اسرائيل

عن منظمة التحرير الفلسطينية

الشاهدان

الولايات المتحدة الامريكية

الفدرالية الروسية

وثيقة (٣)
رسالة بيريز الى هولست حول
مؤسسات القدس

MINISTER OF FOREIGN AFFAIRS

749503

Jerusalem , October 11 1993

Dear Minister Holst,

I wish to confirm that the palestinian institutions of East Jerusalem and the interests and well-being of the palestinians of East Jerusalem are of great importance and will be preserved .

Therefore , all the palestinian institutions of East Jerusalem, including the economic, social ,educational and cultural , and the holy christian and Moslem places , are performing an essential task for the palestinian population .

Needless to say , we will not hamper their activity; on the contrary , the fulfilment of this important mission is to be encouragd .

Sincerely

Shimon Peres

Foreign Minister of Israel

His Excelleny

John Jorgen Holst

Foreign Minister of Norway

وثيقة (٤)
رسالة هولست إلى أبو عمار
حول مؤسسات القرس

Royal Ministry of Foreign Affairs
The Minister of Foreign Affairs\

oslo, 26 october 1993

Chairman Yassir Arafat
The Palestine Liberation Organization
Tunis
Tunisia
By FAX NO.095-216-1-787.174

Dear Freind

I want to confirm to you that I have now received the letter
or East-Jerusalem as agreed between the parties , duly signed by
Israeli foreign minister Shimon Peres .

I shall bring the letter with me to the meeting in Paris on 5
November and show it to your representatives as agreed .

Let me also extend to you an invitation to visit Norway at a
time which is convenient to you. I know that you have a very
busy schedule , but it would give us great pleasure to be able to
receive you here.

with warm regards

Johan Jorgen Holst

وثيقة (أ-٥)
- الاعتراف المتبادل -
رسالة أبو عمار إلى رابين

فيما يلي ترجمة النص الحرفي للرسائل بين الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات ورئيس الوزراء الاسرائيلي اسحاق رابين حول اتفاق الاعتراف المتبادل بين منظمة التحرير الفلسطينية واسرائيل .

١٩٩٢-٩-٩

السيد رئيس الوزراء

إن توقيع اعلان المبادئ مؤثر على مرحلة جديدة في تاريخ الشرق الاوسط . ومن هذه القناعة فاني اود أن أؤكد على الالتزامات التالية :
تعترف منظمة التحرير الفلسطينية بحق دولة اسرائيل في ان توجد بسلام وامان .

تقبل منظمة التحرير الفلسطينية قرار مجلس الامن ٢٤٢ ، ٣٣٨ .

تلتزم منظمة التحرير الفلسطينية ان توقيع اعلان المبادئ يشكل حدثاً تاريخياً ، كما ي دشّن حقبة جديدة للتعايش السلمي الخالي من العنف وجميع الاعمال الاخرى التي تهدد السلام والاستقرار . وبناء عليه فإن المنظمة تنبذ اللجوء إلى الارهاب واعمال العنف الاخرى وسوف تتحمل مسؤوليتها ازاء جميع عناصر وافراد منظمة التحرير الفلسطينية من اجل ضمان امتثالهم ولمنع المخالفات والمخالفين للنظام .

وبالنظر إلى افاق هذه المرحلة الجديدة وتوقيع اعلان المبادئ واستناداً إلى الموافقة الفلسطينية على قراري مجلس الامن ٢٤٢، ٣٣٨ فإن المنظمة تؤكد ان تلك المواد الواردة في الميثاق الوطني والتي ترفض حق اسرائيل في ان توجد وكذلك بنود الميثاق التي لاتنسجم مع الالتزامات الواردة في هذه الرسالة تصبح الآن غير عاملة وليست سارية المفعول . وتبعاً لذلك فإن منظمة التحرير الفلسطينية ستقوم بعرض الامر على المجلس الوطني الفلسطيني من اجل الحصول على الموافقة الرسمية على التغييرات الضرورية في الميثاق الوطني والمتصلة بذلك .

ياسر عرفات

رئيس منظمة التحرير الفلسطينية

وثيقة (هـ-ب)
-الاعتراف المتبادل-
رسالة رابين إلى أبو عمار

١٩٩٣/٩/٩

السيد ياسر عرفات

رئيس منظمة التحرير الفلسطينية

تجواباً مع رسالتكم المؤرخة ١٩٩٣/٩/٩ أود ان اؤكد لكم بانه على ضوء الالتزامات الواردة في رسالتكم فإن حكومة اسرائيل قد قررت ان تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل للشعب الفلسطيني وان تشرع في المفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية ضمن اطار عملية السلام في الشرق الاوسط.

اسحاق رابين

رئيس وزراء اسرائيل

وثيقة (١)

رسالة أبو عمار إلى هولست حول التطبيع ورفض العنف

سعادة وزير خارجية النرويج

جوهان جورغن هولست

أود أنؤكد لكم أن تصريحاتي العلنية ستتخذ المواقف التالية عند توقيع
اعلان المبادئ .

على ضوء العهد الجديد الذي ينبئ به اعلان المبادئ فإن منظمة التحرير
الفلسطينية تشجع الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة وتدعوه إلى
المشاركة في التدابير التي تؤدي إلى التطبيع ورفض العنف والارهاب والاسهام
في تحقيق السلام والاستقرار والمشاركة الايجابية في التعمير والتنمية الاقتصادية
والتعاون .

المخلص

ياسر عرفات

رئيس منظمة التحرير الفلسطينية

١٩٩٣/٩/٩

وثيقة (٧)
مسودة اتفاق اعلان المبادئ
في اوسلو ١٩٩٣/٨/٩

Final agreed draft of August 19, 1993

**DECLARATION OF PRINCIPLES ON
INTERIM SELF-GOVERNMENT ARRANGEMENTS**

The Government of the state of Israel and the Palestinian team (in the Jordanian- Palestinian delegation to the Middle East Peace Conference) (the "Palestinian Delegation"), representing the Palestinian people, agree that it is time to put an end to decades of confrontation and conflict, recognize their mutual legitimate and political rights, and strive to live in peaceful coexistence and mutual dignity and security and achieve a just, lasting and comprehensive peace settlement and historic reconciliation through the agreed political process.

Accordingly, the two sides agree to the following principles:

Article I

AIM OF THE NEGOTIATIONS

The aim of the Israeli-Palestinian negotiations within the current Middle East peace is, among other things, to establish a Palestinian Interim Self-Government Authority, the elected Council, (the "Council") for the Palestinian people in the West Bank and the Gaza Strip, for a transitional period not exceeding five years, leading to a permanent settlement based on Security Council Resolutions 242 and 338.

It is understood that the interim arrangements are an

Article XVI

ISRAELI-PALESTINIAN COOPERATION CONCERNING REGIONAL PROGRAMS

Both parties view the multilateral working groups as an appropriate instrument for promoting a "Marshall plan", the regional programs and other programs, including special programs for the West Bank and Gaza Strip, as indicated in the protocol attached as Annex IV.

Article XVII

MISCELLANEOUS PROVISIONS

1. This Declaration of principles will enter into force one month after its signing.

2. All protocols annexed to this Declaration of principles
and Agreed Minutes pertaining thereto shall be regarded
as an integral part hereof.

Done at Washington, D.C., this — day of — 1993.

For the Government of Israel

For the Palestinian Delegation

Witnessed By:

The United States of America

The Russian Federation

وثيقة (٨) النقاط العشر التي أعدها أبو مازن لمفاوضات أو سلو

1. the objective is to reach a just , lasting and comprehensive peace settlement, through direct negotiations based on Security Council resolutions 242 and 338 . The negotiations between the Palestinians and Israel will be conducted in phases which are how ever an integral whole

٢- نطاق السلطة الانتقالية الفلسطينية تشمل الاراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ . ويتم الاتفاق على بحث الاستثناءات الادارية خلال المفاوضات على الا تخل هذه الاستثناءات بولاية القرار ٢٤٢, ٣٣٨ ومبادئ القانون الدولي.

٣- تمارس السلطة الانتقالية الفلسطينية كافة السلطات التي يتفق على نقلها لها (مع الاخذ بعين الاعتبار اجراء مراجعة للقوانين المرعية).

٤- يتم اختيار السلطة الفلسطينية الانتقالية بالانتخاب العام والحر المباشر من قبل جميع السكان الفلسطينيين في الضفة الغربية بما فيها القدس وقطاع غزة حسب احصائيات ١٩٦٧/٦/٤.

٥- تتولى جهات دولية يتفق عليها مراقبة عمليات الانتخاب ونقل السلطة.

٦- تشكل لجنة ثنائية لبحث القضايا المشتركة وفض المنازعات (من السلطة الانتقالية الفلسطينية والحكومة الاسرائيلية).

٧- تشكل لجنة تحكيمية ، تحال اليها كافة الامور المختلف عليها من لجنة فض المنازعات - في حالة تعذر التوصل الى حل لها ، وذلك من راعيي المؤتمر ، ومصر ، والاردن والأثم المتحدة ، ويضم اليها ممثلات عن السلطة الانتقالية وحكومة اسرائيل . أو اطراف أخرى يتفق عليها .

٨- ان قضايا الامن في مفهومها الاسراتيجي والمستقبلي ، بما تمليه من تجسيد لافكار التعايش السلمي في المنطقة تتطلب دراسة منطلقة من توفر النوايا الحسنة لدى كافة الاطراف والرغبة الصادقة في البحث عن المصالح المشتركة بما يعطي الامن مفهوماً ايجابيا يجعل الجميع حريصين عليه .

٩- يبدأ الطرفان ببحث المرحلة النهائية بعد سنتين من تطبيق المرحلة الانتقالية أو حسب الاتفاق ايهما اقرب . وفي كل الاحوال يبدأ في موعد لا يتحدى بداية السنة الثالثة من هذه المرحلة .

١٠- ودون الاجحاف بالمرحلة النهائية يتم بشكل غير رسمي دراسة امكانية انشاء اتحاد كونفدرالي للبحث في افضل السبل والوسائل المناسبة لاستقرار المنطقة واشاعة السلام فيها .

وثيقة (٩)

نموذج عن الاسئلة التي طرحها زنغر في أوسلو

- ١- هل الحكومة والمجلس جسمان أم جسم واحد؟
- ٢- ماهو شكل الاشراف الدولي المطلوب ، وهل هو اشراف متفق عليه أو مراقبون دوليون أم غير ذلك ؟
- ٣- ماهي المدة الفاصلة بين الاعلان والانتخابات ، ستة أشهر أم تسعة أشهر ؟
- ٤- هل تبحث الملاحق الخاصة بالقدس والنازحين قبل الانتخابات أم بعدها ؟
- ٥- ماهو وضع غزة بعد الانسحاب ؟
- ٦- ماهو مفهوم الامن العام ؟ ومن يحاسب الاسرائيلي اذا ارتكب حادثة ضد فلسطيني في الضفة مثلاً ؟
- ٧- افترض تم الانسحاب من اريحا ، ماذا سيكون وضعها ؟ وما هو مفهومكم ؟
- ٨- هل يمكنكم الالتزام بجمع السلاح في غزة والضفة؟
- ٩- هل تلتزمون بتعديل الميثاق؟
- ١٠- كيف تنظرون إلى اريحا اذا تم الانسحاب منها؟
- ١١- هل ستكون العلاقة بين الضفة وغزة مركزية ؟
- ١٢- هل تستطيعون اقناع وفدكم في واشنطن اصدار بيان مشترك ؟

- ١٣- لماذا يرد ذكر اللاجئين في الثنائي بينما هو من اختصاص المتعدد؟
- ١٤- هل تبحث الملاحق الخاصة بالنازحين والقدس قبل الانتخابات ام بعدها؟
- ١٥- كيف سيتم استلام المجالات من الادارة المدنية ؟ وهل التسليم سيتم مع أشخاص سياسيين ام فنيين ام مهنيين ؟ وهل سيتم تغيير هياكلها؟
- ١٦- ماهي حدود ولاية الامن الفلسطيني ، وحدود ولاية الامن الاسرائيلي؟
- ١٧- هل عليكم الدعوة إلى وقف الانتفاضة بعد التوقيع على الإعلان ؟
- ١٨- هل ترون فائدة من اتفاق معنا يشير إلى هذه التعديلات ؟
- ١٩- هل تصرون على وجود وصاية دولية ؟

وثيقة (١٠) النقاط الست التي وافق عليها كريستوفر في القدس

- ١- عدم شرعية الابعاد - الولايات المتحدة .
- ٢- التزام ملزم بأن اسرائيل لن تلجأ إلى الابعاد في المستقبل - اسرائيل .
- ٣- التزاماً بـ ٧٩٩ سيتعهد الاسرائيليون بـ: خطوات - متسارعة متفق عليها .
- ٤- لائحة متفق عليها من المبعدين منذ ١٩٦٧ تتم اعادتها باعداد مهمة .
- ٥- اجراءات حقوق إنسان ملموسة وموسعة وفعالة - سيتم الاتفاق عليها .
- ٦- المفاوضات - إعادة تأكيد مكتوبة على ٢٤٢ ، الأرض مقابل السلام - القدس .

الولايات المتحدة

ورقة الست نقاط التي وافق عليها كريستوفر في القدس

- 1- Illegality of departation u.s.
- 2- Binding commitnient that l srael that resort to departation in the future . Israel.
- 3- In complidnce. with 799 the Israelis undertake to : will not steps - accelarted .
- 4- Agreed-upon list of deportess since 1967 to be returned in sizable #s.
- 5- Concrete, broad, effective humanright measures to be agreed upon.
- 6- Negotiaations - written reffirmation 242 land for peace JERUSALEM.

هذه هي الوثيقة التي وافقوا عليها

١٩٩٣/٢/٢٤

وثيقة (١١)

الاخ الدكتور نبيل

الاخوة اللجنة القيادية

برئاسة الاخ / ابو عمار تابعت لجنة المتابعة عملها، وبعد دراسة المحاضر
كافة رأّت ارسال المذكرة التالية للوفد لمناقشتها مع الراعي الامريكي وقد راعينا
ان يكون المقترح مستخلصا من فقرات اللقاء مع السيد جيرجيان، والوثائق
الاساسية وتصريح وزير خارجية اسرائيل .

اننا لا نطلب نقاطاً جديدة وانما نطالب بتأكيد ما ورد على السنة
المسؤولين / امريكا واسرائيل .

لجنة متابعة المفاوضات

١٩٩٣/٩/١٦

مذكرة

من خلال قراءتنا لمحضر اللقاء في وزارة الخارجية الامريكية لاحظنا ان الطرف الامريكي تحدث عن وعود كثيرة وزين الامور بشكل ملفت للنظر وحيث ان لنا تجارب كثيرة مع الادارات الامريكية المتعاقبة تلك التجارب التي تضمنت وعودا مختلفة ذهبت جميعها أدراج الرياح وانتهت الواجبات التي كنا نقوم بها او نؤديها لهم الامر الذي جعل ثقتنا بالادارة تكاد تكون معدومة. ومن اجل التذكير فقط ومن اجل المراجعة نكرر هنا بعض الوقائع على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.

- ١٩٧٣ لقاء خالد الحسن مع الجنرال والترز في المغرب ولم تف امريكا بما تم الاتفاق عليه.

- ١٩٧٤ موافقة مجلسنا الوطني على النقاط العشر التي عرضها علينا السادات ليتماشى مع مؤتمر جنيف.

- عام ١٩٧٤ الموافقة على الوفد العربي المشترك في مؤتمر جنيف وباشتراك م.ت.ف. بمستوى منخفض بناء اتفاق مع الرئيس السادات والادارة الامريكية.

- ١٩٧٦ اخراج الرعايا الامريكيين من بيروت بسلام عبر الشاطئ وعبر الجبل.

- ١٩٧٧ الموافقة على ٢٤٢ من المنظمة الذي سلم الى السيد جروميكو وصدر على اثره بيان فانس - جروميكو والذي تم التراجع عنه ببيان

دايان- فانس بعد ثلاثة ايام في اكتوبر ١٩٧٧ .

- ١٩٨١ اخراج الفوج الاول للرعايا الامريكيين من السفارة في طهران واخراج وتسليم جثث الجنود الامريكيين بعد عملية صحراء لوط في ايران وارسال المطران ايليا والمطران كبوجي لقضاء الكريسماس ورأس السنة مع بقية الرهائن لحين الافراج عنهم.

- الموافقة على وساطة امريكا (فيليب حبيب) والعودة لايقاف اطلاق النار والالتزام به مع اسرائيل بعد المعركة في تموز ١٩٨١ والتي خرقها الاسرائيليون بموافقة امريكية بحصار بيروت واحتلال جنوب لبنان.

- في عام ١٩٨٢ اثناء الخروج من لبنان الوعد بـ (Gelfdetermination) من فيليب حبيب والذي تغير في مبادرة ريغان الى to participate in determining their future in association with jordan .

- خرق الاتفاق بيننا وبين فيليب حبيب سنة ١٩٨٢ والذي اعتبر وثيقة في الامم المتحدة بعد حصار بيروت بحماية المدنيين الفلسطينيين واسر المقاتلين المرحلين بمجزرة صبرا وشاتيلا بعد السماح للجيش الاسرائيلي من قبل الامريكيين بدخول بيروت بعد خروجنا منها.

- الاتفاق الاردني - الفلسطيني بمباركة امريكية ونسفه شولتز بوثيقة لندن مع بيريز بالتقاسم الوظيفي للضفة وغزة مع الاردن سنة ١٩٨٥ .

- في عام ١٩٨٥ وبعد الاتفاق الاردني الفلسطيني عرضوا علينا لقاء اعضاء من المجلس الوطني مع ريشارد ميرفي وعندما وافقنا ... تراجعوا .

- في عام ١٩٨٨ في السويد تم الاتفاق مع السيد شولتز عبر وزير الخارجية السويدية السيد اندرسون ولم يتم الالتزام بالاتفاق حول الدولة الفلسطينية.
- الموافقة على ما عرضه علينا رسول الكسندر هيج عام ١٩٨٢ عبر السيد جون مروز في الوقت الذي كان السيد الكسندر هيج يباحث شارون على خطة الهجوم على بيروت.
- في جنيف ١٩٨٨ قدمنا مدارة السلام الفلسطينية بعد اقرارها في مجلسنا الوطني وبدا الحوار مع الامريكان ثم تحول ليكون حوارا غير مباشر عبر مصر.
- موافقتنا على النقاط الامريكية - المصرية العشر ونقاط بيكر الخمس سنة ١٩٩٠.
- وعلى الرغم من ذلك فاننا اكدنا ونؤكد
- التزامنا برسالتي الدعوة.
- ورسالة التطمينات.
- وبخطاب الرئيس بوش ٦-٣-١٩٩١.
- وبالشرعية الدولية المتمثلة بالقرارين ٢٤٢ و ٣٣٨.
- وقد استخلصنا من هذه الوثائق ومن محضر اللقاء الذي تم في منزل السيد جير جيان يوم ١٣-٩-١٩٩٢ النتائج التالية:
- ١- ان قراري مجلس الامن ٢٤٢ و ٣٣٨ ينطبقان على جميع الجبهات بما في ذلك الجبهة الفلسطينية (قول جير جيان).
- ٢- ان المرحلة الاولى (الانتقالية) تقوم بالاعداد للمرحلة الثانية وان

رسالة الدعوة حددت المبدأ العام للتسوية بالفقرة الاولى اما الفقرة الثانية فهي تتحدث عن آلية التطبيق (كبيرترز) حيث اكد ان المرحلتين مرتبطتان.

٣- أكد الترابط بين المرحلتين وحدد آلية ذلك الجدول الزمني (ميللر وهذا يعني بإمكاننا ان نضع توقيتاً زمنياً محدوداً لكل مراحل التسوية ابتداء من ٢١-١٠-١٩٩١ وحتى نهاية الفترة المقررة التي تشمل كلا المرحلتين.

٤- امد جيريان ان المرحلة الاولى هي من اجل قيام سلطة فلسطينية للتفاوض حول الحل النهائي واستلام السلطة الفعلية. كما اشار جيريان الى ان رسالة التطمينات تؤكد على الترابط بين المراحل من اجل تطبيق القرار ٢٤٢ (وهذا في نظرنا يشمل المرحلة الانتقالية).

ان هذه الاستخلاصات التي تم اقتباسها بشكل حرفي من الوثائق واحاديث المسؤولين الامريكان يضاف اليها حديث شمعون بيريز يوم ١٢-٩-١٩٩٢ في تلفزيون (MBC) حيث قال : لن نقوم بانشاء مستوطنات جديدة. تجعلنا نرى ضرورة تفهم موقفنا المحدد بالفقرة التالية:

ان المرحلة الانتقالية هي مرحلة تمهيدية للتنفيذ النهائي لقراري مجلس الامن ٢٤٢ و ٣٣٨ والذين هما اساس عملية السلام برمتها وينطبقان على جميع الجبهات بما فيها الجبهة الفلسطينية. ان ذلك يتطلب التزاماً بعدم احداث اية تغييرات على الارض من شأنها ان تتعارض مع تنفيذها بما في ذلك وقف انشاء اية مستوطنات جديدة في الاراضي الفلسطينية المحتلة ١٩٦٧.

ملاحظة : اذا تمت الموافقة على هذه الفقرة فيمكن ان نتقل الى الاشتباك التفاوضي حسب عناوين الاطار التي تقدمنا بها.

وثيقة (١٢) نموذج من مراسلات الوفد مع ابو عمار حول مفاوضات الرواق

التاريخ ١٧ كانون اول ١٩٩١

الاخ الرئيس ابو عمار حفظه الله

تحية الثورة

بعد نحو أسبوع من «حوار الرواق» او «مباحثات الاريكة» مع الاسرائيليين ومن متابعة وتحليل المقترحات الاسرائيلية المتتالية يمكننا استنتاج ان اسرائيل لا تخوض حربا حول الاجراءات بهدف التعطيل فقط بل أنها تخوض حربا حول الجوهر والمفصل الاساسي للمسألة كلها الا وهي التمثيل الفلسطيني.

وطريقة الاسرائيليين لتهميش ومسح التمثيل الفلسطيني هي في تضخيم الوفد المشترك. وأذكر هنا النقاط التالية :

١- ان الدعوة لمفاوضات واشنطن تحدثت عن مسارين (اردني -اسرائيلي) و (فلسطيني - اسرائيلي) ولم يرد ذكر الوفد المشترك الا في الاشارة الى وجود فلسطينيين في الجانب الاردني والعكس بالعكس للحفاظ على مكانة الوفد المشترك. ولم تطرح اية مهام للوفد المشترك ولم يطرح كجسم او هيئة او مسار ثالث بجانب المسارين الاساسيين.

٢ - في كل الدعوات ورسائل التطمين الامريكية فأن المسارين ينبعان من عملية السلام بمجملها وليس من أي جسم آخر.

٣ - يحاول الاسرائيليون الان ان يجعلوا المسارين ينشقان من الوفد المشترك وذلك بهدف تحويل المسارين الى مجرد لجتين فئتين فرعيتين بهدف ان يكون المشترك هو المرجع وهو المصدر. ولهذا يجري الحرص على ان يكون اول اجتماع للمشارك بكامل اعضائه قبل انعقاد اية جلسة لاي من المسارين ولذلك يوجد الاصرار على ان يكون عدد اعضاء الوفد الفلسطيني او الاردني اقل من ١٤، لهذا يجري التأكيد على رفض اطلاق اسم «وفد» على الوفد الفلسطيني، ويجري تسمية مساره بمسار (اسرائيل - فلسطينيون) بدلا من المسار الاسرائيلي الفلسطيني.

٤ - أن خطورة تضخيم دور «المشارك» وجعله قاعدة الانطلاق أنه سيصبح سابقه في بداية كل دورة مفاوضات ويحكم مواعيد المفاوضات الفلسطينية - الاسرائيلية كما أنه يمكن أن يصبح هو المسؤول عن وضع الاجندة لكل مسار من المسارين وبالتالي يصبح «المشارك» هو المخول بالتوقيع على الاتفاقات التي ينتهي اليها المسار، وتحول اليها قضايا ومواضيع كثيرة ليست من اختصاصه.

٥ - ان هناك اصراراً اسرائيلياً على قصر شؤون المسار الفلسطيني - الاسرائيلي على قضايا ترتيبات حكم الذات المحلية.

ورغم الامريكية تدعي انها لا تتدخل وانما تريد من الاطراف ان تحل مشاكلها بنفسها فمن الواضح ان واشنطن تنصلت من مسؤولياتها كدولة راعية ومن التزاماتها التي تفرضها عليها رسائل الدعوة والتطمينات.

اننا نسق مع الاردنيين على قواعد ثابتة.

١- الحفاظ على وجود الوفد المشترك مع تحديد مهامه وانخضاع اجتماعاته لموافقة جميع الاطراف.

٢- تأكيد استقلالية المسارين.

٣- منع المشترك من التدخل في تحديد جدول الاعمال.

اننا نعمل بتوجيهاتكم على العمل للدخول بأقصى سرعة في غرفة المفاوضات مع تأكيد الحفاظ على الثوابت الاساسية.

تعليماتكم

اكرم

١٩٩١/١٢/١٧

وثيقة (١٤)
اجتماع القيادة الفلسطينية
١٩٩١/٣/١١

الحضور : أبو عمار، د. جورج حبش، أبو مازن، أبو ماهر، جمال الصوراني، سليمان النجاب، عبد الله حوراني، محمد ملحم، عبد الرزاق اليحيى، أبو علاء ممدوح، حكم بلعوي، عباس زكي، أم جهاد، د. سمير غوشة، أبو علي مصطفى، هاني الحسن، صخر حبش، جميل شحادة، أبو المعتصم، جميل أبو الطيب، حسن عصفور، أبو أحمد حلب، نزار أبو غزالة، أكرم هنية.

أبو عمار : استعرض نتائج لقائه مع جان كلود إيميه مساعد السكرتير العام للأمم المتحدة، وأنه تم حث إيميه على ضرورة تنفيذ قرار مجلس الأمن ٦٨١ الخاص بالأرض المحتلة وعلى صعيد الاتصال بسويسرا ضامنة معاهدة جنيف الرابعة، كما أنه جرى بحث أوضاع الفلسطينيين في الكويت معه.

بالنسبة للقاء مع بيكر : منذ أن اتخذنا قرارنا فان المعطيات هي أن هناك نصائح كثيرة لنا بعقد اللقاء، السفير اليوناني اليوم نصحننا بعقد اللقاء، وكذلك إيميه وكذلك مجموعة أصحاب رؤوس الأموال الفلسطينيين وافتتح الموضوع الآن للنقاش .

حكم بلعوي: أن الميزة الأساسية للقيادة الفلسطينية على الدوام هي

الواقعية، ان ثقتنا بجماهيرنا وشعبنا في الداخل يجب الا تجعلنا نتهيب من عقد اللقاء، لقد اعلنت شخصيات الداخل انها في انتظار الاشارة من تونس لعقد اللقاء، او عدم عقده وهذا امر كاف.

د. حبش: وهذا خامس اجتماع نبحث فيه هذا الموضوع، وجهات النظر واضحة في هذا المجال، ان اميركا التي ارتكبت جريمة العصر في العراق لها اهداف من تحركها السياسي:

١- هل هدفها حل القضية؟ جوابي لا، اميركا لا تستهدف حلا بل حركة سياسية من اهدافها الان امتصاص الثقة الشعبية الجماهيرية الفلسطينية والعربية.

٢- من اهدافها محاولة ايجاد بديل فلسطيني، تريد ايجاد بديل لعنوان تونس، صحيح ان دور القيادة هو قيادة الجماهير وتوجيهها ولكن ايضا من الخطأ التصادم الفج مع مشاعر الجماهير.

على اية حال فمن منطلق ايماننا بضرورة وحدة الموقف وتعزيز الوحدة الوطنية ونزولا على رأي الاغلبية التي تؤيد اجتماع اخواننا في الداخل مع بيكر فان هناك عدة نقاط يجب اخذها بعين الاعتبار للتخفيف من احتفالات نجاح العدو في خطته:

١- تستمر وبعنفوان كافة النشاطات الجماهيرية وتتصاعد في نفس يوم زيارة بيكر وخلال ساعة اللقاء.

٢- لا يجوز الكلام العام في هذه الظروف كأن تقول الشخصيات: نلتقي بيكر برضا م. ت. ف.

لمصلحتنا يجب الوضوح، كأن يعقد مؤتمر صحفي قبل اللقاء يعلن فيه ان اللقاء مع بيكر يتم بناء على تكليف من م.ت.ف. في تونس وكما تبلغنا من الاخ ياسر عرفات .

ان الاصرار على ذكر اسم الاخ ابو عمار هو لادراكنا معنى ومغزى الهجمة التي تستهدفه حالياً والتي تستهدف شطب المنظمة والحقوق الفلسطينية.

٣- الوفد لا تحدده القنصلية الاميركية بل نحدده نحن مثلما حددنا الوفد الذي قابل الترويك.

٤- يحمل الوفد لبيكر نفس مضمون ما حملوه للترويك.

٥- بعد اللقاء يتم عقد مؤتمر صحفي يعلن فيه ان الوفد ابلى بيكر مضمون المذكرة وانه وفد م.ت.ف.

ايها الاخوة : ان موقفنا هذا هو حفاظا على الوحدة الوطنية، ولكي نجابه هذه المرحلة بتكاتف، لست قانعا بالتنازلات ولن تؤدي لشيء، ولكن اذا كانت الاغلبية ترى اتخاذ هذا الموقف بعقد اللقاء فنحن نحترم قرار الاغلبية.

اكرم هنيه : اؤيد جميع النقاط التي اوردها الحكيم بخصوص شكل وكيفية عقد اللقاء.

بالنسبة لاختيار اسماء الذين يقابلون بيكر فهذه مسألة نستطيع التحكم بها بنسبة ١٠٠٪ مع الاوروبيين وتاماً كما فعلنا مع الوفد الذي قابل الاوروبيين، وبالنسبة للفعاليات النضالية فيمكن اصدار بيان استثنائي من «قاوم» يدعو لفعاليات يوم وساعة الزيارة ويؤيد اللقاء.

هناك نقطة ارى خطورة في طرحها: لا يجوز القول هذا وفد م.ت.ف. ولا يجوز القول اننا كلفنا فلان وفلان باللقاء، اذا طرحنا اسماء وتكليفات

فسنكون محكومين بهذه الاسماء لفترة طويلة قادمة ولنتذكر تجربتنا السابقة طرحنا اسمي حنا السنيورة وفايز ابو رحمة لمهمة محددة، ولكن هذا الطرح يعطيها شرعية تستخدمها بعض الدول حتى اللحظة ورغم مرور ٦ سنوات على الطرح، وهذه ليست مفاوضات بل مجرد لقاء.

وبالنسبة للاسماء فسنعمل ان تكون نفس اسماء الاخوة والاخوات الذين حضروا لقاء الترويكا. نقطة اخرى : ما دام هذا التوجه قد اقر فيجب الا يصدر اي تصريح من اي مسؤول فلسطيني حول هذا الموضوع، وان يترك توقيت وشكل اعلان قرارنا للاخ ابو عمار.

الاخ الرئيس: كمحصلة للنقاش فنحن نعتمد فكرة اللقاء بالتصورات التي وضعها الحكيم مع الاخذ بعين الاعتبار الملاحظتين اللتين اوردهما الاخ اكرم (ان لا يتم تكليف وفد وبخصوص اعلان القرار).

ان الوحدة الوطنية ايها الاخوة هي ورقتنا الذهبية، بجانب الانتفاضة وبندقيتنا في الجنوب اللبناني، ومهمتنا الان تعزيز وحدتنا وتصعيد الانتفاضة وتصعيد المقاومة وبالنسبة لاجتماع المجلس المركزي فسنعمل على ان يكون في الاسبوع الاول من نيسان القادم.

اجتماع قيادة فلسطينية / الجلسة الثانية

٩٣/١٢/٢٥

الحضور : ذاته + ياسر عبد ربه

ابو عمار : اقترح ان نستمع للاخوين صائب، وابو اللطف حول اجتماعات الخارجية الخماسي (وزراء خارجية دول الطوق)
ابو اللطف : قدم عرض لمجريات الاجتماع ، وتلى نص الذي صدر عن الاجتماع .

صائب : قدم صائب عرض للاجواء المحيطة بالاجتماع .

موسى ابو مرزوق : كيف ستحركون الموقف في مجلس الامن، وفي عدم الانحياز وانتم كمجموعة عربية غير متمسكين بالموقف الصلب . الامريكي قال : لم نبلغ بأن اي طرف عربي ضد استئناف المفاوضات. الأردني يقول أنه غطاء للفلسطينيين يفترض بهذا الغطاء ان يقف جانبا الآن ريثما يقول الفلسطيني كلمته .
المصري معروف بارتباطه بكمب ديفيد. القرار العربي ضعيف .

ابو اللطف : ان تدفع العربي الى مثل هذا الموقف هو نجاح فلسطيني كبير . البيان فيه ادانة. العلم السياسي علم الاحتمالات .

ابراهيم غوشة : نقطة نظام . اطلب توزيع البيان على الجميع الآن .

ابو عمار: فوراً

ابو اللطف : عاد لقراءة فقرات البيان. فقرة الادانة وفقرة قرارات الشرعية الدولية. و اضاف سنعود الى مجلس الامن ونطالب بالية

لتنفيذ القرار، وبتحديد فترة زمنية لتنفيذ وتعبئة القرار، وهذا يتطلب حركة دولية، ووافق عربي . بالوافق نستطيع الحركة . الآن اشركنا الدول الخمس في المسؤولية عن الموضوع. قلت لهم انا ابو اللطف لا استطيع الذهاب الى المفاوضات دون عودة الاخوان الى ديارهم. علينا بذل الجهود وخوض المعركة بهدوء وبرودة اعصاب .

عبد الرحيم ملوح : حضور الاخوة في حماس خطوة ايجابية . وشعبنا يتوقع نتائج من هذا الاجتماع . لماذا اقدم راين على هذه الخطوة الآن بالذات ؟ اعتقد ان راين يريد ان تستمر العملية وفقاً لسياسته الخاصة . يريد ان يعمل سابقة . وهو قال العرب سيذهبون للمفاوضات رغم عملية الابعاد . هل لنا مصلحة في التغطية على سياسة راين ؟ راين يعتقد ان بإمكانه تعميق الخلافات الفلسطينية الداخلية . موقف المنظمة وحماس اغلق الباب امام راين . بقي باب اخر هو قول راين نمد اليد الى م ت ف في مواجهة حماس . هذه فرصة ، يجب ان نتوقف امامها ، من لا يطبق القرار رقم ٧٩٩ الخاص بالمبعدين لن يطبق القرارين ٢٤٢ ، ٣٣٨ . اقترح ان نستمر بالسياسة التي اتبعت والتي جعلت قضية المبعدين بمثابة القضية الاولى . واقترح تشكيل لجنة لمتابعة موضوع المبعدين تشارك فيها حماس . حول اجتماع الجامعة العربية : من يذهب بنصف موقف لا يستطيع المطالبة بموقف كامل حول الوضع في الداخل، هناك اهمية لتوحيد الجهود بغض النظر عن الخلافات السياسية. لابد من صيانة الانتفاضة، واقترح ايجاد صيغة عمل للعلاقة بين حماس وقاوم . قناعا ان يدخل الاخوان في قاوم واذا تعذر فلتكن تنسيق حول العملية السياسية موقفنا معروف . ورغم ذلك نكرر صيغة مدريد

لن تؤدي النتائج سلبية .

ابراهيم غوشة : ربنا انك جامع الناس . سأتكلم في نقطتين . المبعدون والمفاوضات . البيان الصادر عن وزير الخارجية فيه مناقشة روسيا وامريكا . المناشدة تسقط بعد ذكرها . هل لو كان المبعدون من دولة عربية تقبل هذه الدولة بهذا البيان ؟

ابو عمار : لا يجوز ونحن مجتمعين ان يصدر عن حماس بيان يقول المنظمة مع ترحيل المبعدين الى اوروبا . المنظمة هي التي اوقفت التسفير الى هولندا .

نزال : صار ليس في فهم الاخوان لما عرضه ابو عمار ، وانشاء الله نصحح الموضوع .

ابراهيم غوشة : نريد ان يتسع صدر الاخوان حول المبعدين . هناك ثلاث سقوف للموضوع :

الأول : الانسحاب من المفاوضات

والثاني : ربط العودة للمفاوضات بعودة المبعدين

والثالث : هو ما صدر في بيان الاجتماع الخامس العربي . المبعدون يمثلون كل غزة والضفة ، وكل عشائر فلسطين ، وليسو حجارة باطون . قد نقول اكلت يوم اكل الثور الابيض فهذه بداية ترانسفير كما قال ابو عمار . اذا عملتم دبلوماسية ستضيع فلسطين ، والقضية نحن لا يهمنا ولا سواها ، المهم كرامة المسلم . هذه فرصة لانتشال المنظمة من الجورة الواقعة فيها الآن . جئنا لمساعدة المنظمة على الخروج منها .

ابو عمار : انالست في جورة .

غوشة : هذا رأينا ، محصلة المفاوضات بعد ١٤ شهر صفر . مبررات

الذهاب الى مدريد سقطت . المفاوضات قبل الابعاد كانت تلفظ.
انفاسها . اختفى بوش وبيكر . ضربة المبعدين هي الضربة القاسمة للمفاوضات .
هل يمكن لأحد التفاوض في ظل الابعاد ؟ اذا تم فهذا شق فعلي للوحدة الوطنية
 . ومن يفرط فليذهب الى الجحيم . اذا ذهبت القيادة فستتحمل المسؤولية عن
 ذلك . نحن لا نريد ان يتم لقاء مع راين لانه مكسر عظام اطفالنا وقاتل شبانا .
 ولا نريد لعمر موسى ان يقودنا ، العالم ينظر لاخواننا الموجدين هنا الآن .

ابو عمار : ولا نريد لاسوريا ولا ايران ولا الخليج .

غوشة : ولا سوريا ولا ايران ولا امريكا .

ابو عمار : اوافق على ذلك .

ابو عمار : اخواني في حماس لا يعرفون ياسر عرفات . انا لا اقبل لاحد
 ان ينال مني . بقيتم ام خرجتم انتم احرار . انا لا اقبل لامريكا ان
 تنال مني . اتحداكم ان تتحدثوا عن العرب وامريكا .

ابو مرزوق : تكلمت مع الاخوان وقلت لهم هذا البيان خطأ .

ابو عمار : انتقدني سياسيا ما شئت اما أن تفترني علي فهذا غير مقبول .

ابو مرزوق : البيان خطأ وهذا قلناه من بداية الاجتماع .

ابو عمار : النقطة الثانية ، تصريح آخر حول وفد قيادي برئاسة ياسر
 عرفات . يا موسى وغوشة انتم لاتعرفوني . انا لا اسمح لاحد ان
 يمسني .

غوشة : خرب بيتنا بابعاد ٤٠٠ من اخواننا .

نزال : اخي ابو عمار ، قلنا صار لبس حول البيان . حصل خطأ
 وسنصححه . اما حول الهجوم والعلياء ، فابو عمار فتح علينا النار
 وقال فينا مالم يقله مالك في الخمر . هذا اول اجتماع ، شجعونا
 على حضور اجتماعات اخرى . نحن قادمون لفتح صفحة

- جديدة . ارجو ان نقفز عن التصريحات . معنا مذكرة رسمية
مقدمة للاخ ابو عمار. تلا غوشة المذكرة كانت :
- ١- دعم ثبات المبعدين في مخيم العودة واغلاق محاولات نقلهم باي
ثمن .
- ٢- الانسحاب النهائي من المفاوضات، ولاتحام مع الجماهير الفلسطينية
والعربية والاسلامية .
- ٣- تصعيد الانتفاضة وفقا لبرنامج جهادي مشترك ، واعتبارها خيارا لا
رجعة عنه .
- ٤- اعتماد الكفاح المسلح خيارا استراتيجيا .
- ٥- الدعوة الى حوار فلسطيني شامل لتعزيز الوحدة الوطنية وانهاء
الانقسام .
- ٦- اعادة بناء م ت ف على اسس جديدة تضمن اشراك القوى الفاعلة .
هذا وكانت المذكرة موقعة من قبل موسى ابو مرزوق ، رئيس المكتب
السياسي للحركة .
- تيسير خالد : بيان دول الطوق يؤكد اننا ذهبنا بسقف ادنى من المطلوب .
البيان قاسم مشترك مع العرب . سؤال هل هذا القاسم ، سيشكل
قيداً على حركتنا . نحن قلقين من هذا الموضوع . شعبنا ينتظر
موقف اعلى من هذا البيان . الوضع بحاجة الى موقف يحمل
رايين مسؤولية تدمير عملية السلام . قدمنا الكثير من التنازلات
في صيغة التمثيل وعلى طاولة المفاوضات .
- ابو عمار: لا لا هذا الكلام غير مسموح به لانه غير صحيح على
الاطلاق . اتحدك ولا اسمح لك ان تقول اننا قدمنا تنازلات .
- تيسير : اخ ابو عمار كلكم تقولون ان شروط مدريد مجحفة .

ابو عمار : هذا شيء آخر ، واطالبك ان تبين ذلك والا سأحاسبك .
وسأشكل لجنة من التنفيذية لحاسبتك . انت كذاب وتفتري على
التنفيذية .

ابو عمار : انت كذاب وانت تكذب . طلع لي تنازل واحد قدمناه .
ابراهيم غوشة: اخ ابو عمار انت صدرك واسع . واقترح حذف كلمة
كذاب . ارجوك حذفها .

ابو عمار : تشطب من المحضر .

تيسير: اذا كنت اخ ابو عمار لا تريدني في الاجتماع أغادر؟

ابو عمار : اذا اردت المغادرة غادر . لآتمن علي بحضورك .

تيسير : انا لا اطلع على شيء وانا عضو لجنة تنفيذية ، والله العظيم لا
اطلع على شيء .

ابو عمار : لا تحلف يمينا كاذبا

تيسير: اسرائيل هي التي تنسف عملية السلام بسياساتها التي تمارسها
يوما في المناطق .

صخر حبش : الظروف الصعبة تصهر المواقف . حول مذكرة حماس ،
لو اردت ان اكتب مذكرة لكتبت ذات المذكرة . ولا يجوز
القول اعتماد الكفاح المسلح ، لان الكفاح المسلح معتمد منذ
سنين طويلة ومثبت في موثيقنا حول الحوار الوطني الشامل اترك
الحديث فيه لآخي ابو ماهر غنيم . المفاوضات : كانت نقطة
خلاف واشدد على موقف حماس ونقدمهم لشروط التسوية .
الموضوع كيف نتفق على مانحن عليه . الوفد الفلسطيني عانى
الكثير . اكبر انجاز هو الموقع الذي تقف فيه المنظمة الآن .
لاشيء خلال الشهرين القادمين وعلينا ان نفرض شروطا
جديدة .

ابو عمار : برقية ، قدمت مذكرة احتجاج لوزير الخارجية الهولندية .
الطلاب في الهند معتصمون وممتنعون عن الطعام.

صالح البرغوثي: في المجلس تعهدت ان اسعى من اجل الوحدة الوطنية .
وجود الاخوة في حماس في مقر المنظمة شيء ننتفعل به. اقترح
تشكيل لجنة لدراسة مذكرة الاخوة في حركة حماس . وما يتفق
عليه ينفذ وما يختلف عليه يستمر الحوار حوله .

ابو اللطف : اثني على اقتراح الاخ صالح البرغوثي

ابو ماهر غنيم : اثني على الترحيب بحضور الاخوة في حماس . ونعتر
بوجودهم معنا الابعاد هدفه وضع م ت ف في مواجهة نفسها .
رايين يلوح باتخاذ اجراءات ضد فتح اذا تضامنت مع المبعدين .
علينا التمييز بين قضيتين ، التسوية والعمل السياسي والدبلوماسي
عام ٧٣ كان عندنا جبهة رفض ونخطئ اذا لم نعتبر العمل
السياسي مسلحاً من مسالك النضال وخوض المعركة ليس في
حمل البندقية فقط . انا ضد الانسحاب من المفاوضات ، لا احد
يطرح علينا برنامجا بديلا للمفاوضات، وجميع العرب يشعرون
مع الاسف بالضعف، علينا تحسين الشروط . وضعنا الان افضل
مما كنا عليه قبل عام. انا اميز بين الطموح الفلسطيني وبين ما
يخرج من الاجتماعات مع العرب. نحن مع الموقف اللبناني من
قضية المبعدين. لا نستطيع منع العرب الاردن وسوريا ولبنان من
الذهاب الى المفاوضات. وهذا الموضوع ليس ملحا الان. الملح
هو وضع الاخوان المبعدين في مرج الزهور. ظروفهم صعبة
درجة الحرارة هناك الان خمسة تحت الصفر. غياب الاعلام
عنهم مقتل لقضيتهم . وجود حماس معنا تعبير عن الرغبة في
الوحدة الوطنية . مع دعوة حماس للحوار الوطني الشامل . وما
جاء في مذكرة حماس لا خلاف عليه . الخلاف فقط حول

تكتيك العمل السياسي . مع تشكيل لجنة تشارك فيها حماس .
 نزال: بعد نقاش داخلي قدمنا مذكرة حول الممكن، وليس شرطاً ان كل
 النقاط موضع اتفاق، المسألة السياسية قضية مهمة . كيف نحسم
 الخلاف حولها ؟ اطراف لها ثقلها في الساحة تريد حسم هذا
 الخلاف نحن لا نطالب بأن يكون الجميع على مسطرة واحدة .
 نحن نعتقد ان تشكيل المجلس الوطني لا يعكس اوزان القوى
 الفلسطينية . هناك قضايا متفق عليها مثلاً تصعيد الانتفاضة، بعض
 الفلسطينيين قالوا يجب ان نتوقف ، قالوا لا وجود للانتفاضة .

صائب : من قال هذا الكلام ؟

نزال: سري نسبية . الانتفاضة فيها سلبيات لا بد من معالجتها، منها
 موضوع قتل العملاء مثلاً عليه خلاف . لتتفق على تصعيد
 الانتفاضة، ونحن جاهزون للبحث في اي توجه . موضوع
 الكفاح المسلح لانريد التوقف عند كلمة اعتماد ، ونحن لا
 نقصد التشكيك . حول المفاوضات بعد تجربة ١٤ شهراً من
 المشاركة دعونا نجرب اعلان الوفد عن الانسحاب من
 المفاوضات . نحن لا نشكك بالوفد . ولا نتهم احداً بالتفريط .

ابو عمار: انتم جدد على الكفاح المسلح وانا اول من اطلق الرصاص
 بعد عام ١٩٤٨ في الشهر الماضي نفذنا ٢١٨ عملية، ويهود
 براك قال: قلت الحجارة وكثر الرصاص . معاركنا شاهدة علينا .
 نحن لا نعلن عن عملياتنا ، ولن اعلن . ولست بحاجة للاعلان .
 العدو هو الذي يعلن ، ورايين لم يوفرني شخصياً . بعد المجلس
 قررنا تصعيد الكفاح المسلح . حول المجلس الوطني ليس هناك ما
 يمنع مشاركتكم فيه . قدمنا لكم ١٨ عضواً، فتح لها ٣٢ . عرضنا
 عليكم ان تكونوا التنظيم الثاني . ماذا فعل المسلمون للبوسنة

والصومال.

ياسر عبد ربه: اقترح ان اللجنة العليا للمبعدين غداً صباحاً تبحث المسائل العملية. وان يحضر مندوب عن كل تنظيم.

انتهى الاجتماع الثاني

وثيقة (١٥)

قرارات المجلس المركزي المنعقد

في الفترة ١٦-١٨/١٠/١٩٩١

انطلاقاً من قرار المجلس الوطني الفلسطيني في دورته العشرين في الجزائر ، بالعمل الايجابي مع الجهود الرامية لتحقيق تسوية في المنطقة ، عبر مؤتمر السلام ، الذي دعا إليه الرئيسان جورج بوش وميخائيل غورباتشوف ، وفق اسس ستة حددها المجلس ، وخاصة حق منظمة التحرير في تشكيل وفودها من الخارج والداخل بما فيه القدس ، وإن تكون هي مرجعيته ، وحضور القدس موضوعاً وتمثيلاً في المؤتمر ، وضمان وقف الاستيطان مع بداية استعراض اعمال المؤتمر ، وفي ضوء استعراض الجهود والاتصالات التي قامت بها اللجنة التنفيذية على الساحتين العربية والدولية حسب تكليف المجلس الوطني من أجل توفير الشروط التي تضمن نجاح عملية السلام وفق قرارات المجلس الوطني ، فإن المجلس المركزي ، يؤكد قرار المجلس الوطني بالتعامل ايجابياً مع العملية السياسية الجارية من خلال مؤتمر السلام المزمع عقده ، ويقرر المشاركة في المؤتمر بوفد فلسطيني - اردني مشترك على اساس مستقل ومتكافئ ، والتمسك خلال مجمل العملية السياسية ، بالاهداف والاسس التي حددها المجلس الفلسطيني ، ويكلف اللجنة التنفيذية باتخاذ الاجراءات والخطوات التي توفر افضل الشروط التي تضمن تحقيق الأهداف السياسية والوطنية الثابتة لشعبنا ، ويعتبر المجلس نفسه في حالة انعقاد دائم لمتابعة العملية السياسية ومراقبتها وتقييمها ، واتخاذ القرارات المناسبة في ضوء تطور العملية السياسية .

الموافقون : ٦٠

ضد القرار : ١٥

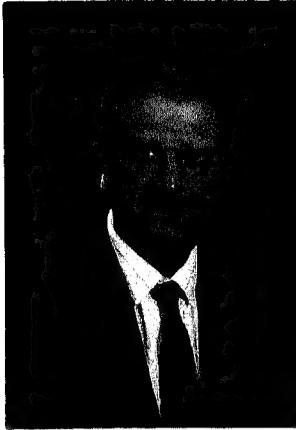
ممتنع : ٣

المصادر

- نتائج اجتماعات الخلية الفلسطينية التي ادارت مفاوضات اوسلو .
- لقاءات مباشرة مع اعضاء خلية اوسلو الفلسطينية .
- المسودات والوثائق الرسمية النهائية لمفاوضات اوسلو .
- خلاصات اجتماعات اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية .
- محاضرات اجتماعات القيادة الفلسطينية ١٩٨٨-١٩٩٤
- محاضرات اجتماعات المجلس المركزي الفلسطيني ١٩٨٨-١٩٩٣
- محاضر اللجنة العليا لمتابعة المفاوضات الفلسطينية الاسرائيلية .
- محاضر اجتماعات لجنة العمل اليومي لمتابعة الانتفاضة ١٩٨٨-١٩٩٣
- محاضر اجتماعات اللجنة العليا لشؤون الوطن المحتل ١٩٨٨-١٩٩٣
- اجتماعات وقرارات المجلس الوطني الفلسطيني ١٩٨٨-١٩٨٩
- وثائق الاجتماعات الفلسطينية -الامريكية قبل مؤتمر مدريد .
- رسائل الدعوة الامريكية -الروسية لمؤتمر مدريد .
- رسالة التطمينات الامريكية للاطراف المشاركة في مؤتمر مدريد .

محتويات الكتاب

٥	«إهداء
١١-٧	«توطئة
	القسم الأول : تمهيد الطريق إلى أوصلو
١٤-١٢	- تقديم
٣١-١٥	- الإنتفاضة والوفاق الدولي مهدا طريق أوصلو
	القسم الثاني: قصة الإتفاق السري في أوصلو
٤٧-٣٢	- مقدمات الإتفاق
٧١-٤٨	- السنارة الفلسطينية تلتقط طرف خيط
٨٥-٧٢	- الخلية الفلسطينية تنجح في الإمتحان مع رابين
٩٥-٨٦	- غزة - أريحا محور مفاوضات مكثفة
١١٠-٩٦	- استقلالات الأخوة الثلاثة
١١٨-١١١	- الأزيمة الداخلية تتفاقم والمفاوضات في أوصلو تتعثر
١٣٢-١١٩	- سهرة على الهاتف تحسم الإتفاق
١٥٨-١٣٣	- ورشة عمل إسرائيلية وفلسطينية بعد التوقيع بالأحرف الأولى
١٩٤-١٥٩	- الإتفاق يثير عاصفة قوية من ردود الأفعال
٢٠٨-١٩٥	- تبادل الإعتراف يسبق التوقيع على الإتفاق
٢٢٤-٢٠٩	- قصة السفر الى واشنطن والتوقيع على الإتفاق
٢٦١-٢٢٥	- المعركة الفلسطينية الداخلية تشتد
٢٧١-٢٦٢	- المجلس المركزي يصادق على الإتفاق بدون صراع
	القسم الثالث : اتفاق أوصلو والمستقبل
٢٧٤-٢٧٢	- مقدمة
٢٨١-٢٧٥	- هل الإتفاق قادر على الحياة وعمره طويل؟
٢٨٨-٢٨٢	- طريق المفاوضات طويل وقضاياها معقدة
٢٩٨-٢٨٩	- سلام شامل أم تسوية ؟
٣١٠-٢٩٩	- دولة فلسطينية وتطبيع علاقات
٣٢٦-٣١١	* الهوامش
٣٧٧-٣٢٧	* الملاحق
٣٧٩	* المصادر
٣٨١	* محتويات الكتاب
٣٨٣	* نبذة عن الكاتب



نبذة عن الكاتب

— ولد الكاتب في مدينة قلقيلية في الضفة الغربية سنة ١٩٤٤م، وتلقى علومه الثانوية فيها. والتحق بدار المعلمين وعمل مدرسا في مدارس الضفة الغربية ٤ سنوات.

— انخرط في العمل الحزبي والسياسي مبكرا، وانضم لحركة القوميين العرب عام ١٩٦٢. ترك سلك التدريس بعد هزيمة ١٩٦٧ والتحق بالعمل الفدائي الفلسطيني. عمل في صفوف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين من بداية تأسيسها، وساهم في تأسيس جناحها العسكري عام ١٩٦٨.

— ساهم في تأسيس الجبهة الديمقراطية، وتولى قيادة قواتها العسكرية من عام ١٩٧٢ وحتى ١٩٨٨، وكان عضوا في مكتبها السياسي. ولاحقا أصبح عضوا في الامانة العامة لحزب فدا.

— عين عضوا في المجلس العسكري الاعلى للثورة الفلسطينية منذ تأسيسه، وتولى مهمة قيادة قوات الثورة في لبنان سنوات ١٩٨٦، ١٩٨٧، ١٩٨٨. عين عضوا في اللجنة العليا لشؤون الوطن المحتل، وعضو قيادة العمل اليومي للانتفاضة التي كان يترأسها ابو عمار.

— عضو في القيادة الفلسطينية، وسمي عضوا في اللجنة العليا لمتابعة المفاوضات الفلسطينية — الاسرائيلية وشارك في اعمال مؤتمر مدريد عام ١٩٩١ كمندوب عنها.

— عضو في المجلس الوطني الفلسطيني منذ عام ١٩٧١، وعضو في المجلس المركزي منذ تأسيسه وحتى الآن. وبعد تشكيل السلطة الوطنية في غزة واريحا سمي عضوا في المجلس الاعلى للامن القومي الفلسطيني، ويحمل رتبة عميد.

قصة اتفاق أوسلو

الرواية الحقيقية الكاملة

هذا الكتاب

نشر في عدة صحف عربية تحت عنوان (طبخة أوسلو)، ويتناول بأسلوب شيق معتمدا الوثائق، ما جرى في أوسلو، وكيفية تعامل (المطبخ الفلسطيني) المصغر مع المفاوضات السرية التي جرت في العاصمة النرويجية، مركزا على آلية اتخاذ القرار الفلسطيني، وآلية العلاقات داخل الاطر القيادية الفلسطينية العليا.

وهو شهادة يكشف الكاتب فيها اسرار إتفاق أوسلو، باعتباره لم يعد ملكا لمن صاغوه أو وقوعه وإنما ملكا للشعوب التي تأثرت به، وملكا للقوى الكبرى المؤثرة في رسم السياسة الدولية وفي تقرير مصير الشعوب. واتفاق أوسلو حدث من الاحداث التاريخية الكبرى، ترك آثارا ونتائج كبيرة على شعوب ودول المنطقة، وعلى علاقاتها ببعضها البعض ومع العالم. ولانه هكذا ومن هذا المستوى فتعريف القارئ به كما هو، وتعريفه بصناعه، وتبصيره باحتمالات المستقبل واجب وحق فهو من جهة واجب على من يعرف الحقيقة ان يدلي بشهادته. وحق لكل من لا يعرفها، أن يقرأ هذه الشهادة وأن يطلع عليها، ليتمكن من إصدار حكما عادلا على هذا الحدث الكبير وعلى صنّاعه، وكل من شايعهم ودافع عن اتفاق أوسلو، وإعطاء ما لقيصر لقيصر، وما لله لله.

وتأتي أهمية هذا الكتاب من كونه يعتمد على محاضر اجتماعات القيادة الفلسطينية واللجنة العليا لمتابعة المفاوضات، والمجلس المركزي الفلسطيني، ومحاضر ووثائق المفاوضات الفلسطينية في أوسلو وواشنطن، ولجنة شؤون الوطن المحتل، واجتماعات قيادة العمل اليومي للانتفاضة التي كان يرأسها ياسر عرفات. فالكاتب عضو في كل هذه المؤسسات القيادية الفلسطينية، اضافة الى عضويته في المجلس الاعلى للامن القومي الفلسطيني الذي شكل بعد تأسيس السلطة الوطنية الفلسطينية.

الناشر



البيعة لأدوية، إرشية - عمات وسط البلد
خف مطعم انشيت من ب ١١١٢ - هاتف ٣٢٦١١١
فاكس ٣٢٦١٤٤٥ • منشورات اتفاق العمل ١٩٩٥ •
• الغلاف: زهير زوشايب